

شَاكِرُ مُصطفى

التاريخ العربي والمؤرخون

دراسة في تطور عالم التاريخ
ومعرفة رجالة في الإسلام

الجزء الأول



دار العلوم للملاتين



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarab.com

التاريخ العربي والمؤذخون

وراثة بلاد مهزم الشابخ
وتنوف رجاءه في الإسلام



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابط بديل

شِائِكْرُمُصطفَى

النَّارِجُ الْعَرَبِيُّ وَالْمُؤْرِخُونَ

دِرَاسَةٌ فِي تَطْوِيرِ عِلْمِ التَّارِيخِ
وَمَعْرِفَةِ رَجَالِهِ فِي الْإِسْلَامِ

المُؤْذِنُ، الْأَوَّلُ

دارِ الْعِلْمِ الْمُعَلَّمِينَ

ص. بـ ١٠٨٥ - بيروت

دار العلوم للملايين

مؤسسة متتابعة لتأليف والترجمة والنشر

شارع مسارة المكان، خلف مكتبة المتنبئ

من ١٠٥ - ستينورت ، ٢٤٤٩٥ - ٨١٦٦٣٩

برقينا ، مسلامين ، تلكلخ ، ٢٣١١١ ، ملايين

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٨

الطبعة الثالثة

شيموز (يوليو) ١٩٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ

يوم كانت مادة هذا الكتاب تجتمع على الصمت والتكاثر بين يدي سنة بعد سنة حتى بلغت ما يزيد على خمسة عشر ألف بطاقة ، عدا مئات الكتب ومئات الأبحاث ، ما كان في خاطري أن تأخذ طرقها إلى دراسة بهذه الدراسة في علم التاريخ الإسلامي ولا إلى كتاب من مثل هذا الكتاب . كنت أريد لها مؤلف آخر ما يزال يتكامل عندي حول « مصادر التاريخ الإسلامي » وما أزال أرى إلى فراغه الواضح في المكتبة العربية وأتألم وأعمل على السداد وأأمل أن أستطيعه عن قريب .

على أن مصادرة المصادر التاريخية جرتي — دون أن أدرى — إلى النظر في مناهجها ونسيجها التكري وتقنيتها العلمية الدقيقة وخصائصها من خلال تاريخ التدوين وتطوره على تطبيق الزمن ، كما جرته — دون أن أدرى أيضاً — إلى معايشة المؤرخين ، ذلك الرعيل الكبير الذي رافق مسيرة التاريخ العربي الإسلامي كله وأغارنا عليه والأقلام لنرى ونعرف تلك المسيرة من خلاله ... حيادياً كان أم ذاهباً مع الأهواء ، نافذ بصيرة أو أعمى الغواص ، في ألوان

المجلدات التي كتب ... ووجدتني بين هذا وذاك أيام موضوع جديد لم يكتب بعد ، وقد تكاملت على أوراقي جوانبه « فلم يبق إلا صورة اللحم والدم » ، لم يبق إلا أن توضع له الكلمات ... وهكذا وجد هذا الكتاب الذي يتحدث عن علم التاريخ العربي في مختلف أطواره وعصوره وعن المؤرخين الذين أقاموا ، على الأطوار والمصور ، هذا العلم .

ولقد حسبت أول الأمر أنني بالغ ما أريد من هذا كله في مجلد واحد ، محدود الجهد والمدى . ولكن البحث اتسع ثم اتسع – وكل بحث مثله إلى اتساع – ثم ما زال يتفتح من نفسه وبنفسه فألتقي ... وما زالت حاجة الاستكمال تلوك فأزيد ... ومن نقطة هنا إلى ناحية ما بروحت مجده هناك إلى سؤال عابر يفتح باباً بعد باب ، إذا بمجلدات خمسة ضخمة قد اجتمعت من كل أولئك ثم إذا بها تتبلع ، كأشداق الجحيم ، الوقت والجهد والفكر حتى ظلت أنها ليست إلى انتهاء أبداً ولم أجد مناصاً من الملة أطراف البحث على هون وإن شابها التقص وعدم الإحاطة ، ثم دفعه ، تخلصاً من عوileه الذي يشبه عوile بنات « السيرين » في نشان الكمال ، إلى رصاص المطبعة لعله يحمد فيها على حال . وأعترف أنني صرفت النظر مرات ومرات عن إنجاز هذا الكتاب وإصداره للناس ولكنني كنت كلما انصرفت عنه أعادتني إليه برغبتي دواع ملحة عديدة :

أولاً : أن التاريخ – في اعتقادي – علم عربي إسلامي أو يمكن اعتباره كذلك . ومع أن الإنسان – لحد كبير – « حيوان مؤرخ » كما أنه « حيوان ناطق » ومن قبل أن يخلق هيرودوت بكثير ... ومع أن كافة الأمم شتركت في الترعة التاريخية التي تكاد لعمقها وثباتها واستمراريتها وأثرها التلقائي الفعال ندعوها « بالغريزة التاريخية » ، مع ذلك كله فانيا نلاحظ أنه ما من أمة في الأرض قبل المصور الحديثة ، كتبت في التاريخ وألفت فيه المؤلفات الضخمة جداً الصخامة وفرعت الفروع العديدة وسجلت دقائق ما عاشت من الأحداث مثل ما كان في العهد العربي الإسلامي . وإذا كانت الفلسفة أو الطب أو الحساب

والفلك والعلوم العملية الأخرى أو النشاطات الأدبية والشعرية قدرًا مشيرًا إلى مختلـف الأمم تقريبًا فقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية بالتنوعة التاريخية الواضحة التي تجلـت في ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرخ على الأقل فيها وما يزيد على عشرة إلى إثنى عشر ألف كتاب تاريخ - في أقل التقدير - لديها. وبعض هذه الكتب في خمسين وثمانين ومائة مجلـد . الراتـات التاريخيـة الصخـم هو مـيـزة من مـيـزـات هذهـ الحـضـارـةـ وـحـدهـاـ وـلـيـسـ ذـلـكـ نـاجـمـاـ فـقـطـ عـنـ صـدـفـةـ اـنـتـشـارـ الـوـرـقـ وـصـنـعـهـ لـدـىـ الـعـربـ مـنـذـ الـقـرـنـ الثـانـيـ الـمـجـرـيـ وـلـكـنـ لـهـ أـيـضاـ جـذـورـ الـنـفـسـيـةـ وـالـدـينـيـةـ وـالـمـادـيـةـ فـيـهـمـ . وـهـذـاـ مـاـ أـعـطـاهـ الـرـواـجـ وـالـرـجـالـ وـالـمـؤـلـفـاتـ عـنـ سـعـةـ ،ـ كـمـ أـعـطـاهـ فـيـ النـهـاـيـةـ الـخـطـوـطـ الـأـوـلـىـ لـفـلـسـفـةـ وـتـحـولـهـ إـلـىـ عـلـمـ مـنـهـجـيـ -ـ فـيـ حـدـودـ تـلـكـ الـعـصـورـ -ـ عـلـىـ يـدـ أـبـنـ خـلـدونـ .

ومع ذلك وهذا هو الداعي الثاني : فإن علم التاريخ الإسلامي مثله كمثل كافة نواحي النشاط الفكري في الرثـاثـ لمـ يـبـحـثـ بـعـدـ : لا درـسـ رـجـالـهـ ولا أحـصـيـتـ مـؤـلـفـاتـهـ وـلـاـ جـرـىـ مـسـعـ عامـ مـيـدانـهـ وـلـاـ رـسـمـ فـلـكـهـ الـفـكـرـيـ الـأـعـمـ وـلـاـ كـشـفـ عـنـ مـنـاهـجـهـ وـطـرـقـهـ وـفـلـسـفـهـ فـيـ بـحـثـ وـاسـعـ جـادـ كـامـلـ .ـ بـلـ .ـ وـجـدـتـ أـبـحـاثـ عـدـيـدةـ فـيـ هـذـاـ الـمـيـدانـ وـبعـضـهـاـ عـلـىـ مـسـتـوىـ عـالـ مـنـ الـجـدـيـدـ وـالـجـوـدـةـ .ـ وـقـدـ خـصـصـنـاـهـ بـعـدـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ بـالـاستـعـارـضـ وـجـعـلـنـاـ ذـلـكـ نـوـعـاـ مـنـ الـمـقـدـمةـ لـلـكـتـابـ اـعـرـافـاـ مـاـ يـجـهـوـدـ السـابـقـينـ وـتـقـدـيرـاـ لـتـلـكـ الـجـهـودـ .ـ وـلـكـنـهاـ كـانـتـ جـمـيـعـاـ -ـ عـدـاـ وـاحـدـةـ مـنـهـاـ هيـ درـاسـةـ فـرـانـزـ رـوزـنـتـالـ -ـ إـمـاـ مـخـتـصـاتـ تـكـنـيـقـيـةـ بـالـلـامـعـ الـغـامـضـ الـتـعـيمـيـةـ وـالـسـرـيـعـةـ دـوـنـ الـعـقـنـ .ـ إـمـاـ مـبـاـحـثـ مـتـفـرـقةـ تـتـصـلـ بـعـضـ الـمـؤـرـخـينـ دـوـنـ آـلـافـ الـآـخـرـينـ .ـ إـمـاـ أـخـبـرـاـ مـتـصـلـةـ بـعـصـرـ مـحـلـودـ .ـ فـالـمـارـ الـأـكـلـ لـهـذـاـ الـعـلـمـ فـيـ مـخـتـلـفـ عـصـورـهـ وـبـقـاعـهـ وـأـنـوـاعـهـ وـرـجـالـهـ ،ـ مـفـقـدـ أوـ غـامـضـ الـحـدـودـ .

الثالث : ان معاناة البحث في التاريخ الإسلامي تضع أمام الباحثين الشباب الكبير من الصعوبات والمثليـاتـ .ـ انـ لـهـ فـلـكـهـ الـفـكـرـيـ وـعـلـمـهـاـ وـلـغـتهاـ المـيـزةـ وـالـطـقـ .ـ وـلـقـدـ طـالـماـ شـعـرـتـ وـأـنـاـ أـجـمـعـ أـطـرـافـ هـذـاـ الـكـتـابـ أـنـ مـصـادرـ

التاريخ الإسلامي وان كانت عربية اللغة إلا أنها ميدان مملوء بآثار الاستفهام ومواطن التساؤل . الأسئلة – الساذجة أحياناً – التي كان يواجهني بها طلابي الباحثون كانت تكشف لي مدى القصور الذي نواجهه به هذا الفرع من المعرفة التراثية ، ومدى السطحية التي نستخدم بها ذلك التراث وكانت أحار إلى أي مصدر أرد طلابي وهم يسألون عن المؤرخين ومؤلفاتهم ؟ أو عن طريق نقل وتسجيل المعلومات التاريخية في الإسلام ؟ وعن موقف المؤرخ المسلم من الآثار والوثائق وعن فلسفة المؤرخين أو عن علاقة التاريخ بالأدب أو بالدين ، أو عن هذا المؤرخ أو ذلك ، مدى موضوعية الأول وقيمة المصدر الذي كتبه الآخر ... كانت حاجتهم إلى أن يجدوا بين أيديهم بعض الكلمات التي تهدي إلى أصحاب المصادر وإلى المسيرة بين سطور و مجلدات المصادر تعدل حاجتهم إلى معرفة تلك المصادر ذاتها ومعرفة أصحابها .

والرابع أخيراً : أن هذا الجانب ، من جوانب الثقافة العربية الإسلامية ليس كأي جانب آخر من مثله . اذا كانت علوم الدين أو الطبيعة أو الرياضيات أو الفلسفة وما إليها إنما « تعلم » الحياة العربية الإسلامية وترسم لها آفاقها النظرية ومساربها العملية التي يجب أن تسلك ، فال تاريخ إنما « يصفها » فقط . يصف رجالها وأحداثها كما كانوا وكانت ، في الواقع الحي الذي درج . انه « الشاهد » الوحيد . هو نحن بكل ما أناخت القرون في شراييننا وبكل ما رسبت الأحداث وتفرد العقولان . أليس من الغبن ان لم يكن من الخيانة للذات العربية أن يظل هذا الشاهد مغمور العيون والخذور في تراب الأرض والاهمال ؟ وإذا كان التاريخ العربي الإسلامي – مثله كمثل كل تاريخ آخر – عملية مزدوجة : هو ملحمة الحياة من جهة وهو تسجيل ملامع تلك الحياة في المعرك من جهة أخرى . هو الزمان ومرآة الزمان معاً في المعنى الجدللي لهذه العلاقة المتناقضة . أليس من الواجب العلمي والوفاء القومي أن نكشف كل تلك الظلال والألوان التي قد تكون أصابت عملية التسجيل ؟ أن نعرف إلى أي مدى كانت تلك المرآة صادقة

الصورة فيما عكست للناس ؟ أن نعرف الأداة التي سجلت التاريخ بكل صعفها وقوتها ومؤثراتها بقدر ما يجب أن نعرف - ولكي نعرف أيضاً - ذلك التاريخ على الصدق والصحة ؟

ولعل أستطيع أن أضيف هنا ما اكتشف به مشروعى الأوسع الذي أعمل عليه لتأريخ المؤرخين والأدب التاريخي الإسلامي فالكتاب الذي بين يديك والذي قد يزيد على خمسة مجلدات هو أحد كتابين اثنين مما ان شئت في التراث التاريخي ومصادر التاريخ العربي الإسلامي وإن شئت في علم التاريخ الإسلامي ومؤلفاته ورجاله فالأمر ، عند الغاية التي نرجو منها سواء . وما الغاية إلا أن يقيناً « شاهد » التاريخ العربي على رجله حياً سوياً ، في سبيل صلة أعمق وأكثر حياة وصدقًا بعنابع الذات العربية الأولى ومسارها التاريخي العميد .

وهذا الكتاب ليس على أي حال أكثر من محاولة تطمح في كثير من التوافع إلى أن ترسم بعض الخطوط واللامع في تاريخ علم التاريخ جواباً على الحاجتين الأولى والثانية وإلى أن تكون نوعاً من المصباح المادي لفهم المصادر التاريخية في معارجها والمسالك تلبية للحاجة الثالثة . كما ترجو أخيراً أن تكون إحدى المنافذ للاتصال على الإبهاطة والألفة بهذا الفرع من فروع النشاط الفكري في الثقافة العربية الإسلامية ، تمهيداً لاستعراض ثمرات ذلك الشاطئ في الكتاب الثاني القريب . معجم التاريخ الإسلامي والمؤرخين .

فإن قصر هذا الكتاب في بعض جوانبه أو أخطأ السبيل فإن صاحبه ليأمل أن يعينه أخوانه الزملاء بالتجاوز وبالارشاد على سد القصور وتقويم الخطأ « وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » .

شاكر مصطفى

الذكرى ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥



مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم پزشکی

مُقدمة

في الابحاث والدراسات لتي سبقت الى رئاسته علىم التاريخ الإسلامي

١ - في التراث

لقد يكون من الظلم أن نطلب في كتب التراث بحثاً للتاريخ كعلم ذي موضوع وحدود ومنهج مما نعرف ونبحث اليوم . ولكن مع ذلك لأنعدم أن نجد عدداً من الدراسات التي عالجت هذا العلم :

ويأتي في الدرجة الأولى تلك الفصول المختلفة طولاً وقصراً والتي عقدها بعض الفلاسفة لفلسفة العلوم وتصنيفها منذ القرن الثالث المجري . في هذه الفصول يوضع التاريخ من خلال النظرة الشاملة لجوانب المعرفة في مكانه وتحدد أهدافه من خلال ذلك ومنهجه . ولعل أقدم محاولة في هذا الباب هي تلك التي قام بها الفيلسوف العربي يعقوب الكندي (المتوفى سنة ٨٧٣/٢٦٠) في كتابيه (أقسام العلم الانسي) و (ماهية العلم وأصنافه) ولكن هذين الكتابين لم يصلنا اليهما . وقد كتب عدد من العلماء في القرن التالي (الرابع) في الموضوع ذاته ومن تلك الكتب :

- كتاب في أقسام العلوم لأبي زيد سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢/٣٤٠ . وهذا الكتاب خاتم ولكن الكتب التي تلته موجودة مثل :

- مفاتيح العلوم . لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب المتوفى سنة ٩٦٧/٣٨٧ وقد خصص في الباب السادس (١٦ صفحة من أصل ١٥٠) لموضوع الأخبار والتاريخ وجعل هذه الصفحات فصولاً تسمى تكلم فيها عن المصطلحات التي ترد في تواريخ الفرس والعرب والروم واليونان واليمن ...

- أحصاء العلوم ، للفارابي أبي نصر محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٨٨ .

- رسائل إخوان الصفا (من أواسط القرن الرابع) وهي معروفة .

- جوامع العلوم ، لابن فريغون ^(١) تلميذ أبي زيد البلخي من أواسط القرن الرابع أيضاً .

وقد أراد المؤلف من كتابه أن يصنف العلوم على طريقة التشجير : اللغة العربية . الكتابة ، السياسة ، الحرب (والأخبار) والأخلاق ، القصيدة . العبادة ، علم النجوم ، الرؤيا . الفراسة ، القيافة علوم الأوهام : السحر ، الظلاميات ، الكيمياء . وكل اهتمام المؤلف منصرف إلى تصنيف العلوم من وجهة نظر فلسفية .

وللكتاب مخطوطات عديدة في استانبول (أحمد الثالث رقم ٢٦٧٥)

(١) هناك اختلاف في اسم الرجل فإن عبد الله الفضل ابراهيم يحمل الاسم ابن فريغون بدون اعتراض وبفتح الراء وكسرها (انظر التراث العربي - سرزيك ، المقدمة صفحة ٩) ويحيطه اسم : المتبنى أو المبني دون تأكيد) وأما روزنثال فيحمله فريغون أو فريغون اعتقاداً على شروع هذا الاسم الفارسي واستشهد على ذلك بوجود اسم يماثله لدى ابن الجوزي في المختصم (ج ١٠ ص ٦٤) - انظر الطبعة الانكليزية لروزنثال ص ٣٢ ولكن هذا الاسم في الترجمة العربية لروزنثال ص ٥٢) ورد بشكل فرجون . وهناك عالم من القرن الرابع المجري باسم فريغون ذكره الشاعري في تنة بيضة الدر (٤ - ٢٧٥) - نشر مباس اقبال) .

في ٨٠ ورقة ، ورقم ٢٧٦٨ في ٨٦ ورقة) ومحظوظان آخران في (مكتبة معارف عامة رقم ٥٢٨ ، و ٥٢٩ ، ومحظوظ في الاسكورتيل (رقم ٩٥ في ٨٤ ورقة) .

- ثم جاءت رسالة في أقسام العلوم العقلية لابن سينا المتفق سنة ١٠٣٧/٤٢٩

- ورسالة مراتب العلوم ، لابن حزم الأندلسي المتفق سنة ٤٥٦/١٠٦٤ (طبعت ضمن رسائل ابن حزم - تحقيق احسان عباس . القاهرة) .

وإذا كنا لا نعرف موضع التاريخ في الكتب الصائمة التي كتبها الكندي والبلخي فانا لا نجد للتاريخ مكاناً أيضاً في تصنيفات الفارابي وابن سينا . وربما كان للتصنيف الإغريقي للتاريخ في عداد الآداب أثره في غياب اسم التاريخ لدى مؤلّفاته الفلسفية بينما اضطر الخوارزمي في مفاتيح العلوم واخوان الصفا في رسائلهم وابن فريغون إلى الاعتراف بهذا الفرع الهام من المعرفة الإنسانية الإسلامية ، بعد أن كثّرت مؤلفاته الإسلامية وكثير رجاله . وقد وضعه الخوارزمي بين علوم الشريعة وما يقترن بها من العربية وجعله الباب الأخير وسماه « أخبار التاريخ » ^(١) وبالرغم من أن كتابه في الأصل إنما كان يهدف إلى تفسير التعريف المغلقة في العلوم فان الموضع الذي وضع فيه التاريخ يكشف أن هذا العلم قد بدأ يحتل مكانته ودوره بين الفروع الثانوية للمعرفة . أما اخوان الصفا فوضعوه بين العلوم الرياضية الشعة وجعلوه بدورهم آخر تلك العلوم وسموه قريباً من تسمية الخوارزمي علم السير والأخبار ^(٢) ، وأما ابن فريغون فيصنفه مع علوم الحكمة في الفصل الثاني . وأما ابن حزم فاعرف بالتاريخ ولكنه أعاده إلى العلوم الفقهية واعتبره مساعداً لها .

وهذا كلّه يعني أن « التاريخ » قد أخذ يشغل – كعلم خاص ونشاط

(١) انظر الخوارزمي مفاتيح العلوم (طبع القاهرة ١٩٣٩ / ١٢٤٩) ص ٦٠ - ٨٢ .

(٢) انظر رسائل اخوان الصفا (طبع القاهرة ١٩٢٨ / ١٢٤٧) ج ١ ص ٢٠٢ .

ثقافي – أذهان المفكرين في القرنين الرابع والخامس ، وان لم يبحثه هؤلاء في ذاته ، وفي دراسات خاصة به . وقد استمر الأمر على ذلك أيضاً في القرن السادس وما بعده في مؤلفات :

– كتاب طبقات العلوم ، للأبيوردي أبي المظفر محمد بن أحمد الأموي المتوفى سنة ١١١٣/٥٠٧ .

– كتاب الأimali في كل فن ، للزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ١١٤٤/٥٣٨ .

– حدائق الآثار في حقائق الأسرار ، الذي كتبه بالفارسية فخر الدين الرازي المتوفى سنة ١٢٠٩/٦٠٦ .

– نفائس الفنون في عرائض العيون ، الذي صنفه سنة ١٤٣٠/٧٣٩ محمد ابن عمود الآملي .

– موضوعات العلوم ، لعبد الرحمن البسطامي المتوفى سنة ١٤٥٤ / ٨٥٨ .

وهو لا وأمثالهم إنما كانوا يبرون ببحث التاريخ من خلال الفلسفة باعتبارها عندهم أمّ العلوم فكانت مثل هذه النظرة الشاملة لكل معرفة إنسانية جزءاً أساسياً من مؤلفاتهم . جاؤوا بحث التاريخ من باب الفلسفة ولم يخلوه من بابه نفسه كعملية فكرية إنسانية مميزة . ويبعدو كأن طغيان أحداث التاريخ قد ألهى المؤرخين وغيرهم وشغلهم عن النظر في ماهية هذا العلم نفسه كمارسة فكرية لها موضوعها والمناهج والحدود .

ويجب أن ننتظر حتى النصف الثاني من القرن التاسع والقرن العاشر التالي له لظهور أول الأبحاث الإسلامية الخاصة بعلم التاريخ نفسه . وقد ظهرت فجأة في أربعة أو خمسة أعمال متتابعة وظهرت في مصر خاصة وحلت في الغالب طابع « الدفاع » عن هذا اللون من النشاط الثقافي أكثر مما حملت من طابع التعمق والتحليل لكتبه و Mahmood ما ومتناهجه الفكرية . وكان أول ما طرح الموضوع في كتاب :

- المختصر في علم التاريخ ، لمحبي الدين محمد بن سليمان الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩ / ١٤٧٤ وهي رسالة في عشرين ورقة ^(١) انتهت منها في آذار سنة ٨٦٧ حسب ما ذكره السحاوي ^(٢) ، ثم تلاه :

- كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسحاوي أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١٤٩٧/٩٠٢ (وقد طبع في دمشق كما طبعه روزنفال وطبع مع الترجمة) .

- الشماريخ في علم التاريخ ^(٣) ، للسيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى سنة ٩١٦ / ١٥١٦ ، وقد طبعت في ليدن سنة ١٨٩٤ من قبل سيبولد ثم نشرت في بغداد مؤخراً من قبل ابراهيم السامرائي سنة ١٩٧١ .

- زهر الشماريخ في علم التاريخ ، من وضع أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفارسي المتوفى سنة ١٠٩٦ ومنها نسخة مخطوطة في خزانة عبد الحمى الكافى في فاس بالمغرب ضمن مجموع رقمه ٤٥ ونسختان أخرىان في مكتبة الرباط برقم ٥٦ د ، ورقم ٤٨٧ د .

أما رسالة الكافيجي فتأخذ أهميتها من أنها أقدم رسالة إسلامية معروفة لدينا عن نظرية علم التاريخ ^(٤) . أنها محاولة أولية هامة سبق بها صاحبها إلى طرح عدد من المسائل المتعلقة بخصائص علم التاريخ وغرضه وأهدافه وفوائده ،

(١) نشر روزنفال هذه الرسالة في كتابه عن علم التاريخ عند المسلمين (الطبعة الانكليزية ص ٤٦٨ - ٥٠١) وهي في الترجمة العربية ما بين ص ٣٢٥ - ٣٧٠ .

(٢) انظر كتاب السحاوي - الاعلان بالتوبيخ (طبعة روزنفال - الترجمة العربية) ص ٤٣٧ .

(٣) ذكر صاحب كشف الظنون (١٠٥٩/٢) كتاباً آخر بعنوان الشماريخ في علم التاريخ نبه إلى (. . . ابن طولون حسن بن أحمد الشامي المتوفى سنة . . .) ولم يذكر هل ابن طولون هذا ولا على كتابه فيما بين يدي من المصادر والمراتب . وليس بين كتب المؤرخ محمد بن علي ابن طولون الصالحي الدمشقي (المتوفى سنة ٩٥٢ / ١٤٤٦) على كثرة تأليفه كتاب بهذا العنوان .

(٤) روزنفال (علم التاريخ - الترجمة العربية) صفحة ٣١٨ .

وأجاب باختصار عليها محاولاً وضع نظرية للتاريخ وأصوله ومسائله من خلال ذلك في الباب الثاني خاصة من الرسالة ، وقد طبق المنهج الفقهي وأراد استخراج منهج للبحث والتدوين التاريخي من خلاله لكنه سرعان ما يقطع البحث « خوفاً - كما قال - من سامة الخواطر من الأطنااب ... وفيما ذكرنا كفاية لكل ذهن سليم » وانصرف في النصف الثاني من الرسالة إلى ذكر بعض القصص عن الأنبياء ، وآدم وابليس وفرعون ونوح والسفينة ثم عالمية الرسالة المحمدية وخلاصة صغيرة عن النبي والخلفاء الراشدين وفضل أهل العلم ... وقد عرض الكافيجي مرة أخرى لبعض المعضلات التاريخية في كتاب آخر كتبه بعنوان : كتاب النصر القاهر والفتح الظاهر ^(١) .

وأما الشماريخ في علم التاريخ للسيوطى فرسالة أخرى صغيرة الحجم لا تزيد على عشرين صفحة وهي دون شك أقل شأناً بكثير من الناحية الفكرية من رسالة الكافيجي لأن السيوطى لم يحاول إيجاد مشكلة فكرية جديدة تتعلق بالتاريخ كعملية علمية واكتفى بأن قسم الرسالة إلى ثلاثة أبواب : الأول في مبدأ التاريخ أي الحوادث التي تتحذّد بدءاً لتاريخ الناس كهبوط آدم وبناء البيت والميلاد والهجرة ... والثاني في فوائد التاريخ وكلها ذات طابع ديني - أخلاقي ... والثالث جمع فيه بعض المعارف التاريخية ومنها حساب التاريخ بالشهور والأيام .. فكأنما أراد لا بحث ماهية التاريخ ولكن وضع بعض الأسس لعملية التدوين التاريخي بين أيدي الناس . ولا تخرج رسالة (زهر الشماريخ) عن هذا الإطار نفسه سوى أنها منظومة نظماً في أرجوزة تملأ ست ورقات (من ٢٢ سطراً) .

والاعتبار فيه منه نافع
فيه من الأنواع والتصنيف ...
ما ليس يخلو أن يبلغ المنى .. الغ ..
... وبعد فال تاريخ علم واسع
والقوم لم يألوا من التأليف
وقد رأيت أن الخص هنا

(١) المصدر ذاته صفحة ٣٤٠ .

أما أهم وأضخم كتاب تناول الموضوع فهو دون شك كتاب السخاوي :
الإعلان بالتوبیغ . لم يظهر قبله ولا بعده كتاب مثله تناول علم التاريخ
الإسلامي ، كعلم ، بالبحث والدرس ولو أن حدود المؤلف كفيفه محدث قد
وقفت به دون العمق ، وحوّلته إلى مجرد جامع للمعلومات المتفرقة . كانت
رسالة الكافيجي هي الدافع للسخاوي كي يكتب كتابه ، ولهذا فقد عرض
للمسائل ذاتها التي عرض لها سابقه .

بدأ فعرف التاريخ لغة واصطلاحاً ثم عرض لموضوع التاريخ في أسطر
وغرق بعد ذلك في تبيان فائدة التاريخ من الناحية الدينية خاصة . وفي خدمة
علوم الدين في السندي وفي المتون . ثم في ذكر قصص النبوة والناس وتثبيت
الرسالة والتهدیب والتحث على العمل الطيب . وانصرف بعد ذلك إلى ذكر ما
رواه عدد كبير من المؤرخين في مقدمات كتبهم خاصاً بشرف التاريخ وعمله
وفائدته ... وقفى في ذلك خمسين صفحة ليخلص منها إلى ذم ناقدي التاريخ
وبيان الفرق بين الفيبة المذمومة وقول الحق . ثم عطف على بيان شروط
المؤرخ ، وكلها شروط وحدود مستقلة من روح العلوم الدينية . وبعد أن ذكر
ظهور التاريخ المجري وسببه ، والتاريخ التي أرخت بها الأمم الأخرى .
خصص النصف الآخر من كتابه لذكر مصنفات التاريخ . ولعل هذا القسم
من أجمع وأهم المساردين للتراث التاريخي في الإسلام .

كتب السخاوي كتابه في الواقع ، من وجهة نظر العالم الديني ، لا وجهة نظر
المؤرخ وقد صد إلى الدفاع عن الثقافة التاريخية لا إلى تحليل ماهيتها . ومفهوم
التاريخ لديه لم يكن يتعلق بأحداث السياسة والحياة والناس ولكن يتعلق خاصة
بالترجم وبما يخص أصحاب علوم الدين منها ، ولعل رسالة الكافيجي كانت
في هذه النواحي أكثر عملاً من كتابه وأكثر أصالة . ولم يستطع الاستفادة من
المقطفات التي رتبها بعضها وراء بعض بياناً لفوائد التاريخ ، في استخلاص
نظريّة شاملة لهذا العلم . واقتصر الرأي الذي أتى به في النهاية لكشف هذه
الفوائد على جمع ما تفرق من الآراء في صيغة متصلة واحدة حملت طابع

الجمع لا العمق الشمولي . ومع كل أولئك فإن كتاب المخاوي يظل – ذا قال روزنفال – عرضاً جميلاً لعلم التاريخ الإسلامي وأمامه ومضلاته لم يعرف كيف يقرأه ... فهو صورة مضبوطة لأنجازاته النهاية ولمواطن فشه ... ^(١) حتى القرن العاشر المجري .

ولم تظهر بعد هذه الدراسات في التراث دراسات أكثر جدية منها ولا أكثر شأناً .

(١) روزنفال – علم التاريخ (الطبعة العربية) صنفحة ٢٧٢ (الطبعة الانجليزية ص ١٩٦) .

٤- الأبحاث والمؤلفات الحديثة باللغة العربية

لم تصدر ، مع الأسف دراسات واسعة من الباحثين العرب في موضوع التاريخ الإسلامي . فإذا استثنينا الموجزات التي عالجته في إيجاز أو نظرات عامة في فصول بعض الكتب فنکاد لا نجد كتاباً واحداً شاملـاً أو موسعاً تناول علم التاريخ بالدراسة . وما انتهت إليه معرفتنا يتناول مجموعة محدودة من الكتب . منها :

— أحمد ، أحمد عبد الرزاق :

— دراسات في المصادر المملوکية المبكرة (١ — المصادر التاريخية)
القاهرة ١٩٧٤ ، هو دراسة في حوالي ٢٠٠ صفحة من القطع الصغير يدو
بووضوح أنها نقلت نقلاً عن دراسة الباحث الأمريكي (دونالد ليل) ، في
كتابه مدخل إلى التاريخ المملوكي . ومن المؤسف أن الدكتور أحمد عبد
الرازق ، وهو بعد في أول المشارق العلمي : لم يشر إلى ذلك أدنى إشارة .
ونقرأ في المقدمة التي صدر بها الكتاب . فإذا هو صاحب الفكرة والبحث :
وهو الذي انتقى أخبار السنوات (٦٩٤ : ٦٩٩ ، ٧٠٥) نفسها للتحليل
والمقارنة لأسباب ذكرها ، وهو الذي تتبعها لدى ٢٢ مؤرخاً (بال تماماً
والكمال) « ... بسبب احتكارنا المباشر بتلك الم حليات — كما يقول —
واطلاعنا على كثير منها أثناء دراستنا للدكتوراه في جامعة باريس ... »
والكتاب رواية بالعربية لكتاب الانكليزي فيه تحليل أخبار السنوات المذكورة

من خلال ٢٢ مؤرخاً قد قسوا فيما بينهم إلى مصادر مصرية معاصرة وشامية معاصرة ومصادر متأخرة . ومصادر ثانية . ولا ينفع هذه الرواية حتى نقل المواتش .

وقد عفا الدكتور عبد الرزاق عن الناحية الثانية في كتاب (ليتل) وهي مقارنة ترجم (فره ستر) من خلال ثلاثة مؤلفين للترجم . ولقد قرر أن يجعلها جزءاً ثالثاً للدراسات : (٢ - كتب الترجم) ! على أن له على أي حال فضلاً مشكوراً هو أنه قدم لقراء العربية بعثاً قد لا يتوفّر لكتيرين الوصول إليه بالإنكليزية ...

- حاطوم (نور الدين ، بالاشراك مع ن . العاقل ، أ . طربين ، ص . مدنى)
- المدخل إلى التاريخ : مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ .

والكتاب في الأصل استعراض لتاريخ علم التاریخ في الحضارات المختلفة ومن بينها الحضارة الإسلامية . وقد عقد للتاريخ الإسلامي الفصل الثالث الذي يمتد ما بين الصفحتين ١٢٤ - ٣٠٢ . والبحث واف شامل . يكاد يكون بذلك كتاباً كاملاً في تاريخ التدوين التاريخي ، منذ الفترة السابقة للإسلام (ورواتها في الإسلام) إلى ظهور التأريخ لدى المسلمين وأسبابه . وقد أكد المؤلفون على الميزات التي تميزت بها حركة التدوين التاريخي من أصله واستقلاله . ومن عناية بتاريخ الإسلام خاصة . وعدم تسخير الأقلام للتاريخ الرسمي ، واستخدام التقويم الهجري وحرص على ذكر مصادر الأخبار وسندتها . كما درس المؤلفون أسباب تدوين التاريخ ، ثم التدوين في العصر الأموي .

ثم صرف البحث بعد ذلك إلى كبار المؤرخين الذين سجلوا السيرة النبوية في مختلف العصور ثم إلى مؤرخي الطبقات ومؤرخي فتوح البلدان ثم تواريخ البلدان والتراجم وأصحابها ثم التواریخ العامة وكبار المؤرخين منذ أبي حنيفة الدينوري والطبری حتى ابن خلدون . ولو لا أن ترجم المؤرخين هي التي

تطقى على هذا البحث الواسع وأن تطور العلم نفسه يضمر حتى ليكاد يغيب في النصف الثاني منه ليحل محله المؤرخون أنفسهم والترجم . لكان هذا الفصل من أوثق الدراسات لعلم التاريخ الإسلامي .

- حسن ، محمد عبد الغني

- الترجم و السير ، ١١٠ صفحات (د . دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٥) .

وهو كتيب آخر يشتمل على دراسة عامة آفاقية موزعة على أربعة فصول :

الأول : الترجم ونشأتها - الترجم الذاتية

الثاني : السير النبوية . السير النبوية الشعرية .

الثالث : أنواع كتب الترجم ، التنظيم الحولي فيها والتنظيم على أساس الطبقات .

الرابع : حول كتابة الترجم

واستعراض الكتاب يعطي فكرة إجمالية عن الموضوع من يريد بعض المعرف العامة حوله ولعل هذا هو الغرض منه .

- حسن ، محمد عبد الغني

- علم التاريخ عند العرب ، الكتاب التاسع من سلسلة « مع العرب » القاهرة ١٩٦١ (٢٦٤ صفحة صغيرة) .

وهو كتاب غرضه استعراض التاريخ عند المؤرخين الإسلاميين في تبسيط نفافي يضع الخطوط العريضة للموضوع مع بعض ترجم المؤرخين البارزين . لكن طابع الاختصار والتعميم يمنعه من متابعة الكثير من الملاحظات الهامة .

ويأخذ الكتاب شكل المقالات المتتابعة التي تروي أولاً بعض مشاكل التاريخ الإسلامي مثل : فائدة التاريخ - كما قررها المؤرخون المسلمين - ثم الموقف الشرعي منه . ثم مدى صدق وحياد المؤرخين أو ميلهم مع الموى . ثم يتبه في فصول تالية إلى تشابه بعض الأسماء في التاريخ وإلى روح النقد التاريخي لدى بعض المؤرخين وإلى أثر المعاينة في كتابة التاريخ وإلى أساليب الكتابة التاريخية ثم كيفية ذكر المصادر والمراجع ونقل المؤرخين بعضهم عن بعض ، وتنظيم التاريخ على أساس السنين أو المواضيع . والقسم الآخر من الكتاب فصول متفرقة عن حالة المجتمع العربي واستنباطها من كتب الحسبة ، وعن المؤرخين العرب من غير المسلمين ، وجهود المستشرقين في تاريخ العرب والإسلام ونهايج بعض المؤرخين وكتاب التراجم ومناقشة آئمماً ابن خلدون بالشعبية . وهو يصل في كثير من المواضيع التي طرقها إلى التاريخ المعاصر وتردد لديه أسماء شوقي وفيليب حتى وزيدان وتقولا زيادة .

ولعل شأن الكتاب الأساسي هو في أنه أول كتاب حاول ملامسة مواضيع التاريخ العربي بشكل شامل وبسيط سريع .

- الخطيب ، محمد عجاج

ـ لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ، بيروت - دمشق ١٩٧١ .

وهو نموذج لعدد من الكتب صدر بعضها في حلب وبعض في العراق غرضها معاونة الطلاب الجامعيين على البحث العلمي . وهذا الكتاب مثل منها . وهو يتحدث - كما يبنيه عنوانه - عن المكتبات الإسلامية وتاريخها وأشهر مكتبات العالم المعاصر وعن المخطوطات العربية ثم عن طرائق البحث والمناهج فيه . وما كان ليدخل في نطاق الكتب التي تستعرض لولا أن قسمه الثالث يتناول حركة التأليف عند المسلمين في مختلف العلوم مع ذكر أهم المصادر فيها . ومع أن هذا القسم يعتمد على ١٧٠ صفحة إلا أنه يعتمد البحث البسيط والمراجع القرية التناول مما يجعله إلى الثقافة العامة أقرب . ولأنه كان قد يخدم

بعض طلبة الجامعات إلا أنه يقصر عن معونة الباحثين العلميين في شيء.

- الدورسي ، عبد العزيز

- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .

وهو بحث قيم . عميق لفجر التدوين التاريخي العربي ومثله الأوائل في ١٣٦ صفحة يتبعها زهاء ثلاثة صفحات من التصوص . وقد كشف المؤلف بصورة خاصة مدرستي التاريخ الأساسيتين في صدر الإسلام : مدرسة المدينة الميالة للحديث مع أبرز رجالها ، ومدرسة العراق الميالة للخبر مع رجالها وبداية القصص التاريخي ودوافع الكتابة التاريخية . و شأن الكتاب المام هو في أنه أول بحث واسع بالعربية وضع فجر التاريخ العربي في النور الواضح ولا مس في عمق ودقة باللغة وابحاز شامل واستناد واسع للمصادر الأولى كافة العوامل والظروف التي رافقـت نشـأة هـذا الـعلم في القرـون الـثلاثـة الأولى للـهـجرـة .

- زيدان ، جرجي

- تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء ، طبع أكثر من مرة في القاهرة ثم في بيروت ، آخرها طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٧

بالرغم من أن هذا الكتاب صدر قبل الحرب العالمية الأولى ، منذ أكثر من ستين سنة ، ومن أنه في «آداب» اللغة العربية ، إلا إن سمعة اطلاع مؤلفه ، ونحوه العلمي ، ومحاولاته الاتيان بمؤلف عربي يضاهي تلك المؤلفات الاستشرافية التي ظهرت في مطلع هذا القرن ، بمختلف اللغات الأوروبية ، عن تاريخ الأدب العربي ، وكان من أبرزها كتاب بروكلمان ، كل ذلك أعطى كتاب زيدان قيمة خاصة ، وجعله - فيما يتعلق بعلم التاريخ واستعراض المؤرخين خاصة - أهم من كتابه الأول في تاريخ التمدن الإسلامي . وإذا اكتفى في هذا الكتاب الأخير بدراسة بعض الملخص العامة لهذا العلم ، فإنه في تاريخ

آداب اللغة العربية قد حاول أن يعطي بجانب هذه الملامح سرداً هاماً لترجم
عدد كبير من المؤرخين يزيد على المائة والخمسين عدداً ، مع ذكر مؤلفاتهم
المطبوعة ، ومكان وجودها إن كانت مخطوطة . وهذا ما جعل الكتاب هاماً ،
ومفيداً حتى اليوم – ونبعد هذه الترجم :

في الجزء الأول : ص ٢٢٣ - ٢٢٥

في الجزء الثاني : الصفحات ٤٥٣ - ٤٥٩ ; ٥٠٠ - ٥٠٩ ; ٦٢٤ - ٦٣٥ .

في الجزء الثالث : الصفحات ٦٥ - ٨٧ ; ١٥٦ - ٢٤٤

أما الرابع فيتعلق بالعصر الحديث . ولا بد أن نضيف إلى هذه الصفحات
ما ورد في الكتاب من المعلومات عن البغراطينيين الإسلاميين خاصة وغيرهم
من شارك ، من علماء العلوم الأخرى . في الاتجاح التاريخي .

- عبد العزيز سالم ، سيد

- التاريخ والمورخون العرب ، الاسكندرية ١٩٦٧ (٣١٠ صفحات) .

والكتاب قسمان : يعرض الأول في استيفاء واضح بحث الكتابة التاريخية
عند العرب نشأة وتطوراً ومنهجاً وت نوع صورة . ثم يتناول في القسم الثاني
مصادر التاريخ الإسلامي في الأثيريات وفي المصادر المكتوبة . وينذيل البحث
بعنقطفاته من الكتب البغراطية والتاريخية . على أن المؤلف اكتفى بالأسلوب
الوصفي : ذكر في الفصل الأول : ظهور التقويم الهجري ثم آراء مورخى
العرب في قائدة التاريخ ثم أخطاء المؤرخين في نظر ابن خلدون ثم الشروط
الواجب توفرها في الكتابة التاريخية حسب آراء ابن خلدون والساخاوي .

ثم استعرض في الفصل الثاني نشأة علم التاريخ عند العرب من الجاهلية
حتى مدرستي المدينة وال العراق ، وعرض في الفصل الثالث تطور الكتابة التاريخية
في عدة ملاحظات عامة . وانتقل إلى ذكر مناهج المؤرخين الإسلاميين في

تسجيل التاريخ على أساس حولي أو حسب الموضوعات (الدول ، الطبقات ، الأنساب) . ثم ذكر تنوع صور المادة التاريخية فمنها التاريخ العالمي ومنها التاريخ المحلي (الديني والديني) ومنها التاريخ المعاصر والمذكريات . ثم يلي ذلك البحث في مصادر التاريخ الإسلامي ، في النصف الثاني من الكتاب .

- علي ، جواد

- موارد تاريخ الطبرى ، بحث يقع في ١٨٤ صفحة كبيرة نشر في الأعداد الثلاثة الأولى من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ (العدد الأول لسنة ١٩٥٠ من ص ١٤٣ حتى ص ٢٣٢ ، العدد الثاني لسنة ١٩٥٢ من ص ١٣٥ حتى ص ١٩٠ ، والعدد الثالث - الجزء الأول لسنة ١٩٥٤ من ص ١٦ حتى ٥٦) .

ولا يصور العنوان واقع البحث لأن سعة موارد الطبرى سمحت لصاحب البحث أن يكتب في الواقع نشأة علم التاريخ الإسلامي كله حتى عهد ذلك المؤرخ . ومن هذه الناحية فالباحث يشكل مؤلفاً فاماً بذلك في هذا الموضوع وقد حرص صاحبه على أن يستعرض في دقته الواضحة وسعة اطلاعه المعروفة عنه ، كافة الإخباريين والمؤرخين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ويدرسهم من خلال المصادر التي نقل عنها الطبرى . في مختلف أقسام تاريخه قسماً بعد قسم ، فأولى بذلك عملياً كافة النشاط التاريخي السابق له . وخرج من ذلك ببحث هام قيم وبعدد كبير سديد من الملاحظات الموضوعية وبناقشة علمية طيبة لعدد من مشاكل التاريخ الإسلامية في فترة نشأته الأولى .

- العمري ، أكرم ضياء

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة . مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٢ .
والكتاب في الأصل كان مقدمة لرسالة علمية ثم أفرده صاحبه في مؤلف وأضاف إليه الكثير . وبحث فيه الوضع في الحديث وجهود العلماء في مقاومته

الموصفات في علم الرجال حتى القرن الخامس ثم أسس تنظيم كتب هذا العلم ونشاط الرحلة في طلب العلم كما بحث تدوين الحديث وأهم الكتب التي روته . ومع أن الكتاب يتصل بعلم الحديث في موضوعه كله إلا أنه يطل على علم التاريخ من الباب الأوسع لأنه يتناول جانباً هاماً من هذا العلم هو جانب الرجال والترجم . وقد ساعدت المنهجية في البحث وسعة الاطلاع وكثرة المصادر على جعل الكتاب من أهم وأبرز الكتب في موضوعه في الوقت الذي سمح له أن يكون مرجعاً يعتمد عليه في بحث بعض جوانب علم التاريخ .

- غربال ، محمد شفيق

- أساليب كتابة التاريخ عند العرب ، مجلة جمجم اللغة العربية - القاهرة (الجزء ١٤ سنة ١٩٦٢) وهو بحث قيم هام في مناهج تدوين التاريخ وأساليبه عند المؤرخين المسلمين الأساسيين .

- فؤاد سيد ، أعين

- مصادر تاريخ اليمن في المصر الإسلامي ، طبع المعهد العلمي الفرنسي - القاهرة ١٩٧٤ (٥٤٠ صفحة) .

قد يكون الكتاب أهم وأجمع محاولة نمت حتى الآن لوضع مصادر التاريخ اليمني تحت نظر الباحثين . فقد أهتم المؤلف ، معتمداً في ذلك على خبرات أبيه من قبله ، في جمع أسماء المخطوطات اليمنية وتحديد أماكن وجودها وأنبع ذلك بدراسة لنهاع الكتابة التاريخية عند اليمنيين ثم عمد إلى ترتيب المخطوطات زمنياً حسب وفاة المؤرخين مع ذكر مصادر الترجمة لكل مؤلف والممؤلفات الخاصة بتاريخ اليمن وضم إلى الكتاب ملحقين الأول بالأبحاث والدراسات الحديثة حول الموضوع والثاني بقوائم السلاطين والأئمة في تاريخ اليمن . ويتضمن الكتاب مقدمة بالفرنسية . ولا شك أن هذا العمل إسهام

واضح في خدمة تاريخ هذه البقعة العربية التي لم تدخل أصواته التاريخ الواضحة حتى الآن .

- كحالة ، عمر رضا

التاريخ والبغرافية في العصور الإسلامية — المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٧٢ والكتاب حلقة في سلسلة من الكتب أصدرها المؤلف تناول فيها تاريخ مختلف العلوم عند العرب المسلمين : اللغة العربية وعلومها ، الفنون الجميلة ، العلوم العملية ، الأدب العربي ، الدراسات الاجتماعية ، الفلسفة الإسلامية وملحقاتها ، علوم الدين الإسلامي ... ومن يعرف الدأب العلمي الذي اتصف به المؤلف ، ويذكر ما قدمه حتى الآن عن المعاجم الكبرى للباحثين كمعجم المؤلفين (١٥ مجلداً) وأعلام النساء (٥ مجلدات) ومعجم قبائل العرب (٣ مجلدات) يعرف عن أي خلفية علمية واسعة مدققة بصدر في كتبه ويعرف لكتاب (التاريخ والبغرافية في العصور الإسلامية) قيمته كنظرة كلية شاملة لتطور علم التاريخ عند العرب المسلمين . وقد استعرض في ١٩٠ صفحة ظهور هذا العلم في الإسلام في القرن الأول والثاني ثم عرض لكتاب المؤرخين : الطبرى ، مسکویه ، المسعودی ، ابن الجوزی ، ابن الأثير ، ابن العبری ... إلى ابن خلدون . ناشراً هنا وهناك ملاحظات قيمة . ثم يعطف إلى كتب الترجم فيتحدث عنها على الطريقة نفسها ثم يتناول الأنساب ثم التاريخ المحلي : لمصر والهجاوز وإيران والشام . كما يتناول التاريخ المعاصر والمذكريات ولا ينسى الحديث عن أسلوب الكتابة التاريخية ودخول الشعر في التاريخ وينتهي هنا البحث ليخصص القسم الباقى من الكتاب وهو يزيد على النصف لسرد كتب التاريخ العام ومؤلفيها مع نبذة قصيرة عن كل كتاب ويتبع ذلك كتب الرجال ثم المناقب ثم كتب الدول والوزراء والولاة والقضاة ثم الحكماء والأطباء والمتكلمين والصوفية وترجم القراء والمحدثين والفقهاء والترجم الأخرى للأدباء والشعراء واللغويين والنحاة لتأني بعد ذلك كتب التاريخ المحلي ...

على أن الكتاب رغم فائدته والجهد المبذول فيه ، وسداده بعض الفراغ في موضوعه يحتاج إلى لسات التنظيم العلمي الحديث وإلى الفكر المنهجي الإنساني الذي يستفيد من هذه المعلومات الغزيرة في إعادة تكوين علم التاريخ ورجاله، وفي تقسيم البحث إلى فصول واضحة ومواضيع محددة تركيبية . وقد تأثر المؤلف كل التأثر بباحث روزنال حول علم التاريخ عند المسلمين واتبعه سنته مضيقاً في النهاية مائة صفحة من عنوانين الكتب والمؤلفين مما أضاع عليه فرصة إعطاء أول استعراض تاريخي شامل لعلم التاريخ في الإسلام . وقد كان هذا هدفه الأصلي .

- محمد حسن ، زكي

- دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي ، بحث في مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة . المجلد ١٢ (ج ١ مايو سنة ١٩٥٠) من الصفحة ١٥٢ إلى ١٧٧ .

- دراسات في الموازنة بين المؤرخين في دار الإسلام والمورخين الأوروبيين في العصور الوسطى ، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم - بغداد، الجزء الثاني، حزيران ١٩٥٧ (صفحة ٣١ - ١) .

- نصار ، حسين

- نشأة التدوين التاريخي عند العرب (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٦) .

وهو رسالة تقارب في الدراسة من بحث الدكتور الدوري ومن بحث سبقهما للمستشرق هوروفيتش وتستعرض في عمق وجهد الأعمال الأولى في تدوين التاريخ الإسلامي .

٣ - الأبحاث باللغات الأجنبية

لعل اهتمام المؤلفين من المستشرقين كان أكثر من اهتمام الباحثين العرب بعلم التاريخ الإسلامي . ونستطيع أن نجد لهم جملة واسعة من الأبحاث بمختلف اللغات وبعضها هام ودقيق وشامل . ومنها :

— Blachère, Régis

— *Histoire de la Littérature Arabe*

وصاحب الكتاب مستشرق فرنسي (توفي مؤخراً في أيلول ١٩٧٣) معروف باطلاعه العميق على اللغة العربية والأدب (ترجم القرآن ودرس الحافظ) . وفي الصفحات ٧٨٠ - ٨١٠ من الجزء الثالث من هذا الكتاب بحث نشأة التدوين التاريخي في الإسلام . وبالرغم من أن زاوية نظر المؤلف أدبية بعنة إلا أنه مع ذلك استطاع أن يأتِي بعدد جيد من الملاحظات التاريخية الهامة في الموضوع .

— Gibb, Hamilton A.R.

*Tarikh, (Art. Enc. Is., Ancient edition), Sup. I, pp. 233-245
(Leide — London 1938)*

كتب هذا المستشرق المعروف هذا البحث عن التاريخ الإسلامي لدائرة المعارف الإسلامية . وقد نشر في الطبعة القديمة لها (في الملحق الأول) سنة ١٩٣٨ ثم في كتاب *Studies on the Civilization of Islam* كما نشر في الترجمة العربية لدائرة المعارف (ج ٤ ما بين ص ٤٨٣ - ٥١٦) وفي الترجمة

لكتاب الدراسات (ترجمة عباس . نجم . زايد . بيروت ١٩٦٤) الصفحات ١٤٣ - ١٨٢ . ولا شك أنه ، رغم قصره . من أوفي وأكمل الدراسات التي ظهرت عن علم التاريخ الإسلامي حتى الآن . وقد وضع فيه صاحبه المخطط الأولي والأساسية لكل دراسة موسعة فيما بعد لهذا الموضوع . وحشد فيه ، في تكثيف واضح ، عدداً هاماً من الملاحظات حول تطور هذا العلم تستند إلى اطلاع طيب ودقة منهجه واضحة واحاطة بالموضوع من كافة جوانبه وفي مختلف الأصقاع الإسلامية . بدأ البحث بما هو ماثور عن العهد الجاهلي من أفكار تاريخية ثم ما روي في الإسلام عن تاريخ ما قبل الإسلام ثم أخذ في دراسة علم التاريخ في عهد الخلافة والمؤثرات التي أثرت في نشأته . ولأن لم يكن بحثه عميقاً وافياً في هذه الناحية فإن ملاحظاته عن علم التاريخ منذ القرن الرابع ملاحظات ناضجة استعرض فيها التواريخ الإقليمية والتواريخ العامة ونشره كتب الترجم واحتلاطها بالتاريخ .

ولعل أهم ما في بحثه أنه تعمد احتواء التواريخ الإسلامية الفارسية والهندية أيضاً ضمن البحث فهو ينبع إلى ظهور التواريخ باللغة الفارسية منذ القرن الرابع ، وإلى دخول العلوم الرياضية والفلكلورية على التاريخ ودخول بعض أهل الذمة ميدان التاريخ العام والخاص . وبعد أن يسجل قضية دخول التراث الفي المسجوع إلى التاريخ في القرن السادس يتبع تطور التاريخ وأبرز المؤرخين في العصر الآيوبي ثم المملوكي ثم العثماني . كما يذكر مؤرخي اليمن والأندلس في تلك الفترة . ويشير إلى ظهور معاجم الترجم الكبرى فيها .

وقد خصص معظم النصف الأخير من المقال للكلام عن تطور علم التاريخ بالعربية وبالفارسية في إيران (ولا سيما في العهد المغولي ثم التيموري) وبالتركية والعربية لدى سلاجقة الروم ثم في ظل العثمانيين وأنهى المقال ببحث التاريخ الإسلامي في الهند ، وفي إيران خلال العهد الصفوی .

وقد كتب جب بالإضافة إلى هذا البحث ، أبحاثاً أخرى قد تكون بالنسبة لموضوعنا أقل أهمية .

- ١ - بحث في (تفسير التاريخ الإسلامي) نشره في كتابه *Studies on the Civilization of Islam* السابق الذكر (دراسات إسلامية المترجم للعربية بقلم إحسان عباس وزملاته) ولكنه يتعلق بتاريخ الإسلام .
- ٢ - بحث في التاريخ الإسلامي أيضاً في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١٤)
- ٣ - بحث في المصادر العربية عن حياة صلاح الدين .
- ٤ - بحث في كتب الترجم . (نشره في كتاب : مؤرخو الشرق الأوسط الذي نشرته جامعة اكسفورد بإشراف برنارد لويس و ب . م . هولت سنة ١٩٦٢ : وقد جاء في خمس صفحات (ص ٥٤ - ٥٩) ويبحث فيه أسباب ظهور أدب الترجم وقواعد اختيار المترجمين لترجمتهم ، وتكونين الترجمة ، ومراجعة المعلومات فيها ، وقيمة كتب الترجم في الدراسات التاريخية . ورغم قصر البحث فإنه يتميز بما تميز به أبحاث جب من إحكام ومنهجية واضحة وملاحظة دقيقة .

— Guidi, Ignatius

— *L'Historiographie chez les Semites.*

(Rev. Biblique, III, 1906, pp. 509-519)

وهو بحث قصير وقديم . ولكنه مع ذلك يحوي على عدد من الملاحظات المقارنة ما بين تدوين التاريخ لدى اليهود ولدى العرب .

— De Goeje, M.J.,

— *Die Arabische Literatur in "Kultur Der Gegenvart"* hsg. Von P. Hinneberg. I, IV, Berlin. Leipzig, 1906, S. 132-160.

وهو بحث في تاريخ الأدب العربي وترانه على ضوء التاريخ السياسي والثقافي للإسلام ، وبالرغم من قيمة مادته إلا أن فائدته في بحث علم التاريخ وتطوره محدودة .

— Gonzalez Palencia, Angel,

— *Historia de la Litteratura Arabigo-Espanola*,

Madrid 1928, 2nd edition (Collection Labor, n. 164-165).

Madrid 1945.

وهو دون شك من أهم الكتب في دراسة تاريخ الفكر الأندلسي عامة وتطور علم التاريخ لدى الأندلسيين خاصة . وصاحب الكتاب يعد في القمة من الاستشراق الأسباني المعاصر ، وقد توفي منذ فترة قريبة تاركاً من آثاره هذا الكتاب الذي يبحث في آفاق التراث الأندلسي كله : الشعر في أنحاء الأندلس ، والأدب والنحو والمعاجم والفلسفة والحديث والفقه والرياضيات والفلك والطب والنبات وفي أدب المستعربين والمستعجمين وأثار الأدب الأندلسي في إسبانيا . وقد خصص لعلم التاريخ حوالي ١٢٠ صفحة من الكتاب أعقبها بحوالي ١٥ صفحة عن الجغرافيا . ودرس كتب التاريخ العام في عصر الخلافة ، وعصر الطوائف وعصر المرابطين والموحدين وملكة غرناطة وكتب التراجم والفالئس وتاريخ الأدب وتاريخ النواحي . لكن دراسته كانت تعتمد خاصة على تراجم المؤرخين وتحليل كتابهم . ترجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : تاريخ الفكر الأندلسي من قبل الدكتور حسين مؤنس وطبع باشراف الجامعة العربية – القاهرة سنة ١٩٥٥ .

— Huart, Clément,

— *Littérature Arabe*, Paris 1902 (4e ed. 1923).

وقد ظهر هذا الكتاب بالفرنسية . مع ظهور كتاب بيتسى الإيطالى ، وعند ظهور كتاب بروكلمان الألماني في مطلع هذا القرن وقد غطى هذا الكتاب الأخير على الاثنين وبحث علم التاريخ فيه محدود ويدخل ضمن بحث الأدب .

— Kremer, A.V.,

— *Kulturgeschichte Der Arabischen Literature* (Die Literaturen Des Ostens in Einzeldarstellungen 1, 2) Leipzig, 1901.

وهذا الكتاب كان المحاولة الألمانية الثانية لجمع مادة التراث العربي بعد

كتاب بورغشتال . وتنظر قيمة الجهد المبذول فيه حين نعرف أنه كان في بعض الحالات أحد المصادر الأساسية التي اعتمدها بروكلمان في تصنيف كتابه المعروف عن (تاريخ الأدب العربي) . وقد ترجمته خداخوش إلى الإنكليزية (طبع كلكتا سنة ١٩٢٠) حاذفاً منه المراجع . ونقله إلى العربية مصطفى بدر سنة ١٩٥٧ ونشر مقدمته بالعربية على الخرابة طلي سنة ١٩٦١ بالقاهرة

— Kritsky, A.,

— *Istoria Arabov I Arabski Literaturi*, Moskau 1912.

والكتاب باللغة الروسية ويدخل ضمن محاولات هوارت وبيسى وبروكلمان لتعريف الغرب في مطالع هذا القرن بتاريخ الأدب العربي وبمؤلفاته .

— Lewis (B.) and Holt (P.M.)

— *Historians of the Middle East*
(Oxford U.P. 1962)

وهو من أهم الكتب قيمة في مادته .. جمع فيه المشرفان على إنجارجه ٤١ بحثاً حول التوارييخ العربية والفارسية والتركية للشرق الأوسط في العصور الإسلامية والحديثة . ومن المسمىين فيه عدد من المستشرقين المعروفين (وات . روزنتال . كاهن . بيلاء . جب . فوك . شبورل . غرونباوم ...) وبعض الباحثين من البلاد العربية : والأبحاث فيه (ومعظمها يتعلق بالمؤرخين المسلمين) من أجدود ما كتب في موضوعاتها حتى الآن .

— Lichtenstaedter

— *Arabic and Islamic Historiography*,
Muslim World, XXXV, 1954, pp. 126-132

وهو بحث مختصر ، محدود الأفق أيضاً في استعراض أهم ملامح المؤرخين في التاريخ الإسلامي .

Little, Donald Presgrave

— ليتل ، دونالد بريسفرييف

— مدخل إلى التاريخ المملوكي (بالإنكليزية ، فسبادن ١٩٧٠) .
ضمن سلسلة دراسات إسلامية التي يشرف عليها المستشرق رويم
An introduction to Mameluk Historiography
(Freiburger Islamstudien II) Wiesbaden 1970. (154 p.)

هو دراسة محدودة الحجم ولكنها ، في الحدود التي رسماها صاحبها لها ، في متنه الجدية والدقة . وقد استهدف المؤلف دراسة العلاقات بين المصادر التاريخية بعضها مع بعض في النصف الأول من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ودراسة الروح والمناهج التي اتبعها مؤرخو تلك الفترة (ومن بعدهم) في استخدام مصادر معلوماتهم . وهذه الفترة ليست محظوظة بوفرة المؤرخين فيها فحسب ولكنها محظوظة كذلك بكمية المعلومات التي وصلتنا عنها . ولو شاء المؤلف أن يبلغ الغاية من التحليل والمقارنة المقصولة لاحتاج دون شك إلى أضعاف ما بذل من الجهد ومن الوقت وبلغاء كتابه أضعاف ما كان . ومن هنا فقد نعذر المؤلف على الأسلوب الانتقائي الذي اتبعه وعلى اختياره النماذج ، على الطريقة الأمريكية . وهكذا فقد اختار السنوات ٦٩٤، ٦٩٩، ٧٠٥ هـ / ١٢٩٤ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ م فأخذ أخبارها كأمثلة للمقارنة في ٢٢ مصدرأً عدا بعض المصادر الثانية . وبعض تلك المصادر معاصر وبعضها من العصور اللاحقة . ثم استخرج من جهة أخرى ترجمة متنقاء (الأمير شمس الدين قره سنقر) من ثلاثة من كتب الترجم وقارن بينها .

وبالرغم من النتائج الدقيقة والهامة التي توصل إليها (ليتل) فإن ضيق الأمثلة ومحدوديتها جعلا بعض الأخطاء تتسرب إلى تلك النتائج . ولكن الكتاب يبقى هاماً ومفيداً لكل باحث في هذا الميدان .

— Margoliouth, D.S.

— *Lectures on Arabic Historians*, (Univ. of Calcutta, 1930).

والكتاب في الأصل مجموع محاضرات ألقاها في جامعة كلكتا سنة ١٩٢٩ وهي تتناول بالدراسة فجر التدوين التاريخي عند العرب المسلمين ، والمؤرخين

الأولين ثم مؤرخي القرن المجرية الثاني فالثالث فالرابع ثم المؤرخين المتأخرین
منذ القرن الخامس حتى الناسع . والكتاب يقدم مادة حسنة للدارسين ولو أنها
لا تتميز بالعمق والتحليل وتعتمد خاصة على المعلومات التي قدمها ياقوت عن
المؤرخين . وتبعد في النهاية كأنها ترجم هؤلاء أكثر مما هي دراسة لتطور
علم التاريخ من خلالهم . فالملاحظات المتعلقة بهذه الناحية محدودة عنده ولعله
لم يكن يقصد إليها بقدر ما كان يقصد إلى جمع معلومات ياقوت التي كانت
في ذلك الوقت جديدة^(١) .

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان : (دراسات عن المؤرخين
العرب) بقلم حسين نصار وطبع بدار الثقافة في بيروت (دون تاريخ) في
صفحة صغيرة . ١٧٥

— Oberman, Julius

- *The Idea of History in the Ancient Near East,
"Early Islam",
Yale University Press, New Haven, 1955.*

وهو بحث خاص بتطور فكرة التاريخ الإسلامي ومحاولة للتعقل في ذلك
المفهوم في العهد الإسلامي الأول من خلال المؤرخين الأوائل حتى القرن الثالث
ومؤلفاتهم .

— Pfann Müller G.,

- *Handbuch der Islam-Litteratur,
Berlin-Leipzig 1923.*

وهو كتاب مختصر في تاريخ الأدب العربي ، قد يهم الأجانب والبادئين
في البحث . وفيه اعتماد على المصادر واضح ولكنه لا يختص بتطور علم
التاريخ ما يجعله مرجعاً في هذا الموضوع .

(١) كان مستشرق آخر هو Heer, F.J. قد سبق منه سنة ١٨٩٨ فاصدر المؤرخين والجغرافيين الذين
ترجم لهم ياقوت في معجم البلدان وكان في ذلك الوقت حديث الطياعة فكتب مقالاً حورم هو :
Heer, F.J. : Die Historischen und Geographischen Quellen in Yaqut'
Geographischem Wörter buch, Strassburg, 1898.

- **Pizzi, I.,**
 — *Litteratura Araba (Manuali Hoepli, Serie Sc. 335/336)* Milano,
 1903.

وهو بالإيطالية . وقد كان أحد كتب ثلاثة ظهرت في أوروبا في مطلع هذا القرن عن تاريخ الأدب العربي . والآخران هما كتاب هوارث بالفرنسية وكتاب بروكلمان بالألمانية ، وقد كان نشر قبليها جميعاً كتاب أريوثوت بالإنكليزية سنة ١٨٩٠ . وفائته في دراسة تطور الأدب التاريخي محدودة .

- **Pons Boigus, F.,**
 — *Ensayo Bio-Bibliographico Sobre Los Historiodores Y Geograficos Arabico-Espanoles*, Madrid, 1898.

وبالرغم من قدم هذا الكتاب ومن أنه يهتم خاصة بالرجال وبالتراث إلا أنه يقدم باستعراضه التفصيلي للمؤرخين وآثارهم ، ثم بالخلاصة العامة التي يدرس فيها عمل الأدب التاريخي الأندلسي أكمل لوعة لتطور علم التاريخ في الأندلس .

- **Rescher, O**
 — *Abriss der Arabischen Litteratur Geschichte I, II,*
 Stuttgart 1925 - 1933.

صاحب الكتاب حجة في التراث العربي . وقد كان في عزمه الاشتراك مع فؤاد سركين في إصدار موسعة (تاريخ التراث العربي) ولكن تقدمه الكبير في العمر جعله يتنازل عن أوراقه وعن المشروع لصاحبه . ويتجل في كتابه هذا مدى اطلاعه واستفادته من كتب التراث في كتابة تاريخ الأدب العربي . وهو يتم بذلك سلسلة كتب المدرسة الألمانية . في هذا الموضوع وعلى النهج نفسه منذ هامر - بورغشتال إلى بروكلمان .

- **Richter, J.,**
 — *Das Geschichtsbild der Arabischen Historiker der Mittelalters*
 (Tuebingen, 1933, Philosophic und Geschichte, 43)

وهو بحث يستهدف ابراز الصورة التاريخية في أعمال المؤرخين العرب

الاسلاميين وقد بين أن ما هو تاريني لم يجر فصله عما هو ديني فالتفكير التاريخي العربي انطلق من التجربة الدينية لا من الاسطورة . وبعد أن استعرض (ريختر) مناهج الطبرى واليعقوبى وان المفعم خاصة ذكر أن التاريخ الاسلامي جرت صياغته على طريقة معينة ليصبح جزءاً من تقاليد الثقافة الاجتماعية والمنحنى الأخلاقي . وقد ترجم إلى العربية (مجلة الفكر العربي العدد ٢ أغسطس ١٩٧٨) وكان ترجم قبلاً إلى الانكليزية من قبل محمد صابر خان ونشر بعنوان :

- *Medieval Arabic Historiography in Islamic Culture* 33 (1959) pp. 240-250; and 34 (1960) pp. 139-151.
- Rosenthal, Franz,
- *A History of Muslim Historiography* (Leiden, Brill, 1922).

وهو أول وأهم دراسة علمية جدية موسعة في علم التاريخ العربي صدرت حتى الآن سواء بالعربية أو باللغات الأجنبية . وقد استند روزنثال في كتابة هذا المؤلف إلى قاعدة واسعة من الاطلاع على مختلف المؤلفات التاريخية العربية ومنها كتبة واضحة من المخطوطات واستخدم تلك المادة استخداماً ناجحاً جداً في تنظيم البحث واستخلاص النتائج راسماً بذلك لعلم التاريخ من الداخل ومن خلال المؤلفات التاريخية ملابحه الرئيسية . ولكنه اقتصر على مناهج وملامع التدوين خاصة فلم يعرض لتاريخ هذا العلم في العصور المختلفة ولا للرواد الأساسيين في بنائه وتكونه وتطوره ولم يستخدم هذا وذاك في إقامة تاريخ متوازن متصل لهذا العلم .

جعل روزنثال كتابه قسمين : خصص الأول للدراسة والثانية للنصوص . أما الدراسة فتناول في الفصل الأول منها بعض الملاحظات التمهيدية عن علم التاريخ ومعنى كلمة تاريخ بالعربية . ثم نكلم في الفصل الثاني عن الوعي التاريخي في جزيرة العرب قبل الإسلام وعن الأنساب والأيام ، وعن نظرية الرسول التاريخية وأثرها في ظهور علم التاريخ . ثم بحث مكانة التاريخ في العلم

الإسلامي وفي التربية الإسلامية ثم حلل المؤرخ المسلم ومكانته . وتكلم في الفصل الثالث عن الصور الأساسية لعلم التاريخ : الخبر والصور الحولية والصور الثانوية الأخرى (تاريخ الدول ، الطبقات . الأنساب) . ثم درس في الفصل الرابع محتويات الكتب التاريخية (من أنساب وترجم وجيغرافيا وتنجم وفلسفة وعلوم سياسية واجتماعية واستخدام للوثائق والتقوش) ودرس في الفصل الخامس الصور المتعددة للتذوين التاريخي (التواريخ العالمية ، والمحلية الاقليمية ، والتاريخ المعاصر أو المذكريات) وأنهى البحث بدراسة للصور الفنية في صياغة التاريخ .

استغرق هذا البحث زهاء ١٧٥ صفحة . وقد خصص روزنثال القسم الثاني من الكتاب (أي حوالي ٤٥٠ صفحة) لمجموعة هامة من النصوص المتعلقة بالموضوع ولعل أهمها :

- رسالة الكافييجي ، المختصر في علم التاريخ .
- كتاب السحاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (مع نصين آخرين له من مقدمات كتبه) .
- فصل من كتاب طاش كيري زاده : مفتاح السعادة ومصباح الريادة . وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور صالح أحمد العلي بعنوان : علم التاريخ عند المسلمين ، وطبع في بغداد سنة ١٩٦٣ في ٨٦٠ صفحة منها ٢٧٢ صفحة للدراسة و ٥٠٠ صفحة للنصوص والباقي للفهارس .

- Somogyi, J., de,
 - *The Development of Arabic Historiography; in Jour. Semitic Studies*, 3 (1958) pp. 373-387.

ولم يتيسر لنا الاطلاع على هذا البحث .

- Spies, Otto,
 - *Beiträge Zur Arabischen Literaturgeschichte*, Leipzig, 1932.

ولم نتمكن من الاطلاع على هذا الكتاب أيضاً . وصاحبها من المستشرقين ذوي الدراسات العميقة والاطلاع الواسع على التراث العربي .

— Shamseddin, Muhammad,

— *Islamda Tarih ve Muevverihler*,
(Istanbul 1940-1943)

وهو دراسة هامة ولكنها باللغة التركية للتاريخ والمؤرخين المسلمين ومثلها الكتاب التالي :

— Togan, A. Fehi,

Tarihde Usul, (Istanbul, 1950)

— Ulrich Haarmann

— *Quellenstudien zur frühen Mamelukenzzeit*,
(Freiburg, 1969) VIII + 288 p. + 118 p. in arabic)

إنه رسالة كتبها صاحبها تحت اشراف الأستاذ رويمير Hans Roemer ودرس فيها كتابة التاريخ في العصر المملوكي الأول . وقد كانت الدراسة في الأصل متطابقة مع دراسة الباحث الأمريكي ليتل (مدخل إلى التاريخ المملوكي) ولكن هارمان عدل في خطة البحث قليلاً ، حين علم ذلك ، واتبع منهجاً مختلفاً وإن ظل البحثان في النهاية متوازيين .

أهم هارمان تحت تأثير أستاده رويمير بالمؤرخ ابن ابيك الدواداري ، وكان رويمير قد نشر الجزء التاسع من تاريخه (٠) ، كما جرته الدراسة إلى اكتشاف شأن المؤرخ الدمشقي المعمور : الجزري وهكذا فقد اختار وترجم وطبع بصورة متقابلة أخبار السنوات من ٦٨٢ إلى ٦٨٧ لدى المؤرخين الاثنين . ومن خلال هذه المقارنة وغيرها قدم المؤلف حوالي مائة صفحة من البحث

(٠) نشر رويمير الجزء التاسع من كنز الدرر للدواداري وهو (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) سنة ١٩٦٠ وقد تابعه أولريخ هارمان فنشر بتشجيعه تحت إشرافه الجزء الثامن (الدرة التركية من أخبار الإلبة التركية) سنة ١٩٧١ .

بحسي المcheid حول ملامح وميزات التاريخ في العصر المملوكي الأول .
وهناك عمل المستشرق الفرنسي دى فو (مفكرو الإسلام) :

— De Vaux, Carra,

— *Les Penseurs de L'Islam*, Paris, 1921 (2 vols.)

وقد نخص دى فو في كتابه هذا تاريخ الفكر الإسلامي في نواحيه المختلفة وخصوص الفصل الثاني من المجلد الأول لبحث (المؤرخين العرب) وقد توقف خاصة عند ابن خلدون متبرأً إيهام قمة الفكر التاريخي الإسلامي .

— Wustenfeld, F.,

— *Die Qeschichtschreiber der Araber und ihr werke*,
(Goettingen, 1882).

(مدونو التاريخ العرب وأعهمهم)

ومع أن اهتمام وستنفلد ، في كتابه القديم هذا ، كان منصبًا على احصاء الإنتاج التاريخي والمؤرخين إلا أنه حوى دراسة أولية كانت ذات شأن في وضع بعض الخطوط لدراسة علم التاريخ الإسلامي .

ولعلنا نشير هنا إلى أننا أعملنا عامدين كتابين من أعظم الكتب الجامعية للتراث هنا :

— تاريخ الآداب العربية لكارل بروكلمان

— تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين

والكتابان مكتوبان في الأصل بالألمانية ورغم فائدتهما في تتبع كتب التراث التاريخي إلا أنهما لا يحويان إلا أقل الدراسة الممكنة . وقد وجدنا أن مكانتهما الأصح هو مطلع كتابنا الآخر حول : مصادر التاريخ الإسلامي . ونكتفي هنا الاشارة العابرة إليهما .

٤ - الأبحاث المساعدة والثانوية الأخرى

ذلك هي بصورة عامة جمهرة الأبحاث العربية والأجنبية التي تحدثت في علم التاريخ الإسلامي ولا بد كي تكمل الصورة من أن نضيف إليها ثلاث مجموعات أخرى من الأبحاث والكتب :

أولاً - المؤلفات الاباحية في مناهج البحث التاريخي :

- حسن ، علي ابراهيم

- استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط ، القاهرة ١٩٤٩ . وهو بالإضافة إلى اقتصاره على تاريخ مصر يستهدف مناهج البحث، وإن ذكر في كتابه الكبير من المصادر المتعلقة بذلك التاريخ .

- رسم ، أسد

- مصطلح التاريخ - بيروت ١٩٣٩ أعيد طبعه سنة ١٩٥٥) .

وهو في مناهج وطرق البحث في التاريخ . وقد وفق صاحبه في الربط ما بين الأصول التاريخية الإسلامية المعروفة فيتراث وما بين المنهج العلمي التاريخي الحديث ، وأورد على ذلك الكثير من النصوص والأمثلة التي تجعل منه كتاباً هاماً جداً في فهم علم التاريخ الإسلامي ومناهجه وصلتها بمناهج علم الحديث .

- عثمان ، حسن

- منهج البحث التاريخي ، القاهرة ١٩٤٣

وهو كتاب عام في أصول البحث التاريخي يدرس العلوم المساعدة وجمع الأصول والبرامج ونقدتها وأثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها ويدرس الاجتهاد والتحليل والصياغة التاريخية . ويشهد خلال ذلك بشواهد يتصل معظمها بالتاريخ الشعاني والحديث ولكنها لا يخلو من لفقات كثيرة موزعة في ثنايا الكتاب إلى مناهج البحث التاريخي لدى المسلمين .

ثانياً - الأبحاث المقتضبة أو المطلقة بعض الطول التي وردت في ثنايا بعض المؤلفات المعروفة مثل :

- أمين ، أحمد :

- فجر الإسلام (أنظر منه الطبعة العاشرة - القاهرة ١٩٦٥) صفحة ٤٠ وما بعدها .

- ضحى الإسلام (أنظر منه الطبعة السادسة - القاهرة ١٩٦١ في الجزء الثاني) التاريخ والمؤرخون في العصر العباسي الأول صفحة ٣١٩ - ٣٣٦ .

- ظهر الإسلام ، أنظر منه (الطبعة الثالثة - القاهرة سنة ١٩٦٢) في الجزء الأول صفحة ٢٠٩ - ٢٠٩ في الجزء الثاني صفحة ٢٠١ - ٢٠٥ ، في الجزء الثالث عن التاريخ في الأندلس صفحة ٢٧٤ - ٢٩٥ .

- حسن ، إبراهيم حسن

- تاريخ الإسلام السياسي وله عدة طبعات . أنظر منه الطبعة السابعة (القاهرة ١٩٦٥) الجزء الأول صفحة ٥١٣ ، والجزء الثاني صفحة ٣٤٩ - ٣٥١ ، والجزء الثالث صفحة ٣٩٨ - ٤٠٦ والجزء الرابع (الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ القاهرة) صفحة ٥٥٠ - ٥٨٣ .

- تاريخ الدولة الفاطمية (الطبعة الثالثة - القاهرة) صفحة ٥٥٩ - ٥٦٩ .

- زيدان ، جرجي

- تاريخ التمدن الإسلامي ، طبعة دار الملال - القاهرة (دون تاريخ) مع تعليقات للدكتور حسين مؤنس .

وانظر منه بحث التاريخ عند المسلمين في الجزء الثالث صفحة ٦٩ - ١١١ .

- الشياط ، جمال الدين

- في التاريخ ، (فصل من كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية) اصدار : مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع اليونسكو - القاهرة . ١٩٧٠

ويشغل الفصل ما بين الصفحتين ٣٥٥ - ٤٠٠ من الكتاب ويتحدث عن أثر التاريخ والمؤرخين في إسبانيا وصقلية والشرق في علم التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى ، كاشفاً بذلك بعض العلاقات الظاهرة ما بين عدد من المؤرخين العرب في هذه الأقطار وبين المؤلفات الأوروبية التاريخية المعاصرة لهم أو التالية لهم وهم . والبحث يصب لاسماً في الأفق الجديد الذي يفتحه للباحثين .

- العبادي ، عبد الحميد

علم التاريخ عند المسلمين (فصل ضمن كتاب علم التاريخ - تأليف هرنشو ، القاهرة ١٩٣٧) .

وكاتب هذا الفصل ترجم كتاب علم التاريخ إلى العربية ورأى أن صاحبه لم يعرض للتاريخ الإسلامي فأضاف إليه فصلاً يكمل البحث (ما بين الصفحتين ٥١ - ٦٩) وهو استعراض موجز محدود لتطور علم التاريخ عند المسلمين وأبرز رجاله ولعله يصلح بلغة من ينشد فكرة سريعة عابرة .

ثالثاً - أبحاث المؤلفين الذين اقتصرت على دراسة مؤرخ إسلامي واحد والمؤلفين الذين نشروا بعض الكتب التاريخية القديمة أو المخطوطة ، فقدموها بقدمات عن أصحابها وذلك كثير ، ومن أمثلته :

أحمد محمد الحوفي : الطبرى، القاهرة ١٩٦٣ (سلسلة أعلام العرب رقم ١٣).

عبد القادر أحمد طليمات : ابن الأثير الجزري (القاهرة سنة ١٩٦٩ سلسلة أعلام العرب رقم ٨٣).

عبد الطيف حمزة : القلقشندي ، القاهرة سنة ١٩٦٢ (سلسلة أعلام العرب رقم ١٢) .

عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون . القاهرة سنة ١٩٦١ (سلسلة أعلام العرب رقم ٤) .

مؤلفات ابن الجوزي ، عبد الحميد العلوjiي بغداد سنة ١٩٦٥ .

أسماه مؤلفات ابن تيمية ، لابن قيم الجوزية (تحقيق صلاح الدين المنجد) طبع دمشق ١٩٥٣ .

ومقدمات حسن حبشي لابن شاهنشاه و محمد عبد الطيف عرض تاريخ الفارقى ، وأبو الفضل ابراهيم لتاريخ الطبرى (طبعة القاهرة ١٩٦٠) و عبد القادر طليمات لتاريخ ابن الأثير عن الأنباتكa : الباهر (القاهرة ١٩٦٣) ومقدمة محمد حلبي أحمد لكتاب الروضتين ومقدمة صلاح الدين المنجد لتاريخ ابن عساكر ولأعلام النبلاء للذهبي الخ .

وفي اللغات الأجنبية من ذلك بغض واسع أيضاً منه أبحاث :

— Fuck, J. : *Muhammad Ibn Ishaq*, (Frankfurt am Main, 1923).

— Krenkow, *The Two Oldest Books on Arabic Folklore*, (Islamic Culture, 111, 1928, pp. 235 off.

- Loth, Otto von : *Das Classenbuck des Ibn Sa'ad*, (Leibzig 1869).
- Cahen, Cl.,
Abdallatif Al Bagdadi, Protaitiste Et Historien Leson Temps.
 Bull. Etu. Or. de l'I.F.O., Damas XXIII, (1970) pp. 101-128.
- Fahar, Caesar, F.,
Ibn Al-Najjar, A Neglected Arabic Historian.
 JAOS 84, (1964) pp. 220-230
- Laoust, H.,
 — *Ibn Katir, Historien;*
Arabica 2 (1955) pp. 42-88
- Mittwoch, E.,
 — *Die Litterarische Tätigkeit Hamza Al Isbahanis. Ein Bertrag
Sur Altern Arabischen Litteraturgeschichte.*
MSOS 12 (1909) pp. 109-169
- Peres, H.,
 — *Essai De Bibliographie Sur La Vie Et L'Oeuvre D'Ibn Khaldun.*
Stud. Orientalist (Levi della Vida II) 1956, pp. 304-329.
- Rosenthal, E.I.J.,
 — *Ibn Khaldun, North-African Muslim Thinker of the Fourteenth
Century.* Bull. J.R. Lib. 24 (1940) pp. 307-320
- Tritton A.S.,
 — *Bar Hebraeus and the History of the Earlier Caliphs.*
J.I.H. 5 (1927) pp. 51-65.

ومنه أيضاً مقدمات Cl. Cahen للمخطوطات التي نشرها من تاريخ المظبي والبستان الجامع للأصفهاني ، وملع القرانين المضية للتابليسي ومقدمة دى غويه للطبرى ، وليفي بروفنسال لكتاب نسب قريش للزبيري . ومقدمة سخاو E. Sachaue لطبقات ابن سعد . وللقطعة الباقة من كتاب موسى بن عقبة . هذا عدا عن الأبحاث الكثيرة التي صدرت عن ابن خلدون خاصة مثلاً (وعن غيره من المؤرخين) وهي أكثر من أن تمحى .



وزارت تحقیقات
کمپیوٹر علوم و سلامتی

لِعَسْرِ الْفَدْلِ

نَسَاءٌ وَتَكُونُ عِلْمَ النَّارِ بِهِ فِي إِسْلَامٍ



مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم پزشکی

الفصل الاول

الوعي التأريخي وعوامل ظهوره والتاريخ

١ - الوعي التاريخي والتاريخ عند العرب قبل الاسلام

الخبر والتاريخ :

كلمة خبر التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة ، فيها معنى الربط والتقييد وفيها من خلال كلمة خبر معنى البحث والفحص ومعنى الأخبار أيضاً . وقد تأخرت كلمة تاريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية ، ولن اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلاً فارسياً : «ماه روز» قالوا إنها حرفت عنه^(١) ، والأرجح أن جذرها (ورخ) جذر سامي ولكنه مأخوذه من لغة اليمن الحنوبية وليس عن الكلمة برج أو ياربع العبرية أو السريانية كما ورد في الموسوعة الإسلامية . ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر . ولعلها

(١) انظر حزة الأصفهاني - تاريخ سبي ملوك الأرض والأنبياء (طبعة مكتبة الحياة - بيروت دون تاريخ) ص ١٢ .

ما بدأت حياتها الإسلامية كتعبير في الا بعد ظهور التاريخ المجري في عهد عمر بن الخطاب^(١) . وكان المسلمون قبل ذلك يستعملون لمعنى التاريخ كلمة « العد ». وقد روى البخاري في الصحيح قول سهل بن سعد الصحافي في ظهور التقويم المجري « ... ما عدوا من بعث النبي ولا من وفاته . ما عدوا إلا من مقدمه المدينة » . وإذا كانت كلمة تاريخ ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعاني على الأقل هي :

١) سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي ، تقابل كلمة The History of... وتعني ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامي أو تاريخ ايطاليا .

٢) تاريخ الرجال أو ما يقابل The Biography

٣) عملية التدوين التاريخي أو التاريخ ووصف التطور وتحليله وهي التي تقابل كلمة Historiography .

(١) للتوسيع في هذه النقاط انظر روزنفال ، علم التاريخ عند المسلمين ، الأصل الأنجليزي صفرة ١٠ - ١٤ الترجمة العربية ١٩ - ٢٥ ، ويمكن أن نذكر هنا بعض الملاحم التي تعيّن في الموضع أيضاً : عن معنى خبر وأخبار وتاريخ في اللاتينية القديمة :

مادة خ ب ر - بالسريانية والعبرية والأنطاوية تعني : ربط = خابر .

مادة ح ب ر - بالعبرية تعني : زميل ، رفيق = خبير .

مادة ح ب ر - بالعبرية تعني أيضاً : بحث ، فحص ، ومنها الخبر
فهل كلمة خبر مأخوذة من الربط كما أخذت العقل من معنى العقل = الرباط والقيمة ،
وأما معنى الكلمة (تاريخ) وأصلها :

فابلوليان ولسان العرب من بعده يقولان : « الكلمة ليست عربية معرفة وأن المسلمين
أخذوها عن أهل الكتاب . وقيل ... إن الاربع هو الوقت والتاريخ كانه الترقيق » وسرغليوث
يقرر « أن الكلمة لم توجد في هرية الشمال ولكنها موجودة في هرية الجنوب في مادة ورخ .
وتعني القمر وتوجد الحروف نفسها مجتمعة في نقش فينيقي ترجمه بعض الباحثين
بككلمة ميعاد وقلب الواو همزة ليس أمراً شاذًا بالعبرية » ... والأرجح أنها ليست
سريانية الأصل ، وفي السريانية لغز تعني الشهر . وهي آتية من معنى القمر واسم في
الآكادية أرخو وفي العبرية يرخ أو ياريغ

٤) علم التاريخ والمعرفة به ، وكتب التاريخ وما فيها وهو ما يقابل كلمة المفردة ^(١) The History .

٥) تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة (The date)

إذا كان ذلك فقد مرت هذه الكلمة بأطوار عده قبل أن تستقر فيها تلك المعاني وتحملها في الإسلام بدأت مسيرتها أولاً بمعنى التقويم والتقويت في صدر الإسلام الأول ، وبعد أن استعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى ، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن . وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية : كلمة خبر ، وأخبار وأخباري ، ثم بدأت الكلمة تاريخ تحمل بالتدريج محل الكلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلس متصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطوير في الخبر والعملية الاخبارية . وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني الهجري فيما أطل القرن الثالث حتى صارت الكلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره ، وبأخبار الرجال وعلى الكتب التي نحوه ذلك ، وحلت نهائياً محل الكلمة الخبر والاخباري اللذين احاطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال في القرن الرابع .

ولعله من الهام أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا ترجم بمخلاف الرأي الذي ذكره روزنثال في هذا الصدد ^(٢) فقد كتب عوانة بن الحكم الأخباري الكوفي المتوفى سنة ١٤٧ / ٧٦٥ أو ٧٥٨ كتاباً عنوانه : كتاب التاريخ ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري ، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم في الإسلام . ثم كتب هشام بن محمد بن الساب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ / ٨١٩ أيضاً كتاب

(١) يمكن أن نضيف مني سادساً استر فترة حسنة خلال التاريخ الإسلامي وكانت الكلمة تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم وتمثيل الشعائر الأساسية فيهم وكانوا يقولون : فلان تاريخ فوسه .

(٢) انظر روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين : الأصل الانجليزي ص ٣٢ ، (الترجمة العربية ص ٢٤) .

التاريخ وكتاباً بعنوان *أخبار الخلفاء*. وكتب في الوقت نفسه المئم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ كتاب التاريخ على السينين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير . واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت واحتلت عنوانين العشرات من الكتب في القرن الثالث الهجري . ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات . وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسمية الإمام البخاري (محمد بن إسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦ لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مرجأً نهائياً ما بين علم التراجم والأحداث في علم واحد .

التاريخ العربي قبل الإسلام

التاريخ أي الاحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الاحساس على صورة من الصور (قد تكون أسطورة أو قصيدة أو نسباً أو أغنية أو نقشاً أو سجل أحداث) هو ممارسة انسانية تعمق وتنباور مع الارتفاع في الدرجة الحضارية . وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التاريخ ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها بمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدون أو منقوش وبعضاً شفهي . وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأعيبار العديدة جداً والمتقاوطة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق وما كانت كلها بالطبع مدونة بلغة قريش والقرآن الكريم .

فعرب اليمن ، في الجنوب ... هم على أوأبدهم الأثرية والمعابد والقلاع . والسدود نقشهم بالمسند ، خطهم الخاص ، وبلغة الجنوب خاصة ، يذكرون فيها مختلف الفعاليات من أعمال الدين والتجارة والجزرية وبناء الأسوار والمعابد والمحصون والحملات العسكرية . وقد دخل إليهم بعد سنة ١١٥ ق . م تقويم ثابت^(١) .

(١) انظر الدوردي . نشأة التاريخ ص ٤ نقلًا عن ريكمانز ، النظام الملكي في بلاد العرب الجنوبيه —

ويشير المسمداني في كتابه الأكليل إلى « ما أدخلته ملوك حمير في خزائنهما من مكتوب علمها والى « زير حمير القديعة ومساندها الدهرية » والى « ما قيده آباء المرانين من نسبهم وما حفظوه كابراً عن كابر ورآه عندهم بخط أبي علكلة المرانى علامة اليمن في عصره » والى « ما نقله هو بنفسه » من « نسب اللعريين المقيد الأصول » رواية عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى بن أبي حنيفة المعروف بالدندان ^(١) ... الخ ، يمعنى أن ثمة تسجيلات لدى بعض الملوك والقبائل والأسر وأن ثمة عادة مأثورة بذلك استمرت بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري . بل يذكر الدينوري نسخة حلف بين اليمن وربيعة في الجاهلية نقلها أحدهم عن حفيد آخر الحميريين ^(٢) مما يدل على أنه كان ثمة تسجيل وحفظ لوثائق الأمور العامة ، على أنه كان من الغريب بعد هذا أن لا يبقى لنا من تاريخ اليمن السابق للإسلام كله ، مع طول عهده ، سوى بعض أسماء الملوك القدماء وقصصها غامضة « سداها ومحنتها المبالغة والتهويل والاختراع ».

وكان لدى عرب الحيرة المناذرة : « كتب » نحوى أخبارهم وأنسابهم أشار إليها الطبرى وأبن هشام ويعرفون تاريخ الفرس . كما كانت لهم تقوش حاول ابن الكلبى قراءة بعضها لاستخلاص أمور تاريخية منها . ولدى العرب في الشام من تدمر إلى بطرا فمدین وجمامعة ثورد وأهل الصفا (شرق حوران) تقوشهم التسجيلية المعروفة المقرودة اليوم ، وفيما عدا ذلك لم يؤثر عن الفاسنة بدورهم مؤلفات تاريخية أو نشاط تاريخي محمد مما جعل تاريخهم متارجحاً

= صفحة ٢٨٢ . وقد توصل ريكمانز إلى هذا الاستنتاج بالاستناد إلى نقش أبرهة المؤرخ بشهر ذوقيازان من سنة ٥٦٧ وأما جرى الحادث الذي يتصل النقش به في سنة ٥٤٣ م . أما سنة ١١٥ ق. م فهي سنة وصول حمير إلى السلطان الواسع في اليمن .

(١) انظر من كتاب المسمداني - الأكليل ج ١ (طبعة الأكرع - القاهرة ١٩٦٢) ص ٩ و ص ١٢ ، ثم ج ١٠ (طبع عبي الدين الخطيب - القاهرة ١٣٦٨) ص ٣٠ - ٣١ ثم ص ١١١ .

(٢) انظر الدينوري ، الأخبار الطوال صفحة ٣٥٣ - ٣٥٤ ، وبالرغم من أن نص الحلف واضح الوضع والزيف بما فيه من سجع واصطناع إلا أنه يدل على أن الناس كانوا يمرون وجود نصوص مكتوبة ووثائق محفوظة ولو لا ذلك لما اجترأوا على التزيف .

بين ما يضم تاريخ البيزنطيين منه وما تروي الأخبار العربية البدوية .

أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم في تراثهم الشفهي قصص تاريخي يتمثل في « الأيام » المعروفة ولهم حفظ الأنساب وما يتعلق بها . لكن التاريخ العربي بعد الإسلام لم يكن تطوراً لتلك الأسس التاريخية الأولى في اليمن أو الجزيرة أو الشام . ثمة انقطاع بين العهدين لكن صلة عملية التدوين التاريخي الإسلامي بالقصص التاريخي البحري وأيام العرب وبعلم الأنساب تفرض التساؤل عن مدى صلة التطور والاستمرار بين الطرفين ؟

أ – فأما المادة التاريخية البحري فنوعان : بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن ، وما يحكى من أخبار الأولين ، ونجد شيئاً من أصداء هذه المعرفة ولا سيما ما يتعلق بأهل الكتاب في القرآن الكريم . وأما النوع الآخر فروايات جماعية . بدوية المنشأ تروي التراث القبلي ، وتحمل اسم « الأيام » وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل . وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتاريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة . أنها قصص مرسلاً مقطوع الصلة بالزمن أو يحمل فكرة جد غامضة عنه ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية . وما من شك في أن هذا القصص يحمل الكثير من الحقائق التاريخية ولكن ما من شك في الوقت نفسه في أن الكثير من التحوير والزيادة قد دخل على أشكاله الأولى والثانوية . وإذا كان ثمة شبه بينه وبين القصص السامي العبراني والأرامي والبابلي في الطور البدوي لهذه الجماعات فإن نقله الشفهي وتأخر تسجيله بعد العهد الإسلامي أكثر من قرن قد أدخل عليه الكثير من الانطباعات الإسلامية ... الدينية والسياسية ... كما تبلورت فيه خاصة صور جديدة بدوية مختربة لعرب اليمن ولعلاقتهم مع عرب الشمال ، وللأخبار العربية وللشعر العربي . كما سادت فيها لغة قريش والخط الذي

كتبت به : فراجعت لغات المناطق وألفيت الخطوط الأخرى وتطور أنها فلما
يحق سوى تطور الخطين الطبيعي والحريري . ثم أصاب ذلك القصص كذلك . من خلال
التقليل ، اضطراب تاريجي قوامه الاختلاط الحادثي . فاختلط حادث آخر
والانزلاق الزمني فانتقل الحدث من زمن إلى زمن ، والتضخم مع تباعد العهد
فكبرت على الأيام بعض أشخاصه وصوره . ثم فرضت السياسة ومنها عدت
الحكم نفسها خلال « الأيام » واستخدمتها فهي صور إسلامية منسجمة على
الماضي ... إنَّ الصورة الإسلامية التي أعطيت « للجاهلية » في أيام النبي ...
التاريخي ، في القرن الثاني للهجرة ، لم تشوئ ذلك العصر كله فقط ولكنها كانت
كافحة أيضاً لإسدال حجاب كثيف على ما سبقه من عصور عربية . ولنلاحظ
من بعد أن هذه الأيام والقصص لم تستطع أن تدل ، حتى في العهد الإسلامي ،
على نحو في الشعور التاريخي لدى ناقليها . لم تعاونهم على التطور في المفهوم
الزمني التسجيلي ولا التسلسل في الأحداث أي على « التاريجية » فظللت جزءاً من
الأدب ومن فكاهة الأسمار ... حتى ما بعد قرون .

ب - وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعى لها الحاجة الاجتماعية القبلية
للتعارف والتمايز . أنها كالأعمدة تنبع من حومها بعض القصص الذي يحفظ
تكوينها . هي في الواقع : التاريخ الأنثروبولوجي التقليدي وأهيكل المظفي
للفكرة التاريخية . وبالرغم من أنها أكثر تاريجية من القصص باعتبارها شكلاً
من أشكال التعبير التاريخي يسجل إطار التكون القبلي إلا أن المعلومات النسبية
الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام ، وتحوم حول شكلها المسجل لدينا
من بعد شكوك كثيرة ، منها أنها تقسم العرب أفقاً تقسيماً ثلاثياً أو ثنائياً ،
(عربية ومستعربة وبائية) ثم تقسمهم شاقولاً إلى أقسام متفرقة بمعنى أن
العرب ليسوا شعباً واحداً ولكنهم تركيب مزجي استمر خلال العصور الطويلة
محفظاً بعناصره المكونة دون تفاعل أو امتناع وهو إن صبح في بعض الفترات
البدوية المنعزلة فليس يصح لعرب الجنوب الذين قضوا في حياة الاستقرار
حوال عشرين قرناً قبل الإسلام ولا لعرب الشام أو الحسيرة . ومن العجب .

أن لا يذكر الشعر الباهلي اطلاقاً عدنان ولا قحطان وأعجب منه أن لا نجد ذكرآ لأي منها في أي نقش أو أثر يعنى قديم أو ثوردي أو صفوى وهي نقوش تعد بعشرات الألوف . هذا إلى اضطراب الناس في مفهوم الع العربية والمستعرة والبائدة وفي ارتباط القبائل بعضها مع بعض ... واضطرابهم في تفسير أسماء القبائل التي قد تدل على تقسيم جغرافي لا انتروبولوجي وعلى تبيان مكانى لا عرقى واختلاف حضارى لا في الأصل والجنس . ولو حسبنا أجداد القبائل حتى ظهور الإسلام على أساس معدل معقول للأعمراء لوجدنا أن أقدمها لا يجاوز في الوجود ٣٠٠ - ٥٠٠ سنة وكفى بذلك ريبة .

ثم إننا لا نعرف من الأنساب بشكل فيه بعض السعة إلا ما اتصل بقريش وبعض الحجاز ، وتصنف المعلومات بوضوح ثم تضطرب ثم تختلط كلما ابتعدنا عن هذا المركز وخاصة إن وصلنا إلى اليمن ، ثم تموت في مناطق عمان فهي الضباب والإبهام .

وقد انتقلت الأنساب بالرواية عبر القرن الإسلامي الأول إلى عصر التسجيل ، في القرن الثاني . ولم يضعف اهتمام العرب بها كثيراً رغم استقرارهم المضري لأنها ركبت السياسة أو أن السياسة ركبتها فأخذ النسب شكل التزاع القائم ، وكان قناعاً للأطماع وتنافع النفوذ والتتنافس في الرزق والمركز . ولم يبق شيء من سجلات عمر التي سجلها للدواوين . وما من شك في أن سجلات أخرى قد وجدت في بعض الأمصار - فهي من مستلزمات الغنائم والعطاء والأرزاق - ولكنها بدورها ضاعت وإنما يبقى لنا روایات النساين . ولكنها حين سجلت لم تحمل معها الكثير من المادة التاريخية وظلت حتى في القرون التالية وحتى القرن السابع وما بعده عملاً مستقلأً يرفد التاريخ لكن لا يندمج فيه . وهذا يعني أن النسب لم يسهم إلا قليلاً في إيجاد الأدب التاريخي ، وفي تكوين صورة التاريخ الإسلامي . وهذا التاريخ لم يقم بالاعتماد عليه ولكن بالاعتماد على أسس وعوامل أخرى .

٢ - العوامل الأولى لظهور التاريخ في الإسلام

فكرة التاريخ في الإسلام :

إذا كان القصص الأيماني «والأنساني» في المخاهلة قد أعطى الثقافة الإسلامية من بعد مادة قصصية للعظمة الدينية من جهة ومادة سياسية – اجتماعية للحفاظ على الصور القبلية ، ومادة لغوية – أدبية من خلال ما حمل من شعر وقصص لدعم لغة القرآن الكريم وقريش ، فإن نشأة التاريخ وتدوين الأخبار التاريخية تدين في تكوينها إلى عناصر ثقافية أخرى ظل الكثير منها مرافقاً لهذا العلم وداعماً ومبرراً لوجوده خلال التاريخ الإسلامي كله ، ولعل أهمها :

أولاً «تاريخية الإسلام» ...

١ - فالإسلام دين تاريخي الروح . يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة . العقيدة الإسلامية لا تعتبر نفسها جديدة ولكنها عريقة الجذور في التاريخ . إنها « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ... فالوحданية فكرة أزلية الوجود في النفس الإنسانية ، وما الحنفية واليهودية والمسيحية والإسلام سوى دين واحد متصل الحلقات أبداً .

٢ - ان ما جرى ويجري من أحداث البشر على الأرض منذ بدأ الخلق إلى يوم القيمة إنما هو قدر مقدر وخطبة أرادها الله لمن خلق . « والله خلقكم وما تعملون »؛ « بل الله الأمر جميعاً وإليه يرجع الأمر كله »؛ « يدبر الأمر من

السماء إلى الأرض ثم يرجع اليه «؛ وقد جعل الله لكل شيء قدرًا»؛ «انا خلقناكم من ذكر وأثني وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا»؛ «وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر يعمرونها ليذكروا فيها»؛ «وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح»؛ «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق علينا القول فدمرناها تدميرًا»... ومن هنا كانت معرفة الماضي نافذة للاطلال على اراده الله التي تمت في الناس، وتعبيرًا عن تلك الارادة ، وكشفاً للمستقبل عن طريق ذلك الماضي ... وها هنا كل روح التاريخ !

٣ - أعطت العقيدة الإسلامية تصوراً تاريخياً واضحاً للكون منذ الخلق حتى يوم القيمة . وربعت بين المبدأ والنتيجة بحلقات الأنبياء وأعطت لمبدأ الخلق صورة لا تقل عنها وضوهاً صورة الآخرة . وجعلت ما بين الطرفين ، فترة عبور «فما الحياة الدنيا ، الا لعب ولهو»؛ «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» فلا بد اذن من العظة والتأمل والتفكير في ذلك . «... وفي أنفسكم أفلأ تنظرون»؛ «أفلأ تفكرون»؟ «أفلأ تعقولون»؟.

٤ - ثم ان شؤون الحياة الدنيا هامة وأساسية في مصير الإنسان وآخرته . وان حياة المسلم مرحلتان يفصل بينهما الموت ولكنهما متصلتان أقوى الاتصال ، لأن الأولى بأحداثها ودقائقها أساس الثانية الباقية ودليلها ... وهذا فالإنسان ليس بمنبوذ وحيداً على الأرض ولا خارج الزمن . وأفعاله مسجلة عليه في اللوح المحفوظ . وكل شيء خالد الحساب لا يندثر . فإن سجّله فليس بيتكر في ذلك من جديد «فكل نفس بما كسبت رهينة»؛ «وان كل نفس لما عليها حافظ». «... ولا تعلمون من عمل الا كنا عليكم شهوداً إذ تفيفون فيه وما يغرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» ... هو التاريخ ! والسجل الكلي .

٥ - ثم ان الإنسانية كلها واحدة: «الله رب العالمين»؛ «هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده» . والاسلام يخاطب البشر جمِيعاً ويكرر خطابه للناس دوماً

« يا أيها الناس »؛ « يا أيها الإنسان » مما يوحى ويؤيد الإيمان بالترابط العميق الجلدي في الصورة الكونية للإنسانية . وجميع الأحداث والأعمال بالتالي ذات أهمية دينية لأن الإنسان يصنعها فهي تاريخية وهو مسؤول عنها . مرتبطة بها ارتباطها به . ولا فكاك من التاريخ .

٦ - ظهور الرسول الأعظم كان خطأً فاصلاً في مسيرة التاريخ . هو خاتم الأنبياء . يربز بين عالمين . عهد جديد نهائى للإنسانية^(١) ولعل ادراك عمر بن الخطاب لهذه الحقيقة الإسلامية الكبرى هو الذي دفعه – بين عوامل أخرى – أولاً إلى وضع التاريخ (أي التقويم) وثانياً إلى تدوين الدواوين والتاريخ بالمحنة لإبراز شخصية الرسول من جهة ونتأكيد أهمية ظهور الإسلام وتسجيل العطاء في الدواوين على أساس المسلمين الأولين وأنسابهم وإثبات قيمهم في المتعلق الإنساني الجديد .

٧ - وقد تحدث القرآن الكريم بكثيراً عن أساطير الأولين^(٢) ولا يعني ذلك الأسطورة الخرافية ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس . أي ليس بمحدث ولكنه مؤرخ معروف من قبل . وهذا يعني أن الباحثين قد أدركوا ما في القرآن من صلة مع الفكر الديني السابق وما يملأ الجو القرآني بوضوح منه وأنه يروي قصصاً وأموراً تاريخية لها كتبها وذكرها المسطور .

٨ - انتزع الإسلام العرب من الإطار القبلي ومن الجو الوثني وهذا استخف بالأنساب وبقصص الأيام ويمثل الباحثية وبدفهم منها جرأة ثقافيةً آخر ربطهم بسلسلة التاريخ الوجданى للبشرية . أي أعطاهم بعداً زمنياً جديداً قوامه التاريخ الماضي كله من خلال سلسلة الأنبياء الحمادية منذ مبدأ الخلق .

(١) الفرقـة الأسـاعـيلـة وـحدـها - فـي الإـسـلام - تـرى نظامـ الدـورـات السـبع وـالـفترـات ، وـلكـتها مـلـأـيـ حالـ قدـ تـأـثـرـتـ فـي الـظـهـورـ عنـ المـهـدـ الذـي تـكـلـمـ عـنـ .

(٢) فـي القرآنـ الـكـرـيم تـسـعـ آـيـاتـ تـحـدـثـ عنـ أـسـاطـيرـ الـأـولـينـ منـ أـوـضـحـهاـ فـيـ هـذـاـ المـنـىـ الذـيـ نـفـصـ قولهـ تـعـالـىـ وـقـالـواـ أـسـاطـيرـ الـأـولـينـ اـكـتـبـهاـ فـيـ تـمـلـ عـلـيـ بـكـرـةـ وـأـصـلـاـ (ـالـقـرـآنـ آـيـةـ ٥ـ)ـ .

٩ - وأخيراً قدم القرآن الكريم مادة تاريخية هامة وان تكون مجملة وتكتفي بالاشارة واللمحة وتسمى بالقصص. « ذلك من أنباء القرى نقص عليك منها قائم وحصيد »؛ « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد مضى »؛ « نحن نقص عليك أحسن القصص ». وبالرغم من أن الغرض منها هو الموعظة والاعتبار (أفلم يروا) ، « ألم تر كيف فعل ربك به ... إلا أن الرغبة في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص فتحت باباً من أبواب المعرفة الدينية دخل منه التاريخ . ودخل كريديف ديني شرعي لعمليات التفسير القرآني . وإذا كان الكبير من الاسرائيليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي كمه دخله الكثير من الأخبار القبلية والأجنبية فأهم من ذلك أن القرآن الكريم منع بذلك نظرة جديدة إلى الماضي كرسته كأساس فكري للعقيدة، ردت قيمتنا كجزء أساسي من المعرفة الإنسانية الموصولة إلى الله .

ثانياً : الحاجات الفكرية (الروحية - الثقافية) :

١ - شعر المسلمين ومنذ الأيام الأولى أن الإسلام كعقيدة غير مسيرة الإنسانية الدينية وأعطها مساراً جديداً ودخل بها في طور مختلف . وهذا الحدث يستحق التسجيل في دقائقه لفهمه واعطائه شأنه الإنساني . وتجارب « الأمة » الإسلامية جديرة بأن تدون وتعرف في تطور أحداثها وأمورها وتقارن مع تجارب « الأمم » الأخرى ^(١) .

٢ - وبالمقابل فقد ظهرت في العالم دولة إسلامية كبرى غيرت مسيرته التاريخية والسياسية . وفتحتها الصاعقة ثم سيطرتها السياسية وتجديدها الحضاري لم تفاجئ الشعوب الأخرى فقط ولكنها ألغت الدول الكبرى التي كانت تقررون طويلاً، في ما يسمى بالعصور القديمة ، تسير شؤون العالم وبرزت وحدتها بدلًا منها . إن هذا الحدث لا بد أن يشده الانتباه لا سيما في الشعوب المهزومة

(١) لعلنا نبه إلى أنها تستعمل الكلمة « أمة » هنا و « أمم » بالمعنى الإسلامي القديم الكلمة الوارد في الآية الكريمة : « كتم خير أمة أخرجت الناس » .

ويدفعها إلى التحليل والتعليق والوصف وتفصي الأخبار لتقدير الحادث ووضعه في موضعه من مسيرة الجنس البشري وتاريخ دولة المقارنة بينه وبين دول العالم السابقة ونظمها التي بادت أو بقيت .

٣ — ان التجارب الإنسانية والأمثلة أساسية في التوجيه إلى السلوك الطيب وفي التقويم الخلقي . ومستودع تلك التجارب هو التاريخ الذي يجب أن يمشي أمام الإنسان مصباح هدى ، لا وراءه ، باعتباره في المطاف الأخير تغييراً واقعياً عن ارادة الله وحدايته . وهذه التجارب الإنسانية هي بدورها أساس في الثقافة الفكرية والسياسية . أنها هي المعرفة والعلم وكان تسجيلها وروايتها بشكلاً جانبياً ح gioياً من التطور الثقافي للجماعة الإسلامية . وقد لعب الأخباريون دوراً هاماً الرئيسي في هذه الناحية ، ولم تكن كتب الأخبار الأولى ولا الكتب التاريخية التالية من أمثل : الأخبار الطوال ، والمعارف وغيرها سوى تعبير عن هذه الحاجة الفكرية . كما لم تكن عناية الخلفاء الأمويين كعاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد الثاني سوى نتيجة من نتائج هذه الحاجة للتاريخ .

٤ — ومهما بالغنا في تفصي العوامل النفسية أو الدينية وراء ظهور التاريخ فانا لا نستطيع أن نغفل وجود الرغبة العلمية الجالصة أيضاً بين تلك العوامل . الرغبة في المعرفة لمجرد المعرفة والاطلاع ، وهي بدورها حاجة فكرية إنسانية ، لا تغيب عن أي عمل علمي . ونستطيع أن نرى في أعمال الكثير من المؤرخين والأخباريين الأوائل ما يكشف وجودها الواضح . كانت بالنسبة إلى الكثيرون منهم كالسوط يلاحقهم ويدهفهم إلى السؤال المتكرر للناس وإلى زيارة أماكن الأحداث والسفر في تفصي الأخبار وسؤال النساء لتسجيل كل أولئك .

يقول أبو شامة : « ... ولم يزل الصحابة والتابعون من بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذكرون ما سبقهم من الأخبار وانقضى ويتطلبون الآثار والأخبار . وذلك بيّن من أفعالهم من اطلع على أحواهم »^(١) ...

(١) أبو شامة - كتاب الروضتين (طبعة محمد حلبي أحد) ج ١ ص ٢ .

ثالثاً : الحاجات العملية الحياتية :

لم تكن تاريخية الإسلام ولا الحاجات الفكرية - الروحية - الثقافية بالكافية لظهور علم التاريخ بتلك السعة التي ظهر فيها لولا وجود حاجات أخرى من نوع عملٍ - حيائني معها . وبعض هذه الحاجات دينيٌ تشرعيٌ ويدخل في الجو الثقافي في تفسير القرآن والحديث، وبعضاً سياسياً اقتصاديً مما يتصل بإدارة الدولة ونظامها المالي والقضائي، وبعضاً ذو طابع سياسي اجتماعي مما يتصل بعناصر الدولة القومية وتيارتها السياسية . وقد كانت معرفة التاريخ عنصراً حيوياً في هذه النواحي كما كان التاريخ وحده يعطي الجواب عليها . ومن هذه الحاجات :

١ - الحاجة إلى معرفة أسباب التزول وتفسير أي القرآن وحدوده وأحكامه من خلال تاريخه . انه المصدر الأول الأساسي للتشريع الذي يحكم الجماعة الإسلامية ، وقد أدى البحث في ذلك إلى تسجيل الكثير من أخبار المأهله وعصر الرسالة .

٢ - الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول الأعظم - ثم الصحابة من بعده - لا كفائد ديني أكبر فقط ولكن كثانيَّتين من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية ولمعرفة الخبرات والتوجيه النبوى كل « حدث » منه قانون وكل عمل سنة . وكذلك أعمال الصحابة الذين ارتفع من حوله . فلا بد من تسجيل كل ذلك ليكتمل قانون الإسلام في مسيرة الجماعة ، وقد أدى ذلك إلى تسجيل السيرة بدقة تقىها .

٣ - ولقد تكونت بنتيجة ظهور الإسلام كعقبلة والفتح الإسلامي كحدث سياسي أمبراطوري واسعة تحتاج إلى معرفة مسيرتها وتبصير تلك المسيرة وتفسيرها ، كما تحتاج إلى حفظ خبراتها كامة جديدة تغيراً عن وحدتها وهذا يعني :

أ - القاء الضوء على أساس من السنة وعمل الصحابة على مشكلة الامامة

والخلافة في المسلمين وهي المشكلة الأهم والحكم فيها خاصة بين الأمويين والعلويين والخوارج .

بـ- تسجيل وإثبات الأحداث الكبرى : معارك بدر وأحد وفتح مكة واليرموك والقادسية والخلفاء ووقعة الجمل و يوم صفين والتحكيم وغيرها من أسباب ومبررات التناقض السياسي والاختلاف بين الناس على الحكم السياسي .

جـ- معرفة الاجماع الاسلامي وما انتهت اليه الجماعة في عصر الصحابة والتابعين ومن تلاهم في مختلف الأمور لأن الاجماع بدوره من مصادر الفقه والسياسة الإسلامية وعليه اعتمد الحكم الأموي في شرعيته .

دـ- كشف أسباب التزاعات الدينية والخصومات السياسية والقبلية والتباريات الفكرية وأسباب ظهور الفرق والمذاهب ، والحركات المنحرفة وتطوراتها مع الزمن .

هـ- ايضاح النظام القضائي في الإسلام وفلسفة العدالة ومناهج الفقه والحق وأسبابها وركائزها في الأعمال وتراث المغيرات فيها .

وـ- تبرير النظام المالي في الدولة الإسلامية (وقد ظهرت بنتيجة ذلك كتب الفتوح للواقدي وابن عبد الحكم والبلذري) وتفسير أسباب « العطاء » والرकأة والجزية ووجوه الموارد والنفقة في الدولة (وقد ظهرت نتيجة ذلك كتب المراجح من مثل المراجح لأبي يوسف والأموال لابن سلام) .

زـ- إثبات السابقة في الادارة والتنظيم السياسي لإقامة النظام الاداري الإسلامي باستمرار على هديها .

حـ- تحديد العلاقات الاجتماعية والسياسية والمالية مع غير المسلمين في الدولة ، على أساس معاهدات الفتح ونصوص الشرع الإسلامي .

كل هذه الحاجات من سياسية وتشريعية ومالية في الدولة الجديدة كانت

د汪افع وعوامل داعية إلى التدوين التاريخي . وليس الا في التاريخ تجد هذه الحاجات جذورها وأسباب وجودها وتفسير ذلك الوجود .

٤ - تنافس الأحزاب السياسية والفرق والتيارات الدينية أدى بدوره إلى تسجيل الأحداث ومعرفتها لاستخدام ذلك في تأييد وجهات نظرها أو في الدفاع عنها . ان التزاع القوي على الخلافة والتنافس بين الأفكار الدينية كان يجدد سنته دوماً في وقائع التاريخ وأحياناً في اختراع المواقف التاريخية المؤيدة أو المناهضة لاجتذاب التأييد من أكبر عدد من المسلمين .

٥ - وبالمقابل فان العصبيات القبلية (و خاصة بين عرب الشمال واليمنيين) وهي ذات طابع سيامي ، والاختلاف بين عناصر الدولة (و خاصة بين العرب عامة والفرس) وهي ذات طابع قومي ومنافسات الأقاليم المختلفة (و خاصة بين الشام والجهاز واليمن والعراق وفارس) كلها أدت إلى محاولات تسجيل الأحداث والمفاسير ... ووقائع التاريخ أو إلى اختلاقها أيضاً، هذه العصبيات والعنابر والأقاليم . ومن هذا الباب دخلت قصص تاريخ اليمن وأيام العرب والروايات المتعارضة لأخبار الفتوح والخلافات السياسية وتوارييخ المدن والأقصارات ، كما دخلت الأخبار والكتابات الشعوبية .

رابعاً : العوامل المساعدة :

وقد أعاد على ظهور التاريخ وتوطده كمعرفة لها حاجتها ومكانتها في منظومة الفكر الإسلامي عوامل مساعدة عديدة أيضاً خدمت التاريخ وتدوينه خدمة كبرى ، ولقد يصل بعضها للدرجة أن يكون من العوامل الأساسية في ظهوره ومنها :

١ : وضع التقويم المجري ^(١) : فان وضع هذا التقويم في ذلك الوقت

(١) تعمدنا أن نهمل في هذا المجال أي توسيع في قصة وضع التقويم المجري من قبل الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب وذلك كي ندل على أن هذا الحدث الرئيسي ، وان كان عنصراً هاماً جداً من عناصر -

المبكر من عهد عمر بن الخطاب أدخل عنصراً حيوياً على الفكرة التاريخية الإسلامية وكان خطوة هامة جداً في توطيدتها. أعطاها عنصر التنظيم الحاصل بالإسلام وثبت عليها الطابع الإسلامي . كانت ثمة مقاوماً أخرى قبله ولكن ظهوره كان تعبيراً عن الشعور بمجددة وقيمة وأصالحة المسيرة الإنسانية الجديدة أي بتاريخيتها ، ومن ثم أضجع التقويم الهجري ؛ منذ وضع ، « العمود الفقري » – كما قال الدكتور الدوري^(١) – للروايات والآبحاث التاريخية . وكان العامل الأساسي في تنظيم تاريخ الإسلام وفصله الواضح عن التواريχ الأخرى وفي اعطائه أيضاً عنصرين هامين من عناصر التدوين التاريخي هما :
 أولاً – الثبات أي الارتباط بالزمن والخلاص من القصص المرسل وانقباد الأحداث لقيد التسلسل الزمني .

ثانياً – النجاة من الاختلاط الحادثي أي من الأحداث من أن يختلط بعضها بعض بين عصر وعصر ومكان آخر وشخص وثان .

٢ : الاهتمام بالأنساب : فان الإسلام وان ألغاءها من حيث المبدأ إلا أنها عادت فوجدت حواجز جديدة لظهورها عند تدوين الدواوين ومشكلة العظام . فان تنظيم الدواوين والعظام وسكن القبائل وفرق الجيش إنما تم على أساس قبلي . وهذا ما أعطى الأنساب شأنها مادياً ، أضيف إلى شأنها القبلي السياسي في التنافس بين العرب أنفسهم بعد ظهور أرستقراطية جديدة في الإسلام وتوزع

– تنظيم الفكر التاريخي ، إلا أنه لا يتعلّق بعلم التاريخ . وثمة يون شاسع بينه وبين ما نعنيه هنا من فن التدوين التاريخي . فالتاريخ بالبيوم والشهر والسنة ليس هو التاريخ الذي يتحدث في الواقع والأحداث والناس . ومن شأن تفصيلاً في معنى الكلمة تاريخ لغويًّا وفي وضع التقويم الهجري فإنه واجد ذلك في الكثير من المراتب وأقربها على سبيل المثال : اليروني – الآثار الباقية ص ٣٠ ، أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٧٩ ، السخاوي (طبعة روزنثال – الترجمة العربية) ص ٣٨٢ وص ٥٠٩ – ٥١٧ ، الكافيسي – مختصر علم التاريخ (طبعة روزنثال – الترجمة العربية) ص ٣٢٦ – ٣٢٢ – كتاب روزنثال نفسه (الترجمة العربية) ص ١٦ – ٢٥ وكتاب عبد العزيز سالم – التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٧ – ٢٥ . . . الخ .

(١) الدوري – نشأة علم التاريخ ص ١٩ .

القبائل في الأمسكار وتنازعها المفاحر والمناطق، ويضاف أخيراً التزاع الاجتماعي مع الموالى وظهور الأفكار والحركات الشعوبية وحاجة العرب إلى الدفاع عن مراكزهم وأولياتهم الاجتماعية ... وكان ذلك كلّه من أسباب قبول الأنساب « إسلامياً »، واعطائها مكانها بين المعارف الإسلامية المأمة المطلوبة. وبهذا الشكل أصبح حفظ الأنساب وما حولها، وتدوين كلّ أولئك ، فرعاً أساسياً من فروع التاريخ حتى لقد ظهرت توارييخ خاصة على أساسه (كأنساب الأشراف للبلاذري) . وكان من الطبيعي أن يكون النسابون الأول هم في الوقت نفسه من الاخباريين الأولين كمحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام ومصعب الزبيري والميم بن عدي .

٣ : شاركت بعض العلوم العربية في نشأة التاريخ ودراسته وكانت هذه المشاركة من السعة أحياناً بحيث لا يمكن فهم تلك النشأة إلا في إطار الفعاليات الثقافية الأخرى .

فدراسات الشعر العربي وجمعه وخاصة دراسة اللغة والأدب والنحو وأسرار البلاغة كلها أدت بشكل أو باخر إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث المتعلقة بذلك الشعر وبفردات اللغة والثر الفني الأدبي . وتكونت من حصيلة تلك الأخبار المادة التاريخية الأولى التي خدمت المؤرخين خدمة هامة . وفي هذه الناحية أيضاً كان طبيعياً أن تجد بين كتاب اللغويين والرواة من كانوا في الوقت نفسه من الاخباريين البارزين ويتلهم هؤلاء خاصة : أبو عبيدة (المتوفى سنة ٢١١/٨٢٦) تلميذ عمرو بن العلاء الذي شمل باطلاعه كافة المعارف العربية فكان كما أجمع الباحثون وأبو الفرج الأصفهاني وابن النديم « من أعلم الناس أيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » وقد ألف عدداً من كتب التاريخ التي تغلب عليها العناية اللغوية ، كما كتب في المثالب والمفاحر والأخبار .

٤ : تشجيع الخلفاء والحكام : فلقد كانت رغبة بعض الخلفاء الأمويين والولاة في المعرفة التاريخية - وإن كانت لها أسبابها بالنسبة إليهم - مشجعاً

لإدخال هذه المعرفة بين المعارف النبيلة المطلوبة في المجتمع الإسلامي . وإذا كان معاوية قد استدعي عبيد بن شرية من صنعاء لسؤاله عن ملوك العرب والعجم ^(١) ويأمر بتسجيل ما يقول ، ويجلس كل مساء لسماع أخبار التاريخ ، وكان مروان بن الحكم يدلي مجلس حكيم بن حزام ليسمع منه أخبار المغازي وعبد الملك يطلب أخبارها من التابعين وكان عروة بن الزبير راوية التاريخ على صلة بعد الملك وابنه الوليد وبعمر بن عبد العزيز ، فقد عرفنا أيضاً أن هشام بن عبد الملك وضع لابن شهاب الزهري كاتبين يكتبان عنه سنة فلما مات الزهري وجدت له أكواخ من الكتب في خزان الأميين . وذكر المسعودي أن هشاماً نفسه أمر سنة ١١٣ فكتب له كتاب يحمل هذا التاريخ في تاريخ ملوك فارس ، وقد ترجم إلى العربية مما وجد في خزان أولئك الملوك وهو بالأصياغ والذهب والفضة والصور والورق الرائع ... وقد رأه المسعودي سنة ٣٠٣ ورأى فيه من الأخبار ما لم يره في كتاب فارسي غيره ^(٢) وأورد صاحب الأغاني أن خالد بن عبد الله القسري طلب من الزهري أن يكتب له الأنساب فلما بدأ بنسخ عرب الشمال أمره أن يقطعه وبيداً بالسيرة ، عصبية يمانية منه ضد العدنانيين وضد آل علي خاصة ... ويروي ابن النديم أن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ورد الديوان إلى حماد (أبي القاسم بن سابور) ، وقد توفي سنة ١٦٥ هـ ، وإلى جناد (أبي محمد بن واصل الكوفي) ^(٣) .

ومن الكتب التاريخية الأولى التي ألفت بأمر الخلفاء العباسين أيضاً بعد ذلك : كتاب السيرة لابن اسحاق فإنه كتب بطلب من الخليفة المنصور لتنقيف ابنه المهدي ، ومن هنا – فيما يقولون – جاءت محاابة ابن اسحق للعباس .

(١) ابن النديم – الفهرست ص ٨٩٠ .

(٢) انظر المسعودي – النبأ والإشراف (طبعة الصاري – القاهرة ١٩٣٨) ص ٩٢ – ٩٣ .

(٣) انظر ابن النديم – الفهرست ص ٩١ – ٩٢ .

كما أمر الخليفة المهدى بجمع كتاب في الأغاني ... وألفت كتب عديدة بعد ذلك للرشيد والمؤمن .

٥ : الحركة الشعوبية : وهذه الحركة الديناميكية العنيفة التي أفرزتها عوامل عديدة ، في المجتمع الإسلامي ، بين القرنين الأول والثاني خاصة كانت رغم ظاهرها الفكرى العاطفى إنما تستوي جذورها من عوامل مادية اقتصادية ، وهذا هو في الواقع السر في فاعليتها الشديدة . فإن تمييز العرب عرقياً وسياسياً وعسكرياً كان ينبعهم امتيازات ومصالح ومنافع مادية واقتصادية واسعة . وهذا ما دفع أبناء الشعوب الأخرى ، أكثر مما دفعتهم العوامل الرومانسية والعاطفية بل والدينية إلى محاولة تحطيم ذلك التمييز للمشاركة في المكاسب المادية وفي العطاء وغنائم الحكم واستغلال الطبقات الدنيا في المجتمع . كانت الشعوبية إذن صدى فكريأً قومياً لزاحمة اقتصادية عنيفة . وقد كان من هم الشعوبين المقيم تشويه الهالة التي وضعها الدين الإسلامي والحكم الإسلامي من حول العرب : بتشويه تاريخهم والدس عليه والأخذ بأخبار المثالب وابراز الناقصين وتقصيبها . وقد أدى هذا إلى تسجيل الكثير منها كما يتجلى ذلك في أعمال المheim ابن عدي وأبي عبيدة خاصة وعلان الشعوبى وحماد الرواية ، كما أدى ذلك في الوقت نفسه إلى ظهور ردود الفعل لدى العرب لدراسة وتسجيل تاريخهم الخاص وأدبهم ^(١) كما فعل الباحث والمسمودي ، وكسب التاريخ في الحالين ثروة تاريخية هامة بالإضافة إلى ما كسب من رواج علمي .

وقد أضافت الشعوبية إلى ذلك أنها أثرت إلى السوق الفكرية وإلى ثقافة الناس للمضاهاة والمقارنة ، بعض التراث الفارسي الذي يبرز قيمة الفرس ، وبخاصة : كتاب (خدابيانمه) الذي وجد له حمزة الأصبهاني ثمانى ترجمات ، ورجح البيروني إلى ست منها ، بينما جمع بيرام بن مروان شاه المويبداني نيفاً

(١) من أمثلة ذلك كتاب البيان والتبيان للحافظ وبعض ما كتب المسمودي عن مقاتل فرسان المجم رداً كما قال على كتاب أبي عبيدة مقاتل فرسان العرب (انظر التبيه والإشراف من ٩٠ ص).

وعشرين نسخة ... (وشهد عيسى الكسروي أنه ليس منها نسختان متطابقتان)^(١) واحدى الترجمات كانت لعبد الله بن المفعع بعنوان سير الملوك . وكان السر في هذه الكثرة من الترجم وفى هذا الاختلاف بالنسخ والتزييد فيها هو دون شك رغبة المولى الفرس . من أسلم منهم ومن يقى على زارادشتية الأولى . في اثبات التاريخ الفارسي وعظمته تجاه الملك العربي القائم : لأن خدابنامه تحكى قصة التاريخ القومي لهم . كما يراه الأشراف ورجال الدين وتحتل فيها الأسطورة مع الحقائق والحدثين الدينى مع الأنساب الخالية أحياناً كثيرة .

وقد ترجمت مع خدابنامه كتب أخرى تاريخية وشبه تاريخية مثل آرين نامه أبي كتاب المراسيم والتقاليد . والكاف نامه أبي طبقات العظاماء^(٢) . وقد كانت خدابنامه مع هذه الكتب مورداً للمؤرخين أعادهم على تكوين فكرة واسعة وإن تكون مشوشة عن التاريخ العالمي ، وقد استفاد منها كافة ذلك الخط الطويل من المؤرخين الذي كانوا الرواد الأوائل لعلم التاريخ من ابن قتيبة الدينوري واليعقوبي إلى الطبرى وحتى المسعودى .

٦ : ظهور الورق : ولا بد أن نضيف إلى العوامل المساعدة أخيراً مادة علمية أغاثت بشكل واضح حاسم على نقل التدوين الفكرى (والتاريخي في جملته) من الذاكرة إلى الشكل المكتوب . وهذه المادة هي الورق الذي عرف صناعته في العالم الإسلامي منذ أوائل القرن الثاني للهجرة . وما من شك في أن الحركة الثقافية الإسلامية قد وقعت بعمرقة الورق وصنعه على أداة ثورية في تثبيت الفكر وفي نشره وفي توسيع مادته .

(١) انظر في هذا كله : حمزة الاصبهاني تاريخ سبي ملوك الأرض ص ١٤ و ٢٦ والبiero في الآثار الباقية ص ٩٩ .

(٢) وهناك كذلك مزدئك نامه ، بهرام جوبين نامه ، (انظر في ذلك ايران في عهد الساسانيين الترجمة العربية ص ٥٥ - ٥٧ . وكلمة نامه تكتب حسب النطق الفارسي نامع أو نامك ، وانظر كذلك ابن النديم - الالفهارت ص ٣٠٥ - ٣١٦) .

وقد كانت المادة التي يكتب عليها الناس متنوعة من قبل ... يقول ابن النديم « ... كتب أهل مصر في القرطاس المصري ويعمل من قصب البردي ... والروم تكتب في الحرير الأبيض ^(١) والرق وغيره وفي الطومار المصري وفي الفلجان وهي جلود الحمير الوحشية . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم ، والعرب تكتب في أكتاف الابل واللخاف (وهي الحجارة الرقاق البيض) وفي العسب عشب التخل ، والصين في الورق الصيني ويعمل من الحشيش ... فاما الورق المحراساني فيعمل من الكتان ويقال انه حديث في أيام بني أمية . وقيل في الدولة العباسية ... وقيل ان صناعاً من الصين عملوه بخرسان على مثال الورق الصيني ... » ^(٢)

وقد تحتاج كلمة ابن النديم هذه إلى بعض الإيضاح والإضافة ، فيبدو أن عرب الحادئة قد عرّفوا القرطاس والكتابة على القرطاس وأخذوه باسمه نفسه من اللاتينية . يقول طرفة بن العبد في معلقته :

وخد كفرطاس الشامي ومشرف كسيف اليماني قده لم يجرد

وقد نستطيع أن نستنتج من هذا البيت أن القرطاس كان يعمل في الشام قبل الإسلام ولكنه ليس بالورق وإنما هو ضرب من السجق الرقيق المصوغ ، المصفول ، الأبيض وقد كان من الحرير .

واستمر صنع هذه القرطاسي في العهد الأموي ويبدو أن رجلاً اسمه يوسف بن عمرو قد استبدل بالحرير نسيج القطن لأنه أرخص وذلك سنة ٧٠٦ م (في مطالع عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ).

ولعل حاجة الدوّاين التي عربت في تلك الفترة هي التي دفعت إلى هذا

(١) ويدعى المهرق وهو ثوب حرير أبيض يبقى بالطبع ويصلق . وثمة منه نوع خاص من القماش كان يصنع في أبو صير وسموند بمصر . وتحفظ دار الكتب المصرية حسباً كبيرة كتبت عليه .

(٢) ابن النديم - الفهرست صفة ٢١ .

الابتكار الذي صار القرطاس الدمشقي من بعده قطنياً^(١) ... لكن هذه الطريقة الجديدة ظلت – فيما يبدو – غالياً التكاليف أو على الأقل أغلى من البردي . ولهذا فقد فضل الخلفاء الأمويون استعمال ورق البردي ، وكانت مصانعه في الوجه البحري من مصر . وبلغ من حاجتهم إليه أن منعوا تصديره إلى الروم ، منذ عهد الملك بن مروان وتدوين الدواوين بالعربية . وأمر عمر بن عبد العزيز بالاقتصاد في استعماله . وكان القرطاس يصنع على شكل أدراج (جمع درج أي الورقة الملفوفة) قد يبلغ طول بعضها ١٥ متراً . وكان غالى الشمن لاسيما إن كان ناعماً الصنع وقد بلغ ثمن الدرج في عهد الرشيد سنة ١٨٤ ديناراً ونصف الدينار . وقد شكا أبو نواس في ذلك المهد قلة الورق قال :

أريد قطعةٍ قرطاسٍ فتعجزْنِي وجلٌّ صحيٌّ أصحاب القراطيس

والقراطيس المصرية ، من البردي ، أعطت اسمها للدرب من دروب بغداد سمي درب القراطيس ، ولعدد من البايعة عرف بعضهم بالقراطيسى . لكن هذه القراطيس تركت مكانها للورق الصيني حين بدأ الانتشار من الشرق أو أخر القرن الثاني وظهرت إثر ذلك الورقة والوراقون فلم يتضمن قرن على الأمر حتى صار يوجد في بغداد أكثر من مائة ورافق . ويكتري بعض الدارسين دكاركينهم في الليل كما فعل الحافظ للمطالعة .

ويبدو أن انتشار الورق كان تدريجياً لأننا نجد أن عراقياً جماعاً للكتب في القرن الرابع كان لديه حسب رواية ياقوت في خزانة كتبه خطوطات « فيها الجلود والصكاك وقرطاس مصر والورق الصيني والورق النبى وجلود آدم

(١) ذكر محمد كرد على (خطط الشام) ٤ من ٢٢٢ - ٦ . دار العلم . بيروت ١٩٧٠) أن هذه القراطيس هي الورق . وأن يوسف بن عمرو استبدل بالحرير ورق القطن الذي منه الورق المنشى . وفي هذه النقلة من كلمة قرطاس إلى الورق . وفهم القرطاس على أنه الورق شيء من المجازة .

ورق خراساني .^(١) ... كما نجد أن الناس أقاموا ببغداد سنين لا يكتبون إلا في الطروس (في مطلع القرن الثالث) لأن الدواوين نهيت في أيام محمد بن زبيدة (الأمين) وكانت في جلود فكانت تمحى ويكتب فيها «^(٢) ... وقد ذكر الخطيب البغدادي عن أبي جعفر القرطبي قوله : « لما مات ابن الأعرابي (أبو عبد الله محمد بن زياد) سنة ٢٣١ دفنا نشري كتبه رقاقة وأوراقاً ورقاعاً^(٣) ... وابن الأعرابي فيما هو معروف من كبار الرواة في تلك الفترة .

ولا شك أن رخص الورق عن البردي والجلود والحرير جعله أوسع انتشاراً وأسهل استعمالاً عملياً . وبيدو أن بعض الأسرى من الصين أدخلوا صناعة الورق إلى البلاد الإسلامية وإلى سرقسطة خاصة سنة ١٤٣/٧٥١ أو قبل ذلك . وصنعوه من القنب والكتان وألياف الحشيش . ولعل اسمه القديم (الكافد) صيني الأصل جاء العربية عن طريق الفارسية . ومن سرقة قد انتقلت هذه الصناعة إلى العراق بعد أن اشتهرت بها خراسان كلها . وكان أول من أدخل صناعة الورق إلى بغداد الفضل بن يحيى البرمكي عامل خراسان سنة ١٧٨/٧٩٤ ثم استعمل آخره جعفر الورق بدل الرقوق في الدواوين . وكان مصنعه بدار المخر في بغداد . ثم عرفت مدن أخرى سر الصناعة فأنشأت لها المصانع : نشأ مصنع في تهامة يصنع الورق من ألياف الحشيش ، وآخر في دمشق وثالث في طبرية ورابع في طرابلس ، وفي حماة ومنبع . وبالرغم من أن سرقة قد حافظت على شهرتها في جودة الصناعة إلا أن ورقاً جديداً من الخرق ظهر منذ أواخر القرن الثاني المجري وذاع استعماله وفاق غيره من أنواع الورق . كما تعددت تلك الأنواع^(٤) حسب مناطق صنعها ، غير أن ورق طرابلس وببلاد الشام كان

(١) ياقوت - معجم الأدباء . ج ٢ صفحة ٤٠ .

(٢) ابن النديم - المصدر السابق .

(٣) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد . ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٤) كان من أنواع الورق في المهد العباسي : السليماني (نسبة إلى سليمان بن راشد عامل الخراج في -

مشهوراً بالجودة في القرن الخامس / ١١ م . وقد كانت هذه الصناعة قد وصلت اليمن كما قد غزت مصر أيضاً منذ أواخر القرن الثالث الهجري وقامت مصانعها في الدلتا ونافست البردي وصناعته منافسة انتهت بموته . ولم يأت آخر القرن الرابع حتى حل الورق محل البردي والرقوف في كافة أنحاء البلاد الإسلامية وفي الأندلس وانتقل أيضاً إلى أوروبا ...

وإذا كانت قصة الورق هذه وانتشاره التدريجي قد أعانت على إلغاء دور الرواية في علم التاريخ وفي غيره فإنها أورثت الشك في بعض ما دون . لأن بقاء الرواية الشفهية أساساً في نقل العلم حتى مطالع القرن الثالث جعل بعض الباحثين يشك في أن يكون القسم الأولي من المائتين والثلاثين كتاباً وبعدها التي ألفها المدائني (ومثله ابن الكلبي أيضاً) قد كتب في حياته فعلاً^(١) وعلى أي حال فان ظهور الورق وانتشاره قد واكب تزايد المادة التاريخية الإسلامية والرغبة في تدوينها ، كما نما وانتشر معها . وكان بهذا عملاً ثورياً في التدوين التاريخي وفي توسيعه .

- خراسان للرشيد) والجعفري (نسبة بلطفة البرمكي) والطاهري (نسبة إلى طاهر بن الحسين) والطلسمي (نسبة لطلحة بن طاهر) والفرعونى (نسبة إلى فرعون مصر) .

(١) انظر جب ، الموسوعة الإسلامية - مادة تاريخ (في الترجمة العربية ج ٤ صفحة ٤٩٠) .

الفصل الثاني

البواكير الأولى للتدوين التاريخي

أ - بدء التدوين التاريخي الأول (مشكلة التدوين والرواية الشفهية)

تلك العوامل وال الحاجات التي أوجدت علم التاريخ في الإسلام لم تأت كلها مجتمعة في وقت واحد ولكن سبق بعضها بعضاً وتعاون بعضها مع بعض على مدى يزيد على قرنين ما بين أواسط القرن الأول الهجري حتى أواسط القرن الثالث. كما أنها لم تكن متساوية في التأثير فبعضها لعب دوره في ناحية من نواحي التاريخ وبعضها لعب الدور في نواحٍ أخرى . وبعضها كان واضح الآثر في عصر بذاته أو تحت ضغط حادث معين أو بنتيجة عمل أحد الرواة أو الرجال أو مجموعة منهم ، وبعض كان دائم التأثير متكرر الحاجة خلال القرون الأولى للهجرة كلها وفيما بعدها من القرون أيضاً ... ولم تكن تلك المؤثرات والعوامل من نوع واحد فإليها كانت تصدر عن جذور سياسية ودينية، صدورها عن أسباب اقتصادية وقومية واجتماعية ، وبعض هذه العوامل كان يتشكل فرعاً من التاريخ من مانع جديدة وبعضها كان يزيد في خصبه أو يضيق

إليه روافد أخرى مستحدثة أو من ألوان شئ . وعلى هذا فان ظهور التاريخ نشاً عن ميول موجودة في المجتمع الإسلامي أضيفت إليها مع تطور الزمن دوافع جديدة بعد دوافع . وقد أخذ شكله وتطوره نتيجة عدد كبير متغير من العوامل والمؤثرات . المقاوطة في طول الأعمار والتأثير ، المختلفة في الأنواع أيضاً اختلافاً واسعاً . وقد نجم عن ذلك كله أن الحصاد التاريخي لفترة نشوء التاريخ قد تميز بعدد من الملامح . ولعلنا قبل أن نعرض لها مضطرون لأن نقف عند نقطة إشكالية أحاطت ببداية التدوين التاريخي (والملمي عاممة) عند العرب بالكثير من الفموض وأوجدت الوهم العلمي الشائع بأن التاريخ والحديث والعلوم الأخرى إنما كانت تروى في البدء الرواية الشفهية وأنها لم تكتب وتدون حتى أواسط القرن الثاني الهجري . والسبب في هذا الوهم المغلوط هو الخلط ما بين ثلاث عمليات متالية كانت تمر بها المعلومات والمعارف التي يتناولها الناس وتشكل بالتدريج تراجمهم الثقافي ، والتحليل هو الذي يكشف عنها :

العملية الأولى – عملية استماع الشهادة من الشهود المباشرين للحدث التاريخي . وهي عملية شفهية خالصة كانت تم بشكل مباشر بين « الشاهد » الذي هو المصدر الأولي والأساسي للمعلومات ، وبين جامع تلك المعلومات من الأفواه . ومعظم معلومات التاريخ الإسلامي الأولية ، إنما جاءت عن هذا الطريق الشفوي .

العملية الثانية – عملية حفظ المعلومات . ولم تكن تم عن طريق الذاكرة ولا بها أبداً ولكن تم في الكثرة الساحقة من الأحوال بالتسجيل والتدوين الكتابي الشخصي . وهذه العملية كانت تجري باستمرار منذ عهد الرسالة نفسه إذ يدون المستمع ما يهمه من المعلومات لنفسه . ومهمة التدوين هنا هي معاونة الذاكرة على دقة النقل وصحته . وحفظ السمعة بذلك خوف التضييف أو التحرير أو خيانة الذاكرة .

العملية الأخيرة - عملية نقل المعلومات إلى الآخرين . وهي بدورها عملية شفهية . إن رغبة العلماء في التوثيق ومنع الدس والتحريف كانت تدفعهم إلى أن لا يعتبروا « المعلومات » جديرة بالثقة ما لم تأت بالنقل المباشر والسماع الشخصي عن أصحابها العارفين بها والحافظين لها . وهذا ما كان يؤخر الصحف المكتوبة إلى مستوى الاهتمام الثانوي ويدفع من جديد بالرواية الشفهية إلى مستوى الاهتمام الأول .

ومن المؤسف أن الباحثين ، حتى المحدثين منهم قد فاتهم ، في الواقع ، وجوب هذه العملية الوسطى المأمة بين العمليات الثلاث مع أنها العملية التي يرتبط بها لحد كبير صدق التدوين التاريخي وصحة نصوصه وعدم التحوير فيه . وقد تجاوزوها في قفزة وهم بين العاملتين الأولى والأخيرة الشفهيتين مهملين بذلك العملية المركزية التدوينية التي تسجل عملياً ظهور العلم المكتوب في الإسلام وتؤكد حقيقة التدوين المبكر جداً منذ الأيام الأولى منه .

ومع أن البحث في مطالع التدوين للتاريخ والحديث والعلوم قد بدأ منذ أكثر من قرن فإن أحداً لم يتتبه إلى وجود هذه المرحلة الوسطى وإلى الفصل بوضوح بينها وبين المرحلتين السابقة واللاحقة لها ، كما أن الكثيرين لم يرجعوا إلى المادة المدونة نفسها وإلى الوثائق التاريخية لكشف الحقيقة في هذا الوهم الكبير ، ولبيان أن العلماء الأوائل المؤسسين كانوا جميعهم تقريباً يسجلون معلوماتهم وما يجمعونه من الروايات الأصلية الأولى للأحداث من شهودها . ويسجلون ذلك لأنفسهم ويرجعون إلى استذكاره كلما احتاجوه . فإذا نقلوا تلك المعلومات إلى التلاميذ والسائلين نقلوها دوماً بالرواية الشفهية التي لا تعتمد في الأصل على الذاكرة ولكن على الصحف المحفوظة . وكان التلاميذ بدورهم يدونون ما يسمعون ولكنهم يعودون عند النقل إلى روایة المعلومات والأخبار الرواية الشفهية ، بالاستناد إلى التسجيلات الشخصية التي سجلوها بأنفسهم لأنفسهم والتي كثيراً ما تحمل في المصادر اسم « الأصول » . فإذا أمل أحد العلماء من الذاكرة موضوعاً واسعاً أو جعل مجلسه إملاءاً من غير كتاب مضوا

على ذلك معجبين . كالذى ذكروه عن الشعبي حين أملأ أمام قتيبة بن مسلم كتاباً عن الفتوح دون « مسودات » أو دون الرجوع إلى أوراقه ^(١) . وكالذى ذكره ثعلب عن ابن الأعرابى (أبي عبد الله محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ عن نيف وواحد وثمانين عاماً) قال : « شهدت مجلس ابن الأعرابى وكان يحضره زهاء مائة انسان . وكان يُسأَل ويُقرأً عليه فيجيب من غير كتاب . قال ولزمه بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط » ^(٢) ... مع أن الحافظ البغدادي يذكر أنه كانت لدى ابن الأعرابى كتب في رفاق وأوراق ورقاع ^(٣) .

وهكذا فإن الذاكرة لم يكن لها في حفظ العام إلا أضال الآخر ولا كان لها في نقله إلا الدور القصير المحدود . وقد لا يكون كشف هذه الحقيقة هاماً بقدر أهمية الحقيقة الأخرى التي تترتب عليها وهي أن تلك العملية المنية المهملة بين حدي الروايتين الشفهتين إنما تسجل وتؤكّد بهذه التدوين التاريني (والعلمي بصورة عامة) منذ زمن مبكر جداً في الإسلام .

وإذا عملت أبحاث غروهمان في أوراق البردي الإسلامية على إثبات وجود الوثائق من العهد الأموي في خلفيات وفي جذور ونصوص الروايات - أي المدونات - التارينية الأولى وهي نصوص لا يمكن ضبطها الدقيق إلا بالتدوين فقد عملت أبحاث شبرنجر ودراساته « للأسناد » التي أوردتتها المؤلفات التارينية المتأخرة كمصادر لعلماتها على ابصاع الحقيقة في هذه الناحية أيضاً إذ أثبتت وجود صحف ونصوص مكتوبة بين أيدي الرواة الأول . وتفاوتت مع هذه النتائج بعد ذلك الأبحاث التي قدمها هوروفيتش حول أقدم كتب السيرة ومؤلفيها والتي بيت أن الكتب التي وصلتنا إنما نسخ في حنابها كثيراً أخرى سبقتها بعد كتب ... وقد قام هوروفيتش بإعادة تكوين تلك الكتب الأقدم

(١) انظر الذهبى - تذكرة المفاظ ص ٨٦ .

(٢) ابن النديم - المهرست ص ٦٩ .

(٣) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٨٣ .

معتمداً على بقابها المحفوظة في المصادر المتأخرة والتي كانت تمحى خطأً من الروايات الشفهية . ثم جاءت أخيراً أبحاث فؤاد سرزيكين في كتابه : تاريخ التراث العربي^(١) فوضعت ما نستطيع أن تعتبره النقطة الأخيرة في الموضوع ودفعت إلى فترة أبعد وأقدم بكثير مما كنا نظن ، بداية التدوين التاريخي (والعلمي عامه) عند العرب .

والشاهد والقرآن على هذه الحقيقة كثيرة . فإذا تركنا جانباً ما يؤكد تاريخ الشعر . والحديث والفقه من وجود نصوص أولية مكتوبة لها فإن ما يتصل بالتاريخ وحده قد يكفي لربط تدوينه الأول أو على الأقل تدوين نصوصه الأولى بعهد الرسالة نفسه .

فتشاء إشارات إلى أن بعض الصحابة كانوا يرونون رسائل الرسول ، كرواية عمرو بن حمزة بن زيد لرسالة النبي في الفرائض والزكاة والديات^(٢) . أو يرونون أوامر الخلفاء إلى الولاية ككتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حول الصلاة الذي رواه الحارث بن عمرو المذني^(٣) . أو كانت لهم صحف تروي عنهم : كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص المعروفة بالصادقة وصحيفة سمرة بن جندب الصحابي وصحيفة أبي سلمة نبيط بن شريط الأشجعي ، وكصحيفة عبد الله بن جابر التي رُميَ التابعي مجاهد (المتوفى سنة ١٠٤ / ٧٢٢) بأنه كان يحدث نقلاً عنها^(٤) ...

وكان بعض أبناء الصحابة يقول في روایته للأخبار « وجدت في كتاب

(١) انظر سرزيكين - تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية - القاهرة ١٩٧١) ج ١ ص ٢٢٥ فما بعده فيما يتعلق بتدوين الحديث . وانظر النص الألماني (ج ١ ص ٢٥٧ فما بعد) فيه يتعلق بتدوين التاريخ .

(٢) انظر ابن حجر - الاصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٢٦٤ .

(٣) انظر ابن سعد - الطبقات (طبعة سخار) ج ٥ ص ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه ج ٥ ص ٤٤ وهذه النصحت مشهورة معروفة للمحدثين .

أبي فلان « أو كتاب أبيني »^(١) ... كما كان لدى بعض أحفاد الصحابة نسخ مما ألف أجدادهم أبناء الصحابة عن حياة الرسول : فلدى حميد سعيد بن سعد بن عبادة نسخة جده في المغازي ومثل ذلك لدى حميد سهل بن أبي خثعنة الصحابي الذي كان كتابه ينطوي أحد مصادر الواقدي فيما بعد .

وحيث ظهر الإسناد في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري فإنما كان سببه ضرورة « الشهادة » على الرواية نفلاً عن مصدرها الأول . وهكذا فإن الأسماء الواردة في الإسناد لدى الطبرى أو الواقدي أو البلاذرى مثلاً إنما تكشف في الواقع عن أسماء المدونين الأولين والمدونين التالين لهم . وعلينا أن ننظر إلى النصوص التي وردتانا في المؤلفات المسندة خاصة على أنها مجموعة من مصادر مدونة تعود بدورها إلى مصادر أقدم منها . وبهذا الشكل فإن دراستها الدقيقة قد تسمح برسم « شجرات » التدوين والتأليف كما تسمح التفرعات المتكررة بعد أسماء معينة بتحديد أسماء المؤلفين الأساسيين وتسمح لقامات هذه الفروع عند عقد محمددة بيان نقل المؤلفين بعضهم عن بعض .

وإذا كانت بعض أخبار التدوين في العصر الراشد مجالاً للشك والتأويل فإن ثمة خبراً مؤكداً فيها على الأقل هو تسجيل أنساب العرب . فقد شكل عمر بن الخطاب لجنة ثلاثة من أبي عدي جبیر بن مطعم ، أحد مشاهير علماء النسب ، وعمرمة بن نوفل ، وعقيل بن أبي طالب كلها وضع ثبت بأنساب العرب يقوم على أساسه الديوان . وهذا دون شك أول تدوين تاريخي للأنساب في العرب وفي الإسلام « دون للناس في الإسلام الدواوين ... وكتب الناس على قبائهم »^(٢) . وليس من شك في أنه كان المثال والأساس الذي دونت على أساسه الأنساب وأخبارها من بعد باعتباره السجل الرسمي المكتوب . وهذا

(١) المصدر نفسه ج ١ - ص ٣٩ و ٦٦ وانظر كذلك ابن حمير - الاصابة ج ١ ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١٠ (طبعة أبي الفضل ابراهيم) ٢٧٥٠/١ .

يعني أن علم النسب وما يتصل به من أخبار العرب لم يكن متروكاً لذاكرة الساين وروايتهما الشفهية مع وجود هذا النص - الأم الذي تبعه الدولة رسمياً.

وتحت زاوية أخرى تكشف التدوين المبكر وال دائم للأخبار والحديث هي ما نجده في ثنايا الكتب عن طريقة التعليم وعن تلك التسجيلات الشخصية التي تحمل اسم «الأصول» أو «الكتب» أو الصحف . قال سعيد بن جبير «... ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها . وكتبت في نعلي حتى أملأها وكتبت في كفي »^(١) ... وروى أحد التابعين عن دراسة بعض أصحابه قال «رأيتم يكتبون على أكفهم بالقusp عند البراء (بن عازب) الصحابي »^(٢) . وروت الصحافية سلمى أن عبد الله بن العباس قد كتب عن زوجها أبي رافع الصحابي بعض أعمال الرسول على ألواح^(٣) وكان من يكتب أدعى للثقة من لا يكتب . وقد سأله أحد التابعين تابعاً آخر : لماذا لم يرو عن الصحابي جابر بن عبد الله على نحو ما روى عن سليمان البشكري ؟ فأجاب : لأن سليمان يكتب^(٤) ... وروى ابن أبي ليل (المتوفى سنة ٨٢ / ٧٠١) أنه سأله المحسن بن علي بن أبي طالب عن رأي والده في الخيار أي أولى الفضل فأمر بإحضار صندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضم آراء الإمام علي في ذلك^(٥) ... والأرباء في هذا الباب متواترة كثيرة .

فإذا انتقلنا إلى زاوية أخرى ودققنا في أخبار التأليف والكتب في العصر الأموي وجدنا إلى هذا أنا نملك العديد من الإشارات إلى جملة واسعة من المؤلفات المكتوبة منذ مطلع العهد الأموي . إن وجود تلك المؤلفات المبكرة

(١) ابن سد - الطبقات ج ٦ ص ١٧٩ .

(٢) ابن حنبل - العلل ج ١ ص ٤٢ .

(٣) ابن سد - الطبقات ج ٢/٢ ص ١٢٢ .

(٤) ابن حنبل - العلل ج ١ ص ٣١٦ .

(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠٤ .

سواء في النسب أو الأخبار أو غيرها يكفي دليلاً على التدوين المبكر كما يكفي لإبعاد فكرة العلم الشفهي الخالص عن القرن الأول.

فلدينا من هذا القرن أولاً كتابان يتناولان تاريخ اليمن وحمير . أحدهما نعبيد بن شريعة الجرهمي (أخبار اليمن وأشعارها) والآخر لوهب بن منه (كتاب الملك والتجان)؛ وبالرغم من طابعهما الأسطوري والقصصي الذي يمكن أن يلهمهما بفتره « ما قبل التاريخ » الإسلامي فإننا نجد فيما جهداً تدوينياً للأساطير وقصص موجودة، كما نجد وهب بن منه يذكر أن الإمام علياً بن أبي طالب قد حثه على تعلم تاريخ حمير . ويذكر أنه ضم في كتابه مؤلفات سابقه^(١) . وقد جمع يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري الشاعر (المتوفى سنة ٦٨٨) (سيرة تُبَعَّد وأشعارها)^(٢) .

وتکثر إلى هذا أخبار « كتب » النسب . ونجد من ذلك الكثير الذي يدل على انتشار كتابتها وتسجيلها بين الناس . فشمة ذكر لكتاب عبد الله بن عمرو البشكري (المتوفى حوالي سنة ٨٠ / ٦٩٩) في الأنساب . ومن المرجح أن ابن حجر قد استخدمه^(٣) . وقد أشار ابن سعد في الطبقات أكثر من مرة إلى مراجعته كتاب (نسب الأنصار) لفحص المعلومات الخاصة بالأنصار^(٤) كما راجع كتاب نسب النبيط^(٥) وقد ذكر المحافظ كتاباً في الأنساب كان متداولاً في عهده من وضع عبور بن غيلان الضبي البصري المتوفى حوالي سنة ٨٥٤/٧٠٤^(٦) كما ذكر ابن النديم كتاباً لخراش بن اسماعيل الشيباني ، أمجاد محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة ١٤٦) عنوانه (كتاب أخبار ربيعة

(١) انظر كتاب التجان لوهب بن منه ص ٨٢ وص ١٧٥ وص ١٤ .

(٢) الأسماني - الأغاني (طبعة دار الكتب) ج ١٨ ص ٢٥٥ .

(٣) انظر ابن حمير - الاصابة ج ١ ص ٣٢ .

(٤) انظر ابن سعد - الطبقات (سخار) ج ٢/٢ ص ١٥١ وص ٤٥ وج ١/٥ ص ٥٣ .

(٥) المرجع السابق ج ٤ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٦) المحافظ - اختيار ج ٢ ص ٢١٠ .

وأنسابها^(١). وكان (كتاب قريش) و (كتاب ثقيف) من الكتب المتدولة في العصر الأموي^(٢) « ولعل الكتب التي يبلغ عددها حوالي ستين والتي كانت تسمى بكتب القبائل والتي ذكرها الأدمي في المؤتلف ترجع في قسم منها إلى العصر الأموي^(٣) .

ويمكن أن نضيف إلى هذه الإشارات، إشارات أخرى إلى كتب من نوع آخر: فقد نقل أبوالفرج الأصبهاني في الأغاني مقتبسات هامة عن كتاب حول الشعراء الأمويين للcusac المحدث أبي عمر ذر بن عبد الله المرهبي الكوفي (المتوفى في أوائل القرن الثاني المجري) وكانت النسخة بخط المؤلف نفسه^(٤) ، وقد ألف يونس بن سليمان الكاتب الذي عاش في العصر الأموي وتوفي سنة ١٤٨ كتاب التغيم وقد بقيت لنا منه قطع في كتاب الأغاني . كما بقيت لنا في هذا الكتاب نفسه قطع آخر من كتاب مقاتل بن الأحوص بن سنان بن مرثدة الذي عاش في العصر الأموي وكتب هذا الكتاب حول النابعة الجعدي^(٥) ولو دققنا في أسانيد ابن اسحق لوجدنا أنه يستخدم في رواية بعض الأحداث كنزوة الخندق مثلاً ككتاب لعدة مؤلفين لا يقل عددهم عن سبعة وصفهم بأنهم « علماؤنا » وبعضهم من المؤلفين المعروفين ولكن نصفهم غير معروف في التأليف^(٦) ... وقد كانت كتب المجازي منتشرة في أواسط العصر الأموي. ويروي البلاذري أن عبد الملك بن مروان أمر بحرق كتاب في المجازي وجده بيد بعض أبنائه لأنه يشغله عن القرآن والسنّة وقد توفي يزيد بن أبي حبيب

(١) ابن النديم - الفهرست من ١٠٨ (طبعة فلوجيل) .

(٢) الأغاني - (ط دار الكتب) ج ٦ ص ٩٤ .

(٣) سرکین - تاريخ التراث العربي (النص الألماني) ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٥٧ .

(٤) الأصبهاني - الأغاني (ط. دار الكتب) ج ١٤ ص ٢٧١ - ٢٨٠ .

(٥) المربي السابق ج ٥ ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) سرکین - تاريخ التراث (النسخة الألمانية) ج ١ ص ٢٤٩ .

في العهد الأموي (سنة ١٢٨ / ٧٤٥) تاركاً عدة كتب في أخبار مصر وفتحها . كما كتب الشعبي كتاب الشورى ومقتل عثمان .. وهو بدوره أموي العصر .

وقد يطول الأحصاء والاستقصاء لو تابعناهما ولكنها جميعاً قرآن ودلائل على أن بداية التدوين والكتابة التاريخية إنما بدأت أشد بكورةً بحوالى القرن على الأقل مما كان يظن الباحثون وأن قضية « العلم » العربي الذي ظل محفوظاً في الصدور والذاكرة حتى أواسط القرن الثاني إنما هي عرض خرافه .

ب - ميزات التدوين التاريخي الأول

نتيجة كل تلك الأسباب والعوامل السابقة تميز الحصاد التاريخي في فترة نشوئه بعدد من الملامح أهمها :

١ - أن البحاث التاريخية (من الكتب والرسائل) التي صدرت في فترة القرون الثلاثة الأولى كانت وفيرة جداً تزيد على ٦٠٠ بحث ورسالة، وحوالى الثلثين منها كتبه أربعة أو خمسة رجال (كالمدائني وأبي مخنف وأبي عبيدة وأبن الكلبي) وهي مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم على قاعدة واسعة من المعلومات الأولى .

٢ - ولكن هذه المعلومات كانت على مستويات مختلفة من الدقة والصحة والسرعة والشمول ، حسب المؤرخين والرواة ، كما أن الكثير منها قد لعبت به الأهواء الاجتماعية والسياسية والمنذهبية الدينية والقبلية لما يحمل من وجهات نظر أصحابه ، فهي أيضاً على مستويات مختلفة من التأثر بالموقع السياسي والدينية والقبلية والشعبية .

٣ - ولم تشرك كافة الأمصار في الإسلام ولا كافة القبائل العربية ولا

كافحة العناصر التي تتكون منها الدولة في كتابة التاريخ، وإن وجدت روایات تاريخية أو كتبت أحياناً مؤلفات تحمل وجهات نظر الفرق السياسية والمذهبية الدينية المختلفة . ومن الملاحظ أن المدينة ، والبصرة ، والكرفة كانت وحدها أمصار تدون التاريخ، وقد تلتها في هذا الباب دمشق وكثُرَ شيئاً من التاريخ في مصر . فلما ظهرت بغداد استقطبت الفكر الثقافي كلها . وكان بين ما استقطبه عملية التدوين التاريخي . فاختفت المدينة ودمشق وخفت لحد ما الفعاليات العلمية في البصرة والكرفة لحساب بغداد . وكان من نتيجة تركز كتابة التاريخ في بعض الأمصار أو عن بعض القبائل أن ظهرت ميل ملوك محلية أو قبلية في التدوين التاريخي ، وتأثرت الكتابات بالرأي العام السائد في مصر نفسه . فنرى مؤرخين المدينة يميلون إلى السيرة وعلم الحديث وأهل مصر إلى النسب والأيام ، وفي الشام يسجلون الرأي الأموي . وأما الاخباريون اليمنيون فيهتمون بذكر اليمن ، وكان للمدائني ولع خاص بتاريخ البصرة وخراسان وقد اعتمد عليه في ذلك الطبرى . أما أبو عنف فكان يسجل روایات القبائل الأزدية في العراق ، وكان لوعاء بن الحكم رواية كلب في الشام ولسيف بن عمر رواية قبائل تميم كما روت قبائل باهلة حروب قتيبة بن مسلم في ما وراء النهر ... مما نجح عنه ظهور مدارس وكتب تاريخية تحمل هذه الاتجاهات .

ومن الملاحظات المهمة في هذا الصدد أن البصرة وروابطها الدينية تأثرت بمذهب المدائني ومنذهب أهل المدينة ، تأثروا كذلك بأراء الصناعيين ومدرسة اليمن الذين عرفوا برواياتهم للأساطير والأساطيليات . ولا شك أن السبب في ذلك هو العلاقات التجارية البحرية خاصة والبرية بين البصرة واليمن . ولعله لهذا السبب نجد روایات البصرة في الجملة أخف حدة من روایات الكرفة وأقرب منها إلى مذاهب المحدثين وأقل تعصباً علىبني أمية .

ومن جهة أخرى فإن الذين شاركوا في هذا النشاط الثقافي كانوا إما من العرب (في الشام والعراق والمحاجز واليمن) أو من الموالي الفرس (في العراق

وأيران) ولم يسجل في تلك الفترة الأولى من نشاط في مصر، كما لم يكتب البربر شيئاً ولا كتب أهل النوبة ضمن الأراضي الإسلامية شيئاً من التاريخ يجاوز ما نقله بعضهم نقلاً عن تواريخ الروم المكتوبة: اليونانية أو السريانية.

٤ - كافة الكتابات التاريخية التي ظهرت إنما وضعت على أساس إسلامي بخت؛ كما نظمت على أساس التقويم الإسلامي الهجري الذي ظهر مبكراً ليعبّن على تنظيمها. وللمعنى أهام في هذا أن عملية التدوين التاريخي نشأت مستقلة تماماً الاستقلال لا في موضوعها واهتمامها ورجالتها فحسب ولكن حتى في تقويمها الخاص عن تواريχ الأمم الأخرى. نشأت في إطار الإسلام نفسه ومن أجله أي على أساس فكري جديد ومنطلق جديـد وتقويم جديـد. لم يكن الآخـياريون من العرب والموالي على السواء عالة في ذلك على مؤرخي أي أمة فيما يتعلق بتاريخـهم الخاص على الأقل . والموالي الفرس الذين أضافوا إلى عملية التدوين تاريخـهم الخاص . انضافوا إلى الجـوهـة العـربـية في هذا السـبيل وـلم يـقدـدواـ . ورفـدواـ تـيـارـ الفـكـرـ التـارـيـخـيـ بعدـ أنـ ظـهـرـ وـاشـتـدـ وـلكـنـهـ لمـ يـكـونـواـ لـهـ هـمـ ولاـ مـثـقـفـوـ الشـعـوبـ الـآخـرىـ ذاتـ الـحـضـارـةـ السـابـقـةـ . كالـسـرـيـانـ وـالـرـوـمـ . وـراءـ نـشوـهـ هـذـاـ الـعـلـمـ وـإـنـ منـحـوـ بـعـضـ الـأـبعـادـ حـولـ الـفـتـراتـ السـابـقـةـ لـالـإـسـلـامـ . فـيـ نـوعـ منـ اـسـكـمالـ الـعـرـفـ وـسدـ الفـرـاغـ بـيـنـ مـبـداـ الـخـلـقـ وـظـهـورـ الـبـعـثـةـ الـنـبـوـيـةـ . وـجـعـنـ أـعـطـوـهـ مـاـ عـنـدـهـ دـخـلـوـاـ ضـمـنـ اـطـلـرـ الـخـاصـ وـمـنـطـلـقـاتـهـ وـلـمـ يـسـتـطـعـوـ كـمـاـ فـعـلـوـاـ فـيـ الـعـلـمـ الـآخـرىـ . كـالـفـلـسـفـةـ مـثـلـاـ وـالـعـلـمـ . أـنـ يـفـرـضـوـاـ عـلـيـهـ أـيـ اـطـلـرـ أـوـ مـنـطـلـقـ . أـعـطـوـهـ – زـمـنـياـ – بـعـدـ أـنـ ظـهـرـ التـدوـينـ التـارـيـخـيـ بـكـيـرـ لـاـ قـبـلـ ذـلـكـ .

وهـكـذاـ لـمـ يـكـنـ التـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ اـسـتـمـارـاـ أـوـ صـلـةـ لـلـتـوـارـيـخـ الـقـدـيمـةـ وـانـماـ هوـ تـارـيـخـ اـسـلـامـيـ خـالـصـ . وـقـدـ نـمـاـ النـوـءـ الـمـسـتـقـلـ الطـبـيـعـيـ ضـمـنـ حدـودـ التـطـوـرـ الـقـافـيـ الـإـسـلـامـيـ . وـأـبعـادـهـ ، وـفيـ اـطـلـرـ حاجـاتـ الـمـجـتمـعـ الـإـسـلـامـيـ وـخـصـائـصـهـ .

٥ - ولـعـلـ منـ نـتـائـجـ هـذـهـ النـقـطـةـ السـابـقـةـ أـنـ نـشـأـ عـلـمـ التـارـيـخـ وـتـطـوـرـهـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـفـهـمـاـ إـلـاـ ضـمـنـ التـطـورـاتـ وـالـفـعـالـيـاتـ الـقـافـيـةـ الـآخـرىـ . إـنـهـ لـمـ يـنـشـأـ

وحله كالزهرة في صحراء ولكنه كان زهرة في ربيع واسع . في الوقت الذي كانت الثقافة العربية الإسلامية فيه تنمو وتتسع كان التاريخ جزءاً منها وكان ينمو ويشتد عوده بدوره معها ، فهو ابن تلك الحركة الثقافية الواسعة التي امتدت منذ أواسط القرن الأول المجري في دمشق وبلغت شبابها في عهد المأمون في مطلع القرن الثالث .

وأشد روابط التاريخ قوة إنما كانت مع علم الحديث والسيرة من جهة ومع علوم النسب واللغة والأدب لأنه إنما اشتغل من ضلعها . وقد مثني خطوهاته الأولى خاصة مع السيرة النبوية ومع الأنساب والقصص الأدبي كما اقتبس معظم مناهجه عن علم الحديث . ثم رفدت التاريخ مع الأيام فيما بعد علوم أخرى كالجغرافيا والفلك والفلسفة والنجموم فأعطته الكثير من الآفاق الجديدة وظهر أثرها الواضح في مؤلفاته .

٦ - ومن نتائج النقطة السابقة نفسها أيضاً : أن الأخباريين والمؤرخين الأولين بدافع من التقوى أو من الانبهار بالاسلام أو من الاكتفاء به لم يهتموا كثيراً بتاريخ الأمم الأخرى إلا متأخرین، بل لم يوجهوا إلا أقل العناية للتاريخ العربي السابق للإسلام . أهلوا التاريخ الجاهلي وتركوا :

— لأمثال وهب بن منبه وعبد بن شربة أن يُحلوا الأساطير والأساطيليات محل التاريخ اليمني القديم لعرب الجنوب وينسجوه على منوال التاريخ القبلي للشماليين .

— ولأنهيار « الأيام » و « الأنساب » أن تسد مسد التاريخ الجاهلي الشمالي .

ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم توفر المواد الكافية من المعلومات المقلولة ، وإلى أن تلك المعلومات لم تكن مكتوبة ولكنها شفهية في كثرةها الكاثرة . وإلى أن العصبيات القبلية كانت تلعب دورها في اخفاء جانب من المعلومات ونشر جانب والتزييد في ناحية واهتمام ناحية أخرى . بالإضافة إلى

أن معظم ما كتب عن ذلك التاريخ فإنما كتبه الباحثون عن التراث الفنى والشعر والأدب وعلوم الدين ولم يكتبه الباحثون عن معلومات التاريخ خاصة ، وإلى أن أصحاب الأخبار والناس على السواء كانوا يهتمون بتاريخ العرب بعد الإسلام لا قبله باعتباره هو المرحلة الحاسمة والمتألقة وأما المعاهلية فقد حكم عليها الإسلام وعلى مثلها بالبوار .

٧ - وبعken أن نضيف هنا أن عدداً كبيراً من الأفلام التي كتبت الأبحاث التاريخية - حتى فيما بعد الفترة الأولى - كانت من الموالى ، وهؤلاء وإن كانوا مسلمين إلا أنهم ليسوا من العرب ، وإذا نجح عن هذا أنهم كانوا يتتحسين التاريخ العربي كله أو يهتمون بقدیمه فقد نجح عنه أيضاً أنهم غالباً ما كانوا يجمعون في عملية التدوين كافة الأخبار بما فيها من مثالب أو أساطير أو مفاخر دون تفريق أو تمييز . وقد كان لذلك عقابيله السلبية والإيجابية على السواء . ومن أبرز هؤلاء الموالى : في الأولين ... شرحبيل بن سعد ، وابن اسحق ، وأبو معشر السندي ، ثم في التالين الواقدي وأبو عبيدة وأبو مخنف وعوانة بن الحكم والمدائني وذلك قبل أن يظهر المؤرخون منهم كابن قتيبة الدينوري والبلاذري وابن طيفور وأبى حنيفة الدينوري واليعقوبي والطبرى .

٨ - لم يكن التدوين التاريخي الأول نقاً " كله عن الرواية الشفهية وحدها . ويبعد مؤكداً أن بعض الوثائق والسجلات والأسفار والكتب الأصلية قد اشترك في ذلك التدوين . فإن الدقة التي اتسمت بها الأخبار التاريخية المتعلقة بالخلفاء الراشدين والواردة في الحديث المدنى والتي استفاد منها بعض المؤلفين كالواقدي ، توحي بوجود وثائق خطوطية في المدينة كانت في ذلك العهد المبكر مراجع يرجع إليها الناس . ولم يعد هذا الأمر الآن رجماً بالظن فان دراسة غروهمان^(١) لأوراق البردي العربية وفرت الدلائل على وجود وثائق في العصر

(١) أشار جب إلى هذه النقطة وإلى هذه الدراسة في مقاله عن التاريخ الإسلامي بالموسوعة الإسلامية -

الأموي بدمشق وال伊拉克 معاً . و من المحتمل أن يكون المصنفوون المتأخرون قد اعتمدوا على مواد من هذا القبيل في ترتيب مجموعة دقيقة للحوادث حسب تسلسل الزمن ترتيباً تناول ذكر أسماء الولاية والحكام وأمراء الحج (والقضاة وأصحاب الشرطة) وما جرى هذا المجرى عاماً بعد عام ... »

أما في التوارييخ غير الإسلامية فإذا كان أخباريو اليمن قد أضاعوا فرصة هامة لتسجيل تاريخ اليمن الحقيقي . من أفواه أو وثائق العارفين به بدل ذلك التاريخ الوهمي الذي ابتكره تاركين سجلات القبائل ونقوش اليمن بالمستند دون استغلال فإن أصحاب الحيرة كانت لهم سجلاتهم وأسفارهم التي عرفها ونقل عنها أخباريون العرب . يقول الطبرى : « ... وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولادة ملوك الفرس وعدهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة . متعالماً مثبتاً عندهم في كتابتهم وأسفارهم ^(١) ومن وقع على هذه السجلات وأخذت عنها هشام بن محمد الكلي الذي قال في رواية الطبرى أيضاً : ... اني كنت أخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر ابن ربيعة . وبمبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنיהם من بييع الحيرة وفيها ملوكهم وأمورهم كلها » ^(٢) ...

وأما في توارييخ بني إسرائيل فإن ثمة أدلة تدل على ترجمة التوراة والإنجيل للعربية في عصر الفتوح وفي العصر الأموي ^(٣) وهي تكفي للإيمان باعتماد بعض الخبراء على الأقل على هذا المصدر الأصلي . تماماً كما يمكن الخبر المروي عن ترجمة كتب الفرس وتاريخهم لشام بن عبد الملك في كتاب مصيغ مذهب دليلاً على اتصال بعض الخبراء الآخرين بالصادر الأصلي للتاريخ الفارسي .

= (انظر الترجمة العربية ج ٤ ص ٤٨٨) وأنا دراسة غروهمان فوردت في كتابه : Grohman, *Algemeine Einführung in die Arabischen Papyrie*, Vienne, 1924, p. 27-30.

(١) الطبرى ج ١ ص ٦٢٨ (٧٧٠/١) .

(٢) الطبرى ج ١ (٧٧٠/١) .

(٣) جواد عل - مصادر تاریخ الطبری (مجہة المجمع الندی انتراتی نسخہ ۱۹۵۰ ج ۱ ص ۱۹۹) . وانظر بحث حول حرکة التعریف عن علوم الأولیاء في مجلة كلية الآداب - الكويت العدد ٧ .

٩ - ثم ان تعدد العوامل وال الحاجات التي أوجدت علم التاريخ هو الذي يفسر تنوع وسعة الكتابات التاريخية التي ظهرت . ولو استعرضنا الأعمال المست مائة التي كتبت في تلك الفترة لوجدنا أنها تناولت كافة أنواع وفروع التدوين التاريخي فهناك : كتب عامة في « التاريخ » تقارب الحسين ، وكتب في السير والأخبار تزيد على التسعين نصفها في سيرة الرسول ، وكتب عن الخلفاء وعن الأمويين والعباسيين وأحداث عصرهم تصل إلى المائة ، وكتب في الفتوح ، وأخرى في مقاتل الرجال وفي الفرق ، وكتب في البلدان والمسالك وتاريخ المدن المختلفة النظم ولخططها (البصرة والكرفه والمدينه وبغداد والخيرو وأصبهان ومكة ومصر والموصل) ، وكتب في الادارة وفي النظم المالية وفي السياسة وأدب السلطان وفي الولاية والكتاب والمهود ، عدا كتب النسب الكثيرة التي تزيد على المائة وكتب الطبقات وترجمات الأشخاص والشعراء والمخالفين ، وكتب عن الروم والفرس وأهل الكتاب . بل كتبوا في مشؤون حضارية كثيرة أيضاً . لقد ولدت . مع التاريخ كافة فروع التدوين ، كما ولدت أيضاً كافة مناهج التدوين في وقت معاً . وقد حدد هذا مسيرة علم التاريخ فيما بعد وتطوره . فلا يكاد هذا العلم يحيى . في القرون التالية : عن هذه الخطوط التي نشأ عليها في فترة ولادته الا في القليل القليل . وانا لستطيع بصورة عامة أن نجد جذور كافة كتب السير والطبقات في كتب السيرة الأولى ونجد الصور الأولى للتاريخ المعروفة في كتب الأخبار . كما نستطيع أن نعيد فكرة التواريخ العامة والتاريخ على السنين إلى نحو فكرة الأمة عند المسلمين من جهة وإلى النظرة العالمية الواحدة لديهم من خلال سلسلة الأنبياء وتساوي البشر من جهة أخرى .

١٠ - لم يكن تدوين التاريخ عملاً « رسمياً » أبداً . لم يعرف هذا العمل أبداً في التاريخ الإسلامي كله الا مرة واحدة في أواخر القرن السابع (عند تعيين ابن الفوتسي مؤرخاً للمغول الایلخانيين في العراق) . وإذا جرى أن شجع الخلفاء الأمويون ثم العباسيون تدوين التاريخ فلم يكن ذلك بغرض الوصول

إلى اقامة تاريخ رسمي للدولة ، ولكن لمجرد إثبات المعارف المأمة وتسجيل ما كان يهم أو يشوق الخليفة أو الوالي معرفته . ولم يكن التشجيع يجاوز ذلك الحد إلى فرض وجهات نظر الدولة أو رأي السلطان على التاريخ إلا فيما ندر (كحادثة الزهرى مع القسرى) . وليس يعني هذا براءة التاريخ الذي دون في تلك الفترة من الأهواء ولكنه يعني فقط أنه كان يستند إلى رأى الكاتب نفسه والى الرواية الذين رووا له الأحداث والى هواه الخاص في تفضيل أو الغاء أو ابراز رواية دون رواية ... نشأ التاريخ في الواقع في معزل عن الشكل « الرسمي » وعن سلطة الدولة . وكان ، حتى في استناده إلى وثائق الدوادين والأنساب أو الكتب الرسمية أحياناً إنما يفعل ذلك بشكل شخصي . وقلما كان الأخباريون والمؤرخون الأولون يطلعون على ذلك بطريقة رسمية أو يهدى لهم سبيل الحصول عليها إلا لغرض . بل لقد نرى آهاماً بعض المؤرخين أنهم كانوا على علاقة طيبة مع السلطة . ولقد قال مكحول العالم الفقه المعروف في الزهرى : « أى الرجال الزهرى لو لا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك » ...

١١ - وظهرت في الفترة المبكرة من تاريخ التدوين عمليات التفسير التاريخي ، والتحليل والتعليق السياسي . بدأت فلسفة التاريخ بشكل أولي وكان طبيعياً أن تكون « ارادة الله » هي محور هذه الفلسفة .

وانا لنرى فكرة الجبر كما كان يروج لها الأميون واضحه في بعض أعمال عواثة بن الحكم حيث يثبت دفاع بعض الأميون عن حفهم ودفعهم مسؤولية بعض الأعمال عن أنفسهم (يزيد وقتل الحسين مثلاً^(١)) وينسبون ذلك إلى

(١) انظر في الطبرى (ج ٥ ص ٤٦١) قول يزيد لابن الحسين : « ... أبوك نازعني سلطانى فصنع الله به ما قد رأيت ... » وقوله أيضاً في الطبرى (٤٦٢/٥) ان الحسين لم يقرأ قوله تعالى : قل لهم مالك الملك تؤتى الملك من شاه وتنزع الملك من شاه وتعز من شاه وتذل من شاه . يذكر الخير إنك على كل شيء قادر ... ». وانظر كذلك لدى البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٤٠ حيث يقول راوياً قول عواثة : « إن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن » .

ارادة الله ويرون في سلطانهم أمراً إلهياً فيه مظاهر الجبر الاهلي وارادة الله الفالية لكل شيء . ونجد بالمقابل فكرة حرية الارادة ومسؤولية البشر عما يقرفون ، وهو رأي الأحزاب المعارضه للأمويين ، واضحة في بعض ما كتب أبو حنفه وخاصة فيما يورده عن حركة الحسين وحركة التوابين .

ونجد في الوقت نفسه ظهور فكرة «الأمة» الإسلامية و«الدولة» وبروز حقوق «الإمام» و«الخلافة» ، وأفكار «الطااعة» لأولي الأمر ، و«الجماعات» الإسلامية، وهي أنها تظهر إثر همود الأفكار الأولى القبلية أو المحلية التي تميز بها الاخباريون الأوائل . فكان حزببني أمية هو حزب الدين والنظام وحزب «أهل السنة والجماعات» . وكان يزيد «إمام المسلمين» وعبد الملك «إمام الإسلام» و«أمين الله» و«جنة الدين»^(١) ... وقد ذكر حمزة الأصفهاني جماع الفلسفة الأموية السياسية حين ذكر أن الأمويين صورووا العلوين في صورة : «... الخوارج على أئمة العدل وقراروا عندهم أنهم شقوا عصا الطاعة وأخرجوه أيديهم من الجماعة وحاولوا انتزاع الإمامة من إمام ولـي عهد إمام طامعين في أن يغتصبوه على حق موروث جعله من تقدمه أولى به منهم حتى مال أولئك الأعتاب (أهل الشام) باللعن والافتاء وقالوا لهم : تبا لكم من عشر مفارقين للسنة والجماعات عاصين خليفة الله ... ثم غيروا قريباً من مائة سنة يخذرون الناس ناجيتهم ... وبنهون عن الاختلاط بهم ... حتى ... (ظهر العباسيون)^(٢) ... وهذا كلـه أنها يلخص صدى ما كتبه الاخباريون ذوو الميل الأموية في تفسير التاريخ والأحداث مع العلوين . وقد ورث العباسيون ذلك من بعد فكان موقفهم ، الذي سجله الاخباريون ثم المؤرخون هو

(١) ذكر هذه الألقاب البلاذري - أنساب الأشراف (طبعة لواردت) ص ١٢ وص ٣٠٣ وأبن عبد ربه في العقد الفريد ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) حمزة الأصفهاني - تاريخ في ملوك الأرض (طبعة دار الحياة - بيروت) ص ١٦٠ - ١٦١ .

هذا الموقف مع تأكيد أوسع على الصفة الدينية والقرآنية لآل الرسول وعلى حن الامامة لبني العباس من جانب القرابة والجماعة.

ح - مراحل التدوين

يحدد الذهبي ، في نص هام يرد في كتابه تذكرة الحفاظ ويقتله عنه ابن تغري بردي والسيوطى . السنة التي بدأ فيها تدوين العلوم العربية في الإسلام بأنها سنة ١٤٣ هـ . يقول : « ... في سنة ثلاثة وأربعين (ومائة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث . والفقه . والتفسير . فصنف ابن جرير بحكة ، ومالك (ابن أنس) الموطأ بالمدينة . والأوزاعي بالشام ، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة . ومعمر باليمن ، وسفيان بالكوفة . وصنف ابن اسحاق المغازي . وصنف أبو حنيفة رحمة الله الفقه والرأي . ثم بعد يسير صنف هشيم والليث (بن سعد) وابن ثبيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب ... وكثير تدوين العلم وتبويبه . ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة »^(١) ...

ويتبين الذهبي في هذا النص إلى عدد من الحقائق المتعلقة بنشأة العلوم الإسلامية ولعل أهمها مرورها في القرن الثاني – في سنة ١٤٣ كما يقول – من مرحلة التسجيل « غير المرتب » إلى التصنيف المబوب . وتوافق تصنيف مختلف العلوم بعضها مع بعض في عصر واحد . وظهور التصنيف في مختلف البقاء

(١) الفهري - تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥١ و ص ٢٢٩ ; ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٥١ ، السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .

الإسلامية مما ... وإذا نحن نتجاوزنا تحديد سنة ١٤٣ كستة انقلابية - وهو تحديد ليس بالخاطئ تماماً على أي حال - وضيقنادائرة حتى لا تشمل غير علم التاريخ وما يتصل به من المغازي وأيام الناس والفتح ... الخ . فإننا يمكن أن نلاحظ في نشأة التدوين التاريخي مروره بمراحل ثلاث توالي إلى حد كبير ما مر به علم الحديث أو غيره من علوم العرب ، ولكنها ليست مراحل منفصلة بقدر ما هي متراقبة متشابكة :

المرحلة الأولى : ونستطيع أن نسميتها مرحلة التدوين الأولى . ويتسم التدوين فيها بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف من استخدام التدوين وبطابع الغفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للدفاوع العامة . وقد بدأت عملية التدوين نقاً عن الشفاه ، وعن غيرها من المسجلات (كالوثائق والكتب) مبكرة جداً . وبعضها يرقى إلى العهد النبوى لكنها ما اتسعت ولا وضحت إلا في العصر الأموي وقد أخذت فيه عدداً من الاتجاهات فبعضها لسيرة النبوة وبعض تاریخ اليمن وبعض " للأنساب وبعض " لأنباء الفتوح ... السخ .

وقد رافق هذه المرحلة الأولى كما سوف يرافق التاريخ الإسلامي في جميع جميع مراحله وتطوراته المقلبة وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار والأنساب يحدثون بما يعرفون . ومن هؤلاء مثلاً ، في هذه المرحلة الأولى ، أبو يزيد عقيل بن أبي طالب ، الأئخ الأكبر لعل ، الذي كان يروي في مسجد المدينة والمستمعون من حوله ، أيام العرب ومعاركها ومثالب قريش . ومنهم عمرو بن خولة « الرواية الفصيح » وأبو الحسناء عباد بن كسب « الشاعر العلامة والرواية النسابة » ومكي بن سوادة « الجامع العلم » وأبو الجهم بن حذيفة العدوبي « الناسب الشديد العارضة » وأبو بكر بن الحكم « الناسب الرواية الشاعر »^(١) ... وغيرهم كثير . ألموا ما يمكن أن نسميه جمهور التاريخ وجوه

(١) انظر في خبر هؤلاء مثلاً : المحافظ - البيان والتبيين (طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٩٨)

الأوسع واشتهر منهم الأقرع بن حابس التميمي « عالم العرب في زمانه » (توفي سنة ٦٥١ / ٣١) وغفرمة بن نوقل (المتوفى سنة ٦٧٤ / ٥٤) وجibir بن مطعم (المتوفى سنة ٦٧٩ / ٥٩) وحوبيط بن عبد العزى أحد أربعة من قريش في العلم بالشعر والأخبار والأنساب . والتخار بن أوس العذري أعظم علماء العرب في الأنساب في نظر ابن الكلبي ^(١) .

وما من شك في أن هذا الجم眾 الواسع من رواة التاريخ كان يشكل الإطار العام من اهتمامات الناس التاريخية ، كما أنه ضمن هذا الجم眾 وعلى يد عدد من أفراده كانت تجري الخطوات الأولى للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفهية إلى المعرفة الكتابية ، من التاريخ المروي إلى التاريخ المكتوب . وهذه النقلة إنما كانت تمّ كنوع من التنظيم والاعتراف العام « بالأصول » والمسجلات الشخصية التي سطرها لنفسه كل واحد من هؤلاء الرواة .

وقد امتدت المرحلة الأولى هذه حتى مطالع القرن الثاني : وكان اهتمام التدوين فيها متوجهاً بصورة خاصة ، وتحت ضغط المتدينين وال الحاجة الدينية – السياسية إلى مواضيع محددة من السيرة النبوية . وقد ظهر في هذه الفترة عبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨) ثم أبيان بن عثمان بن عفان (المتوفى سنة ٩٥ أو سنة ١٠٥) ، وعروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٤) اللذان رويا جوانب من السيرة سميت « بالمغارزي » لأنها تهم بهذه الناحية من حياة الرسول . ثم تلاهما شرحبيل بن حسنة (المتوفى سنة ١٢٣) وابن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤) اللذان طورا فكرة السيرة محاولين جعلها – كما فعل شرحبيل في كتاب المبدأ – أساساً لكتابه تاريخ عالمي من خلال سلسلة الأنبياء وخاتم النبيين ، أو جعلها أساساً لكتابه تاريخ « الأمة » الإسلامية الذي يبدأ بسيرة الرسول .

وخلال هذه المرحلة ظهر الاهتمام بالمعرفة التاريخية بوضوح لدى الخلفاء

(١) انظر ابن سير – الاصابة ج ٢ ص ١٢٠٢ .

الأمويين منذ عهد معاوية وطلبوا تسجيل ذلك لهم من أفواه الناس : فجعهن سمع
 معاوية ما يرويه عبيد بن شريعة عن تاريخ اليمن طلب فوراً تسجيلاً ، كما جمع
 الوليد بن يزيد أخبار العرب على يد حماد في ديوان يختص بذلك ، ووضع
 هشام بن عبد الملك من يكتب أخبار الزهرى عنه ويكتب أيضاً تاريخ
 ملوك الفرس ، ولكن هذه الكتابات تتطلب تسجيلاً لأحداث تاريخية متفرقة غير
 متصل بعضها ببعض وتختصر لاهتمامات من بهم بها . وإذا كتب مثلاً زياد
 ابن أبيه (المتوفى سنة ٤٤) كتاباً في مثالب العرب فلأنه كان يريد الدفاع عن
 نفسه المجهول . وإذا كثرت الإشارات ، في هذه الفترة ، عن وجود
 صحف لفلان وفلان فإن ذلك يعني أن الرغبة في تدوين الأخبار (والأحاديث
 والأدب أيضاً) على اختلافها قد أصبحت شائعة معروفة . ولكن النشاط في
 تسجيل مثل هذه الأمور التاريخية لم يكن بعد قد أخذ انتلاقته الواضحة ، لأنه
 يبقى رسمياً خذ ما أو ديناً ولم يصبح تياراً فكرياً ثقافياً واضح التدوين . كما
 أن ما جرى تدوينه في هذه الفترة كان من المعارف المتفرقة ولم يكن محاولة
 للإحاطة بكل الأخبار لكافة المواضيع . ولعل التموج الواضح لهذه الفترة
 يتتمثل في عبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨) . فقد ذكر ابن سعد في الطبقات
 خبراً يقول : « ... رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن ابن
 رافع شيئاً من فعل رسول الله » ... وذكر أيضاً أنه كان لدى كريب بن أبي
 مسلم من كتب ابن عباس ، مولاه ، ما يبلغ حمل بغير فكان على بن عبد الله
 ابن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه ابعث إلى بصحيفة كلها فينسخها ويبعث
 إليه باحدى النسختين (١) .

أما في جبل الزهرى (ت ١٢٤) التالي لابن عباس فانتشر التدوين بوضوح .
 يروى الذهبي قول أبي الزناد : « كنا نطوف مع الزهرى على العلماء ومعه
 الألواح يكتب كل ما سمع » (٢) . كان ذلك في مطلع القرن الثاني الذي وجد

(١) ابن سعد - الطبقات ج ٢ - ص ١٢٣ وج ٥ ص ٢١٦ .

(٢) الذهبي - تذكرة الحفاظ (طبعة حيدر آباد) ج ١ ص ١٠٣ .

فيه في دار أبي عبيدة من الكتب ما جعل بعضهم يقول : « إن ديوان العرب كان في بيته » ^(١) .

وذكر الباحث عن أبي عمرو بن العلاء أن « كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيته إلى قريب من السقف ثم إنه نفراً فأحرقها كلها » ^(٢) ...

المرحلة الثانية : وقد امتدت خلال القرن الثاني كله تقريباً . واهتم الخبريون خالماً بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوعة كلها ، ومن جميع الأفواه والرواية ، كل منها على حدة وفي كتاب يحمل عنوانه الخاص . ومع أن الاهتمام بالسيرة النبوية لم يتقطع في هذه المرحلة إن لم يتسع ويتنظم ويعطي السيرة شكلها النهائي المنتظم على يد ابن سحق (المتوفى سنة ١٥١) صاحب أقدم وأكمل سيرة نعرفها الآن ، إلا أن العناية بالأخبار التاريخية الأخرى صارت أكثر وضوحاً : بل لقد واكبت وزاحت أحياناً كثيرة الاهتمام بالسيرة نفسها . ولعل السبب في ذلك أن السيرة كانت قد استكملت المعرف عنها واستنارت كافة المصادر والمعلومات المتعلقة بها وانتظمت في كتب معروفة بينما وجد الخبريون ميادين أخرى لفعاليتهم الفكرية والثقافية ما تزال بكرةً ، ومواضيع مما بهم الناس اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً لم تطرق . أو طرقت من وجهة نظر معينة فلا بد من كشف الآراء الأخرى فيها . وهكذا اندفع رجال هذه الفترة من الخبريين في تأليف عشرات من الكتب أو مئات لا شك في أن معظمها أشبه بالرسائل الصغيرة والمقالات الموسعة ، وكانت تشكل في مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابه التاريخ .

وقد استقصت في مجموعها أيضاً كافة ما بهم المؤرخ معرفته من المعلومات

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٥٣ .

(٢) الباحث - البيان والبيان ج ١ ص ٢١٥ (طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٦٨) .

عن مختلف مواضع التاريخ الإسلامي خاصة وتاريخ العرب الجاهلي وبعض تواريχ الأئمّة . ومن هؤلاء الرجال :

– أبو حنف (المتوفى سنة ١٥٧) الاخباري الذي كتب ٣٢ كتاباً تحمل عناوين الردة ، الفتوح ، الشورى ، صفين . الخوارج ... وكتب عوانة بن الحكم في الوقت نفسه سيرة معاوية وبني أمية وكتاباً في التاريخ فيه شيء عن الردة والفتح والخلفاء الراشدين . ثم جاء سيف بن عمر (المتوفى سنة ١٨٠) فكتب في الردة والفتح والفتنة وواقعة الحمل . ثم هشام بن محمد بن السائب الكليبي النسابة المتوفى سنة ٢٠٤ فكتب أكثر من ١٥٠ كتاباً في مختلف المواضيع : في المأثر والكتفي والمثالب وأخبار الأولائل والبسن والخلفاء وصفاتهم وأولادهم ونسائهم ... لكل موضوع منها عنوانه المفرد .

وكتب مثل ذلك ، في الوقت نفسه ثلاثة مؤلفين آخرين هم :

– الهيثم بن عدي (المتوفى سنة ٢٠٨) والذي يعدون له ٥٠ كتاباً ، في أنساب القبائل . والخوارج وولاة الأنصار وخطط البصرة وخطط الكوفة ... السخن .

– الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧) والذي ألف ٢٨ كتاباً . من عناوينها : أخبار مكة ، أزواج النبي ، السقيفة . سيرة أبي بكر ، الردة ، يوم الحمل ، صفين ، مقتل الحسين ، وضع الدواوين . ضرب الدنانير . أمر الحشة والقبيل ...

– أبو عبيدة معمر (المتوفى سنة ٢١١) وكان من كتبه : كتاب المثالب ، الفتوح ، الأيام ، مقاتل الفرسان . صفين . قضاة البصرة . أخبار الحجاج . كتاب الأوس والخزرج ...

– نصر بن مزاحم الذي توفي سنة ٢١٣ عن ٥٠ كتاباً تحمل عناوين : الحمل ، صفين ، مقتل الحسين ، مقتل حجر بن عدي ، أخبار المختار ،

الآئمة ... الخ وقد بلغت المرحلة أوجها ونهايتها بأعمال المدائني (المتوفى سنة ٢٢٥) الذي ترك مجموعة ضخمة من الكتب تكشف مجموعة عنوانينها أنها تغطي أخبار الجاهلية وأحداث الإسلام وأخبار الخلفاء والتاريخ الأدبي والحضاري للدولة العربية الإسلامية ولكنها لا تؤلف كتاباً واحداً ولا عشرة وإنما تؤلف ٤٠ كتاباً منفصلأً .

وما يلفت النظر أن ينتشر ما بين أواخر المرحلة الأولى (نهاية القرن الأول) ونهاية المرحلة الثانية (أواخر القرن الثاني) عنوان يطرقه الكثير من الكتاب هو كتاب التوادر : فقد كتب تحت هذا العنوان الكثيرون ومنهم : رهمع بن عرز البصري ، أبو مسحل ، أبو المضري ، عبد الله الأموي ، اللعباني ، أبو محمد اليزيدي ، قطرب ، أبو عمرو الشيباني ، أبو اليقظان النسابة وآخرون^(١) ... وقد يدل العنوان على أفكار التنوع والطرافة والانتقامية التي كانت تحكم الجو الثقافي في تلك الفترة وتلتقي مع فصل المواضيع التاريخية بعضها عن بعض في كتب منفصلة للأخبار .

ولعلنا نلاحظ أن علم النسب أيضاً قد مرَّ بهاتين المرحلتين الأولى والثانية في هذه الفترات نفسها . فبعد أن دونت بعض الأنساب اتفاقاً ومن أقواء روتها وبأقلام من اهتموا بها ، عن هذه القبيلة أو تلك ، كما فعل الفقعنسي الذي كتب مآثر بني أسد^(٢) وغيره جاء النسابون في المرحلة الثالثة ، فكتبوا أنساب كافة القبائل ولكن في كتب منفصلة أيضاً وفي حاولة لاستقصائها جميعاً وتدوينها ، ومن أهم هؤلاء : محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة ١٤٦) والذي جمع - كما قال ابن النديم - « أنساب كل قبيلة على حدة . وبالرغم من أن ابنه هشاماً قد كتب كتاب النسب الكبير جاماً فيه كل الأنساب إلا أنه أفرد داخل

(١) انظر ابن النديم - الفهرست بالترتيب صفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٩٤ ... الخ وانظر خاصة من ٨٨ ففيها ٢٢ كتاباً في التوادر .

(٢) انظر ابن النديم - الفهرست من ٤٩ وقد أدرك الفقعنسي أيام المنصور .

الكتاب مجموعة من الكتب للأنساب مفردة ومنها نسب قريش . ولد العباس . نسببني عبد شمس ، كتاب سهيم بن عمرو ، كتاببني محارب^(١) ... ومن كتب على هذا النسق نفسه أبو اليقطان السابعة (المتوفى سنة ١٩٠) فان له كتاب أخبار تميم وكتاب نسب خندف وأخبارها^(٢) وكتب على الطريقة اياها أيضاً عبد الرحمن بن عبده^(٣) ونقرأ في ثبت كتبه : كتاب نسببني فقعن ، نسب كنانة ، أشراف بكر وتغلب ، نسب ولد أبي صفرة ... الخ على أن كلّاً من ابن عبدة وأبي اليقطان كتب مجموعة الأنساب في كتاب واحد مهدأً بذلك للمرحلة الثالثة التالية وسمى كتابه « النسب الكبير » كما كتب هشام بن محمد الكلبي بدوره كتاب : النسب الكبير أيضاً وجمهرة النسب ... جامعين بذلك ، على الأساس الإثنوغرافي ، كافة أنساب العرب في مجموعة واحدة وهي المرحلة الثالثة لتدوين النسب التي تقابل مرحلة التدوين الثالثة في التاريخ .

على أنه بالرغم من ذلك الجمجم « التوزع » المفرق لمواضيع التاريخ في هذه المرحلة فقد ظهرت خلاماً ومن رحماها ، وفي وقت مبكر مطالع : المرحلة الثالثة ، مرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمني المتسلسل وجمع المواضيع المتعددة على التوالي في كتاب واحد وهي تستند في فلسفتها العميقية إلى فكرتين أساستين :

— وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمة الإسلامية .

— وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء .

وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث حتى استقرت وتوطدت ،

(١) انظر تفصيل هذه الكتب لدى ابن النديم - الفهرست ص ٩٨ .

(٢) انظر ابن النديم ص ٩٤ .

(٣) المصدر ذاته ص ١٠٥ .

فتوطد بها علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين . وانا لنجد بواكير ذلك لدى ابن اسحق صاحب السيرة في أواسط القرن الثاني اذ ينسب اليه كتاب ضائع في (تاريخ الخلفاء) ، ثم لدى عوانة بن الحكم الذي كتب ، مع كتبه الأخرى مؤلفاً في « التاريخ » جمع فيه الحديث عن الردة والفتح وعهد الراشدين - حسب ما تدل النصوص الباقيه المنقوله عنه - ثم جاء أبو اسحق ابراهيم بن محمد المتوفى سنة ١٨٨ فكتب « كتاب السير في الأخبار والحوادث »^(١) وهو خطوه أخرى نحو جمع السير والأخبار في كتاب واحد . ثم جاء الحبيب بن عدي فوضع أول كتاب في التاريخ على أساس السنين محققًا بذلك ثورة في المنهج التاريخي على مطالع المائة الثالثة للهجرة . كما وضع أول كتاب في التاريخ على أساسطبقات لترجمم الرجال ... وهاتان الخطوتان هما اللتان قدر لهما أن تكونا أساس مناهج التدوين التاريخي في الإسلام فيما بعد .

وقد أتيحت للحركة الثقافية الإسلامية الأداة الثورية في الفكر بمعرفة الورق وصنعته في المشرق . ولا شك أن ظهور الورق وانتشاره ، بعد أواسط القرن الثاني المجري ، وكثرة صناعته قد أعانا على التوسع في التدوين التاريخي كما أعانا على جمع المؤلفات التاريخية الصغيرة ذات الموضوع الواحد في مجموعات تاريخية واسعة تضم مختلف المواضيع ، في نسق زمني متصل . بالإضافة إلى أن العمق الفكري الذي أصاب الحياة الثقافية . مع حركة الترجمة واستبخار الحضارة - في العصر العباسي الأول وما بعده قد منح المؤرخين السعة اللازمة في الأفق والتوازن في النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وتسلسلها .

وبالرغم من أن تأليف الكتب التاريخية كان يكتسب مع الأيام أكثر فأكثر من الأنصار منذ خليفة بن خياط (المتوفى سنة ٢٤٠) إلى ابن قتيبة الدينوري (سنة ٢٧٠) ثم البلاذري (سنة ٢٧٩) وابن طيفور (سنة ٢٨٠) وأبي حنيفة

(١) انظر ابن الديم - الفهرست ص ٩٢ .

الدينوري (سنة ٢٨٢) واليعقوبي (سنة ٢٨٤) والطبرى (سنة ٣١٠) .
فإن النمط الأول للمرحلة السالفة ظل قائماً مدة طويلة لم يمت حتى أواخر القرن
وكان من ممثليه الآخرين : عمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ عن تسعين عاماً وعن
٢٢ كتاباً منها كتب : البصرة ، الكوفة ، مقتل عثمان ، أخبار المنصور :
أمراء الكوفة ، كتاب السلطان ، كتاب بني نمير ... الخ .

على أن علم التاريخ كان قد استقرَّ إِذْ ذاك وكان التدوين التاريخي المنظم
قد أخذ مسيرته الطويلة .

د - مادة التدوين التاريخي الأول ومواعيق التدوين لكل مادة

ماذا دون الأخباريون المؤرخون الأول ؟ ومنى دونوا المواقع المختلفة
إِلَى طرقوها ؟ ومن أين استقروا المادة التاريخية لمؤلفاتهم ؟

يمكن الإجابة عن هذه الأسئلة إذا نحن استعرضنا مؤلفات الأخباريين
الأوائل ومواعيد تأليفها وما تمحوي من المادة ومن المصادر . واستعراض عنوانين
المؤلفات لدى ابن النديم مثلاً ومحطويات ما بقي منها قد يسمح لنا أن نلخص تلك
المادة في النقاط التالية :

١) السيرة والمغازي .

٢) أحداث التاريخ الإسلامي منذ وفاة الرسول حتى عبودهم لا الأخبار
السياسية فقط ولكن الحضارية أيضاً (من خطط ونظم مالية وقضائية وولاية
ونقود ورجال علم وفرق ومن غناء وجوار وقيان) وتوسعوا خاصة في أخبار
الأدب والشعر .

- ٣) أخبار الحاہلیة و خاصة من الأنساب والأیام والمرؤیات الأدبية ، ولم ينسوا الأمور الحضارية (من أديان وأحلاف ومنافرات وأسواق) ...
- ٤) أخبار العرب قبل الإسلام و خاصة في اليمن والجیرة .
- ٥) تاريخ الأنبياء السابقين والأديان .
- ٦) تاريخ الفرس وملوکهم وأنباءهم ونظمهم .
- ٧) بعض تاريخ الروم والأمم الأخرى (من هند وصين وقسطنطیل...الخ) .
- ولم ي Hutchinson المسلمون إلى هذه المادة التاريخية كلها في وقت معاً . وهذا يعني أنها لم تدون كلها في وقت واحد . ولعل ترتيبها الذي أعطيناها آباء في هذا التعداد السابق يكشف تقريباً ترتيب تدوينها الذي كان يعكس في الواقع ترتيب ظهور الحاجة إليها . الفرق الوحيد هو أن تدوين تاريخ الأنبياء رافق تدوين التاريخ الحاہل السابق للإسلام .

فقد اهتم المسلمون أولاً بالسيرة وتفسير القصص القرآني وأشاروا أنه فكتبت السيرة منذ النصف الثاني من القرن الأول وكتبت بعض أمور الحاہلية ، كما نقلت بعض الأساطيليات وأخبار الأنبياء . وترتب على الردة والفتح أمور هامة في التشريع والحياة الإسلامية فروت ودونت أخبار الردة والفتح في الوقت الذي ظهرت فيه الخلافات الشديدة حول الامامة ورئاسة الدولة الإسلامية ، فتبين الناس وقائع الخلاف وآراءه وما نجم عن ذلك من وقائع حربية وجدل سياسي ودونوها . ثم احتاجوا ، منذ أوائل القرن الثاني المجري ، إلى معرفة خبرات الأمم الأخرى فنطّعوا الفرس لتقديم تلك الخبرات . وأخيراً في مطلع القرن الثالث بحث المسلمون أنفسهم عن أخبار الرومان والروم وبافي الأمم إحقاقاً للتوازن في التاريخ العام القديم ونقلوا ذلك إلى التواریخ العربية .

أما في مصادر المعلومات فإذا كان من السهل أن نعرف بنابع المعلومات في السيرة والمغازي وقد أخذت عن الصحابة والتابعين . وفي أحداث التاريخ

الإسلامي التي أخذت عن شهودها ورواية أخبارها أولاً بأول فإن تاريخ الأمور السابقة للإسلام كان يشكل مشكلة هامة في التدوين التاريخي . فليس في اللغة العربية من تراث مكتوب تقرأ به تلك الأمور ولا كان في تواريχ الأمم الأخرى وهي مكتوبة بلغات غربية (فارسية ويونانية وسريانية) من القيمة الفكرية والسياسية بالنسبة للعالم الإسلامي ، ما يدفع إلى معرفتها والتبحر الواسع فيها . ظلت معرفتها إما فاصلة على أصحابها من السكان الأصليين في مصر والشام والعراق وأيران ومكتوبة بلغاتهم السابقة نفسها وأما ترقاً نكرياً لا يطلبها ويبحث عنه إلا أصحاب التوقيع العلمي لمجرد استكمال المعرفة .

وقد حلّت هذه المشكلة بالنسبة لكل موضوع على حدة :

فأما أخبار الجاهلية بما فيها فقد أخذت مباشرة عن العارفين بأمورها وخاصة ما تعلق منها بتفسير اشارات القرآن الكريم والحديث ، وقد وجده من هؤلاء الرواة جماعة كبيرة منذ العهد الراشد وعهد الأمويين الأوائل وقد يكون معظمهم من بينهم بالنسبة ولكنهم حملوا معه الأخبار المختلفة ومنهم : النسابة دغفل السدوسي الذهلي ، الذي أدرك عهد معاوية ووفد عليه ، والنسبة البكري النصراوي (وقد أخذ عنه رؤبة بن العجاج) ولسان الحمرة : أبو كلاب وقاہ بن الأشعري ، وعلاقة بن كرم الكلابي « من أيام يزيد بن معاوية ، وكان عارفاً بأيام العرب وأحاديثها ، وهو أحد من أخذت عنه المائة » وصحار العبدى الخارجى ، والشرجى بن القطامي « أحد النساين الرواة للأخبار والأنساب والدواين » وصالح بن عمران المعروف بالصفدي « وكان عارفاً بأنباء الرسول وله كتب » ومجالد بن سعيد الحمداني الذي روى عنه الهيثم بن عدي الكبير لأنه كان راوية للأخبار . وقد توفي سنة ١٤٤ ، وسعد القصیر مولى بنى أمية الذي أخذ عنه العتبى أخبار أهله ومناقبهم وشعرهم » ، ويزيد بن دأب « العالم بأخبار العرب وأشعارها » وولداته عيسى وبخيت « وكان الغالب على آل دأب (جميماً) الأخبار » وزهير بن ميمون الحمداني القرقيبي المتوفى سنة ١٥٥ ، وكان عالماً بالأنساب والأخبار وأيام الناس » وأبو محمد جناد بن واصل الكوفي مولى بنى

أسد « وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها »^(١) .

وثمة ما يشير في عدد من الأخبار إلى أن ما حمله هؤلاء الرواة وأمثالهم من المعلومات كان يسجل من قبلهم أنفسهم ، ومنذ أواخر العصر الراشد في بعض الصحف . كما أن ثمة ما يشير إلى وجود صحف محفوظة لدى كل قبيلة تضم أنسابها الخاصة . وقد تعاون مع التاريخ على جمع أخبار الجاهلية ، علوم القرآن والحديث والشعر واللغة والأدب وما أثر وسجل منها .

وأما تاريخ اليمن القديمة والخبرة فالرغم من وجود الآثار وبعض المسجلات في البلدين ومن استخدام بعض الأخباريين الأول (كهشام بن الكلبي) لبعض سجلات الخبرة فإن تاريخ الجماعتين القديمتين وخاصة اليمن إنما تطوع لوضعه واضافته إلى التاريخ العربي بعض الرواية اليمنيين وبعضهم ليسوا من اليمن الأقطاع ومنهم عبيد بن شريعة الجرمي (المتوفى زمن عبد الملك) ثم وهب بن منهه (المتوفى سنة ٧٢٨/١١٠ أو سنة ١١٤) وهو من الأبناء وأبوه منه من هرة بخراسان . وقد روى بعض تاريخ اليمن أيضاً ابن القرية ، وعامر الشعي الرواية القديم .

ويذكر ابن النديم أن عبيد بن شريعة نقل رواياته عن عدد من الرواية اليمنيين ويذكر منهم « ... الكيس التمرمي ، واللسين الجرمي . وعبدوده ، والجرمي واسمه زيد بن الكيس ، وعلاقة بن كربم الكلابي من بني عامر بن كلاب (وهو من أيام يزيد بن معاوية) . »

وإذا كان هؤلاء من يروون الأخبار شفاهاماً فلعلهم إنما كانوا يعتمدون على شيء مكتوب . وقد رأينا من الأدلة ما يشير إلى وجود « زير » ووثائق ملكية وسجلات حميرية و « صحف » مكتوبة في اليمن ظلت معروفة محفوظة لدى الأسر البارزة والناس حتى زمن المتمداني الذي أشار إليها ونقل عنها في كتابه الأكيليل^(٢) على أن معظم ما سجل من التاريخ اليمني القديم عن لسان الرواة

(١) انظر في هؤلاء جميعاً ما ذكر ابن النديم في انهرست من ٨٩ - ٩٢ .

(٢) يذكر المتمداني نقله نسب المؤرخين « عن زبور قديم يخط أحد بن موسى » (الاكيليل ج ١٠

كان مع الأسف أسطورياً ومن نوع القصص الشعبي ، ولا شك أنه كان ثمة في اليمن غير هؤلاء الرواة القصصيين جماعة من العارفين بتاريخ اليمن الحقيقي من عاشوا في عصر الراشدين والأمويين الأوائل بعدهم . ولا شك أن بعضهم كان يعتمد في معارفه على صحف مكتوبة بالخط المستند الشائع هناك ، غير أن حلول الرواة القصصيين محل هؤلاء العارفين قد أضاع على التاريخ العربي فرصة ذهبية كان بإمكانها أن تساعد في فهم وإيضاح وإغناء النقاش الأثري الذي نستطيعها اليوم عن ذلك التاريخ ^(١) .

وأما تاريخ الأنبياء فقد ورد بعضه في القرآن الكريم وأما تفاصيله والتوضيح فيه وفي أخبار الأديان الأخرى وخاصة اليهودية والمسيحية فكان لا بد في ذلك من الاعتماد على أهل تلك الأديان وخاصة من أسلم منهم وكان على شيء من العلم بكتب وأخبار دينه السابق . وقد أخذ الأخباريون والمؤرخون المسلمين من تلك الأخبار ما توافق منها مع المعتقد الإسلامي خاصة . وكانت في البدء ذات مهمة تفسيرية ثم توسعوا فيها وأخذوها أحياناً عن الكتب المقدسة نفسها وعن شروح تلك الكتب . ومن أقدم من نقلت عنهم تلك المعلومات كعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام (المتوفى سنة ٤٠ / ٦٦٠) ثم محمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه . ولعلنا نلاحظ هنا أن أخبار الأنبياء والأديان السماوية السابقة للإسلام كانت معروفة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وكانت مسطورة أيضاً لدى أصحابها وهي « أساطير الأولين » التي أتتهم الرسول بالنقل عنها . كما كان في مكة نفسها والمدينة وخيبر ونجران وصنعاء وغيرها من كان يعرفها . وقد غمز

- ص (١١١) ويروى مثل ذلك عن وجود أنساب الروانين مقيدة من قبيل آبائهم ومحفوظة كابر ^أ
عن كابر (الأكليل ١٠ ص ٣٠ - ٣١) ويدرك أنه قرأ زير حمير القديمة وساندها الضرية
(ج ١ ص ٩ و ١٣) .

(١) في دراسة قات بها نبيهة عبود (جامعة شيكاغو ١٩٥٧) حول أوراق البردي الإسلامية تناقض الباحثة عن الحقائق التاريخية التي تقدمها هؤلاء الرواة وعن صدقهم في تقديمها وبخاصة كتب الأخبار ووهب بن منبه في الأمور الإسرائية وعبد بن شرية في أخبار اليمن القديمة وتدرك أنها كانت مادة مكتوبة وكانت تنشر بشكل تجاري في المهد الأموي الأول .

المرشكون من صدق الرسول في الوحي وادعوا أنه إنما يأخذ عن بعض المسيحيين الغرباء في مكة فتحداهم « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعمى وهذا لسان عربي مبين » (سورة التحل - آية ١٠٣) .

على أن الرسول نفسه كان يعرف على ما يبدو الكثير من الأخبار الدينية التاريخية . يروي أبو شامة ذلك نقلًا عن السنن لأبي داود . يقول : « ... وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر قال كان نبي الله عليه صلوات الله عليه يحدثنا عنبني إسرائيل حتى نصبه . ما يقوم إلا إلى عظم صلاة » ^(١) ...

وبلغت النظر خبر هام من ناحية المعارف التاريخية الجاهلية اذ يذكرون أن قريشاً أرادت التثبيت من صدق رسالة الرسول فأرسلت النضر بن الحارث وهو العالم لديها بعلم الفرس وكتب أهل الكتاب مع عقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلوات الله عليه ان وردت صفاتاته في كتبهم « ... فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء » فذهب الرجال ثم عادوا بأسئلة سالاها للرسول وضعاها الأخبار لامتحانه . وأثنان من الأسئلة الثلاثة تاربخيان ويتعلكان بمعلومات من التاريخ : سأله عن أهل الكهف ، وعن رجل طواف الدنيا وفتح العام وعن الروح . وقد أجاب عن ذلك . جاء في القرآن الكريم عن أهل الكهف : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا » وعن الرجل الطواف « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأألك عليهم منه ذكرًا » أما الروح فجاء : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ... وامتحان النبأ بمعلومات من التاريخ يعني قيمة هذه المعلومات فكريًا . ودينياً في ذلك الوقت . ولا شك أنه مع الأخبار التوراتية والاسرائيليات كانت إذن هناك بعض المعلومات التاريخية أو المعرف المختلطة بها في عصر الرسالة وأشارات القرآن الكريم واضحة في ذلك ، كما أن هذه المعرف ذاتت ثم استفاضت في العهد الراشد ، ثم الأموي بسبب تلك الإشارات خاصة . ولما

(١) أبو شامة - كتاب الروضتين (طبعة محمد حلمي أحد) ج ١ ص ٢ - ٤ .

كانت معلومات أهل الكتاب من اليهود والنصارى واسعة في هذه القصص فقد ظهرت جماعة منهم تتصدى — بعد إسلامها — لإذاعة تلك المعارف : ويسمىهم ابن اسحق أهل العلم الأول . ويذكر عن وهب بن منبه أنه قرأ من كتب الأنبياء كتاباً مختلف عددها في الروايات بين ثلاثين وبضعة وسبعين أو التسعين كتاباً^(١) وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في المناطق العربية من بلجزيرة الشام والعراق ، في القرن الأول المجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية . وقد دخل الكثير من معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ وفي علوم الدين باسم خاص هو : الاسرائيليات . ويبدو مما وجد من أوراق البردي الإسلامية أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول المجري^(٢) .

وقد حاول المستشرق روزنثال^(٣) في بحث كتبه حول « أثر التقاليد التوراتية الإنجلالية في التاريخ لدى المسلمين » أن بين أن فكرة التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي ، وأن العلماء المسلمين قد استخدموها هذه النظرة التاريخية العالمية في إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنووا تلك المؤلفات بمداد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والأثار التوراتية — الإنجلالية ، وأن ثمة

(١) يذكر وهب بن منبه نفسه في مطلع كتابه التجuan (ص ٢) أنه قرأ ٩٣ كتاباً ما أنزل على الأنبياء . وانظر ابن قتيبة — المعارف ص ٤٣٢ . وابن سندج ٥ ص ٣٩٥ (وفيه رواية يجعلها ٩٢ كتاباً كلها أنزلت من السماء . و مثله في ذلك حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (ج ١ ص ٢٤) . وانظر أيضاً باقوت الذي ينقل (أدب) — ج ٧ ص ٢٧٢) أنها بضعة وسبعون ، وانظر السخاوي الذي يجعلها ثلاثين كتاباً — (الإعلان ص ٤٨) وانظر كذلك ابن حجر — تهليب ج ١١ ص ١٦٧

(٢) من دراسة نبية مبود لبعض الكتابات على البردي من العهد الإسلامي الأول وقد نشرتها باسم : *Studies in Arabic Literary Papyri I. Historical texts. Chicago 1957.*

(٣) انظر بحثه في كتاب « مؤرخو الشرق الأوسط » (بالإنكليزية) ص ٢٥ - ٤٥ . ولعلنا نشير إلى أن روزنثال يهودي النحلة .

أخيراً توازياً وتشابهاً في «شكل» تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية.

وقد استنتج روزنتال من كل أولئك أن ثمة مكاناً خاصاً تحتله تلك المواد التوراتية في علم التاريخ الإسلامي. وأنها أعطته بعضاً من أهم عناصره معنى . وإن كانت حرمته من الفرصة في أن يتحقق تطوراً كبيراً في الفكر التاريخي^(١) .

ويثير روزنتال بعض التساؤلات حول أي نوع من النصوص التوراتية - الانجيلية نقل إلى العربية هل هو لبعض الفرق المسيحية أو اليهودية المعنية أم هو أشكال مخورة عن النصوص الأصلية لذلك القصص القديم ، ويضيف أنه من المقبول عامة لدى الباحثين المحدثين أن معظم المواد التاريخية التي أخذتها المؤرخون (منذ أواخر القرن الثالث فما بعد) كما اتضح لدى الطبرى وحمزة الأصفهانى والبيروني واليعقوبى إنما ترجع إلى كتابى المدراش والماغاداه لدى اليهود والنصارى^(٢) . ولكنها خضعت للكثير من التعديل . ومثل ذلك قصص الأنبياء .

وما أراد روزنتال أن يعتبره تأثراً ونقلأً إنما يرجع في الواقع إلى حقيقة سبقه وهي أن القرآن جاء « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب » وأن الإسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الایمان بها بعد ظهوره . ووحدة الرسالة منذ ابراهيم أبي الأنبياء وعبر الأنبياء المتعددين حتى محمد آخر النبيين إنما كانت تقتضي هذا النوع من التطابق مع الفكر التاريخي للتوراة والأنجيل وهذا النوع من القبول للمادة التاريخية الناجمة عنها .

(١) مؤرخو الشرق الأوسط (نشر بيرنارد لويس وهولت) أكسفورد - نيويورك ١٩٦٢ ص ٤٥ .

(٢) المصدر ذاته ص ٤١ ثم ص ٤٣ والمدرasha هي التفاسير الأولى للتلמוד وهي أساس المثنا الذي نسقه الحاخامون بعد القرن الثاني الميلادي وأما الماغاداه فكتب التهجد والوعظ . وهناك الجمارة وهي جمهرة المناظرات وال تعاليم والتفسيرات التي جرت في المدرasha أي أماكن تدرس الكتاب المقدس في الكنيس (وجذر الكلمة مدرasha = دراسة و مدروسة) وذلك بعدها نتائجها . جمع المثنا .

وَمُثْمِلاً ملحوظة أخيرة تتعلق بدخول تاريخ الأنبياء والأديان والاسرائيليات إلى التاريخ الإسلامي هي أن الأخباريين أخذوها في القرن الأول والثاني عن أهل الكتاب ترجمةً أو بالرواية ومن فم أهم الرواية هذه الأمور بعد كعب الأحبار وهما وهب بن منه و محمد بن كعب القرظي فقد دخلت الكثير من الاسرائيليات وقضايا اليهود إلى الثقافة الإسلامية عن طريقهما . وإذا كانت ثمة أدلة على أن الكتاب المقدس ترجم في العصر الأموي إلى العربية فإنه ما من شك في أنه ترجم للرشيد عن أهل الكتاب ، فقد ذكروا عن المترجم أحمد بن عبد الله بن سلام مولى الرشيد أنه ترجم كما قال عن العبرانية واليونانية والسريانية أخبار الصحف والتوراة والإنجيل والأنبياء^(١) . على أن معظم ما نقل إنما كان أولاً بالرواية المنقولة عن أهل الكتاب الذين ما لبثوا أن ظهر منهم في القرن الثالث والرابع مؤلفون كتبوا بالعربية بعض التاريخ اليهودي والمسيحي أو ترجموا الكتب المقدسة للعربية كما هي . وقد أشار ابن النديم إلى كتاب ديوان الأيام وفيه سير الملوك من اليهود وأخبارهم وإلى كتاب العبور « وهو التاريخ » كما قال . كما أشار حمزة الأصفهاني إلى كتاب تاريخ ملوكين يهوديين مجهولين ، وإلى كتاب منسوب إلى فتحاس بن باطا العبراني . وأشار أبو الفداء بين مصادره إلى كتاب البيان عن تاريخ سبي زمان العالم على سبيل الحجة والبرهان لأنبيء عيسى المغربي أحمد بن علي المنجم^(٢) (من القرن الرابع) هذا بالإضافة إلى أن عدداً من المؤرخين بما إلى التوراة نفسها يأخذ عنها . وقد كتب المسيحيون بدورهم بعض التواريχ التي ركزوا فيها على أمرين خاصة تاريخ الروم وتاريخ الكنيسة والبطارقة ، لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ما يزالون روحياً تابعين للأمبراطورية البيزنطية ، وقد أخذ عنهم بذلك لا التاريخ المسيحي فقط ولكن الرومي أيضاً إلى التاريخ الإسلامي .

(١) انظر ابن النديم ووصف الكتاب وما فيه ص ٢١ - ٤٤ .

(٢) انظر أبي الفداء - المختصر في أخبار البشر (ج ١ ص ٣ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٦٥ ، ٨١ وما بعدها) .

وأما مادة التاريخ الفارسي فإن عناصر منه على الأقل كانت معروفة في مكة نفسها أيام البعثة النبوية . ويدركون عن النضر بن الحارث بن كلدة أنه قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رسم واستنبديار فكان إذا جلس الرسول مجلأ خلفه فيه ، ثم قال : أنا والله يا عشر قريش أحسن حدبياً منه ثم يخلصهم عن ملوك فارس ورسم واستنبديار » و « كان ينظر في كتب الفرس ويغالط اليهود والنصارى »^(١) وكان بتهم الرسول بأنه يأخذ عن « أساطير الأولين » .

وكانت قريش تتبع باهتمام – وصل درجة الرهان – حروب الفرس والروم ولمن تكون الغلبة فيها ... كما كان بعض تاريخ الفرس معروفاً في اليمن فان الحملة الفارسية التي وصلت مع سيف بن ذي يزن توطنت في البلاد وولدت لها « الأبناء » . ولا شك أنهم حملوا معهم بعض ثقافتهم وأخبار تاريخهم إلى الموطن الجديد . أما في الحيرة فقد كان العرب يغالطون الفرس مغالطة ، ياسية وتجارية بل واجتماعية واسعة للدرجة التي تجعلهم يعرفون الكثير من الماضي الفارسي ومن وقائع أحداث العرش الساساني .

ولكن العرب في العهد الراشد لم يهتموا بمعرفة أو بتدوين ذلك التاريخ الذي ألفوا وجوده واستمراره بفتح بلاد فارس ، ويجب أن ننتظر حتى مطالع القرن الثاني لكي يبدي هشام ابن عبد الملك اهتماماً واضحاً بالتاريخ الفارسي ولكن بأمر بكتابه مؤلف له فيه ذهب ، ملون ، مصور وعلى ورق فخم وينقل فيه ما في كتب الفرس من تاريخ الملوك وأحوالهم . ولكن هذا الاهتمام « الرسمي » لم يلق رواجاً كبيراً في الناس إلا من قبل بعض الفرس من أسلم أو لم يسلم بعد .

وبعض هذا الاهتمام كان لسبب شعوري . وفي هذه الفترة من أوآخر العهد الأموي ومطالع العصر العباسي (النصف الأول من القرن الأول المجري)

(١) انظر ابن هشام - السيرة (طبعة محمد عبّي الدين عبد الحميد - القسامرة ١٩٦٣) ج ١ ص ١٩٥ ، وانظر ابن الأثير ٧٢/٢ .

ترجمت كتب عديدة من الفارسية إلى العربية تحمل التاريخ الفارسي ، كان أبرزها خدای نامغ ، بقلم ابن المقفع . ثم كتبت الكثير من الرسائل في مواضيع التاريخ الفارسي مثل سيرة أزدشير وسيرة أبو شروان لأنبان اللاحقي . وكتاب أخبار الفرس للهيثم بن عدي ، وأخبار الفرس وأنسابها لأبي الحسين النسابة ... ومع أن المؤرخين استقبلوا هذه المعلومات الجديدة باهتمام وأنهم أدخلوها في تواريχهم العامة إلا أن الناس اهتموا أكثر منها بالأدب السياسي الفارسي وتناولوه لا في كليلة ودمنة فحسب ولكن في كثیر من الكتب الأخرى التي انتشرت حكمها وأمثالها في كتب العصر وما بعده .

وأما تاريخ الروم فقد كان آخر المعارف التاريخية دخولاً إلى التاريخ الإسلامي ، وقد طلبه المؤرخون لمجرد المعرفة وفي إطار جو الترجمة ونماذج الثقافات خلال القرن الثالث الهجري ولا نكاد نجد لدى ابن النديم سوى الاشارة إلى ثلاثة كتب فيه . وهذا لا يعني عدم وجود غيرها ولكن يعني ندرتها . وقد فات ابن النديم عدد آخر على ما يظهر نستطيع أن نعرف بعضه من خلال الأصفهاني والمسعودي وغيرهما . ومن الكتب التي أخذت عنها تواريχ الروم :

– كتاب الألوف لأبي معشر جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ . وقد اشتهر بتوغله في علم الفلك والتنجوم واسمه معروف في عالم الاستشراق بهذه العلوم ولكن ابن صاعد الأندلسي يذكر أنه كان أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر العجم ، وقد ذكر بروكلمان أن في المكتبة الأمريكية في باريس نسخة خطية من كتاب الأدوار والألوف ^(١) . وإذا ذكر ابن النديم الكتاب بين كتب النجوم فإن فيه الكثير من التاريخ الرومي وغيره ، وقد أخذ عنه حمزة والمسعودي .

– كتاب تاريخ الملوك لوكيم القاضي ، وقد نقله صاحبه عن ترجمة

(١) انظر بروكلمان – تاريخ الأدب – الملحق ١ ص ٣٩٥ (بالألمانية) .

شفهية لتأريخ ملك من ملوك الروم ، وقد ساق التوارييخ من ابتداء ملك قسطنطين إلى السنة الواحدة بعد الثلاثمائة من المجرة ^(١) .

— وأخبار اليونانيين من تأليف حبيب بن بحريز مطران الموصل في أيام المؤمن (مطلع القرن الثالث) ^(٢) . وهناك كذلك كتب قيس الماروني وابن الفراش المصري (ابن البطريق) وعموب المنجبي وأثنابوس الراهب المصري وبيفقوب الكسكري وأبي زكريا النصراوي ^(٣) وهناك عدا هؤلاء تارييخ بمحى بن عذوزي الفراماطيفي النحوي (وإن يكن بالسريانية) وتارييخ هرون بن عزوز وحنين ابن اسحق واسحق بن حنين وقططا بن لوقا ... الخ .

واما توارييخ الأمم الأخرى فلم يتم أخذها مباشرة عن توارييخ خاصة بها وإنما أخذت في الغالب بشكل غير مباشر وبشكل معلومات عامة من خلال كتب الروم والاسرائيليات والزيجات الفلكية أحياناً .

(١) حمزه الاصفهاني — تارييخ سبي ملوك الأرض ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦١ و ٧٠ ثم ص ٦٢ و ٦٨ .

(٣) انظر في هؤلاء المسعودي — التنبه والإشارات ص ١٣٢ .

الفصل الثالث

المَدَارِسُ الْأُولَى (في الشام واليمن)

البواكير وتكون المدارس : منذ الأيام الأولى للإسلام . وبخاصة عقب الفتوح ، ظهر شعور عام لدى المسلمين الأوائل بأن عهداً قد بدأ . وإذا كان هذا العهد قد أنهى البخالية في العرب وبدلهم بها عهداً من النصر والحكم والسيادة فإنه في الوقت نفسه أنسى أو غير من تاريخ ومصائر الأمم الأخرى من فرس وروم وما تحت أيديهم .

وكان طبيعياً جداً أن يقبل الناس من عرب وغيرهم ، في كل مكان ، على تذاكر أخبار هذا الانقلاب الإسلامي الضخم الذي جاء مفاجئاً ، وشاملاً : وعميقاً في وقت معاً ، وأن يحاولوا الاحتاط بدقائقه ومعناه وأن يقارنوها بينه وبين ما يعرفون من أحوالهم السابقة ... وهكذا وجدت مجموعة كبيرة من الصحابة ومن الفاتحين ومن العارفين بأخبار البخالية والأمم الأخرى تروي وتتحدث . كما وجد أناس اهتموا أكثر من غيرهم بهذه الأحاديث والروايات فكانوا يتسعطونها ويحفظونها للرواية ... وإذا كان بعض هؤلاء الرواة يتحدث عفواً لمحمد السمر والحديث فقد وجد فيهم من يروي لتعليم

الدين أو لتسجيل المفاخر أو لإقامة العدالة أو بيان الحقوق أو للعلم والاطلاع وحفظ تجربة الأمة ... وما كان الإسلام الجديد قد فرض نظاماً دينياً دنيوياً جديداً بكل أبعاده وحدوده على الناس فقد كان ضرورياً أن يعرف في كل أمر سابقته ويكشف في كل قضية عن ماضيها السالف وسببها التاريخي .

واختلفت باختلاف الأقاليم من جهة وال حاجات من جهة أخرى أنواع المعرفة التاريخية التي كان يتم بها الناس ويررونها ويجمعونها ويدونون . وهكذا :

أ - أدى الإسلام بين العرب إلى التوقف عن تعارض الشعر وتذاكر « الأيام » بعد أن ملأ عليهم القرآن كل الفراغ الديني والفكري والأدبي ، ثم سرعان ما لحق به الارتباط بحديث رسول الله والسنّة وأحداث عصر الرسالة وما تلاماها . فأقبل الناس من العرب وغيرهم الاقبال الشغوف على تقصي كل ما يتصل بذلك ، وعلى تقصيه بدقة فيه ... وهذا ما أدى إلى « التسجيل » : تسجيل القرآن مجموعاً منظماً وتسجيل الحديث وأخبار الرسول ومعاذبه والصحابة وأعدائهم ، كما أدى في الوقت نفسه إلى تفسير بعض آي القرآن وتفصيل بعض الأخبار بل إلى بعض التزييد في تلك الأخبار . وإذا كان من غير الممكن التزييد في القرآن لشيوخ حفظه الكامل في الناس وشدة الحرص على حروفه فقد كان من السهل التزييد في الحديث وأخبار الصحابة ، وقد جرى ذلك بالفعل ، مما دفع الناس إلى تحريف الصدق في الرواية (وهكذا ظهر السنّد قبل الخبر) والمعرفة المناسبات والأحداث التي تتصل بكل حديث وسنة ... ونشأ من هذا كله تيار من الرغبة التاريخية ذات الهدف الديني نجم عنه نوع خاص من المعرفة الدينية - التاريخية تركزت في أمرين اتجه إليهما التدوين :

– تفسير الإشارات التاريخية العامة أو الغامضة في القرآن وهي تتصل بالأمم البائدة أو بالحالات .

– تسجيل أخبار الرسول وعصر الرسالة وهو ما عرف في اصطلاحهم « بالمغارزي » .

ب - وفي الوقت نفسه وبالرغم من أن الإسلام قد ألغى القبلية والنسب كأساس اجتماعي وأنزل من قيمة « الأيام » القبلية الجاهلية إلا أن نظام الحكم الإسلامي أوجد مبدأ جديداً في تفاصيل الناس يستند إلى حد كبير إلى النسب القبلي نفسه . كما أعطى العرب نوعاً جديداً من الأيام هي الفتوح ومعاركها .

وإذا كان التفاصيل في الجماعة الإسلامية الجديدة إنما يقوم على السبق في الإسلام وعلى مدى السابقة في النضال دونه مما أوجد طبقات المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والمبشرين بالجنة وأصحاب فتح مكة ... فإن النظام الإسلامي حين سجل على يد عمر وحسب تعليماته ، إنما اتبع بعد ذكر رسول الله وآله ، النظام القبلي من جديد . ودون المسلمين للعطاء على هذا الأساس فعاد الاهتمام بالأنساب إلى سابق عهده . ولا شك أن تنظيم الجيوش الإسلامية عند الفتح على أساس القبائل هو الذي دعا إلى هذا التنظيم ولكن النتيجة العملية لذلك كانت عودة الأنساب إلى مكانتها لا كحاجة علمية - اجتماعية فقط ولكن كحاجة اقتصادية أيضاً لما ارتبط بها من العطاء والأرزاق ، لا سيما وقد نظمت المدن الإسلامية الجديدة وجرى نزول الناس فيها على أساس قبلي .

ومن جهة أخرى فقد وصلت « الأيام » الجاهلية القبلية « أيام قومية » جديدة حققتها الفتوح وتجاوزت في أبعادها حدود الوسط القبلي ليصبح حدثاً « قومياً » و« عالمياً » . ولم يترتب على حفظ أخبارها وروايتها من المفاخر الهامة يقدر ما ترتب على ذلك من نتائج مادية تتعلق من جهة بعطايا الحنود الفاتحين وأرزاقهم وإقطاعهم الذي أقطع لهم وترتبط من جهة أخرى بالبلاد المفتوحة نفسها وشروط فتحها ومقدار ما تدفع من جزية وما يجب على أرضها من خراج أو عشر وما أعطي لبعض المدن المفتوحة أو الفئات الدينية أو الأقطار من حقوق أو عهود محفوظة .

وقد وجد من هذا وذلك تيار من الحاجات ذات المدف السيسامي

والاقتصادي نجم عنه مجموعة أخرى من المعارف التاريخية تركت في ثلاثة أمور اتجه إليها التدوين :

- ١ - الفتوح وأخبارها وعهودها ، ٢ - ثم الأنساب وما يتعلّق بها ،
- ٣ - ثم أخبار العرب وغيرهم قبل الإسلام .

وإذا كانت التزّعات الدينية قد أوجدت اتجاهًا في رواية الماضي ينطلق من التقى الديني إلى الخبر التاريخي المدون فإن الحاجات الاجتماعية - الاقتصادية قد أوجدت الاتجاه الذي ينطلق من الحادث التاريخي إلى الخبر المسجل .

ج - ومن جهة ثالثة رجعت الجماعات المختلفة التي كونت المجتمع الإسلامي من عرب شماليين وجنوبين ومن فرس زارادشتين وروم مسيحيين وبهود ... كل جماعة إلى ماضيها تقص من قصصه وتقرنه بالحاضر . وإذا كان العرب الشماليون قد فرضا أيامهم وما يتصل بها من الشعر ، أو فرضوها عن طريق الشعر وطريق رغبة الناس فيه وفي اللغة العربية دون لهم كل ذلك فإن أهل اليمن نسجوا لأنفسهم ماضيهم السابق وكتبوه ، كما تحدث الفرس بأخبار ملوكهم ونقلوها إلى العربية ، وجاء اليهود والمسيحيون بأخبار الأنبياء والأيام الحالية . وقد أخذ الناس من هؤلاء وأولئك هذه المعرفة بعضهم بسبب ديني وبعض للمعرفة الخالصة وبعض للمنافرة القبلية أو القومية وسجلوها . وكان من ذلك أيضًا مجموعة ثالثة من المعارف التاريخية المتنوعة تركت خاصة في أخبار ما قبل الإسلام من الأحداث .

د - على أن تنوع أقاليم الدولة الإسلامية في المنصر والدين والماضي وفي وجود هذه المعرفة لدى بعضها دون بعض أوجد نوعاً من الاختصاص للكل أقاليم بنوع من المعرفة التاريخية ، كما توطنت بهذا الشكل معارف التاريخ في أقاليم معينة دون غيرها . وقد لعبت الحاجات والتجمعات السكانية دورها في ذلك التوطن :

فلما كان الميدان الجغرافي لعصر الرسالة في الحجاز وهناك توطن الصحابة

الكبار فقد اختصت المدينة عاصمة الرسول والخلفاء الأولين بالمعارف التاريخية الإسلامية أي بالحديث خاصة و «المغازي» ونشأت فيها «مدرسة» قوية الأركان عملها رواية تسجيل ما يتعلق بذلك من التاريخ .

وما كان التجمع القبلي الأكبر والأهم للعرب إنما كان في المِصرَن : البصرة والكوفة في جنوب العراق وهناك توطنت الأرستقراطية العربية ، ومن هناك كان المنطلق إلى الجزيرة والى ايران وخراسان والهند وتركستان ، فقد ظهرت في ذلك الأقاليم طبقة الاخباريين ومدرسة العراق القبلية الاخبارية التي تهم بالأنساب والأخبار .

وما كان لأهل اليمن تاريخهم الماضي العريق فقد أرادوا مضاهاة عرب الشمال وتاريخهم الإسلامي الطارف الجديد فكانت لهم مدرستهم في رواية ذلك التاريخ في اليمن .

وحيث انتقلت الخلافة مع بني أمية إلى الشام وتحولوها ملكاً مطلقاً أرادوا معرفة سير الملوك السابقين كما احتاجوا ، في النظام المالي والإداري للدولة ، وفي ضبط أمر الجيش وعطائه وأرذله الدائمة إلى معرفة أمر الفتوح وعهودها والقبائل وعلاقتها ، والرجال واقطاعاتهم وقيمهم الاجتماعية والعسكرية والسياسية وهكذا تجمع في الشام من يروي للأمويين كل ذلك .

وقد اختلف الأمر بالنسبة للفرس والروم . فقد خسر الفرس ملكهم السياسي كله كما بدأ دينهم السابق في الانحسار أمام الإسلام ولكنهم بقوا موجودين في كتلة بشريّة واحدة على أرض خاصة بهم هي ایران ويتزجون مع العرب أيضاً في العراق ، وهذا نقلوا معارفهم التاريخية وهم في أرضهم إلى اللغة العربية قدر ما يستطيعون ، وكانت لهم بذلك مدرستهم التاريخية الخاصة . أما الروم فلم يخسروا ملكهم السياسي ولا زال نفوذهم المدیني ، فقد بقيت أمبراطورية بيزنطة قائمة وإن خسرت جانباً من الأرض التي كانت لها (الشام ، مصر ، أفريقيا) كما أن المسيحيين الذين بقوا ضمن المجتمع الإسلامي كانوا في معظمهم ،

من العرب فلم يكن ثمة من ضرورة ملحة تدعوهم للتكتل الدفاعي ولا ثبات التاريخي الديني والقومي في وجه الإسلام والعرب . وهذا كلّه لم تتوطن معلوماتهم التاريخية في أقليم محدد لا سيما وأنّهم هم أنفسهم كانوا موزعين ضمن المجموعة العربية في اليمن وال العراق والجزيره والشام ومصر وافريقيا . وهكذا تسربت تلك المعلومات المسيحية والتوراتية تسرباً إلى الفكر العربي الإسلامي وكانت أحد رواده دون أن تشكل قسماً خاصاً مميزاً فيه، أو مدرسة محددة الوطن .

ولم تكن حظوظ هذه المدارس التاريخية متساوية لا في الأهمية ولا في العمر : فإذا كانت أهمها من الناحية الإسلامية مدرسة المدينة فإن أطراها عمراً وأيقاها وأهمها في التاريخ كانت مدرسة العراق لأنّها وصلت عمرها الأول بعمر آخر سياسي حين انتقل مركز العالم الإسلامي مع العباسين إلى العراق والى بغداد بالذات وأصبحت هذه العاصمة لعدة قرون على الأقل سرة الدنيا ومركزها .

أما مدرسة اليمن فذابت بسرعة لأنّ اليمن معزولة جغرافياً ولأنّه لم يكن لها من تاريخ إسلامي مام عالمي الآخر تصل به تاريخها القديم وتنعش . وأما مدرسة الشام فإنّها رغم قوتها قد تحطم تحت الضربات القاسية التي كاّنوا العباسيون مدة القرن الثاني للشام وأهله حتى افتقر في الاقتصاد والتفكير على السواء . وأما مدرسة فارس فالقصة بالمدرسة العراقية زمناً ثم ما لبثت أن انفصلت عنها منذ القرن الرابع بعض الانفصال مع يقطنة اللغة الفارسية حتى استقلت تماماً بعد القرن السابع .

وسوف ندرس هذه المدارس في مجموعتين :

المدارس الصغرى : في الشام واليمن وفارس

المدارس الكبرى : في المدينة والعراق

المدارس الصغرى

مَدِرْسَةُ الشَّامِ

بدأت هذه المدرسة تستقطب عدداً من العلماء الاخباريين وتخرج عدداً آخر منذ أيام معاوية . وكانت جاذبية العاصمة السياسية من جهة ، ورغبة البيت الأموي في الثقافة التاريخية اعتباراً من معاوية حتى آخر الأمويين مما كان فتحان الطريق لهذه المدرسة التي عنيت بالأنساب وبالتاريخ الجاهلي عناتها بعهد الرسالة والفتح على السواء فكانت وسطاً في هذه المواد بين المدرستين المدنية والعراقية ، ولن كانت في رجالها أكثر ميلاً إلى المغازي وال عبر والفتح منها إلى الأنساب والأيام ، فانها تغيبت عن المدرستين ، فيما يظهر ، بعناتها بأمر الفتوح خاصة والمغازي والمقاسم وتخصصها بها .

ويبدو أن مدرسة الشام كانت تتجه للتخصص في «التاريخ» وللظهور بهذا المعنى قبل مدرستي المدينة وال伊拉克 على السواء كما يبدو أنها ظلت فترة طويلة تنافس المدينة ومدرستها في أمر المغازي لما غالب على أهل المدينة من العلم بالحديث والبحث عنه . وكان معروفاً لدى الناس في ذلك العصر اختصاص المدارس التاريخية الإقليمية كل منها بميدانها : فلمدرسة المدينة المغازي ولمدرسة الشام معها الفتوح أيضاً وللعراق الأيام والأنساب ، وقد عبر عن بعض ذلك ابن أبي عبيدة حين قال « من أراد الانساد والحديث ... فعليه بأهل المدينة » .

ومن أراد المنسك والعلم بها ... فعليه بأهل مكة . ومن أراد المقاصم وأمر الغزو
فعليه بأهل الشام ^(١) ... وفي رواية أخرى « ... وإذا أردت المغازي فعليك
بأهل الشام ». وفي رواية ثالثة: « ... ومن أراد السير فعليه بأهل الشام » ...
وعبر عن جانب منه أيضاً ما نقله بن النديم قال : « قرأت بخط أحمد
ابن الحارث الخزاز : قالت العلماء : أبو حنف بأمر العراق وأخبارها وفتورها
يزيد على غيره . والمدائني بأمر خراسان والمند وفارس . والواقدي بالحجاجز
والسيرة . وقد اشتركوا في فتح الشام » ^(٢) ... وانخصص الرواة هنا يكشف
اختصاص المدارس .

كما يدل على ذلك استغراب الإمام الأوزاعي الفقيه الشامي المعروف
(المتوفى سنة ١٥٧) تأليف كتاب في السير من قبل عراقي . قالوا « ... لما وقع
(كتاب السير الصغير) لمحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ بيد الأوزاعي
قال : من هذا الكتاب ، فقيل لمحمد العراقي فقال : ما لأهل العراق وأصحابه
والتصنيف في هذا الباب فانه لا علم لهم بالسير . ومغازي رسول الله وأصحابه
كانت من جانب الشام والحجاجز دون العراق . فانها محدثة فتحاً » ^(٣) ...
ويذكر ابن تيمية أن أعلم الناس بالمغازي بعد أهل المدينة أهل الشام ... فأهل

(١) انظر ابن ساكر - تاريخ دمشق (ط المنجد) ج ١ ص ٣١٦ في ثلاثة مواضع .

(٢) ابن النديم - التهرست ص ٩٣ .

(٣) انظر الرد على سير الأوزاعي ص ٢ - ٣ (تأليف أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم . طبعة أبي
الوفا الأفغاني - حيدر آباد دون تاريخ) ، ولعلنا نشير هنا إلى أن الأوزاعي توفي سنة ١٥٧
وكان يعيش دون شك في ذلك الوقت محمد بن الحسن الذي كان على ما يمكن أن نستنتج من
عمره حدثاً في الخامسة والعشرين لم ينشر أمره به . فقد ولد سنة ١٤٢ مع مطلع الدعوة
العباسية وهو شامي الأصل دمشقي من قرية حرستا بجانب دمشق ولكنه ولد ونشأ بواسطه وكان
من كبار الأذكياء والفقهاء والقضاة وقد اشتهر وأخذ مكانته العظيمة بعد وفاة الأوزاعي وكان
أحد أصحاب أبي حنيفة كأنه دعم الإمام الشافعي . وعلى هذا فلا يمكن أن يكون
الأوزاعي قدقرأ أو على على (السير الصغير) الذي لم يكن قد ألف بعد وفاته . ولكن
 مجرد وضع هذا التعليل من قبل الواضعين يدل على اشتئار مدرسة الشام بشيء لا يُنكر به مدرسة
العراق .

المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم وهذا أعظم الناس كتاب أبي اسحق الفزاروي ابراهيم بن محمد الذي صنفه في ذلك وجعلوا الأوزاعي أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار ^(١) ولعل السبب في هذا ، إلى جانب ما ذكره الأوزاعي نفسه وابن تيمية ، أنه قد تجمع في الشام ، حول البلاط الأموي ، عدد من الصحابة والتابعين الذين حضروا أحداث الإسلام الأولى ورووها . وان أمر الفتوح كان بهم خاصة السلطات الحاكمة لما يحمل من نتائج سياسية ومالية تتعلق بالعطاء وإدارة المدن المفتوحة والأقاليم . وهذا أهم الناس به في الشام وراجعت سوقه وعرف الرواية في هذا الإقليم به .

وقد مهد ظهور المدرسة في الشام عدد من الرواية كانوا الخطرة الأولى السابقة للتدوين التاريخي ومنهم بعض الصحابة الذين اشتركوا في الفتوح مثل أبي إمام الباهلي الذي اشترك في فتح القام وروى المؤرخون عنه بعض أحداث الفتوح ^(٢) . وعبادة بن الصامت الذي روى عنه البلاذري معركة البرموشك في دقائق تباغ حد وصف الانفعالات التي شعر بها المسلمين أثناء المعركة ^(٣) . وجاء من التابعين وتابعיהם من عرف بعد ذلك برواية الأخبار التاريخية في الشام ومنهم : -

أبو عثمان الصنعاني ، شراحيل بن مرثد . وهو من التابعين أدرك أبو بكر وشهد اليهودية وفتح دمشق وروى عن سلمان الفارسي . قال ابن حبان هو صاحب (الفتوح) يروي المراسيل (أي الأحاديث المرسلة) . وقد أوردت له المصادر وصفه لفتح حمص وحمص دمشق وكيفية فتحها ^(٤) .

(١) ابن تيمية - مقدمة في أصول التفسير ص ١٥ (طبعة جليل الشطلي - مطبعة الرقي - دمشق ١٩٣٦).

(٢) انظر الطبراني ج ٣ ص ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٦ .

(٣) انظر الواقدي - فتوح الشام (مطبعة كلية الآدبيات ببغداد - دون تاريخ) ج ١ ص ١١٣ .

١١٤

(٤) انظر ابن حجر المسقلاني - تهذيب التهذيب (طبعة دار صادر - بيروت عن طبة حيدر آباد سنة ١٣٢٥) ج ٤ ص ٣٢٠ وابن عساكر - تاريخ دمشق ج ١ ص ٥٠٠ (ط. المنجد) .

— جبير بن قتير الخصري المتوفى سنة ٨٠ هـ أبو عبد الرحمن : وهو بدورة من التابعين الشاميين نزل حمص وروى عدداً من أخبار التاريخ منها حوادث فتح قبرص على يد المسلمين ^(١) وتبعه في الرواية ابنه :

— عبد الرحمن بن جبير : الذي روى له ابن كثير نزول الروم قرب البرموك وقدوم خالد إلى الشام وروى له ابن عساكر ارسال الجيوش من قبل أبي بكر إلى الشام ^(٢).

— علاقة بن كريم الكلابي : من سمار يزيد بن معاوية واسمه الأصلي حسب رواية ياقوت هو (كرسم) . كان عارفاً بأيام العرب وأحاديثها وكان أحد من أخذت عنهم المأكثر . وله كتاب في الأمثال رأه ابن النديم في خمسين ورقة ^(٣).

— عبادة بن نسي : الذي روى غزوة معاوية لعمورية ^(٤) في سنة خمس وعشرين .

— رجاء بن حياة : الذي روى قصة استخلاف عمر بن عبد العزيز في الطبرى ^(٥).

— عبد الله بن الوليد : دمشقى ولعله من أواخر القرن الثاني وقد روى لدى البلاذرى بعض غزوات معاوية نقلاً عن كتاب : مغازي معاوية ^(٦).

— عبد الرحمن بن غنم : الذي يعتبره بعضهم من الصحابة وقد روى له البلاذرى بعض حوادث فتح فلسطين ، وروى له الطبرى بعض الأخبار عن عام الرمادة ^(٧).

(١) انظر الطبرى ج ٤ ص ٢٦٢ .

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية ج ٧ ص ٦ (طبعة مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٣٢) وابن عساكر - تاريخ دمشق ج ١ ص ٤٩٧ .

(٣) انظر ابن النديم ص ٩٠ وياقوت - معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٩٠ .

(٤) البلاذرى - فتوح البلدان (طبعة المنجد) ج ١ ص ١٩٥ .

(٥) الطبرى ج ٦ ص ٥٥٠ - ٥٥٣ .

(٦) البلاذرى - فتوح البلدان ج ١ ص ١٩٥ .

(٧) فتوح البلدان (ط. المنجد) ص ١٧٣ والطبرى ج ٤ ص ١٠٠ .

وقد تلا هؤلاء وظهر معهم عدد من الرواة المؤلفين كانوا رجال المدرسة الأوائل وبعضهم ليسوا من الشام ولكنهم قدموا إليها تجذبهم دعوة الخلفاء أو بلاطهم أو رغبتهم في معرفة التاريخ .

وقد لعب الدور الهام في هذه الناحية ثلاثة خلفاء أو أربعة : معاوية أولاً ، فهو أول من سأله في التاريخ واستقدم العلماء إليه يسألمون وأول من أمر بالتدوين . ثم عبد الملك وابنه الوليد ثم هشام بن عبد الملك الذي كانت تولف الكتب لخزانته في تاريخ الفرس (من قبل الفرس) وفي أحداث الإسلام (من قبل الزهري) وفي الأنساب (من قبل العارفين بها) .

على أنه يبدو من خلال عدد من الأخبار ، أن هذا النبع الإسلامي لم يكن المصدر الوحيد لمدرسة الشام التاريخية وأن ثمة منبعين آخرين أو مصدرين اشتقت منها هذه المدرسة أو على الأقل تلمست منها المعلومات الأولى :

الأول : مدرسة اليمن ورجالها . ويبدو أن معاوية خاصة وابنه يزيد ثم الخلفاء من بعده كانوا واعين أو وضع الوعي للحضارة اليمنية وقيمتها ومكانها من التاريخ العربي . وهذا فقد استقدموا رجالها إليهم . وربما كان للعصبية اليمنية الكلبية التي كانت موجودة في جنوب الشام ، والتي دعمت الأمويين ، أثراً لها الواضح في ذلك الوعي وذلك الاستقدام . وعلى أي حال فقد عهد معاوية إلى بعض هؤلاء الرجال بتربيته ابنه يزيد (ابن شرية ، ودغفل النسابة) كما طلب تسجيل معلوماتهم عنهم . وهكذا يجانب عوامل أخرى (كالتفسير للقرآن والمخاطر القبلية) دخلت التاريخ العربي عن طريق الشام عناصر تتعلق بتاريخ اليمن قبل الإسلام في ملوكها وأخبارها والأشعار !

الثاني : مصدر مجهول تماماً قد يكون من توارييخ الروم أسمهم في تحرك مدرسة الشام تحرّكها الأول . فإن ثمة جذرآ آخر غامض الحدود من جذورها يجب أن يوضع في النور هو في الغالب المعلومات التاريخية لبعض المثقفين المحليين ، من المسيحيين الذين استخدم الأمويون بعضهم في أعمال الدولة في الشام .. كما يبدو

أن خبر استدعاء عبيد بن شرية إلى دمشق من قبل معاوية والأمر بتدوين معلوماته في كتب وان كان يكشف لنا أول تدوين تاريخي ثابت في الإسلام إلا أنه قد سبقه فيما يظهر أو رافقه تدوين آخر لعله كان بين التأليف والترجمة إلى العربية ويتعلق بأخبار غير إسلامية قد تكون من أخبار الروم والفرس . وقد كان ذلك بيوره أيضاً في ظل معاوية نفسه وبطلب منه على الأرجح ، وفي دمشق نفسها ، حيث قضى هذا السفياني الكبير أربعين سنة في الحكم بين الولاية والخلافة . فالمسعودي يذكر من برنامج معاوية اليومي أنه « ... كان ينام ثلث الليل ثم يقوم فيجدد فيحضر الدفاتر ، فيها سير الملوك وأخبارها والمحروب والماكائد فيقرأ ذلك غلمان له مرتباً . وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتعمّر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ^(١) » ... وأهمية الخبر ليست فقط في اهتمام معاوية بدراسة التاريخ السياسي ووعيه ، ولكن في تقرير حقيقة أهم من ذلك هي وجود معارف تاريخية ، واسعة بحيث تقرأ كل ليلة ، كانت في ذلك العهد الإسلامي المبكر من أواسط القرن الأول المجري معروفة مترجمة بالعربية ، مصنفة في دفاتر وفي كتب و لها المحافظون المولكون بها والقراء المرتبون . وليس ممكناً أن تكون تلك السير مما يتعلق بالغازاري والصحابة فمعاوية وهو الصحابي ، وكاتب الرسول ، قد عاش تلك الفترة عن كتب وكان يعرف عنها الكثير مما يعنيه عن قراءة أمورها له . ثم لم يكن في تلك الفترة من العصر الراشد ومطلع العهد الأموي بعد من « سير الملوك » المسلمين وأخبارهم ومن المحروب والماكائد وأنواع السياسات ما هو مسجل يروى ، ولا ما يروى لمعاوية على الأقل . فلا بد اذن ان صبح الخبر ، وهو في الأرجح صحيح الأساس ، من أن تكون تلك « الدفاتر » كتاباً في تواریخ الأمم السابقة . ولعل معاوية ، العريق في الأرستقراطية القرشية والخلبية ذا الفكر الملكي ، هو الذي طلب في دمشق من علماء الروم حوله كتابتها أو ترجمتها له ليتعرف الأحوال الملكية والسياسية السابقة له . ونحن في هذه الحالة اذن أمام

(١) المسعودي - مروج الذهب (طبعة القاهرة ١٣٤٦) ج ٢ ص ٧٢ .

مؤلفين في التاريخ مجهولين كما أنها أمام دور خاص لعاوية كان فيه المؤسس الأول لعلم التاريخ الإسلامي أو على الأقل كان فيه الراعي والعامل على أول تدوين باللغة العربية « للتاريخ » بمعناه العام لا على أنه المغازي النبوية وقصص الأنبياء ولا على أنه الأساطير والأيام العربية ولكن على أنه تاريخ الأمم السالفة وسير الملوك والحروب وأنواع السياسات مما هو جدير بالقراءة على « الملوك » .

ولعلنا نضيف هنا أن عبيد بن شرية لم يكن العالم الوحيد الذي استقدمه معاوية إلى دمشق فكتب عنه رواياته وصيّرها كتاباً . فان المسعودي نفسه يشير إلى أن « كثيراً من الاخباريين من أهل الدراسة بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المقدمين » ... وفدوا على معاوية أيضاً^(١) . وبهذا الشكل قد تكون ثمة تدوينات أخرى عديدة مجهولة ترد هي ودفاتر معاوية معها مواعيد تدوين التاريخ الإسلامي سنوات كثيرة إلى الوراء كما تضمن أيدينا ، لو أتيح لنا المزيد من معرفتها ، على بعض الحذور الفامضة الأولى في تكوين مدرسة الشام التاريخية لكنها جذور ضاع مع الأيام خبرها ، كما ضاعت المعارف التي قد تكون جاءت بها ، ضمن المعارف الأخرى . فنحن لأنعرف اليوم من هم أصحاب تلك النشاطات ولا ما هي بالضبط المادة التاريخية التي قدموها ؟ وعن أي المصادر أخذوا ؟ وهل كتبوا ذلك بالعربية – وهو الأرجح – أم بغيرها ؟ ...

وعلى أي حال فإنه لم يظهر هذه المعلومات التاريخية الأولى من أثر واضح في التدوين التاريخي الإسلامي بعد ذلك . ولعلها ظلت معلومات تاريخية « ملكية » فلم تنزل للتداول بين الناس أو لعلها كانت بالسريانية أو اليونانية وكانت تفسر لعاوية تفسيراً لا تلاوة بالعربية وهذا أو لذاك أو لكليهما لم تترك أثراً محدداً بيئتاً فيما جرى تدوينه بعدها أو في تكوين مدرسة التاريخ الشامية على الأقل . وهذا ما يسمح لنا في الواقع الحالي – وان سجلنا خبرها – باغفال أمرها .

(١) المسعودي (مروج الذهب) طبعة بلاج ٢ ص ٤٠٦ .

أما العلماء الذين كانوا بشكل أو بآخر نواة المدرسة فمنهم :

- عبيد بن شرية الجرهمي : وهو عالم مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام وعرف الرسول . ومع أنه يماني إلا أنه كان أساس مدرسة الشام في التاريخ ، فقد استدعاه معاوية إلى الشام فقدم عليه وجعل الخليفة بسؤاله أسئلة تكشف اهتمامات الناس العامة في التاريخ وما يشوقهم من التواحي فيه؛ وجعل عبيد يقص ما يعرف من أخبار الماضين والكتاب والأحداث وشعب الأنساب ، والأخبار المتقدمة وملوك العرب والمujam وسبب تبليل الألسنة وأمر افراق الناس في البلاد ... فأمر معاوية أن يدون (ذلك كلها) وينسب إلى عبيد بن شرية ^(١) ...

وهكذا فيما يظهر كان « له من الكتب كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين » فهذا أول تدوين تاريخي واضح ثابت في الإسلام وهذه مع « دفاتر » معاوية أول كتب تاريخية عرفها المسلمون . وقد عاش عبيد حتى زمن عبد الملك بن مروان . وكان له من التلاميذ الذين رووا عنه عدد منهم الكيس النمرى واللسين الجرهمى وعبدود (زيد بن الكيس) الجرهمى . وإذا كان هؤلاء من البيانيين في اليمن فقد ترك في الشام من تلاميذه علاقة بن كريم الكلي ، نديم الخليفة يزيد بن معاوية .

و (كتاب الملوك وأخبار الماضين) لابن شرية موجود مطبوع . طبع في حيدر آباد سنة ١٣٥٧ بعنوان (أخبار عبيد بن شرية) وضم إلى كتاب التجان لابن منه وجاء في ١٧٨ صفحة (من ص ٣١١ حتى ص ٤٨٩) . وفي المتحف البريطاني كتاب مخطوط لعبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها (رقم ملحق ٥٧٨) وقد يكون هو كتاب الملوك نفسه . ولا ابن شرية كذلك كتاب الأمثال . كان في خمسين ورقة وقد فقد ، ولا شك أنه كان يحوي من خلال الأمثال شيئاً من أخبار العرب في الجاهلية .

(١) المسعودي - مروج الذهب ٤ / ٨٩ - ٩٠ (طبعة باريس) ، ابن النديم - الفهرست من

– يزيد بن ربيعة بن مفرغ ، أبو عثمان الحميري (وهو مشكوك النسب إلى حمير) يقول صاحب الأغاني : « سئل الأصمعي عن شعر ثُبَّع وقصته ومن وصفهما فقال : ابن مفرغ ... وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عباد بن زياد أُنْزَلَهُ الجزيرة . وكان مقيناً برأْسِ عين وزعم أنه من حمير . ووضع : « سِيرَةُ ثُبَّع وأشعاره » ^(١) وابن مفرغ مشترك النشاط بين مدرسي الشام واليمن وسوف نعرض له هناك أيضاً للتذكرة .

– عروة بن الزبير بن العوام : ومع أنه شقيق عبد الله صاحب الثورة وأحد فقهاء المدينة السبعة إلا أنه ارتحل إلى عبد الملك بن مروان في الشام فترة وكتب له أشياء عديدة من مغازي الرسول حسب طلبه . ثم عاد إلى دمشق في عهد الوليد بن عبد الملك وكتب له جواب عدد من الأسئلة التاريخية تلقها المؤرخون . كما كان على صلة دائمة بعمر بن عبد العزيز ولكن ظروفًا كثيرة أجبرته على ترك الشام . وسوف نعود إليه في مدرسة المدينة .

– الزهري محمد بن مسلم بن شهاب الذي بقى في دمشق زمناً في عهد عبد الملك بن مروان ثم عاد فاستقر بها منذ سنة ٨١^٠ سنة ٨٢ وأجرى عليه الخلفاء المتابعون راتباً حتى موته في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٢٤ الذي وضع له كتابين يكتبهما عنه سنة وقد وجدت في مكتبة الوليد الثاني حين قتل سنة ١٢٦ أكواخ من المجلدات من مؤلفات الزهري ، حملت على الدواب من الخزان ١ وسوف نقابلها كمرة أخرى في مدرسة العراق .

– الأوزاعي : الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو (ولد في بعلبك سنة ٨٨ وتوفي في بيروت سنة ١٥٧/٧٧٤) وأصله دمشقي من الأوزاع (قرية خارج باب الفراديس بدمشق) ^(٢) وكان إمام الشاميين في الحديث ، وانفرد بمذهب في الفقه انتشر في الأندلس فترة طويلة كما كان لا يجارى في المعرفة

(١) الأصمعي – الأغاني (ط. دار الكتب) ج ١٨ ص ٢٠٥ .

(٢) الأوزاع هي الآن علة العقيبة ، من أحياء دمشق .

بالسير والمغازي والفتور . وحين اجتمع بالإمام مالك بن أنس في المدينة « غمرة بالسير بينما غرره مالك بالحديث » ذلك أن الأوزاعي « كان أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار » على قول ابن تيمية .

— عوانة بن الحكم الكلبـي (المتوفى سنة ١٤٧ أو سنة ١٥٨) : ومع أن الرجل كوفي وقد عاش حوالي ١٥ سنة أو أكثر تحت الحكم العباسي إلا أنه كان — فيما يقولون عنه — وفيما نقل ياقوت « عثماني الموى يضع الأخبار لبني أمية » . وربما كان هواء ضد العباسين لأن ثمة أخرى تذكر أسفه لفشل ثورة محمد ذي النفس الزكية ضد المنصور . ومعظم أخبار المدائني إنما نقلت عن عوانة كما روى عنه الأصمعي . وبالرغم من أصله الوضيع (أبوه عبد خياط وأمه أمة سوداء) إلا أنه كان ينسب نفسه بالولاء إلى قبيلة كلب التي توطنت في جنوب الشام ويقول : « انه من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم » .

ونحن ندين لعوانة هذا بتسمية علم التاريخ فهو صاحب أول كتاب مارئي يحمل اسم (كتاب التاريخ) في الإسلام . وقد كتب كذلك سيرة تعاوية وبني أمية ولكن الكتابين فقدا ولم يبق منهما الا ما تأثر لدى المدائني وابن الكلبي والطبرـي وغيرـهم .

— أبو اسحق الفزارـي ابراهـيم بن محمد بن الحارث المتوفى سنة ١٨٦/٨٠٢ . (أو ١٨٥ أو ١٨٨) . وهو من مواليـد الكوفـة ثم انتقل إلى دمشق فبغداد واستقر آخر الأمر في المصيصة أحد ثغور الشـام . ويتخلـط عند بعض الباحثـين بالـفـزارـي الفـلكـي منـجمـ المنـصـورـ ، وهذا مؤرـخـ مـحدثـ . ذـكرـ ابنـ قـبيـةـ أنهـ صـاحـبـ سـيرـ . وـقـالـ سـفيـانـ اـبـنـ عـيـنـةـ « ماـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ رـجـلـ أـبـصـرـ بـالـسـيـرـ مـنـهـ » لـسـعـةـ إـحـاطـةـ بـهـ . وـقـدـ صـنـفـ فـيـ ذـلـكـ كـاتـباـ « أـعـظـمـةـ النـاسـ مـنـهـ » (١) وـيـسـىـ كـاتـبـ

(١) انظر ابن قبيـةـ - المـارـافـ (طـبـةـ ثـرـوـةـ عـكـاشـةـ - القـاـمـرـةـ ١٩٦٩ـ) صـ ٥١٤ـ ، وـابـنـ اـبـيـ حـاتـمـ الرـازـيـ - الـجـرـحـ وـالـتـدـبـيلـ (طـبـةـ سـيدـ آـبـادـ سـنةـ ١٣٦٠ـ) صـ ٢٨١ـ ، وـابـنـ تـيمـيةـ مـقـدـمةـ فـيـ أـسـوـلـ التـفـيـرـ (طـ.ـ التـرقـيـ - دـمـشـقـ ١٩٣٦ـ) صـ ١٥ـ .

السير في الأخبار ومنه قطعة في الاصابة لابن حجر .

- الوليد بن مسلم أبو العباس الأموي (ولد سنة ١١٩ / ٧٣٧ و توفي سنة ٨١٠ / ١٩٥) ، وكان من مشاهير محدثي الشام^(١) وقد قاسمه شهرته هذه محدث معاصر له هو اسماعيل بن عياش (المتوفى سنة ١٨٢) . وقد كتب الوليد في التاريخ ونبع في حفظ المغازي ، أخذها عن أستاذة الأوزاعي ، كما كان صاحب أحاديث في الملحم . وكان من المؤلفين . قبل انه ألف سبعين كتاباً . وقد روى سيرة ابن اسحق . ولعل ميزته أنه كان مع صاحبه ابن عياش أعلم الشاميين بروايات أهل الشام . وأنه كان في الوقت نفسه حسب شهادة المؤرخ أبي زرعة الرازى الدمشقى « أعلم بأمر المغازي والسير عن الأوزاعي »^(٢) ولا يذكر ابن النديم للوليد بن مسلم سوى كتاب المغازي^(٣) من كتبه السبعين ، ويبدو أن هذه الكتب ، رغم أنها قد تميزت بصفتها الفقهية - القضائية حتى قبل : « من كتب مصنفات الوليد صلح أن يلي القضاء »^(٤) إلا أنها كانت تحوي الكثير من السير والأخبار لأنها كان من المدرسة التي تومن بارتباط القضاة بالسير والأثر السابقة . وقد يكون بين تلك الكتب أيضاً بعض ما يختص بالسير والتاريخ فانا نجد في المصادر الكثير من الأخبار التاريخية المروية عنه ، فقد روى ابن عساكر عنه قديوم كسرى إلى الشام وظهوره على الروم ثم رجوعه لمناصرة ملك الخزر على ملك الهند . وروى أيضاً عنه حصار دمشق كما روى تفسيراً لاقطاعات أبناء الصحابة في دمشق والغوطة^(٥) ...

وقد أخذ العلم عن الوليد عدد من كبار العلماء ومنهم ابن أبي خبيثة ، والإمام أحمد بن حنبل والمديني وعلي بن محمد الطنافي ، وتميز بين تلاميذه

(١) انظر الذهبى - تذكرة المخطوظ ج ١ ص ٢٧٩ .

(٢) انظر السنواى - الاعلان بالتوقيخ (طبعة روزنثال - ترجمة) ص ٥٢٧ .

(٣) ابن النديم - الفهرست ص ١٠٩ .

(٤) ابن الحنبلى - شذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٤ .

(٥) ابن عساكر - تاريخ دمشق (طبعة المنجد) ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦١ ، وص ٥٩٣ و ٥٩٧ .

الشاميين في الرواية التاريخية :

- ابنة العباس بن الوليد ، شيخ الطبرى وقد أخذ عن هذا المؤرخ روايته لسيرة ابن اسحق .
- وسعيد بن عبد العزيز الذي روى عنه البلاذري أكثر فتوح الشام كفتح دمشق واليرموك .

- ويونس بن يزيد الذي روى مشاهد النبي عنه وعن الزهري
وئمه آخرون من غير تلاميذه منهم :

- ابن أبي الساب عبد العزيز بن الوليد بن سليمان من رجال ما بين القرنين الثاني والثالث وقد جاء ذكره لدى ابن عساكر في رواية أمور تتعلق بجامع دمشق وتاريخها ^(١) .

وأطلقت مدرسة الشام بعد الوليد بن مسلم عدداً من المؤرخين بين القرنين الثاني والثالث وفي هؤلاء بعض البارزين أو الهامين ومنهم :

- أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الفهاني الدمشقي (ولد سنة ١٤٠/٧٥٧ و توفي سنة ٢١٨/٨٣٣) . كان محدثاً ، عارفاً بالمخازي والأنساب . روى عن مالك بن أنس و سفيان بن عيينة و روى عنه البخاري وغيره . اعتبره أحمد بن حنبل واحداً من أفضل محدثي عصره في دمشق . نمسك بعقيدته في عدم خلق القرآن فسجنه المأمون بين من سجن في هذا الأمر في بغداد حتى مات .

- أبو عبد الله محمد بن عالذ الممثلي الفرضي ^(٢) (١٥٠/٧٦٧-٢٣٣) وهو من الحفاظ المعروفين . كما كان من الكتاب وكان إليه النظر في خراج غوطة دمشق . روى عن الوليد بن مسلم وعن اسماعيل بن عياش وغيرهما .

(١) ابن عساكر المصدر السابق ج ٢ ص ٤٤ وص ٤٥ .

(٢) انظر ابن حجر - التهذيب (ط. حيدر آباد ١٣٤٧) ج ٩ ص ٢٤٢ .

وصنف في المغازي والفتح واهتم بما يتصل بالشام وأحداثها . أخذ عنه بقى بن مخلد راوية خليفة بن خياط كثيراً من المقتطفات فأضافها إلى تاريخ خليبة ومعظمها لما يتصل بغزو المسلمين للروم خلال العهد الأموي . وأخذ عنه كذلك فيما بعد ابن سيد الناس في سيرته^(١) (عيون الأثر) ، كما أخذ الذهبي في تاريخ الإسلام . وفي الإصابة لابن حجر حوالي ١٧ قطعة مقتبسة عنه .

- أبو جعفر عبد الله محمد بن علي بن نهيل العراقي المتوفى سنة ٨٤٩/٢٣٤ ويعدونه رابع أربعة من مشهورى الحفاظ فى عصره . توفي عن سن عالية . ومع أن المصادر لا تذكر له مؤلفاً إلا أن دار الكتب الظاهرية بدمشق تحفظ بخطوطة نادر له هو كتاب المغازي (رقم ٤٢) وفيه قطعة حسنة من السيرة .

- ابن سعى أبو القاسم محمود بن ابراهيم بن سعى المعشقي (المتوفى سنة ٢٥٩) الحافظ وأحد الأثبات . سمع ابن أبي أوبيس وطبقه وقال عنه أبو حاتم ما رأيت بدمشق أكيس منه . وقد ألف : كتاب الطبقات في الصحابة والتابعين واقتبس عن هذا الكتاب كل من الذهبي في تاريخ الإسلام وابن حجر في الإصابة وفي تهذيب التهذيب^(٢) .

- الرملي موسى بن سهل بن قادم توفي في الرملة سنة ٨٧٤/٢٦١ وله كتاب من نزل فلسطين من الصحابة ذكره ياقوت في معجم البلدان وابن حجر في تهذيب التهذيب كما اقتبس منه ابن حجر في الإصابة^(٣) .

- علي بن مجاهد بن محمد بن علي من الرواة في القرن الثالث . ذكر المسعودي أنه من المشتغلين بالتاريخ وأنه صاحب الكتاب المعروف بأعيار

(١) انظر ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والسير ص ٣٤٤ .

(٢) انظر الذهبي - تاريخ الإسلام ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ و ج ٤ ص ٥٢ و انظر ابن حجر الإصابة ج ١ ص ١٤٤ ، ٣٤٣ ، ٤٥٢ ، ٣٥٠ و تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٣٩ ... الخ . وانظر أيضاً ابن النجاشي شذرات ج ٢ ص ١٤٠ .

(٣) انظر ياقوت - البلدان ج ١ ص ٢٠٩ و ٧٢٩ و ٢ ص ٨١٩ و ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٧ و ابن حجر - الإصابة ج ٢ ص ٢٦٥ .

الأمويين وغيرهم . وقد روى عن الشعبي كما روى عنه الطبرى في خمسة وثلاثين موضعًا من تاريخه تتفق من روایة عن خلق آدم حتى زمن المنصور والمهدى ، مما يوحى بان كتابه كان تاريخاً عاماً أو أنه ألف أكثر من كتاب في التاريخ .

- وأخيراً أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصري المعشقى (المتوفى سنة ٢٨٠ أو ٨٩٤/٢٨١) ويمكن اعتباره آخر تمثيل مدرسة الشام في مراحلها الأولى . وكان شيخ الشام في وقته وقد اشتهر بالحديث وهذا ما طبع كتابه «التاريخ» بالطابع المعروف لمؤلفات المحدثين وتواريختهم فيه سبعة عناوين تتعلق بسيرة الرسول والخلفاء والراشدين ثم يصبح الكتاب ذا طابع شامي يتحدث عن قضاعة دمشق وفلسطين ومصر قبل أن يعطى مرة أخرى على وفيات الصحابة بالشام ثم بعض أخبار فاطمة وأزواج النبي . ثم من مات بالشام من التابعين والعلماء . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في عشرة أجزاء في مكتبة محمد الفاتح (رقم ٤٢١٠) باستانبول .

ويمكن أن يضاف أخيراً إلى رجال المدرسة الشامية أولئك الكتاب الذين اهتموا بأخبار الأمويين ومنهم :

- أبو عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي صاحب كتاب أخبار الأمويين ومناقبهم الذي أثنى عليه المسعودي^(١) .

- وذلك المؤلف المجهول صاحب كتاب البراهين في إمامية الأمويين الذي كان في ٣٠٠ ورقة ورآه المسعودي في حوزة بعض موالي الأمويين في طبرية سنة ٣٢٤ ونقل موجزاً عما فيه في صفحتين^(٢) .

(١) انظر السخاوي - الاعلان (ط . روزنفال - الترجمة العربية) ص ٥٤٨ وص ٦٨٨ .
والمسعودي مروج الذهب (ط . بلا ج ١ ص ١٤ - ١٥) .

(٢) انظر المسعودي - النبأ والاشراف ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

— وذلك المؤلف المجهول الآخر الذي كتب كتاب : مغازي معاوية ونقل عنه البلاذري ، عن طريق عبد الله بن الوليد الدمشقي ، نصاً يتعلّق بعزو معاوية للمصيبة^(١) .

— سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي صاحب كتاب المغازي وقد نقل عنه ابن النديم بعض أخبار غروة معاوية ابن أبي سفيان لل دمشق^(٢) وقد ظهر في هذه المدرسة الشامية أيضاً بعض النساين ومنهم :

— دغفل بن حنظلة النسابة الصحابي الذي استقدمه معاوية ليعلم ابنه يزيد ، وسأله عن أنساب العرب وأنساب قريش وعن النجوم وعن العربية^(٣) وسوف نعرض له في مدرسة اليمن .

— الأبرش الكلبي النسابة الثلاثة ، صديق هشام بن عبد الملك الذي كان يصبحه قبل الخلافة ، وقد رروا عنه أنه كان حاضراً يوم أبلغ هشام بخلافته فسجد شكرآ لله وسجد أ أصحابه إلا الأبرش فلما سأله قال : ولم أ سجد ؟ وأنت اليوم معي ماشياً وغداً فوق طائرآ ... وقال هشام فإن طرت بك معي ، قال : الآن طاب السجود^(٤) .

وقييلة كلب هذه التي ينسب إليها الأبرش أعطتنا أيضاً من رجال الشام النساين عالبين من علماء النسب والأخبار هما :

— محمد بن السادس الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ وابنه هشام بن محمد (المترف سنة ٢٠٤) وسوف نبحثهما فيما بعد . ونستطيع عند الاستقصاء أن نضيف آخرين من مثل منجات بن الحارث وغيره^(٥) ، غير أن هذه المدرسة التاريخية

(١) انظر البلاذري - فتوح البلدان ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) انظر ابن العدين - بنيه الطلب (مخطوط احمد الثالث) ج ٨ الورقة ٢٠٩ وجه .

(٣) انظر ابن عساكر - تاريخ دمشق (تذهيب بدران) ج ٥ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ وانظر ابن عساكر أيضاً الكتاب نفسه مخطوط الظاهيرية الجزء ٦ (رقم ٣٤٥٠) الورقة ٤٧ وجه .

(٤) تروي الحكاية ذاتها تقريراً من عبد الحميد الكاتب مع مروان بن محمد .

(٥) انظر ابن النديم - الفهرست ص ٩١ (خلال خبر عوانة بن الحكم) .

سرعان ما اختنق تطورها وانقطعت بزوال الخلافة الأموية عن دمشق وتركز النشاط السياسي والثقافي في حوض الرافدين . فلم يكتمل نموها ولا تبلور رجالها ومقوماتها . ومعظم علمائها الذين ذكرناهم ، يضمون في العادة إلى رجال المدرستين الآخريين خاصة في المدينة وال العراق .

على أن لنا أن نلاحظ هنا أن مدرسة الشام اتجهت منذ أواخر القرن الثاني وخلال القرن الثالث في اتجاهين :

أحدهما رواية التاريخ الأموي ومناقب الأمويين وكان ذلك صدى جوها السياسي العام وبأقلام الأمويين أو المتعصبين لهم . ومن هؤلاء وهؤلاء : سعيد بن يحيى ، وخالد بن هشام . ومؤرخون مجهولون آخرون منهم المؤلفان المجهولان اللذان كتبا كتاب البراهين في إمامية الأمويين ومقاربي معاوية .

الثاني : رواية المغازي وفي ذلك بعض الصدى الديني كما أن فيه ظلاً من الرفض للعباسيين بإثبات أعمال الرسول تجاه أعمالهم . وفي هذا الباب يأتي العديدون الذين كان منهم : التفيلي الحراني ، وابن عائذ وأخيراً أبو زرعة .

على أن هذين الاتجاهين سوف يضمران منذ القرن الرابع ليظهر بدلاً منها اللون المحلي في التدوين التاريخي ، وظهور مدرسة الشام الاقليمية على أيدي مؤرخين يهتمون بأخبار العلماء المحليين وعحدثي المدن الشامية وبأخبار هذه المدن .

وبالرغم من أن مدرسة الشام لم تلت أي عنابة من الدارسين بعد : ولم يبرز أحد دورها في نشأة علم التاريخ في الإسلام الا أنها تستطيع مع ذلك أن تسجل لها السبق في ثلاثة أمور أساسية :

١) أنها ، منذ البدء ، كانت أوسع نظرة إلى التاريخ وقيمه وقد توجه اهتمامها إلى الحدث التاريخي العام (الفتوح والمغازي وأحداث الجاهلية) ولم تتوقف عند بعض المواضيع الخاصة كالوقوف عند المغاري التنبوية فقط أو الأيام والأنساب .

٢) إن أول تدوين تاريخي معروف في الإسلام كان في دمشق وبأمر من معاوية حين استقدم عبيد بن شرية إليه وسأله عن أخبار الأمم وأمر الكتبة أن يدونوا أقواله وأن تنسب إليه . فكان من ذلك في الأرجح كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين وربما ترجمت قبل ذلك أو معه بعض تواريخ الروم والفرس وجمعت في دفاتر .

٣) إن علم التاريخ أخذ اسمه هذا على يد أحد رجال هذه المدرسة : عوامة بن الحكم لأنّه صاحب أول كتاب نعرفه يحمل هذا الاسم .

مدرسة اليمن :

من أسباب ظهورها ذلك التنافس القديم بين عرب الجنوب العريقين في التوطن الحضاري وبين عرب الشمال الذين صاروا بعد الإسلام حديثي نعمة وحكم وحضارة . ونفس عليهم الجنوبيون ما صاروا إليه من المجد فجعلوا يلهجون بسابق مجد اليمن . يضاف إلى ذلك الرغبة في إثبات الوجود اليمني بجانب القبيسي الشمالي في العهد الأموي ، وبعض الإشارات القرآنية إلى اليمن التي تحتاج إلى التفسير : ورغبة الموالي في معرفة كافة الجوانب من تاريخ العرب .

وما يؤسف له أن هذه المدرسة قد أخذت منذ نشأتها على يد كعب الأحبار النهج القصصي والأسطوري وسحبت نماذج تاريخ العرب الشماليين - وهو في جذوره قبلي - على اليمنيين الجنوبيين وهم ذوي حضارة زراعية تجارية مستقرة ، فأدخلت على التاريخ العربي الكثير من الزيف والخيال بينما أهملت النصوص المكتوبة : زُبِراً على الحجر أو في سجلات الأقوام وذاكرة الوعاءين . ولاشك أن أسباباً جغرافية وسياسية واجتماعية عديدة هي المسؤولة عن ذلك التشويه الذي لم ينهض لتصحيحه إلا مؤرخ متأخر هو المداني . فان انتصار العرب بعد الفتح نحو الشمال (الشام ومصر والعراق وخراسان) وزروح اليمنيين أنفسهم مع النازحين إلى ديار هجرة جديدة واحتلال الخليج العربي المكان التجاري البحري الأول ، عزل اليمن وتقلل من الاهتمام بها وجعل

أخبارها نادرة وغير مستفادة من الموارد الأصلية الصحيحة . وترك لنا في النتيجة « روايات ضئيلة القيمة خالية من الفكرة التاريخية » منسوجة على غرار أيام العرب الشماليين وأخبار تنظيمهم القبلي ، تحملت اليمنيين أياماً وأنساباً وفتورات لا ظل لها من الواقع . ويمثل هذه المدرسة :

- كعب الأخبار المتوفى سنة ٣٥٤ : وقد أسلم زمن أبي بكر ونصب نفسه بعد ذلك راوية لأخبار أهل الكتاب والأبياء وتاريخ اليمن .

- دغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني : وهو من مشاهير علماء النسب في أواخر العهد الجاهلي وعلماء النجوم . أدرك النبي ولم يسمع منه ويدو أن العمر امتد به بعد ذلك حتى أدرك معاوية أيضاً . ويروي صاحب المحر أن معاوية ضم دغفلة السابعة إلى يزيد ابنه معلماً^(١) ... وقيل إنه سأله : بم ننت هذا يا دغفل ؟ فقال : بقلب عقول ولسان سؤول ... قال معاوية إذهب إلى يزيد فعلمه النسب والنجوم ...

وقد تناقل تلاميذ دغفل في اليمن معلوماته جيلين على الأقل أو ثلاثة ، وكان من هؤلاء التلاميذ في أواخر القرن الثاني المجري رجل من مهرة يسمى عمرو بن مالك الشعري الذي يروي أن الرشيد استدعاه من اليمن ليسمع منه وطلب إليه تسجيل « السيرة » التي رواها عن دغفل . وفي مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا (تحت رقم G ٣) مخطوط من ٦٦ ورقة بعنوان « السيرة برواية الشعري » يروي في مطلعه قصة استدعاء الرشيد وسماعه منه وتسجيله ، بناء على طلب الخليفة ، ذلك الكتاب الذي يحوي قصص أخبار العرب القديمة وحروبها وأمر عاد وثود وعدنان وقططان ومن خافه من الأبناء والملوك في بلاد اليمن .

ويقول في مقدمة الكتاب : « هذا كتاب فيه قصص العرب السائفة وما كان في أعصارهم من الأمم المنقرضة وما آثرت علماء العرب في مغازبهم

(١) ابن حبيب - المجري (ط. ليختن شيبير - بيروت) ص ٧٨ ; والシリディ - سالك الذهب ص ٦ .

وحرر لهم رقصتهم وأخبارهم وما كان من مبعث النبي ... ولكن المخطوط لا يحوي قصة المبعث وفي آخره جملة « تم الجزء الأول من كتاب السيرة عن دغفل الشيباني » مما يعزّم بأنه قطعة من كتاب دغفل . ولسنا نجد مما روّي من سيرة الرسول لدى الطبرى سوى جملة تتعلق بعمر الرسول وأنه توفي وله خمس وستون سنة ^(١) .

- ابن مفرغ الحميري أبو عثمان يزيد بن ربيعة بن مفرغ (المتوفى سنة ٦٩) وكان من مشهورى العارفين بأخبار التابعية . ويدرك صاحب الأغاني ^(٢) أن يزيد بن معاوية هو الذي استدعاه من اليمن « ... ولا تخلصه من عباد بن زياد ، أنزله الجزيرة . وكان مقيماً (منها) برأس عين (عند منابع نهر بلخ) وزعم أنه من حمير ووضع سيرة نُسُعَ وأشعاره ... »

- عبيد بن شرية الجرهي : المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان . وهو مشترك النشاط بين مدرسي الشام واليمن .

- محمد بن كعب القرظي (المتوفى سنة ١٠٨ أو ١١٧) : وهو من مسلمة اليهود . ولد في الكوفة ونشأ بها ثم سكن المدينة . وقد عرف بالعلم والفقه . وقد اهتم بأخبار اليمن وروى الكثير منها . وربما كان لديه السابق أثر في هذا الاهتمام الذي ربطه بمدرسة اليمن التاريخية . وقد روى عنه الطبرى بعض أخبار اليمن والأنباء ويبدو الخجاز .

- وهب بن منبه النماري اليمني المولود سنة ٣٤ والمتوفى غالباً سنة ١١٤ : وهو يمني فارسي الأصل من « الأبناء » فأبواه منه من هراة في خراسان كان في جيش كسرى لنصرة سيف بن ذي يزن : وقد أسلم زمن النبي وولد ابنه وهب سنة ٣٤ . في ذمار قرب صنعاء ونشأ في اليمن على الزهد وقراءة قصص الأنبياء ورواية القصص التاريخي عن اليمن حتى التصنف ذكر القصص

(١) انظر إلى ج ٣ ص ٢١٦ (١٨٣٥/١) .

(٢) الاصبهاني - الأغاني ج ١٨ ص ٤٥٥ .

باسمه لدى المؤرخين في نوع من الغمز لقيمة مروياته ومعارفه التاريخية والدينية . فهو لدى ياقوت « الاخباري صاحب القصص » ولدى ابن خلkan « صاحب الاخبار والقصص » ولدى الذهبي « كان إخبارياً علامة فاصاً ». ولكنه في كل الأحوال يعتبر من طبقة التابعين .

ويبدو أنه ثقى نفسه ثقافة واسعة بكتب الأديان وببعض الأفكار الفلسفية الاغريقية واليسوعية ، كما عرف اللغة العربية والسريانية وحفظ الكثير مما يتصل بالنبوات ، وكان يرويها رواية . وعن طريق ما سجل من روايته عرفنا مساهمته التاريخية والمادة التي قدمها للتاريخ الإسلامي . وقد عني بنقل تلك المرويات وتنظيمها ونشرها جماعة من أهل وهب ، ظلت تعمل في اليمن على تسجيل وتشذيب مروياته والزيادة فيها أكثر من جيلين . وكانت له مدرسة كاملة مستمرة . كان من أركانها : أبو الياس . موف وهب . ثم عبد المنعم بن ادريس المتوفى سنة ٢٢٨ وهو سبطه (ابن بنته) ثم اسماعيل بن عبد الكريم بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن معقل (شقيق وهب) المتوفى سنة ٢١٠ هـ .

وقد رويت عن وهب بن منه « المغازي » النبوية رواها على طريقته مما يدخله في مدرسة المدينة التاريخية وسوف نعرض له هناك . ولكن له كذلك مشاركة واضحة في رواية وتدوين فروع ثلاثة أخرى من فروع التاريخ : - قصص الأنبياء السابقين مما يدعى أحياناً بالأسرائيليات وقد روى عنه أنه وضع كتاب : المبدأ أو المبتدأ ، وهو في مبدأ الخلق وسير الأنبياء ، وهو بذلك أول من وضع الهيكل القصصي لتاريخ العالم على أساس سلسلة الرسل والنبوات .

- تاريخ اليمن القديم ، وقد روى عنه فيه (عن طريق اسماعيل) كتاب « الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » وهو كتاب قصصي أدبي تارىخي يمتلىء بالشعر وبالأساطير اليمانية الشعبية . وبظهر اليمن بمظاهر السابقة في التوحيد وفي الشعر والفنون والأدب والصنعة . والكتاب

مطبع (حيدر آباد سنة ١٣٥٧ في ٣١٠ صفحات) بعنوان التيجان لمعرفة ملوك الزمان مع كتاب أخبار عبيد بن شريعة .

- تاريخ الفتوح . وصاحب كشف الظنون^(١) ينسب إليه : كتاب الفتوح ، فإن صبح كانت له مشاركته في هذا الموضوع الإسلامي أهاماً أيضاً .

ولكن مدرسة ابن منهء ماتت رغم جهود أصحابها وإن بقيت منها في السيرة وفي كتب التاريخ روایات وأخبار كثيرة^(٢) ولعل آخر ممثل لها هو :

- الحميري : أبو محمد عبد الملك هشام بن أبيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٣ أو سنة ٢١٨ م . وهو صاحب كتاب (التيجان في ملوك حمير) وضعه عاً أساس كتاب وهب بن منهء في هذا الموضوع ثم أضاف إليه مواداً جديدة أخرى من مؤلفات أخرى كمؤلفات محمد بن السائب الكلبي وأبي مخنف وزياد ابن عبد الله بن الطفيل العامري الكوفي المعروف بالبكاني راوية ابن اسحق .

وتحصيله ما قدمته هذه المدرسة من ابن منهء إلى ابن شريعة ، أنها وضعت الخطوط الأولى للمدرسة تاريخية إقليمية خاصة باليمين وأنها وجهت الانتظار إلى هذا التاريخ اليمني المخاص وأقامته على قدميه . ورغم احتواها على أساطير ومخترعات كبيرة سخيفة سخفاً أشار إليه ابن خلدون^(٣) من قبل ، إلا أنها مع ذلك دخلت بما حوت في التاريخ العربي واندمجت فيه ، وأعطت تاريخ اليمن السابق للإسلام شكل الخرافات والمواعظ .

مدرسة فارس :

فقد قام عليها الفرس . من الموالي المسلمين ومن غير المسلمين على السواء

(١) كشف الظنون ج ٢ عسود ١٤٤٠ .

(٢) راجع تحليله هاماً تفصيلاً لعمل وهب بن منهء لدى الدورى - نشرة علم التاريخ ص ١٠٣ - ١١٣ .

(٣) ابن خلدون - العبر ج ١ ص ١٣ - ١٤ .

فعملوا في نوع من اثبات الوجود القومي والعلمي على كتابة التاريخ الفارسي باللغة العربية ، ترجمةً تارة عن الكتب الفارسية وتأليفاً تارة أخرى .

وقد يكون للشعوبية التأثير الأول في ظهور المدرسة التي نقلت إلى العربية صورة من تاريخ الفرس العريق ، أخذت أحياناً أزهى الألوان ولكن ما من شك في أن بعض الجهد الذي بذلت في هذا السبيل كانت نتيجة الرغبة العلمية في المعرفة . ولما كان العراق مكان الققاء الموالي الفرس مع العرب بجانب كونه مرکز الحكومة والتمازن الثقافي ، فقد كان مرکز هذه المدرسة التاريخية في هذا الاقليم خاصة لا في ايران نفسها حيث لم تكن اللغة العربية شائعة ولا حاجة بالمقابل إلى كتب التاريخ بالعربية مع توفرها بالفارسية .

وممثلو هذه المدرسة كثيرون . كانوا جمهرة واسعة ومن أقدمهم وأهمهم :

– أبو سليمان يونس الكاتب بن سليمان بن كرد بن شهريلار (المتوفى بعد سنة ١٣٢ / ٧٥٠) .

وهو من كتاب العهد الأموي . دعي إلى بلاط الوليد الثاني بن يزيد سنة ٧٤٣ / ١٢٥ وقد وضع أول كتاب جامع نعرفه لشعر الغناء العربي كما وضع عدداً من الكتب في الغناء لأنه كان فيما يبذلو من البارزين في هذا النوع من المعرفة . وله فيها :

كتاب القبان ، المفقود ، وكتاب مجرد يونس الذي كان أحد مصادر الأصبهاني في كتاب الأغاني وقد أخذ الكثير عنه ^(١) ... وله أيضاً كتاب النغم .

(١) انظر الأصبهاني – الأغاني ج ١ ص ٢٢ ، ٩٠ ، ٩٨ وج ٢ ص ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٥ وج ٤ ص ١٠١ وج ٥ ص ٤٩ ، ٣٦ وج ١٧٥ ، ٤٩ وج ٦ ص ٧ وج ١٥ وج ٧ ص ١٢٩ ، ١٤٠ ... ١٧٤ ، ١٤١

– مجهول لا نعرف شيئاً عنه ولكنه بكل تأكيد من كبار الفرس أو من فنانيهم البارزين الأثرياء أو لعله جبلة بن سالم كاتب هشام نقل سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ « من الفارسية إلى العربية هشام بن عبد الملك لما وجد في خزان ملوك فارس » « كتاباً عظيماً – حسب كلمات المسوudi – يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنائهم وسياساتهم لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخداي نامه وآتين نامه وكهناهه وغيرها ». ولعل من الطريف والهام مما أن نتابع وصف هذا المؤلف مع المسوudi الذيرأى هذا الكتاب في اصطخر عند « بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس » ... « مصوراً فيه ملوك الفرس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان قد صوروا واحد منهم يوم مات ، شيئاً كان أو شاباً وحياته وتاجه وخط لحيه وصورة وجهه ... وأنهم ملكوا الأرض أربعمائه سنة وثلاثة وثلاثين سنة وشهرأ وسبعة أيام . وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيته ورفعوه إلى الخزان ككي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت . وصورة كل ملك كان في حرب قاتلاً وكل من كان في أمر جالساً وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من الكوارث العظيمة والأحداث الجليلة » ... « فكان أول ملوكهم أزدشير شعاره في صورته أحمر مُدَّئِر وسراويه لون السماء وتاجه أخضر في ذهب . بيده رمح وهو قائم . وآخرهم يزدجرد بن شهريار شعاره أخضر موشى وسراويه موشى لون السماء وتاجه أحمر قائم بيده رمح معتمد على سيفه بأنواع الأصابع العجيبة التي لا يوجد مثلها في هذا الوقت . والذهب والفضة المحلوبي . ونحاسه محكوك والورق فرفيري عجيب الصيغ فلا أدرى أورق هو أم رق لحسنة واتفاق صنعته »^(١) ...

ولا يبدو أن هذا الكتاب الملكي قد وضع موضع التداول أو نقل أحد عنه شيئاً ...

(١) المسوudi – التبيه والإشراف ص ٩٢ - ٩٣ .

- عبد الله بن المفعع (قتل سنة ١٤٢ / ٧٦٠ وقيل سنة ١٤٣ أو ١٤٥) وقد نشأ بالبصرة لأب فارسي وظل على الزرادشية حتى ما قبل مقتله بسنوات معدودة . وكان عمله الأدبي أوضح وأبقى من عمله التاريخي الذي اقتصر على ترجمة أهم كتب الفرس التاريخية .

- الهيثم بن عدوي (المتوفى سنة ٢٠٦) الذي كتب كتاب أخبار الفرس وسوف نعرض له فيما بعد مع رجال مدرسة العراق ، كما نعرض أيضاً لمعاصره وهو :

- أبو عبيدة معمر بن المنفي (ت ٢١١) صاحب كتاب فضائل الفرس ، وكتاب أخبار الفرس .

- أبان بن عبد الحميد الرقاشي ، المعروف باللاحطي (توفي أواخر القرن الثاني) وهو شاعر مجيد ، نقل إلى العربية سيرفي أبو شروان وأزدشير وعدد من القصص ^(١) ونظم كليلة ودمنة شرعاً في أربعة عشر ألف بيت وأهداه إلى جعفر البرمكي فومه مائة ألف درهم ^(٢) .

- البلاذري أبو جعفر أحمد بن يحيى (المتوفى سنة ٢٧٩) وهو من كبار المؤرخين وسوف نعود إليه في مدرسة العراق . وكان أحد النقلة من الفارسي إلى اللسان العربي وقد ترجم عهد أزدشير شرعاً .

اتجه أعضاء هذه المجموعة خاصة إلى الترجمة عن كتب التاريخ الفارسي لأنهم وجدوا في عصر الترجمة ، ولأن هذه المعارف التاريخية القديمة مما لا مجال للابتكار فيه ، ولا بد لها كي تكسب ثقة الناس بها من سند مكتوب سابق ولأن المثقفين من الفرس أرادوا اثبات وجود بعض العلوم كالنارباخ لديهم كغيرهم من ترجم عندهم العلوم . وبهذا الشكل دخلت إلى اللغة العربية مادة تاريخية كبيرة كانت تحويها كتب فارسية شتى . ومن أمثلة ذلك :

(١) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١١٩ - ١٦٣ .

(٢) انظر الجهمياني - الوزارة والكتاب ص ٢١١ .

١) ترجمات خدای نامه ... فقد ترجمه ابن المفع (المتوفى سنة ١٤٤) من الفهلویة وسماه كتاب سیر الملوك كما ترجمه كثير غيره مع اضافات وأساطير نقلت من كتب أخرى . وقد عد حمزة الأصفهانی سبع ترجمات له ، كما ذكر وجود عشرين نسخة مختلفة منه ^(١) .

٢) وترجم ابن المفع كتاب الآین نامع وهو كتاب المراسيم والتقاليد في البلاط الفارسي ، كما ترجمه الجیهانی وزاد عليه .

ويظهر أن هذه الترجمات لكتاب آین نامه كانت ترجمات جزئية . فإن المسعودي يذكر الكتاب فيقول : « ... تفسیر آین نامه : كتاب الرسوم وهو عظيم في الألوف من الأوراق . لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابة وغيرهم من ذوي الرئاسات » ^(٢) ...

٣) وترجم اسحق بن يزيد عن الفارسية كتاب الاختبار نامه وهو الذي عرف بكتاب سيرة الفرس ^(٣) .

(١) انظر حمزة الأصفهانی - تاريخ مملوک الأرمن ص ١٤ حيث يعدد منها ، عدا ترجمة ابن المفع الترجمات التالية : « كتاب سیر ملوك الفرس من نقل محمد بن الحنفی البرمکی ، وكتاب تاريخ مملوک الفرس المشترج من خزانة المأمون ، وكتاب سیر ملوك الفرس من نقل زاده ایین شاهرویه الاصبهانی وكتاب سیر مملوک الفرس من نقل أبو جعیف محمد بن بهرام بن طیار الاصبهانی وكتاب تاريخ مملوک ساسان من نقل أبو جعیف هشام بن قاسم الاصبهانی ، وكتاب تاريخ مملوک بنی ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبیکورة شابرور من بلاد فارس ... فلما اجتذبت لي هذه النسخ ضربت بعضها في بعض ... » وهو يذكر أن الترجمات تحت يدهمّان . ولكنه يد منها سبیاً فقط . وهؤلاء المترجمون كانوا سبیاً من العاملين في إطار المدرسة التاريخية الفارسية . وأما الذي ذكر أن خدای نامه عشرين نسخة مختلفة فهو بهرام الموبیدانی بن مردانشاه (انظر كتاب حمزة نفسه ص ٢٦) وقد ذكر البيروفي ست نسخ لترجمة خدای نامه منها الشستان لمترجمين لم يعرفهما حمزة هما : بهرام بن مهران الاصبهانی ، وبهرام المروي المجريسي (انظر الآثار الباقية ص ٩٩) .

(٢) المسعودي - النبی والاشراف ص ٩١ .

(٣) ابن النديم - المهرست ص ٢٤٥ .

٤) وكتاب الكاه نامغ أي سجل المظماء (أو طبقات الكبار) وهو كما يذكرهون - في سيرة أنو شروان ، وقد ترجم هذه السيرة كل من ابن المقفع (بعنوان كتاب الناج) وأبان اللاحقي الشاعر الذي ترجم أيضاً سيرة أزدشير. على أن المسعودي يوضح بأن هذا الكتاب كهناكه هو من جملة آثين ناماه « وهو في مراتب مملكة فارس وأنها سبت مائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها » ...

٥) كما ترجمت قصص تاريخيّة من التاريخ الساساني مثل (مذكّر نامغ) و (بهرام جوين نامغ) وقد ترجم الأول ابن المقفع نفسه ثراً وحوّله اللاحقي شرعاً. أما الثاني فترجمه جبلة بن سالم وترجم معه كتاب رسم واستفتديار .

٦) وترجمت كذلك قصص شعبية مثل ... بهرام ونرسى وشهرزاد مع أبوريز وكتاب دارا والضم الذهب (١) ... وسيرة نامه التي ألفها حدامهود ابن فرزاد وهي كتاب الأخبار والأحاديث .

٧) وما ترجم أيضاً على ما تكشفه المقتطفات كتاب الكارناميج وهو فيما يروي المسعودي لأزدشير بن بابل « فيه ذكر أخباره وحربه ومسيره في الأرض وسيره » وينقل عنه شيئاً مما حفظ من وصية أزدشير لابنه سابور، حين نصبه إياه للملك « وشيئاً » مما حفظ من مكاتبة أزدشير نحو اثنين من أنواع رعيته وعماله « (٢) ... »

ويبدو أن بعض الفرس الإيرانيين كانوا يطلبون أخبار فارس في كتبهم ثم يروونها للناس وقد تخصص بعضهم بذلك وعرف به. ومن هؤلاء « ... عمر المعروف بكسرى وكأن هذا الرجل من اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها

(١) ابن النديم - التهرست من ٣٠٥ و ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب (ط. بلا) ج ١ ص ٢٨٩ .

حتى لقب بعمر كسرى ^(١) ... وعن هذا الرجل نقل أبو عبيدة معمر بن المثنى الكثير من الأخبار الفارسية التي أوردها . ويظهر من بعض ما ذكره المعسوفي أنه روى كتابه في أخبار الفرس كله عن عمر ^(٢) . وأن هذا الكتاب « يصف ... طبقات ملوكهم من سلف وخلف . وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم ووصف ما بنوه من المدن وكوروا من الكور واحتفروا من الأنهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشاهرجة وغيرهم » ... وينقل المعسوفي عن هذا الكتاب عدة مرات بعض أخبار الملوك وطبقات الفرس .

أما في ميدان التأليف فلم يكن النشاط كبيراً في الفترة الأولى على الأقل . ومع ذلك فقد وضعت مؤلفات في تاريخ الفرس مثل كتابي الهيثم بن علي ، كتاب في أخبار الفرس ، وكتاب تاريخ العجم ومثل كتاب عبد الملك بن قريب الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٤) واسمها : نهاية الأربع في أخبار الفرس والعرب (ولا يزال منه مخطوط في المتحف البريطاني رقم ٩٠٤ ، ١٢٧٣) وهذه الكتب تعتمد على تلك الترجم و الأساطير الموجودة في كتب الفرس ويلتقي بها الخيالي من الأخبار مع الواقعى : ويخالط النسب الموهوم في الغالب مع بعض أخبار الاسكندر وبعض الأساطير الدينية . وفي هذا المجال لعب الدور الأول كتابان مقدسان هما :

– الآفستا ، كتاب زارادشت المقدس (والزند = التفسير) وقد اعتمد عليه بعض المؤلفين مثل حمزة الأصبهاني ^(٣) .

– كتاب مافي المعروف بالشبورقان ، « وهو من بين كتب الفرس مقول ، على عقب خروج أزدشير و MAVI من ندين بتحريم الكذب . وليس به

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٤ و ص ٣٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦ و ص ٣٢٤ .

(٣) حمزة الأصبهاني – تاريخ ملوك الأرض ص ٥٦ .

حاجة إلى افتتاح التاريخ » وقد شهد بذلك البيروني الذي نقل عنه^(١) .

- ثم كتاب ثالث هو : كتاب السكيران ، وقد ذكر المسعودي أن ابن المفعع ترجمه من الفارسية إلى العربية وذكر أن فيه أخبار الملك فراسيب وظهور خلفه زو بن تهاسف عليه و كيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سباونحس وخبر رسم بن دستان ، فهذا كله موجود مشروح في الكتاب المترجم بالسكيران وفيه خبر اسفنديار بن بستاسف ... وقتل رسم بن دستان له وما كان من قتل بهن بن اسفنديار لرسم وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وأخبارها » ... وبصيف المسعودي قائلاً » ... وهذا كتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من أخبار أسلفهم وسير ملوكهم »^(٢) ...

ومن الملاحظ أنه كثيراً ما كان فراغ بعض الكتب المؤلفة ، من المادة ، بُسْد إما بالأدب السياسي وإبراد الحكم والأمثال التي شاعت كثيراً وتسربت إلى الكتب العربية وإما بالإنشاء والبلاغة . ولو شئنا أن نقبل كتب الأدب السياسي ضمن الكتب التاريخية لوجدنا منها عدداً واضحاً من المؤلفات المتأثرة بالتفكير السياسي الفارسي والآخرنة عنه ، ومن ذلك أعمال ابن المفعع فإن له عدا ترجمة كلية ودمته : رسالة الصحابة التي وضعها كتقرير سياسي شامل لعصره في صورة مذكرة مقدمة للخلفية المنصور وكتب الأدب الكبير والأدب الصغير . ووجدنا كذلك في آداب السلطان والسياسة :

- أربعة مؤلفات أو ثلاثة كتبها أبو الفرج أحمد بن الطيب السريحي هي : كتاب السياسة الكبير والسياسة الصغير وكتاب أدب الملوك (يجانب كتاب آخر في المسالك والممالك) .

- ثلاثة مؤلفات بلغفر بن أحمد المروزي باسم كتاب الآداب الكبير

(١) البيروني - الآثار الباقية من ١١٨ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب (ط . بلا) ج ١ ص ٢٦٧ .

- كتاب الآداب الصغير ، وكتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان .
- ثلاثة كتب لأبي زيد البلخي هي : السياسة الكبير والسياسة الصغير ، واختبارات السير .
- كتابين للكندي هما : الرسالة الكبرى في السياسة ، رسالة في سياسة العامة .
- كتابين للتغلبي هما : أخلاق الملوك وأدب الملوك .
- كتاباً أخرى كثيرة منها :

 - الكتاب وسيادة الملكة وسيرة الخلفاء ، محمد بن داود الجراح .
 - آداب السلطان ، للمدائني .
 - سياسة الملوك ، لأبي دلف العجلي .
 - رسالة في السياسة الملوكية ، لعبد الله بن عبد الله بن طاهر .
 - تدبير الملك والسياسة ، لسهل بن هارون .

وكافة هذه الكتب متصل اتصالاً وثيقاً لا بالثقافة الفارسية السياسية فقط ولكن بالتاريخ الفارسي أيضاً .

وتحته باب آخر طرقه المؤلفون من الفرس يطل بدوره على التاريخ هو باب الأنساب والمثالب من جهة والفضائل والمناقب من جهة أخرى . وقد ألف في الموضوعين كتب كثيرة جداً بعضها في مثالب العرب وقبائلهم ، وبعض في مثالب الفرس ، كما ألف في فضائل الطرفين . ومن أبرز من ألف في المثالب خاصة : علان الشعوبي الذي عاصر الرشيد والمؤمن فإنه لم يدع قبيلة من قبائل العرب إلا كتب مثالبها قبيلة وفضحها في كتابه الواسع : كتاب المثالب . وكتب في المواضيع نفسها أبو عبيدة والهيثم بن عدي والحسبي ^(١) فocab لهم بعض

(١) انظر غالمة كتاب أبي عبيدة والهيثم بن عدي وعلان الشعوبي وغيرهم لدى ابن النديم .

المؤلفين الآخرين – ومنهم بعض الفرس – برواية مثالب الفرس ومصارع فرسانهم . كما كتبوا في أنساب الفرس مثل كتاب جمهرة أنساب الفرس لابن خرداذبة . وهذه التأليف وإن كانت في جذورها تستقي دوافعها من المعركة الشعوبية إلا أنها بدورها أتت بمجد يلي التاريخ والتدوين التاريخي : من ماضي العرب والفرس على السواء وكانت مع كتب الأدب السياسي وعاصر تاريخ الفرس أحد الرواقد الواضحة في المادة التاريخية التي حواها التاريخ العربي .

وبالرغم من أن مدرسة التاريخ الفارسية قد امتهنت بمدرسة العراق وأسهمت في نموها وكان بعض رجالها مشتركين بين المدرستين إلا أن الفارسية لم تمت كم ماتت مدرسة الشام أو مدرسة اليمن تحت وطأة بغداد والمدرسة العراقية . ولو تتبعنا تطورها خلال القرن الرابع لوجدنا أنها أخرجت بعض المثلين البارزين من المؤرخين ، كما أنه لم يأت نهاية ذلك القرن حتى كانت تسهم مع غيرها من العوامل في نهضة الأدب الفارسي القومي والتاريخ القومي الذي تمثل خاصة في الشاهنامة ، فكأنما كانت كتابة الفرس بالعربية مجرد طور عرضي أو لون عابر من ألوان أدبهم وتدوينهم التاريخي ما ليثوا أن عادوا تدريجياً عنه ، وبعد أن كتبوا في القرون : من الثاني إلى الرابع بالعربية فقط تقريباً ثم كتبوا قرنين تالين بلغة ثنائية (عربية وفارسية) أخذوا منذ القرن السابع يكتبون من جديد باللغة الفارسية خاصة دون أن يهملوا العربية – لغة الدين الإسلامي – تمام الاهتمام .

الفصل الرابع

المدارس الكنزية

أولاً : مدرسة المدينة^(١):

استأثر الاهتمام الإسلامي بهذه المدرسة ولعل السبب في ذلك أن المدينة كانت عاصمة الرسول والخلفاء الأول من بعده ومركز تجمع الصحابة والبلد الأساسي للدين الجديد صاحب الدولة والقترح . وحين احتاج المسلمون في أنحاء البلاد إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي ... ترجعوا أول ما توجهوا إلى من يقطنون به تلك المعرفة . وتصدى لايضاع ذلك بالمقابل : أبناء الصحابة أنفسهم خاصة ومنهم المجموعة الأولى ...

و قبل أن نتحدث عن هذه المجموعة لا بد أن نشير إلى مؤسس المدرسة العلمية لمختلف فروع العلم في المدينة :

(١) للتوسيع في أمر مدرسة المدينة التاريخية يمكن مراجعة كتاب المنازي الأولى من تأليف هورفيتش (ترجمة حسين نصار) وكتاب نشأة علم التاريخ عند العرب للدكتور الدورى الذي نجد فيه أيضاً الحديث الرأى الواسع عن مدرسة العراق . وقد اعتنينا الكتابين في كثير من نقاط الحديث من المرستين .

عبد الله بن العباس : (ولد قبل وفاة الرسول بثلاث عشرة سنة وتوفي سنة ٧٨ بالطائف) وكان أبرز فقهاء المدينة ، وأوسعهم اطلاعاً وعلماً وكان يسمى البحر لا لكترة علمه في الفقه فحسب ولكن في الأخبار الماضية أيضاً والنسب ، بجانب الشعر واللهجة وتفسير القرآن والحساب والفرائض . روى ابن سعد في الطبقات أنه : « كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ويوماً التأويل ويوماً المغازي ، ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب »^(١) . ويروى عن عطاء بن أبي رياح أحد تلاميذه قوله : « كان أناس يأتون ابن عباس للشعر وناس للأنساب وناس لأيام العرب ووقائعها فما منهم من صنف إلا يقبل عليه بما يشاء » ولعل مكانة ابن عباس في الرواية التاريخية إنما تتضح في ما رواه عنه الطبرى في تاريخه ، فقد ورد اسمه ٢٨٦ مرة عنده ، في ذلك التاريخ . ولا نكاد نقرأ فصلاً من فصول الطبرى إلى الجزء الخامس خاصة إلا وجدنا فيه قوله أو أكثر لابن عباس في الشعوب العربية البائدة أو الأسرابيليات أو المغازي . وكثير من المؤرخين الآخرين أخذوا قليلاً أو كثيراً من هذه الأمور عنه . ولعلهم تزيلوا في الكثير من أقواله حتى لنجد الكثير من التناقض بين الروايات المروية عنه .

ولم يترك عبد الله بن عباس شيئاً . ولكنه ترك أقواله ومعلوماته مكتوبة لدى بعض مواليه وبعض تلاميذه . ويدركون أنه كان لدى كريب بن أبي مسلم مولى ابن عباس حمل بغير أو عدل بغير من كتبه وأقواله المكتوبة . فكان علي بن عبد الله بن العباس إذا أراد الكتاب كتب اليه أبعث اليه بصحبة كلنا وكذا قال : فينسخها فيبعث اليه باحداها »^(٢) ... وهذا لا يعني فقط بهذه التدوين التاريخي في عهد مبكر منذ أواسط القرن الأول الهجري فقط ولكن يعني أيضاً أن ابن العباس ترك صحفاً لورثته بعد وفاته . وكانت من الكثرة

(١) ابن سعد - الطبقات (طبعة سخار) ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ و ١٢٢ ، ابن الأثير - أسد الثابة ج ٣ ص ١٩٣ .

(٢) ابن سعد - الطبقات (ترجمة كريب) ج ١/٥ ص ٢١٦ (طبعة سخار) .

حيث يبلغ حجمها حمل بغير ، وأما تلاميذه فكان لديهم بدورهم ما رواه عنه ومنهم : عروة بن الزبير و محمد بن كعب القرظي و وهب بن منبه و سعيد بن جير و أنس بن مالك و سعيد بن المسيب وغيرهم ... وعن هؤلاء أخذ الكثير من نعرف من الاخباريين اخبارهم والسير أمثال ابن أبي خيثمة و ابن السائب الكلي .

أما المجموعة الأولى من رواة المادة التاريخية في المدينة من أبناء الصحابة فنذكر :

١ - سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي : ولد في حياة الرسول عليه السلام ولم يلتقي به وبعثه بعضهم من الصحابة . ولعله من أوائل من دون أشياء عن حياة الرسول ، وربما بدأ هذا العمل أبوه سعد ثم جاء سعيد فعدله . وقد كانت النسخة الأصلية من تصنيفه موجودة عند حفيده : سعيد بن عمرو بن سعيد ، في أوائل العصر العباسي ^(١) . ولستنا نعلم متى توفي سعيد بن سعد . ولكن ابنه شرحبيل بن سعد (وهو مؤلف في المغازي) توفي سنة ١٢٣ / ٧٤٠ وقد ناهز المائة سنة ... وقد بقى لنا من كتاب سعيد نصوص محدودة في مستند ابن حنبل ولدى الطبرى .

٢ - سهل بن أبي خيثمة الملني الانصاري (ولد سنة ٣٥٦ / ٦٢٥ وتوفي في عهد معاوية بين سنة ٤١ وسنة ٦٠) . وقد كتب بدوره شيئاً عن حياة الرسول و مغازييه بقى في حوزة حفيده محمد بن يحيى بن سهل الذي روى عنه الواقدي كثيراً من الرواية . وكان محمد هذا حين يروي كتاب جده يقول : « وجدت في كتاب آبائي » وقد بقى شذرات عديدة من هذا الكتاب لدى البلاذرى (في أنساب الأشراف) و ابن سعد (الطبقات) والطبرى .

٣ - سعيد بن المسيب المخزومي (ولد سنة ١٣٤ / ٦٣٤ وتوفي بالمدينة سنة

(١) انظر ابن حجر - التهذيب ج ٤ ص ٦٩ ، وانظر ابن حجر - الإصابة ج ٢ ص ١٢٢٣ .

٩٤ / ٧١٣) وهو نسابة مؤرخ فقيه محدث له مشاركة واسعة في الأدب .
وكان الزهرى من تلاميذه . وقد كتب سعيد شيئاً عن حياة الرسول وعن الفتوح
استخدمنه الطبرى .

٤ - أبان بن عثمان بن عفان (ولد حوالى سنة ٢٠ هـ وتوفي بين سنى
٩٥ - ١٠٥ هـ) وهو محدث لامؤرخ . وما روى عنه من خبر فهو في السنة
خاصة لا التاريخ . وقد اهتم برواية المغازي التي روتها عنه مالك بن أنس
وابن سعد والطبرى . فهو مرحلة بين دراسة الحديث وبين تدوين التاريخ
ولعله لهذا روت عنه كتب الحديث كثيراً بينما لم يستخدم مروياته من المؤرخين
 سوى العقوبى .

٥ - عروة بن الزبير بن العوام (ولد حوالى سنة ٢٣ هـ وتوفي سنة ٩٤)
وهو بدوره محدث فقيه . بل أحد فقهاء المدينة السبعة . وكان في الوقت نفسه
أول من ألف في « المغازي » أي كتب كتاباً حول حياة الرسول كما كتب
الرسائل حول أحداث الإسلام وقد أخذ عنه ابن اسحق والواقدي والطبرى .
وما أخذوه عنه وأخذه من بعد غيرهم ، كابن سيد الناس وابن كثير ،
يكشف أن روایات الرجل كانت صريحة بسيطة تخلو من المبالغة وتستمد معلوماتها
من مصادر أولية هامة ... من عائشة وأكل الزبير ^(١) ويظهر من أخباره التي لم
يكن يعني فيها كثيراً بالسند أنه قد سبقه جماعة آخرؤن في المدينة في رواية
تلك الأخبار ، وكان ما يروى حصيلة جهد جماعي في تقصي أخبار الإسلام
الأولى . وقد تجاوز عروة في الروایات التاريخية فترة الرسالة إلى عهد أبي بكر
ومن بعده حتى واقعة الجمل ، بما في ذلك الردة والفتح في القادسية واليرموك .
ويمكن أن يعتبر بما وضع من الجسور بين دراسة الحديث والتاريخ « رائد »

(١) عروة هو سبط أبي بكر الصديق فأنه أسماء ذات النطاقين وحالته عائشة وأبوه الزبير بن العوام
وأخوه عبد الله بن الزبير وجده لأبيه هي أيضاً خديجة بنت خويلد الأسدي .

علم التاريخ والرجل الأول » في المدرسة التاريخية في المدينة خاصة وفي الشام .

ومن جهة أخرى فقد درس هوروفيتش ما بقى لدى الطبرى من الروايات التاريخية المتعلقة بحياة الرسول والتي رواها عروة بن الزبير ومنها : قطعة عن الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وأخرى عن الهجرة إلى يثرب ، وثالثة عن أبي سفيان ومخرجه وموقعة بدر ، ورابعة عن خالد بن الوليد ، وخامسة عن وفاة خديجة زوج الرسول ^(١) وبين هوروفيتش أنها من خلال استنادها عبارة عن أجوبة كتب بعضها عبد الملك بن مروان إلى عروة فأجابه عليها يقول : « ... كتبت إلى تسألني في ... (كذا) » واستنتاج من ذلك أنها « أقدم ملاحظات مدونة بقيت لنا عن حوادث معينة في حياة الرسول وهي في الوقت نفسه أقدم آثار النثر التاريخي العربي » ^(٢) ... وبذلك تكون قد وضعنا أيديينا على بداية التدوين التاريخي الإسلامي ، الذي يعود في رأيه إلى عروة وإلى زمن عبد الملك بن مروان ...

وقد درس الدكتور الدوري بدوره كافة ما روی عن عروة من أخبار وبين أنه « تطرق في مغازيه إلى بدء الوحي وبداية الدعوة والهجرة ثم تناول فعاليات فترة المدينة ... حتى غزوة الطائف وبعض مراسلات الرسول وأواخر أيامه . وقد جاءت بعض رواياته أجوبة على أسئلة البلاط الأموي وبعضها حدث بها طلبه » ^(٣) ... وبذلك يكون قد حدث في السيرة كلها ولكن دون خطة واضحة فيها .

ويمكن أن نضيف أيضاً إلى هؤلاء بعض التابعين ومنهم :

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٤٤١ ، ٣٧٥ ، ٥٥ من ٧٠ ، ج ٣ من ٤٢ ، ١١٨٠ / ١ ، ١٢٢٤ ، ١٢٣٤ ، ١٢٨٤ ، ١٦٣٤ ، ١٦٥٤ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧٠) .

(٢) هوروفيتش - المنازي الأول (ترجمة نصار) ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) الدوري - نشأة علم التاريخ ص ٦٤ - ٧٣ .

٦ - شرجيل بن سعد مولى بنى خطمة (ولد في أو اخر عهد عمر سنة ٢٤ و توفي سنة ١٢٣ / ٧٤٠) وهو وإن كان متهمًا في دقته ولا يعتمد ابن اسحق والواقدى ولا ابن سعد الا أنه أعطى قوائم بأسماء الصحابة في المعارك الكبرى . وكانت ترتبط بهذه القوائم في عهده القيم الاجتماعية في طبقات المسلمين .

٧ - أبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري . ونجمل سنة ولادته ولكنه توفي سنة ٩٧ / ٧١٠ وقد وصفه ابن اسحق بأنه أحد كبار علماء الانصار . روى عن أبيه وكتب كتاباً في المغازي لعله لم يتسع فيه . وقد روى عنه ابن اسحق ونقل عنه الطبرى .

٨ - القاسم بن محمد بن أبي بكر ، حفيد الصديق (ولد حوالي سنة ٣٧ / ٦٥٧ و توفي سنة ١٠٧ / ٧٢٥) وكان من كبار العلماء في عصره . ويبدو أنه كتب بدوره في المغازي وأخبار الخلفاء كتاباً أو أكثر من كتاب . وقد حفظ لنا الطبرى مقتبسات عديدة منه . ونجد بعض المقتبسات أيضاً لدى البلاذري والواقدى .

وفي الوقت الذي كانت هذه الجماعة تهم بتدوين السيرة والمغازي وما يتصل بها كانت جماعة أخرى تهم بتوضيح ما ورد في القرآن من قصص الموعظة . ولما كان ذلك القصص متصلةً بالأنباء الأول فقد كان المجال واسعاً لمن يعرف علوم أهل الكتاب في هذا الباب كي يتقدم للتفسير . ومن هنا دخلت الاسرائيليات إلى السيرة والتفسير وبرز في ذلك شخص لا يدخله القدماء في نطاق علم التاريخ العربي وإن كان بعض المستشرقين يدفعونه إلى الصفة الأولى ...

- وهب بن مهبة (توفي غالباً سنة ١١٤) وهو الذي بدأ القصص التاريخي . وقد مر معنا أنه يعاني من الأبناء وقد ورد على المدينة باتجاه غريب عنها ، فروى خاصة عن كعب الأحبار (المتوفى سنة ٣٢) وعبد الله بن سلام (المتوفى سنة ٤٠) وأضاف ما عرفه من أهل الكتاب والكتب المقدسة التيقرأ منها حسب

رواية ٣٠ أو ٧٠ أو ٩٣ كتاباً . وقد قابل العلماء معلوماته بالريبة ولذلك لم يذكروه في أصحاب « المغازي » وفي المؤلفين للسيرة . ومع ذلك فقد وجدت قطعة من مغازيه ^(١) ، كما أنه ألف كتاب (المبتدأ) الذي يعتبر أول محاولة في الإسلام لكتابية تاريخ عالمي من خلال تاریخ الأنبياء والرسالات . كما كتب كتاب (الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم) .

ولكن الأسلوب القصصي الذي ساق به روایاته دون سند وما تضمنت تلك الروايات من مادة أسطورية لاسيما عن اليمن ، ومن قصص شعبي يهودي ، ومن شعر موضوع دخول الشك في كتبه ، في دقتهما وفي صلتها ، فام يأخذ العلماء أحاديثه مأخذ الجد واعتبر نموذج « الاخباري » . ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون ذا أثر في مدرسة المدينة التاريخية ولم يمنع الاسرائيليات التي جاء بها من أن تدخل السيرة والتفسير ومن أن تختلط بتأريخ العرب قبل الإسلام . وقد أخذ عنه ابن اسحق كما أخذ عنه ابن قتيبة والمسعودي والمقدسي والطبرى والكسانى ونعلب .

وقد تلا هذه المجموعة الأولى جيلان ثان بُرِزَ فيه عدة علماء :

— عبد الله بن أبي بكر بن ابن حزم (المتوفى بين سنتي ١٣٠ - ١٣٥) وهو من سلالة عريقة الصلة بالإسلام فجاءه الأعلى عمرو بن حزم كان والي النبي على اليمن وجدته محمد قتل دفاعاً عن المدينة في واقعة الحرة وأبوه كان قاضي المدينة ثم واليها مرتين سنة ٩٦ و ١١٨ ، أما عبد الله فشغل نفسه بالحديث وسيرة الرسول . وقد رويت عنه أخبار تتصل بشباب النبي وأعوامه الأولى وبالغزوارات كما وجه عناته إلى الوفود التي وفدت من القبائل على النبي وروى أخباراً عن الردة وعن الأيام الأخيرة لعثمان . وكان يستند أخباره إلى

(١) وجده المستشرق بيكر قطعة من مغازي وهب بن منبه في مخطوط تاريخ نسخة سنة ٢٢٨ فيه ذكر لبيمة المقبة ونوبة قريش والمحجرة، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني قطعتان أيضاً (ج ٢ ص ٧٣ و ٧٩) .

ورأتها أحياناً ويخرج كغيره من الرواة ما بين الشعر والخبر . ولعل أهم ما جاء به عبد الله أنه :

أ - لم يقنع بجمع الأخبار التي وصل إليها بل حاول أيضاً . في ذلك الزمن المبكر ، أن يتذكر الترتيب السنوي للحوادث . فجمع قائمة لغزوات النبي مرتبة الترتيب السنوي وقد استعارها ابن اسحق في سيرته ، ونقلها الطبرى ^(١) . وهذا ما يجعله من أوائل إن لم يكن أول واضع للمنهج الخوري في التاريخ الإسلامي منذ مطلع القرن الثاني .

ب - عنى بجانب الأخبار بالوثائق المدونة كالرسالة التي كتبها النبي إلى ملوك حمير ، والوثيقة التي أعطاها النبي جده الأكبر عمر بن حزم ليأخذها معه حين بعثه إلى أهالي نجران يفقههم في الدين .

- عاصم بن عمرو بن قنادة : (المتوفى سنة ١١٩) وهو من الأنصار وقد حارب جده قنادة مع النبي في بدر ، وكان حامل لواء قبيلةبني ظفر في حينين ، وكان والده عمر من رواة الحديث ولم يقلد عملاً رسميًّا ولم يكن من المؤرسين ، ولعل هذا هو السبب في رحيل عاصم إلى دمشق يلتمس لدى بلاط الأمويين بعض المغونة كغيره من أهل المدينة في الشدائدين . وقد « قضى (الخليفة عمر بن عبد العزيز) دينه وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمقازي ومناقب الصحابة ففعل ثم رجع إلى المدينة سنة ١٠١ » . وكانت « معرفته بالسيرة والمغازي مشهورة » وكان « يعد فيها من الرواة الثقات » ^(٢) فظل في المدينة يروي معارفه في الحديث والمغازي قرابة عشرين سنة حتى توفي .

وطريقة عاصم في الرواية والسنن وذكر الشعر شبيهة بطريقة صاحبه عبد الله ابن أبي بكر .

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٥٢ (١٧٥٦ / ١) .

(٢) انظر هوروفيتش - المنازي الأولى (الترجمة) ص ٤٨ نقلًا من الذهبى وابن سعد .

- أبو روح يزيد بن رومان الأنصاري المدنى : وهو من موالي أسرة الزبير . عاصر التابعين المتأخرین وتوفي سنة ٧٤٧/١٣٠ وقد روی عن عروة كما روی عن معاصره الزهري وتلمذ عليه ابن اسحق والإمام مالك . وقد ألف في المغازى كتاباً وصل إلى الواقدي فاقتبس عنه كما نجد منه مقتطفات لدى ابن سعد والطبرى .

- أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأنصاري : وهو كذلك ربيب الزبيرين ، توفي سنة ٧٤٨/١٣١ (أو سنة ١٣٧) تلمذ على عروة أيضاً كما كان من تلاميذه الزهري وبعض مؤرخي مصر (كابن طبيعة والليث بن سعد) ونجد لدى ابن حجر في الإصابة حوالى ٤٨ قطعة من كتابه في المغازى^(١) كما نجد بعض القطع لدى ابن سعد في الطبقات ولدى البلاذري في أنساب الأشراف ولدى الطبرى أيضاً مما يسمح بدراسة هذا المؤلف دراسة دقيقة .

أما الرواية الاخباري المعاصر لظواه والذى كان أكثر شأناً منهم جميعاً فهو :

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ - ١٢٤) : الذي أسس المدرسة التاريخية في المدينة وفي الشام أيضاً والذي وجدت كما قال ابن سعد « أحمال من كتبه لدى الأمويين ». كان الزهري سليل قبيلة زهرة المكية وقد حارب جده الرسول في بدر وأحد كما كان أبوه بجانب عبد الله بن الزبير في ثورته . وقد وفد على مروان بن الحكم في دمشق ثم على عبد الملك ثم استقر لديهم ، يسجلون معارفه . وكان عالماً بالأنساب عالماً بأخبار عهد الرسالة والراشدين ، خصباً الانتاج ، كتب جميع ما يعرف . وقد أدركه مالك بن أنس دوره المام هذا في التدوين فقال عنه «... أول من دون العلم ابن شهاب ». ثم تابعه الناس .

(١) انظر ابن حجر - الإصابة ج (١) مثلاً الصفحتان : ٣٢٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٢ ، ٤٤٨ ، ٤٧١ ، ٥٦٤ ... الخ .

وبهذا الشكل كان أول مدوني التاريخ الإسلامي . كتب مغازي الرسول وأعطى السيرة النبوية إطارها الذي نعرف إلى اليوم وتناول عهد الراشدين ومطلع الأيام الأموية بأسلوب تفصي في الأخبار من أصحابها ، ومحض الروايات وجمع أسنادها في سند جملي واحد وراغي التسلسل التاريخي وأبرز الأحداث الحامة وابتعد رغم حبه للشعر عن الشعر وعن الفصوص أي أنه كتب التاريخ .

ويظهر من مقتطفات الطبرى عن الزهرى أن هذا المؤرخ لم يعالج الفترة الأموية وإن كان أجاب الوليد عن أسئلة ألقاها إليه تتعلق بأعمار الخلفاء الأمويين وكتب أسنادهم ومدة حكم كل منهم . وتناول الزهرى لفترة الراشدين بالتفصيل يكشف عن « أن الاهتمام بتجارب الأمة الإسلامية الأولى كان عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية . فنبدأ الاجتماع وظهور الأحزاب السياسية والخلاف بينها حول الأحداث الماضية وخاصة الفتنة والخلافة ومشكلة التنظيم الإداري وخاصة تنظيم الضرائب والديوان ، كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية »^(١) ...

وقد تابع جهد الزهرى من بعده تلاميذه وأبرزهم ثلاثة :

١ - موسى بن عقبة الأسدى المدنى (ولد بين سنة ٥٥ وسنة ٦٠ وتوفي سنة ٧٥٨/١٤١ - ٩) الذي روى المغازي وتاريخ الراشدين والأمويين عن الزهرى كما استخدم كتب ابن عباس وكانت حمل بغير . ونقل عنه ابن سعد وابن اسحق كما نقل عنه الواقدى والطبرى^(٢) وكان مالك بن أنس تلميذًا له ويوثقه (كيداً بابن اسحق) ويقول عن سيرته « إنها أصح السير »^(٣) والواقع أن ابن عقبة تميز بفك تارىخى منهجه منظم سمع له ، وهو يبحث مغازي الرسول وأخبار الخلفاء الراشدين والأمويين :

(١) الدورى - نشأة الكتابة التاريخية ص ٩٨ .

(٢) في برلين مخطوط يحوى جزءاً من المغازي التي كتبها موسى بن عقبة وقد نشره سخار ١٩٠٤ .

(٣) انظر السخارى - الاعلان ص ٥٢٥ وانظر ابن حجر - التمهيد ج ١٠ ص ٣٦١ .

أ) أن يفكر بوضع قوائم بأسماء الصحابة المهاجرين إلى الحبشة ، أو المشاركين في بيعة العقبة وغيرهم .

ب) أن يضع بدوره ، مثل ابن أبي حزم ، مادته التاريخية في تسلسل زمني ، وهكذا قدمت مدرسة المدينة بعمل هذين المؤرخين أهم الخدمات لتطور التدوين التاريخي .

وقد لقى كتاب المغازى لابن عقبة الكبير من الاهتمام فيما بعد لدقةه واستيفائه واستخدمه الكثيرون ومنهم أبو نعيم الأصفهانى الذي كتب بخطه فاستخدم هذه النسخة نفسها بعد قرنين ياقوت الحموي . وجمع قطعة منه ابن قاضى شبهة الأسدى الدمشقى (توفي ٧٨٩ / ١٣٨٧) . ثم جاء ابن حجر فاحفظ لنا في كتاب الإصابة بقطع من هذه المغازى تزيد في العدد على ٢٢٥ قطعة تمثل القسم الأكبر منها .

وقد اختصرها قبل ذلك ابن عبد البر في كتاب الدرر في اختصار المغازى والسير . واقتبس منها الكبير ابن سيد الناس في كتابه عيون الأئم . وبقي منها إلى اليوم قطع مخطوطه في برلين ترجم بعضها المستشرق سخاوة درسها شاخت وإن لم تنشر بعد .

٢ - معمر بن راشد البصري ... (ولد في البصرة سنة ٩٦ وتوفي سنة ١٥٤ / ٧٧٠ في صنعاء) الذي انتقل من البصرة إلى اليمن ولم يرتحل إليها قبله أحد من المحدثين . ثم كان في تنقله بين البلدين صلة الوصل بين مدرستي العراق واليمن قبل أن يستقر نهائياً في صنعاء يحدث حتى الوفاة . وقد كتب كتاباً في « المغازى » نقل فيه عن الزهرى (١) وعن أهل الكتاب ثم نقل عنه الواقدي والبلاذري وأبن سعد والطبرى . ولم يرتب معمر مادة كتابه الترتيب الزمني

(١) نجد في شذرات الذهب لابن الخطيب (٢٢٥ / ١) أن له كتاباً هو « الجامع المشهور في السير وهو أقدم من الموطأ » ولعله كتاب المغازى نفسه .

كما فعل معاصره ابن عقبة ولكنه اتبع الترتيب الموضوعي على غرار ما فعله هو نفسه في علم الحديث فإنه يعتبر من أوائل المحدثين الذين رتبوا الأحاديث في أبواب ومواضيع . ويبدو أنه لم يقتصر على سيرة الرسول في الكتاب ولكن أضاف إليها سير الأنبياء الآخرين . وتدل المقتطفات المأذوذة عنه في الطبرى أنه أدخل الكثير من قصص الكتابين المتعلقة بالرسول إلى السيرة . كما أن ابن سعد أخذ أخباره عن طريق تلميذه معمر : عبد الرزاق بن همام (المتوفى سنة ٢١١ / ٨٢٦) والذي كتب بدوره كتاباً في « المغازي » يذكره ابن النديم ^(١) ولعله مأذوذ عن كتاب أستاذه مع التعليق عليه . وقد وصلتنا قطعة من كتاب معمر بن راشد على رق شديد القدم محفوظ في المعهد الشرقي بشيكاغو ونشرت النص الباحثة نبيهة عبود . كما وصلتنا قطع أخرى من الكتاب ما تزال مخطوطة في استانبول والرباط ودمشق . ونسخة استانبول على رق الغزال نسخت في طبليطة سنة ٣٦٣ / ٩٧٣ .

٣ - محمد بن اسحق المطابي ^(٢) وهو أبرز وأهم الثلاثة وعمود المدرسة المدنية (ولد حوالي سنة ٧٥ وتوفي سنة ١٥١ أو سنة ١٥٢) ، به بدأت الكتابة التاريخية ، وقد كتب أقدم سيرة نبوية محفوظة الآن برمتها . جده يسار كان من بي عين التمر أول سبى وصل المدينة في الفتوح ، وقد تقصى محمد الأخبار في هذا البلد من أهله فيذكرون منه وحده أكثر من مائة راوٍ كما روى ، وعن أهل الكتاب والموالي والأعاجم وعن الآيات والحديث والوثائق ومن القصص الشعبي العربي وما رواه وهب بن منبه عن اليمن . فمصادر معلوماته كبيرة التنوع وتبلغ ١١٤ شيئاً ^(٣) ولكن هذا التفصي ^(٤) خلق له بعض المصاعب ،

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٢٤٨ .

(٢) كتب عنه المشرق يوحنا فوك Fuck رسالة هامة (طبع فرانكفورت سنة ١٩٢٥ بالألمانية) .

(٣) من شيوخه شلا أبوه وقد ورد اسمه ١٥ مرة في السيرة وعبد الله بن أبي بكر المترقب سنة ١٣٦ وقد ورد ٤٠ مرة ويحيى بن عبد الله بن الزبير الذي تردد اسمه ١٤ مرة ... الخ .

(٤) كان معروفاً أن سيرة ابن اسحق محفوظة في جملتها في سيرة ابن هشام التي لا تنسى أن تكون تشذيباً وتنتيحاً لابن اسحق . ثم تبين أن في المغرب نسخة مخطوطة من سيرة ابن اسحق وقد نشر ويحمل على ذلك الآن الدكتور عبد المزير الدورى .

فقد صد العراق في مطالع حكم المنصور وأهداء مغازيه التي كان كتبها في المدينة . وسمع منه أهل الجزيرة والري حيث ظهر الكثير من رواته ولم يَرُو عنه أهل المدينة إلا القليل لأن عداء مالك بن أنس له واتهامه أيام بالدجل جعلهم يتحرجون في أمر توثيقه . وقد جمع المستشرق فوك قائمة من ١٥ تلميذاً لابن اسحق معظمهم عراقيون وجزيريون ومن الري .

وقد كتب ابن اسحق كتاب (الخلفاء) الراشدين والأمويين في الأرجح وقد عرفنا منه مقتطفات مبعثرة في الكتب ولدى الطبرى ، وله كتاب (المبدأ) الذي لا يعنو أن يكون القسم الأول من المغازى وقد أفرده بكتاب خاص يروى لوحده لأنه يتناول مبدأ الخلق حتى ظهور الإسلام . والتأثير واضح فيه بورب ابن منه والاسرائيليات وقصص اليمن . وأخيراً « المغازى » أي السيرة النبوية وهي مجد الرجل الحقيقي وهي تجمع بين الآي القرآني والحديث والوثائق والأخبار التاريخية ، يضاف إليها الاسرائيليات وقصص الشعبي والشعر من صحيح موضوع ، وحفظ لنا بهذا التفصي الكبير من المعلومات .

وقد جمع ابن اسحق بين المحدثين والأخباريين في الأسلوب كما وسع حدود السيرة إذ مدتها إلى مبدأ الخلق ومن أجل ذلك كله نقل من الكتب ومن يسمىهم أهل العلم الأول من أهل الكتاب . ولم يدقق كثيراً في السندي أو في مصادر الأخبار ولا في الأنساب ولم يستخدم الشعر فقط ولكنه كان يصطنه ، وتعمل له القصائد ليدخلها في السيرة مع المناسبات حتى لقد ذكر قصائد من عاد ونمود ، وإن يكن شعرأً غنائياً يتعلق بشرح الأحداث لا ببروايتها . وتظهر في سيرته ميلوه السياسية والدينية فما كان هواه معبني أمينة ولكن مع التشيع كما كان قدرى الرأى ، وعلى خلاف مع مذهب الإمام مالك في الحديث والفتوى . ويتعلق هامليتون جب على مغازى ابن اسحق بأنها كانت ثمرة تفكير

أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب بل تاريخ النبوة بذاتها . فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها .

وسيرته التي لم تجد رواجاً في المدينة راجت في المشرق وانتشرت ورويت ومن الروايات هذه ما ضاع كرواية ابراهيم بن سعد ورواية محمد بن عبد الله ابن نمير المتوفى سنة ٢٣٤ في حران . ومن الروايات ما يقى ، فرواية البكائني هي التي اعتمدتها ابن هشام وتناولها بالتفصيع والتقريب من وجهة نظر المحدثين كما اعتمدتها اليعقوبي والطبراني ورواية يونس بن بكير الشيباني (المتوفى سنة ١٩٩) وهي التي اعتمدتها الحكم النيسابوري (في المستدرك) وابن الأثير (في أسد الغابة) وابن حجر العسقلاني (في الإصابة) .

وقد ظهر بجانب ابن اسحق معاصر له كتب في المغازي أيضاً هو :

.. أبو عشر السندي (توفي بعد سنة ١٧٠ في بغداد) اسمه الأصلى عبد الرحمن بن الوليد بن هلال . ويظهر أنه سرق من موطنه في السندي أو اليمين وبعث في المدينة وسمى فيها باسم ... (نجيع) ثم بأبي عشر حين أصبح في ولاء أم موسى بنت منصور المجري ، زوج المتصور وأم الخليفة المهدى . وقد اشتري نفسه بالمالكاتية وارتبط بالعباسيين وبالخليفة المهدى بخاصة .

وكان يحاول أن يكون محدثاً ولكن شهرته في الحديث بقيت محدودة واشتهر بالتاريخ وبأنه « بصير باللغازي » كما قال أحمد بن حنبل ، وقد احتاج الأئمة بتاريخه .

ويظهر من المقتطفات الباقية في الكتب عنه أنه مؤلف في المغازي روى سيرة الرسول جميماً وترجم الصحابة كما يظهر أنه ألف تاريخاً ، عرف باسم تاريخ الخلفاء ، على الحواليات ، تناول فيه التاريخ الإسلامي حتى سنة ١٧٠ فهو على هذا النحو أقدم المؤلفين في هذا التاريخ .

وقد أخذ الواقدي من مغازيه وأخذ ابن سعد . بينما أخذ الطبرى عن التاريخ حتى توقف سنة ١٧٠ . ولعله من المناسب أن نلاحظ هنا أن مدرسة المدينة التاريخية قد تحولت في مركزها منذ مطالع المهد العباسى إلى العراق . فقد انتقل ابن اسحق منها وقد انتقل ابن معشر وقد ظهر آخر ممثلي هذه المدرسة ، يمثلان نهاية تطورها وقمة ذلك التطور في العراق أيضاً وهما الواقدي وابن سعد ..

الواقدي محمد بن عمر (ولد سنة ١٣٠ م توفى سنة ٧٤٧ / ١٣٠) عهد المأمون) وهو من الموالي في الأصل وقد تلقى العلم (الحديث والفقه خاصة) عن مالك بن أنس في المدينة وعن سفيان الثوري وعن ابن جرير رأس علم الحديث . ونال الشهرة الواسعة في عصره وقد عرف بالرشيد في بعض حجمه ثم خُلِقَ به إلى بغداد والتحق بابنه المأمون من بعده واتصل الاتصال الطيب بالبرامكة . وكان جماعة للكتب يشربها ويستنسخ وقد مات وعنده منها ٦٠٠ قمطر !

وإذا كان الواقدي معتبراً من مدرسة المدينة فقد قضى أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد التي ولّي فيها أحياها القضاة .

وقائمة مؤلفاته طويلة متنوعة . يذكر له ابن النديم في الفهرست (١) ٢٨ كتاباً معظمها يذكر حول المهد الإسلامي دون الجاهلية التي يبدو أنه لم يكن يعلم عنها شيئاً كما يروي ابن حجر في التهذيب (٢) .

وتعزى إليه بعض الكتب مما لا قيمة له . وكتبه التاريخية التي جمع فيها مادة ضخمة دونها التدوين الحسن تضم مؤلفاته في (أخبار مكة) و (أزواج النبي) و (وفاة النبي) و (السقيفة) و (سيرة أبي بكر) و (الردة) و (يوم الجمل) و (صفين) و (مولد الحسن والحسين) و (مقتل الحسين) وتصانيف

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ابن حجر - التهذيب ج ٩ ص ٣٦٥ .

(القبائل ومراتبها) و (ضرب الدنانير والدرارهم) و (وضع عمر الدواوين) و (مراعي قربش والأنصار في القطائع) كما تضم (أمر الحبشة والقبيل) و (حرب الأوس والخزرج) ولعل أهمها ..

- التاريخ الكبير الذيتناول الخلفاء حتى سنة ٧٩٥/١٧٩.

- كتب الفتوح .. فتح الشام وفتح العراق وفي نسبتها إليه كثير من ^(١) الشك .

- الطبقات وهو في تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة وظهوره أهمية هذا الكتاب بما يكشف من علاقة الحديث بالتاريخ ونشره . فهو أقدم كتاب منظم على الطبقات . وعلى مثاله ألف ابن سعد تلميذ الواقدي طبقاته المعروفة .

وأخيراً .. المغازي . وهي الكتاب الوحيدباقي من الواقدي . فشمة جزءه

(١) تسب هذه الكتب إليه وهي موجودة فعلاً ... فهناك ...

- كتاب فتح الشام ومصر وهو مخطوط بالتحف البريطاني وقد نشر في ليدن بعنوان كتاب فتح مصر والاسكندرية التسوب إلى الواقفي كما طبع في مصر سنة ١٣٦٨ بعنوان «فتح الشام في جزمين» يتضمنان فتح الشام ومصر والعراق .

- وهناك كذلك كتاب فتح أبهنا وفيوم من أرض مصر وهو مخطوط بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن (وملحق بمخطوط تاريخ أبي الفداء) . وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٢٨٠ بعنوان (فتح أبهنا وما فيها من المجائب والغرائب وما وقع فيها الصحابة) .

- وكتاب (فتح أفريقية) وهو مخطوط بالتحف البريطاني وفي مكتبات باريس وكامبردج والجزائر وفاس نسخ منه وقد نشر سنة ١٣١٥ ببرقة عبد الرحمن الصنادلي (راجع سعد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب للغرب بين الحقيقة والسطور ... دراسة ونقد لمخطوط فتح أفريقية للواقدي - مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية المجلد ١٦ لسنة ١٩٦٢ الإسكندرية ١٩٦٢ ص ١ - ٤٣) ويلاحظ على هذه الكتب أنها تحمل الطابع الأسطوري الذي لا يعرفه الواقدي كما أن فيها اشارات إلى شخصيات من القرن السادس والسابع (سيدى أبو مدین ، سيدى أبو الحجاج الأنصاري ...) مما يكاد يعزز بأن هذه الكتب في حالتها التي وصلت إليها بها عمل الأقل ، ليست للواقدي وقد دخلتها الأسطورة في النايل بعد القرن السابع المجري .

من الكتاب طبع في كلكتا (طبعه فون كريمر سنة ١٨٥٦) وهناك نسخة كاملة مخطوطة مع جزء آخر من مخطوط ثان في المتحف البريطاني. وقد نشر (فيشر) النص العربي الكامل بعد أن كان (ولماوزن) قد نشر موجزه مع ترجمة انكليزية.

ويبدو الواقدي في المغازي أكثر ارتباطاً بأساليب مدرسة المدينة وأكثر دقة من ابن اسحق . لم يهم كابن اسحق بالفترات السابقة للإسلام ولا بالعصر الباهلي وركز همه في السيرة . ونهجه في العرض منظم منطقى .. يذكر مصادره الأساسية وهي ٢٥ اسماء وتاريخ المغازى ثم يدرسها بالسلسل الزمني ويدقق في تحديد التواريخ ويبحث عن نصوص الوثائق ويستعمل الاستاد بدقة على منهج المحدثين ويقتبس من الشعر ولكن في قصد لا يبلغ حدود ابن اسحق ويدمج بعض الأخبار في سند جمعي واحد . ليستطيع استيفاء التفصيل ويهتم بتحديد الواقع الجغرافية حتى لقدر بلغ من حرصه في ذلك أن زار بعض تلك الواقع بنفسه . وبالرغم من ميوله العلوية فإنه كان بعيداً عن التعصب لدرجة أنه في ابن النديم بالتفصي ولكن الشيعة لا يعدونه في رجالهم . وقد بلغ عراقته رأي الناس في علمه أنه كان يأخذ عن ابن اسحق كثيراً وقد يمتدحه ولكنه لا يصرح باسمه أبداً فيما يأخذ عنه لوضع ابن اسحق من الريمة في المدينة .

وال McCartefat من كتب الواقدي كثيرة متفرقة . فالطبرى يروى كثيراً عنه وخاصة في التاريخ الكبير . وفي كتاب غزوات ابن حبيش (المتوفى سنة ٥٨٤) وهو مخطوط في مكتبة الفاتيكان استخدمه كاتباني في فصل الردة من كتابه ، مقتطفات من كتاب الردة للواقدي .

وكتاب المغازى للواقدي موجود بشكل مخطوط في فيينا (رقم ٨٨١ في ١٩٦ ورقة) وفي المتحف البريطاني (Or ٤١٦) و ٥٠٢ ، Sup. ١٦١٧ . وقد حقق بعضه فون كريمر ثم حققه غيره . ثم نشر النص العربي في القاهرة من

قبل عباس الشريفي سنة ١٩٤٨ . وله ترجمة فارسية وأخرى تركية . كما اخصره ابن حجر .

أما كتاب الردة فمخطوط في الهند ومنه قطع في الإصابة لابن حجر . وأما فتوح الشام ف منه مخطوطات كثيرة عديدة في استانبول خاصة ولندن وبارييس والقاهرة وغيرها . ومثل ذلك فتوح مصر ، وبقية كتب الفتوح . وثمة قطعة من كتاب الصوائف للبيهقي (تاریخ دمشق ١ ص ٣٨٥) . وثمة قطع من كتابه (صفين) لدى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

وإذا كان أهل الحديث لا يقبلون كل القبول بالواقدي فالمورخون يوثقونه . أما المستشرقون فيرون فيه بسبب تدقيقه الزمني والجغرافي واعتماده الوثائق المؤرخ الأولى . وقد ختم مدرسة المدينة تقريباً تلميذ الواقدي :

محمد أبو عبد الله محمد بن سعد^(١) بن منيع البصري الزهراني (كاتب الواقدي) ، ولد سنة ١٦٨/٧٨٤ في البصرة وتوفي سنة ٨٤٥/٢٣٠ في بغداد وهو ابن مولى من المدينة يلتحق ولاه بالعباس . عاش حقبة من الزمن في المدينة ثم انتقل منها بين مدن أخرى وقد تعرف في بغداد على الواقدي والتتصق به وبالرغم من أنه درس على شيوخ آخرين كثرين فإنه ظل على الارتباط بهذه الشيخ حتى آخر حياته .

وصلته الكبيرة بالواقدي لم تعطه فقط لقب كاتب الواقدي ولكنها أيضاً سمحت لابن النديم صاحب الفهرست أن يقول انه ألف كتبه من تصنيفات الواقدي ولكنه لا يذكر له في الوقت نفسه إلا كتاب أخبار النبي . ويظهر ان هذا الكتاب ليس غير القسم الأول من كتاب ابن سعد المعروف

(١) ألفت رسالة عن ابن سعد بالألمانية صاحبها أوتو لوثر Loth الذي نشر أيضاً بحثاً سنة ١٨٦٩ في المجلة الشرقية الألمانية بعنوان . (طبقات ابن سعد) كما كتب مقال (أصل الطبقات وأهميتها) ...

بالطبقات الكبرى مع أننا نجد أن هشاماً الكلبي كان مصدر ابن سعد المباشر في تاريخ اليهود والنصارى كما استفاد من سيرة ابن اسحق ومن كتاب نسب الأنصار لعبد الله بن محمد بن عمارة (سنة ٢٠٠هـ).

فتلاميذ ابن سعد رروا عنه (أخبار النبي) و (طبقات الصحابة) على أنها كتابان . وقد حفظت الطبقات على صورتها المعروفة للمرة الأولى على يد الحسين بن فهم (٢١١ - ٢٨٩هـ) ثم جمع ابن معرفة الكتابين حوالي سنة ٣٠٠هـ مشكلاً منها كتاباً واحداً تولف سيرة النبي القسم الأول منه^(١).

وابن سعد آخر جامعي السيرة من المتصلين بالمصادر الأولى وثاني مؤلف بعد ابن اسحق وصلنا كتابه عن السيرة والطبقات كاملاً . ولن يأتي بعده مؤلف يأتي بمزيد فيها . وأسلوبه التارىخي رغم أنه يجعل الملامع التي يحملها السابقون له إلا أنه يتميز بملامع خاصة أيضاً .

مصادر معلوماته تعتمد بخاصة على الواقدي - وان كان يعطي أحياناً تفاصيل أوفي منه ولا سيما في الفترتين المكية والمدنية للدعوة النبوية - وعلى هشام ابن محمد بن السائب الكلبي فيما يتعلق بما يروى عن أهل الكتاب وعلى الوثائق فهو يذكر منها ، أما مصادره الأخرى فقد صدر المغازي بقائمة تحوي أهم روايه كما صدر كتاب الطبقات بقائمة أخرى . وقد تميز منهجه بالعرض بتنظيم المادة وإلغاء الملاحظات الشخصية واستاد كل قول إلى مرجعه^(٢) وذكر الوثائق بنصوصها والامتناع الكثير بالشعر .

ولا يحمل مفهوم السيرة عند ابن سعد شيئاً كثيراً مما ورآها فالجاهلية لا تدخل إلا أضيق الحيز عنده ولا مكان للرسالات الأخرى . وعنياته بالصحابة والتابعين وأحوالهم جرته إلى العناية أيضاً بالصحابيات والتابعات وقد خصص الجزء الثاني كله من طبقاته لمن .

(١) انظر هوروفيتش ... المغازي (الترجمة العربية) صفحة ١٢٧ .

(٢) انظر هوروفيتش ... المغازي (الترجمة العربية) صفحة ١٣٠ .

نشر كتاب طبقات ابن سعد منذ ستين سنة في تسعه مجلدات بعنابة وتحقيق المستشرق ادوار سخاو في مدرسة اللغات الشرقية في برلين وعاونه فيه مستشرقون آخرون . وقد طبع في ليدن (بريل سنة ١٩١٧) وخصص المجلد التاسع منه للഫهارس .

ولإكمال الصورة لعلنا نستطيع أن نضيف أخيراً مؤلفين آخرين من مؤلفي السيرة في الشام بعضهم عاصر ابن سعد بعض المعاصرة وبعض تأخر عنه قليلاً . وإن كان في كتاب ابن سعد عهم غنى أحياناً وقد ذكرناهم في مدرسة الشام من أمثال : محمد بن عائذ الدمشقي (سنة ٢٣٣/٨٤٧) وعبد الله ابن محمد بن علي التفلي الحراني (٢٣٤/٨٤٨) وأبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصري الدمشقي (سنة ٢٨٠/٨٩٤) . إنهم يشكلون بقية تلك الجماعة الواسعة التي عملت على حفظ السيرة وتنظيمها وإشاعتها بين الناس في الشام بجانب عملها في حفظ الحديث أو بسبب من عملها في حفظ الحديث .

الفصل الخامس

مَدْرَسَةُ الْعِرَاقِ

اجتمعت للعراق في صدر الإسلام ثلاثة تيارات ثقافية أساسية تكون قاعدته الفكرية هي : الثقافتان الفارسية والهيلينية والتيسار العربي الإسلامي . وقد خدمت الثقافتان الأولىان أول الأمر وأفسحتا المجال للفكر الجديد القادم مع العرب المسلمين . وقد وجد هذا الفكر لنفسه مستقراً ومكاناً خاصاً في الأمسكار الجديدة .. البصرة والكوفة في العهد الأموي ثم أضيفت إليهما بغداد في العصر العباسي . كما وجد أهلاً هم العرب الذين هاجروا فاستقروا في هذه الأمسكار يزورهم ويسكن بجوارهم الموالي الذين تابو لهم تدبينا أو تملقاً . ووجد أخيراً قاعدة يعمل عليها هي .. الأدب العربي .. شعره وقصصه ولغته وأنساب العرب وأيامها وأخبار الناس بالإضافة إلى علوم القرآن والحديث والفقه .. وما كانت العواصف والأزمات السياسية في العهد الأموي التي لم تكن تصيب إلا العرب لأنهم الطبقة الحاكمة المسيطرة – إلا لتزيد من فعالية المراكز العلمية هذه ومن نشاط أهلها في الفكر وتفرع علمها مذاهب وتسجيلاً . فكتلة العرب ومن والاهم – التي استقرت خاصة في البصرة والكوفة – حملت معها مفاهيمها وفكرة البدوي الشفهي إلى المواطن الجديدة فظل المصران .. مراكز قبلية كبيرة كما ظلا على اتصال لا ينقطع بالصحراء والفعاليات الفكرية التي تمثل فيها . وقد أضيف إلى هذا التراث الشفهي السابق عناصر أخرى مما استجد بعد الإسلام على العرب :

أضيفت أمجاد الفتوحات وأيامها وأضيفت العصبيات السياسية -- القبلية التي فجرها التنازع على السلطة ، وأضيفت الشعوبية التي نمت لدى الشعوب المغلوبة وبخاصة الفرس في العراق . وأضيف تشجيع الأمويين لدراسة الأنساب والأخبار . وكانت أولى الخطوات انتقالتراث الموروث والجديد معاً من الرواية الشفهية إلى الكتاب المكتوب . بدأ تسجيل ذلك على سبيل معاونة الذاكرة قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول من القرن الثاني . ولقد نستطيع أن نعتبر عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين على مدة خلافته في الكوفة أول مؤرخ مؤلف في المدرسة ، فقد كتب : تسمية من شهد مع أمير المؤمنين في حروم الجمل وصفين والنهروان من الصحابة . ذكره شيخ الطائفة في الفهرست . ويقول صاحب التريعة : « هو أول من صنف في المغازي والسير والرجال في الإسلام لأنه لم يعرف من سبقه » ...^(١) ولقد نستطيع أن نعتبر كتاب المثالب الذي ألفه زياد بن أبيه (المتوفى سنة ٥٤ هـ) وعهد به إلى ابنه من أول الكتب المؤلفة في مدرسة العراق التاريخية لأنه تسجيل لأمور من التاريخ في ذلك الوقت المبكر من أواسط القرن الأول .

وبينما ظهرت طبقة من الرواية . الاخباريين مثل طلحة بن الأعلم ومحمد ابن عبد الله اللذين أخذ عنهما الطبرى أكثر من مائة مرة . وابن أبي صالح الذى اعتمدته ابن الكلى فى أخبار الأنبياء وأبى الذباب والمفضل الصبى اللذين اعتمد عليهما المدائى فى أخبار خراسان وكثريين آخرين يكفى لادراك كثريهم أن نذكر أن واحداً منهم سيف بن عمر (وقد أخذ الطبرى بدوره كثيراً عنه) كان يروى ما يزيد على ستين رواية ... !

بينما ظهرت هذه الطبقة ظهرت بالمقابل كتب تسجل مروياتهم وخاصة تسجل الأنساب العربية التي كان بعضها مسجلاً لدى بعض القبائل في كتب وصحف . ونزل فى أخبار الأغانى ما يشير إلى وجود كتاب لتميم ذكره الطرماح بن حكيم الشاعر (ت ١٠٥ هـ) وكتب لقرش وثيق .

(١) انظر الفهرست المطوسى (ط. النجف ١٩٦١) ص ١١٣ وآغا زرك - التريعة ج ٤ ص ١٨١ .

ثم جاء بعد ذلك ، حوالي أواسط القرن الثاني الهجري طور جديد بظهور الرواية الجامعين الذين أخذوا يجمعون الشعر والأخبار والحديث والأنساب وهم من يسمون في الاصطلاح الأدبي بالرواة .. مثل عمرو بن العلاء (توفي سنة ١٥٤) وحماد الرواية (توفي سنة ١٥٦) وفي الاصطلاح التاريخي بالأخباريين مثل أبي حنف (توفي سنة ١٥٧) وعوانة بن الحكم (توفي سنة ١٤٧) .

وبالرغم من أن بعض هؤلاء تخصص في الأدب أو الشعر أو اللغة ، كما تخصص آخرون بالحديث ، أو تخصصوا بالأخبار وأ أيام العرب أو بالنسبة فان مبادين الجميع كانت متقاربة يطل بعضها على بعض . ونستطيع أن نسجل من ناحية الندوين التاريخي والعملية الأخبارية عدداً من الملاحظات في هذه الفترة :

١ - كان معروفاً لدى الناس في ذلك العصر اختصاص مدرسة المدينة والشام بالمغازي والفتوح واحتياط مدرسة العراق بما أنها في الأخبار والأيام والأنساب . فلما ألف محمد بن الحسن الشيباني العراقي في (السير) وصاح الإمام الأوزاعي « ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب ؟ فإنه لا علم لهم بالسير ! .. » علم الشيباني بالكلمة وكان كتابه (السير) صغيراً، وهو أساساً في الفقه، فكتب كتاب (السير الكبير) الذي حوى مع الفقه الأخبار والمغازي والفتوح ويمكن أن يعتبر أول كتاب في بحث العلاقات الدولية . وكان هنا يعني في الواقع تحول اختصاص مدرسة الشام بالفتوح إلى العراق أيضاً وبروز هذه المدرسة بدورها برواية الفتوح الإسلامية المختلفة على أساس رواياتها الخاصة .

٢ - أن نوعاً من النظرة الكلية كان يحكم رجال المدرسة العراقية كافة . في بينما تجاوز النسابون في اهتمامهم القبيلة الواحدة إلى مجموع القبائل ، كان الرواة والأخباريون يجعلون محور اهتمامهم أخبار الأمة لا أخبار قبيلة أو حدث معين مفرد أو جماعة خاصة ، كما كان عليه العهد من قبل . أي أنهم جميعاً ساروا في طريق التاريخ وكانت بذلك المؤرخين الأولين .

٣ - أن التحرب السياسي أو القبلي أو القطري أو للمصر وخاصة في

العراق كان يظهر في الروايات المروية . فأبو مخنف كان يكشف عن ميلول علوية وعراقيه ويروي روايات قبائل أزد العراقية كما يروي روايات أهل الكوفة وهي بجانب عليٍّ ضدَّ أهل الشام ، بينما نجد روايات قبائل كلب الشامية مروية لدى عوانة بن الحكم الذي كان أموي المهوى . ومثله الزهرى من قبل ، والاثنان يؤكدان على حتمية القضاء والقدر . ونصر بن مراحم في (أخبار صفين) يصدر عن تعصب قبلي ويؤكّد على دور تميم . كما يصدر عن رأى شيعي ضدّ بنى أمية ، وقد تولى سيف بن عمر إذاعة روايات قبيلة تميم عن الفزوات العربية أما ابن اسحق فكان يتشيع وكان قدرياً ضد الرأى الأموي القائل بالجبر والتسليم لله . وقد رویت حروب قبيلة بن مسلم من قبل رواة من قبيلة باهلة الذين أعطوه تفاصيلها الجليلة الشائعة وهي تختلف بوضوح عما روی عن هذه الحروب من بعد في التواريخ المخولة التالية ...

٤ - أن ثمة غياباً لفكرة الدولة وعدم وضوح في فكرة الإمام أو الخليفة وحقوقه .. وهي أمور حاول الأمويون نشرها واقرارها ولكنها لم تظهر إلا فيما بعد لدى مؤرخي القرن الثالث ، أما في هذه الفترة فإن الوعي اليماسي لم يكن قد تبلور بشكل يتجاوز في النظرة إطار الحزبية أو القبلية ليصدر عن رأى يستند إلى مصلحة الدولة والنظم العامة . وهكذا تناقض صفين أو يناقش الخارج كما يناقش مقتل الحسين إما من وجهاً نظر عاطفية أو دينية أو قبلية أو حزبية ولكن تغيب فكرة الدولة . وثمة عطف على الثائرين والمعارضين وشك في مكانة قريش وأفضليتها وتبرير مقبول للتحركات المتمردة .

٥ - لم يقتصر الأخباريون الجامعون على رواية قطر معين أو قبيلة معينة ولكن جمعوا كافة ما قد يقع تحت علمهم أو يدهم من المعلومات جنباً إلى جنب وبعضها روايات عائلية . فسيف بن عمر يروي في الفتوحات روايات كوفية ويكللها ببعض الروايات المدنية والشامية . أما في الردة فيعتمد على روايات من الكوفة والجزيره العربية والمدينه . ويرجع في كثير من الروايات إلى من ساهموا في الأحداث بأنفسهم . وعوانة بن الحكم لا يعتمد على روايات

قبيلته كلب فقط ولكن على روايات قبيلة أخرى وعلى رواة شاميين وأمويين لإكمال الصورة . وأبى مخنف يورد روايات أشياخ من الأزد ونمرين وعمران . ومع أنه اعتمد في صفين على روايات كوفية إلا أنه أضاف إليها روايات شامية ومدنية ... وإذا أورد أحد الأخباريين روايات مصرية أو قبيلته فإنه لم يكن يستطيع اهتمام الروايات المعاصرة أو المتناقضة .

٦ - لم يحاول الأخباريون جمع الأخبار بشكل شامل فقط ولكن بشكل منظم أيضاً ، متصل السلسلة في الزمن . وقد ظهرت هنا خاصة في البصرة والكرفة .

٧ - وقد استخدم الأخباريون الوثائق من عهود ورسائل رسمية ومن المحتمل أنهم جلأوا إلى الدوادين وسجلات ديوان الجند والخاتم في الشام والعراق والمدينة والقطاط .

٨ - تأثر الأخباريون بأسلوب المحدثين فأعطوا همهم خاصة للسند يعتقدونه أن انقدوا أكثر مما يعتقدون نص الخبر غالباً ما كانوا يتراهلون في ابراد الأسناد وهذا ما سمح بتسرب الكثير من قصص المجالس ومن الشعر المصنوع والحووار الكلامي إلى أخبارهم . وجعل الإحداث الإسلامية تروي في الأطر التي رویت بها « الأيام » القديمة : كأنها استمرار لها . وبظهور التأثر القصصي عند سيف بن عمر وعوانة بن الحكم وأبي مخنف .

٩ - وقد أعاد النسابون الدراسات التاريخية بما قدموها ، مع الأنساب ، من معلومات تاريخية عن أصحابها (ويظهر هذا خاصة عند مصعب الزيرى) . وقد توسع النسابون في معلومتهم تحت ضغط التيار الشعوبى ، مما أعطى العصبية القبلية وأشراف القبائل مادة هامة تقابل ما أعطته كتب الطبقات لرواية الحديث من مادة وإن تكون أقل كثرة وتنوعاً .

١٠ - وأعاد النسابون التاريخ من ناحية أخرى هي تجاوزهم حدود الاهتمام بقبيلة واحدة إلى رواية أنساب مختلف القبائل وأحوالها فقد خلق ذلك

من جهة نوعاً من الشعور بالأمة الواحدة أفقياً، كما خلق من جهة أخرى نوعاً من التأكيد على الاستمرارية الثقافية ، عمودياً، أي أبرز مفهوم الوحدة الثقافية المتصلة بين ماضي الثقافة العربية وحاضرها . ولم يسمح هذا بتأييد دعاوى العصبية القبلية وأفضلية العرب الحاكمين ونكون شعور واحد لدى المسلمين بأنهم أصحاب رسالة عالمية ولكن أجبر في الوقت نفسه تيار الموالى والشعوبية على الرجوع إلى التراث الأعمى وخاصة الفارسي .

١١ - ونجد بالمقابل أن علماء اللغة خاصة وال نحو قد قاموا في الاتجاه نفسه بعمل مماثل سواء من حيث جمع الشعر أو مفردات اللغة أو أشكال التعبير وصورة . وقد مهد هذا في الواقع لظهور وحدة التاريخ العربي الإسلامي .

١٢ - وأخيراً فقد دخل على التاريخ وبشكل مبكر رافد تنظيمي لم يستطع التأثير الواضح فيه وبقي غريباً عنه لأن ميدان التاريخ هو الماضي بينما ميدان التنظيم هو التنبؤ بالمستقبل وكل ما أفاده منه التاريخ هو محاولة بعض المؤرخين تصحيح أو ضبط بعض الأحداث التاريخية عن طريق الأزياج والحسابات الفلكية . ولعلنا نذكر هنا منجماً معروفاً أسمهم بدوره في كتابة التاريخ ضمن هذا المفهوم وإن لم يبق لما كتبه من أثر هو ما شاء الله المنجم . واسمي الأصلي ميشي (معناه يُروِّ) بن أثري . وكان يهودياً عاش من أيام المنصور إلى أيام المأمون يصفه ابن النديم بأنه « كان أوحد زمانه في علم الأحكام » (١) . وقد كتب كتاب الدول والمملل وكتاب السلطان ولا شك أنه مارس فيما معلوماته التجويمية كما كتب كتاباً واضع العلاقة بين التاريخ والتنجوم هو كتاب الواحد والعشرين في القراءات والأديان والمملل .

وقد ذكر الطبرى كتاباً باسم كتاب الدولة كان يحتفظ به المنصور ثم المهdi من بعده ، وفيه نبوءات تنجيمية بما حدث وما سوف يحدث وقد زيف فيه بعض رجال الحاشية للمهdi فجعلوا عهده أربعين سنة بدل عشر سنوات (٢) .

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) الطبرى ج ٨ ص ١٤٦ (٤٩٦/٣ - ٤٩٧) .

وقد ظهر في هذه الفترة من الاخباريين ومن النسائيين ومن الحامعين بين هذا وذاك عدد هام وبعض الاخباريين من الرواة الذين لم يؤلفوا، أو لم يؤلفوا كثيراً ، ولكن روایاتهم الكثيرة الهامة كانت مادة المؤلفات الأخرى ومنهم :
 - الشعبي : أبو عمرو بن شراحيل المتوفى ما بين سنة ١٠٣ - سنة ١٠٥ / ٧٢١ - ٧٢٣ وقد ولد في الكوفة سنة ٦٤٠/١٩ وهو في الأصل من حمير ومن همدان فيها . ثم هو كوفي ومن التابعين ، وقد سكن المدينة عدة أشهر هريراً من المختار التقي . وشهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث ثم نجا من انتقام الحجاج وغدا عنه وتولى الكتابة فترة من الوقت لقتيبة بن مسلم الباهلي ، كما أوفده عبد الملك بن مروان في سفارة خاصة إلى بيزنطة وعيه عمر بن عبد العزيز للقضاء . وإذا غلب على الشعبي الفقه والتفسير فقد اشتهر في الواقع بما روى من الأخبار في الاسرائيليات ، أخذها عن من أسلم من أهل الكتاب ، وفي القصص والتابعة وأخبار اليمن والمغارزي . ويبدو أنه كان كثير الميل إلى تبع الأخبار يأخذها حتى عن الأعراب الذين يدعون رؤبة المدن العجيبة المذكورة . وقد ورد اسم الشعبي في مواضع عديدة لدى الطبرى ، ونجد هناك نماذج مما روى عنه في هذا الباب .

ولم نذكر الشعبي لما كتب وألف ولكن لما روى ، فإن المصادر لم تذكر له من الكتب المؤلفة إلا القليل ، وإنما أخذت عنه روایاته لغيره فسجلها الاخباريون من بعده كأنه كان رأس المدرسة والاسم الأول فيها . ويشه في هذا الصدد بعض الشبه عبد الله بن عباس في مدرسة المدينة .

ولم يبق في أيدينا من تراث الشعبي سوى التحف الموزعة في المصادر . فهناك قطع من كتابه في (المغارزي) لدى الخطيب البغدادي ^(١) ، وقطعة كبيرة من كتابه الآخر كتاب الشورى ومقتل الحسين في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ^(٢) وهناك قطع من كتاب له في الفتوح أملأه إملاء دون أصول -

(١) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٤٩ - ٥٨ .

فيما يذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ -- وقد وصلتنا قطعه منه لدى الطبرى .
- يونس المغنى أبو سليمان يونس بن سليمان المعروف بالمجنى وهو من
أهل فارس . وابن النديم يذكر أنه أدرك الدولة العباسية وأنه من الموالى ، وكان
مولى الزبير بن العوام ، ويضيف أنه كانت له كتب مشهورة في الأغاني
واللغائن . ويقال إن إبراهيم (الموصلى ؟) أخذ عنه . ومن كتبه : كتاب القبان .
وكتاب عبود يونس كان مصدراً من مصادر أبي الفرج الأصبهانى في الأغاني .

- أبو روق : عطية بن الحارث الهمداني ، من كبار رواة الكوفة ومن
المفسرين المعروفين . وقد أخذ عن الشعبي كما أخذ عن عكرمة والضحاك بن
مزاحم وعن يزيد الفقعمي . وبالرغم من أنه لم يرو عنه بدوره تأليف كتاب
تاريخي أو اخباري الا أن الطبرى يأخذ عنه في ٤٦ موضعًا في التاريخ . وينقل
عنه جملًا في أخبار ما قبل الإسلام أخذها من تفسيره . وفي الإسائليات .
كما روى عنه أخباراً في حوادث عثمان ، وقصة عبد الله بن سبأ وقصة أبي ذر
الفارى ورأيه في مال المسلمين ...

- قحدم بن سليمان بن ذكوان مولى الثقفيين (عاش إلى ما بعد خلافة المنصور
سنة ١٥٨) وأصله من سي أصبهان وكان كاتب الخراج أيام يوسف بن عمر
الثقفي ومن هنا كان اهتمامه بجمع المعلومات المتعلقة بالادارة كما أن عمله سمع
له دون شك أن يستفيد من الوثائق الرسمية . وتكشف لنا الروايات التي نقلها
خليفة بن خياط في تاريخه والطبرى عن قحدم (بطريق حفيده الوليد بن هشام
الذى حمل روایاته) أنه اهتم بالفتح الإسلامية في العراق والمشرق والمغارب
ومصر في عصر الراشدين وطبعه تلك الفتوح لما يترتب عليها من نظم الادارة
والمال كما اهتم بذلك ولادة العراق في العصر الأموي وبمن كان على شرطهم
بالبصرة والكوفة وواسط ومن كان على الخراج والرسائل . وذكر عصور
الخلفاء ولادائهم ووفاتهم وموضعيها وقد زاد حفيده الوليد على روایات جده
بعد ذلك بالأخذ عن رواة آخرين ^(١) .

(١) يروى قحدم ويشبهه راوية آخر هو انتبيرة الذي روى عنه ابن عبد الله بن المنبر أخباراً -

– أبو خالد يوسف بن خالد بن عمير السفي البصري (المتوفى سنة ١٩٠ھ) وكان رجال الحديث يضعونه ولكن روایاته التاريخية وصلتنا عن طريق خلیفة بن خیاط وتجده فيها يعني بأن خبر شمال افريقي في العصر الأموي ويدرك غزو المسلمين لصقلية وسردانية وحصار جلواء المغرب زمن معاوية وحركات الخوارج هناك . كما يتحدث في روایات أخرى ينتها عن أبي البراء التمیري ، وعن أبي الخطاب الأسدی حول فتوح الأمويين في المشرق وقتالهم للخزر والترك . فكأنه كان مختصاً بالعصر الأموي .

– أبو العباس وهب بن جرير بن خازم الأزدي (المتوفى سنة ٢٠٦) وقد روى سيرة ابن اسحق وأخباراً أخرى عن أبيه وعن شعبة بن الحجاج خاصة . وبالرغم من أن مركز اهتمامه كان حول الحديث فإنه أتى بأخبار تاريخية كثيرة نقل منها ابن سعد وخلیفة بن خیاط تتعلق بحركة الجمل وواقعة الحرة وحركات الخوارج في البصرة كما ذكر خلال ذلك بعض خطط هذه المدينة . وروى عنه بعض الأخبار في السيرة النبوية وفي تراجم شيوخه وموافقهم الفكريه .
أما الاخباريون والمحدثون المؤلفون في مدرسة العراق فأقدمهم على ما يظهر هو :

– أبو المعتمر سليمان بن طرخان التميمي البصري (ولد سنة ٤٦ وتنوفى سنة ١٤٣ عن سبع وتسعين سنة) فهو من التابعين ومن البارزين فيهم والمحدثين الثقات . « روى عن أنس (بن مالك) والحسن (بن علي) وغيرهما وكان عابداً صواماً قانتاً لله قواماً ... » كتب كتاب السيرة الصحيحة وقد فقدت إلا سبعاً وسبعين صفحة منها نشرها المستشرق فون كربر في ختام كتاب المغازي للواقدی الذي طبع في كلكتا سنة ١٨٥٦ .

– أبو مخنف لوط بن يحيى (توفي سنة ١٥٧) أخباري كوفي اهتم

– تكشف أن له اهتمامات تخدم نفسها : في الفتوح والخراج والديوان والخلفاء والشraphة والرسائل ... الخ . وقد توفى المفيرة بعد خلافة امامي .

بالأنساب ولكنه كان أبرز الاخباريين فيما يتعلّق بفتح العراق وأخبارها (كما كان الواقدي عارفاً بالحجاز والسيرة والمدائني بخراسان وفارس والهند وقد اشتركوا في معرفة فتح الشام^(١) .

كتب أبو مخنف أكثر من اثنين وثلاثين كتاباً . وبعضها لا شك منحول عليه . وكانت مواضيعه تدور حول «الردة» و«الفتوح» و«الشوري» و«صفين» و«المخوارج» وأحداث العراق خلال العصر الأموي . وقد اعتمد الطبرى كثيراً في هذه المواد وإن اعتبره المحدثون ضعيف الاستناد بسبب تسامحه فيه . وهو يعالج في كل كتاب من كتبه حادثاً واحداً من موقعة أو حدث أو شخص . وبالرغم من أنه يورد روایات قبيلته من الأزد إلا أنه يورد الروایات الكوفية الباقية وروایات قبائل أخرى كهمدان وطي وكندة وتميم ، كما يورد روایات المدينة وقد نجم عن ذلك أن ظهر أبو مخنف بعيول عراقية ضد الشام وعلوية ضد الأمويين وقبيلية لا تنسجم مع تنوع مصادره ، ولو أنه لا يصل فيها إلى درجة التفصّب .

وهو لا يحمل التسلسل الزمني لحوادث فالأحداث عنده مفصلة ولكن دون تماسك كبير وتخاللها الصور والمشاهد من خطب ومحاورات وشعر مما يقربها من قصص السمر والأيام .

ومجموعة كتب أبي مخنف – وهي في معظمها على ما يبدو رسائل – يمكن أن تؤلف تاريخاً مفصلاً يكمل بعضه بعضاً للفترة المتقدمة منذ عهد أبي بكر حتى أواخر العهد الأموي لو لا بعض التغرات . ونقرأ من عناوين كتبه : كتاب الردة ، كتاب فتح الشام ، كتاب فتوح العراق ، كتاب الشوري وقتل عثمان ، كتاب العمل ، كتاب صفين ، كتاب أهل النهروان والمخوارج ، كتاب مقتل علي (ض) ، كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد ووقعة الحرة وحصار ابن الزبير ، كتاب المختار بن أبي عبيد ، كتاب سليمان بن صرد

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٩٣ (طبعة فلوجل) .

وعين الوردة ، كتاب مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الصحاحك بن قيس ، كتاب مصعب وولايته العراق ، كتاب مقتل عبد الله بن الزبير ، كتاب حديث باحميرا ومقتل ابن الأشعث ، كتاب بلاط المخارجي ، كتاب نجدة أبي قبيل ، كتاب حديث الأزارقة ، كتاب شبيب المخارجي ، كتاب دير الجماجم وخلع عبد الرحمن بن الأشعث ، كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالقرى ، كتاب خالد ابن عبد الله القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولایة الوليد ، كتاب الصحاحك المخارجي وهنالك غيرها ولكن هذه تقاد تكون كتاباً يشمل التاريخ الإسلامي في القرن الأول المجري حتى حوالي سنة ١٣٠ .

وقد نشر فؤاد سزكين عظوماً لأبي مخنف وجده بعنوان أخبار الأمويين وطبعه في بربيل - هولندا سنة ١٩٧٢ ولعله بعض من هذه الرسائل - الكتب .

- عوامة بن الحكم (توفي سنة ١٤٧ / ٧٦٥ أو ١٥٨) وهو اخباري كوفي آخر من أصل متواضع عاصر أبي مخنف وتضلع أكثر منه بالشعر والأنساب وإن تساويماً في معرفة أخبار الفتوح .

وقد روى عوامة وكتب ، يعكس أبي مخنف ، كتاباً عاماً لا تتناول موضوعاً خاصاً ضيقاً ولكن أكثر سعة ، هي مطالع التاريخ الإسلامي العام ، فمن كتبه :

- كتاب التاريخ : و اذا صع العنوان كانت هذه أول مرة يظهر فيها الاسم بمعنى التاريخ كعلم . وهو كتاب يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول المجري . والمحطات عنه تكشف أنه تحدث عن الخلفاء الراشدين والردة والفتح والصراع بين علي ومعاوية وتنازل الحسن وشؤون العراق والشام حتى نهاية عهد الملك بن مروان .

- سيرة معاوية وبني أمية : وهو بدوره أول كتاب يخصص ل الخليفة والأسرة حاكمة في الإسلام . ويرجع روزنثال أن عوامة قد تناول في كتابه الخلفاء الأمويين على التوالي فإن صع ذلك وهو الأرجح فإن الكتاب ينتهي سلسلة

التراث الموسعة وتاريخ الدول بعد السيرة النبوية وعهد الراشدين .
والكتابان يمثلان خطوة هامة في تطور التدوين التاريخي نحو الخلاص من
القبيلية ، وان لم يخلص من الشعر ومن أسلوب الأيام القصصي .

والروايات التي وردت في كتابيه - حسب المقطفات الباقة - تكشف عن
معرفة قوية بدخلائل العهد الأموي . ولعله أخذ معلوماته عن قبيلة كلب المعروفة
لا بالوفاء للأمويين فقط ولكن بأنها (إذا نسي الناس علمهم حفظته عليهم)
وذلك ما يفسر اللون الأموي الذي يصبح مروياته ولهجته الخبرية التي تسود
تفسير الحوادث فيها . على أنه لا يتعصب للأمويين وإن حُسْب عليهم ، لأنه في
الواقع لا يحمل الآراء المعارضة لهم ولا الروايات العراقية والمدنية . ونجد في
كتاب الانساب للبلذري روايات لعوانة بجانب الزبيريين وأنخرى ضد
الحجاج . ولدى الطبرى روايات رواها بجانب العلوين ، وأخرى ضد الكوفة .
وقد كان عوانة المصدر الذى استقى منه ابن الكلبى والمدائى والهيثم بن
عدي وعن طريق هؤلاء نقل عنه الطبرى .

- سيف بن عمر التميمي أو الفبي الأسلى : (توفي ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)
هو كوفي ثالث اخباري بدوره . نشأ في المدينة وبها تثقف ثم رحل إلى العراق
وزار الكوفة ورأى الخليفة المنصور وعنه أخذ أهل الكوفة أحاديث عروة عن
عائشة . وكان أهل المدينة يضطرون بها . وليس لسيف كتب كثيرة ، والكتابان
المرويان عنه أخذهما عن الردة والفتحات والثانى عن الفتنة ووقعة الجمل
وأخباره في الكتابين مستفأة من روايات قبيلته تميم وهذا ظهرت فيها نظرتها
القبيلية والميول العراقية بشكل عام كما يظهر فيها القصص العاطفي على أسلوب
الأيام . ويبعدو من الروايات التي نقلها الطبرى عن سيف أنه كانت له كتب
أخرى ولكنها ضاعت . وسيف بن عمر متهم كمعظم الاخباريين في رواية
الحاديث ولكنه عند الطبرى موثوق في الأخبار . وتظهر قيمته لديه إذا عرفنا أنه
ينقل عنه في أكثر من ثلاثة مائة موضع . يرد اسم سيف لأول مرة في ذلك

التاريخ سنة ١٠ هـ ، السنة التي ادعى فيها مسلمة النبوة في حياة الرسول وينتهي التقل عنه لآخر مرة سنة ٣٦ هـ ، في ابتداء خروج علي بن أبي طالب إلى صفين : وقد اعتمد الطبرى عليه أكثر ما اعتمد في أخبار الردة ومعركة الجمل .

ومصادر أخبار سيف جملة من الشيخ منهم :

- هشام بن عمرو المتوفى سنة ١٤٦ أو سنة ١٤٧ ، من محدثي المدينة ومن السايبين الاخباريين ، ومنهم عمروة نفسه وعبد الله بن الزبير أخوه ، كما أخذ المعلومات التاريخية المتعلقة بمعركة الجمل عن شهود عيان ذكر الطبرى أسماءهم فيما نقله عنه . ويبعد أن كتب سيف بن عمر كانت لدى راوية من الجبل الثاني اسمه السري بن يحيى وعنده نقل الطبرى في الدرجة الأولى روایات سيف كما نقل عن طريق آخر هو عبيد الله بن سعد الزهري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ .

- أبو البخرى وهب بن وهب القاضى القرشى المحنى المتوفى سنة ٨١٥ - ٨١٦ في بغداد في خلافة المأمون . وقد نشأ الرجل في المدينة وأخذ العلم والفقه عن جعفر الصادق ، وهشام بن عمروة بن الزير وعبيد الله بن عمر العمري ، وانتقل من المدينة إلى بغداد فيما انتقل إليها أثناء خلافة هارون الرشيد ، فولاه القضاء بعسكر المهدى ، في شرقى بغداد .

وإذا كان أبو البخرى من الذين ضعفوا في الحديث عند أهل الحديث حتى نهى بعضهم عن الأخذ منه ^(١) إلا أنه كان من الاخباريين السايبين المعروفين ، وقد روى عنه عدد من الفقهاء ومن الاخباريين أمثال ابن واضع وابن ثعلب والصالغاني وابن المسib . وله عدد من المصنفات الصائحة منها : - حسب روایة ابن خلگان - كتاب الروایات ، كتاب طسم وجديس ، كتاب صفة النبي ﷺ ، كتاب فضائل الأنصار . كتاب الفضائل الكبير ، كتاب نسب

(١) انظر لسان الميزان ج ٦ ص ٢٢١ وما بعدها . وانظر ترجمة أبي البخرى لدى ابن خلگان - الوفيات (طبعة احسان عباس - بيروت ١٩٩٧) ج ٦ ص ٣٧ وما بعدها . ولدى ابن سعد - انبليقات ج ٧ ص ٣٢٢ ومسجم الأدباء لياقوت ج ١٩ ص ٢٦ .

ولد اسماعيل عليه السلام . ويحتوي كما ذكر في الوفيات على قطعة من الأحاديث والقصص .

– نصر بن مزاحم بن سيار : أبو الفضل المنقري التميمي (توفي سنة ٢١٢ / ٨٢٧) وهو كوفي أيضاً واخباري بارز . ومع أن بروكلمان يذكر أنه أول اخباري شبيه فقد لا يكون ذلك صحيحاً لاسماً إذا ذكرنا أبا عنف ومحمد بن الساب الكلبي وهما أقدم منه بكثير . وعلى أي حال فقد دارت مواضيع كتبه في المحور نفسه : وقعة الجمل ، وصفين ومقتل الحسين ومقتل حجر بن عدي ، وأخبار المختار ومناقب الأئمة .

وقد عاد نصر كما نلاحظ إلى أسلوب الكثرين من تخصيص كتابه خاتمة . ولم يبق بأيدينا شيء من كتبه . وقد طبع له مؤخراً كتاب صفين الذي جمع من خلال المقطفات التي وجدت منه لدى الطبراني وأبن أبي الحميد بصورة خاصة^(١) . وهذا ما يدل على شدة اهتمام المؤرخين به .

ويكشف الكتاب الكثير من منهج نصر وأسلوبه فهو شديد القرب من أسلوب الأيام وقصص الاسمار ، فيه الشعر والموار والخطب وكثير من ذلك موضوع . ولا يشدد نصر في اصطلاح الاستناد أو في تحديد التواريف ولكنه لا يخفى ميله ضد معاوية والحزب الأموي .

– الفيلم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلبي (١٣٠ - ٧٤٧ / ٢٠٧ - ٨٢٢) يحتل مكانة خاصة في تطور التاريخ لا بلجعه بين دراسات التاريخ والأنساب فقط ولكن للطريقة التي تناول بها التدوين التاريخي وللمفهوم التاريخي عنده وللكتب التي ألفها . وبالرغم من أن ميدانه الثقافي يشبه ميدان ابن الكلبي والمدائني وإكثاره من التأليف يجمعه معهما إلا أنه يجب أن يتميز عنهما بمفهومه التاريخي .

وقد عاش في بغداد في جو من الحسد والقد لأنّه كان كبير الفضول ومناسبة الناس المجموع . كما كان رقيق النسب . وبينما كان بعض العلماء

(١) نصر بن مزاحم تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط. القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٨٢) .

يتواه حتى ليدوب أمامه، كابن الكلبي هشام، كان آخرون وخاصة من الشعراء يسلقونه بالمجاهد كأبي نواس ودعبل المزاعي . ولا يوثقونه كحدث . ويروون أن جاريته قالت عنه: إنه كان يصل طول الليل فإذا أصبح جلس يكذب !... تعني يروي الأخبار !

ومصادر معلوماته ، في الأخبار والنسب كغيره، إلا أنه فيما يظهر قد اطلع أيضاً على بعض الكتب في أخبار الفرس وغيرهم ولعلها مترجمة لأننا نجد في قائمة كتبه أكثر من كتاب في هذا الباب مثل : تاريخ العجم وبني أمية ، تاريخ الفرس ، كتاب الدولة . وهي مؤلفات لها شأنها في تسجيل الاتصال الثقافي العربي الفارسي اليوناني .

وقائمة كتبه طويلة جداً تزيد على الخمسين ^(١) ولعل بعضها رسائل صغيرة . ولكنها كثيرة النوع وبعضها في أنساب القبائل وأخبارها وبيوتها ، وبعضها في المثالب وفي ولاة الأوصار وبعض في الخارج وفي أخبار الفرس وبعض كذلك في تاريخ عمال الشرط وفي الخطط .. خطط البصرة والكوفة ، أي في التاريخ الحضاري . ولعلنا نستطيع قسمتها إلى أربع مجموعات :

الأولى : الكتب المتعلقة بالأنساب وبالمعلومات النسبية من أمثال كتاب المثالب (الكبير والصغير) وكتب الأحلاف (حلف طيء وكلب وتميم وأسد ودهبل... الخ) وكتب البيوتات (بيوتات قريش والعرب) وكتب المعمرين أو من تروج من الموالي من العرب أو أسماء بقایا قريش في الجاهلية ومن ولدن . وكتبه في المثالب خاصة أعطته شهرة واسعة .

الثانية : الكتب التاريخية وهي أهم كتبه وفيها كتاب الدولة (أي العباسية) وتاريخ العجم وبني أمية ، وتاريخ الأشراف (وهو كتابان كبير وصغير) وأخبار الفرس ، وكتب الطبقات (للمفهوم المحدثين ، ولمن روى عن الرسول

(١) انظر القائمة في الفهرست لابن الديم (من ٩٩ - ١٠٠) وفي سبم الأدباء لياقوت .

من الصحابة .. الخ) وكتاب التاريخ المرتب على السنين ولعله أقدم كتاب تاريخ عالمي أو إسلامي في الإسلام .

ويبين هذه الكتب مجموعة تختص بمواقع محددة مثل : كتاب الصوائف وهو مؤلف فريد في ذكر غزوات العرب المسلمين للروم . وكتاب الحوارج . وكتاب شرط الخلفاء ، وعمال الشرط لأمراء العراق ، وخواتيم الخلفاء وأخبار الحسن عليه السلام وأخبار زياد بن أمية ومقتل خالد القسري ومقتل الوليد بن يزيد بن خالد ...

الثالثة : كتب في تواريخ الأقاليم ومنها : كتاب خطط الكوفة ، وكتاب ولاة الكوفة ، وقضاة الكوفة والبصرة ، وفخر أهل الكوفة على أهل البصرة ، ومديح أهل الشام ومداعي أهل الشام .

الرابعة : كتب في المراضيع النادره ومنها : كتاب النواير ، كتاب النساء ، كتاب المواسم ، كتاب المحرر ، كتاب النشاب ، كتاب التوافل ، كتاب منتحل الجواهر ... الخ . ولا شك أن من أهم كتبه :

ا - كتاب التاريخ المرتب على السنين ولعله المثال الأقدم الذي كتب في الإسلام لتاريخ العالم أو الإسلام والذي نسج الطبرى على منواله حتى أصبحت كتابة التاريخ العالمي على أساس الم حلوليات هي المنهاج التاريخي التقليدي من بعد . ويعبر الكتاب عن ادراك واضح لفهم وحدة التاريخ ، أو وحدة التاريخ الإسلامي خاصة كما يعبر عن ادراك وحدة الأمة الإسلامية ووحدة تجاريها عبر السنين .

ب - تاريخ الأشراف الكبير وهو كتاب للتاريخ في إطار الأنساب جمع فيه بين طرف الأخبار والنسب . وقد قلدته البلاذري من بعد في كتابه المعروف : أنساب الأشراف . وتتعكس في الكتاب نظرة الأرستقراطية العربية إلى مكانها في المجتمع الإسلامي .

ج - طبقات الفقهاء والمحدين وهو في تراجم هؤلاء على أساس طبقاتهم . ولعله أول كتاب من نوعه على طريقة الطبقات أيضاً سبق به طبقات ابن سعد . ولعل

هذا نسج على منواله في الطبقات الكبرى . ويعبر الكتاب عن ادراك لسلسلة التراث الإسلامي ووحدته خلال الأجيال المتتابعة من علمائه طبقة بعد طبقة .

ولم يبق من هذه القائمة الطويلة من الكتب حتى الآن سوى بعض المقتنيات التي نجدها لدى البلاذري في أنساب الأشراف وابن قتيبة في كتاب المعارف ولدى الطبرى وفي مروج الذهب المسعودي .

وبالرغم من أن الهيثم بن علي يتميز بقلة التدقير وبالتساهل في الاستناد فإن هذا لم يمنع الكثيرين، ومنهم الطبرى ، من أن يأخذوا عنه كثيراً . وقد اعتمد الطبرى خاصته فيما يتعلق بالأنبياء وبسيرة النبي وبالراشدين والأمويين وبعض أخبار العباسين كالنصرور وبغداد والمهدى . ويجب أن نذكر للهيثم :

١ - أنه كان ذا فكر منظم جامع ، وطد للمؤرخين طرائق كان من الرواد الكبار فيها وأصبحت بعد ذلك مناهج في التأليف وفي تدوين التاريخ : هي المقوليات والطبقات والتاريخ العالمي .

٢ - أنه كان أول من كتب في الشؤون الحضارية والأثرية والنظم السياسية والقضائية في كتبه عن خطط الكوفة والبصرة وعن الولاة والقضاء والشرطة وجمع بذلك معلومات طبغرافية وجغرافية وسكانية وإدارية وقضائية عن بعض الأمصار تكشف عن مفهوم تاريخي متتطور جداً وجدير بالتوقف عنده لا سيما حين نجد له كتاباً في (المملولة) ، وإن كنا نظن أنه حول الدولة العباسية .

٣ - ان انتاجه التاريخي كان وفيراً مما أعطى المؤرخين الكبار الذين سيظهرون بعده ثروة ضخمة من المعلومات المنظمة .

٤ - أنه يمثل مطالع الاتصال بين الفكر التاريخي الإسلامي وتاريخ الأمم الأخرى وهو اتصال لم يتمُّ كثيراً في الإسلام ولكن الهيثم كان أول من سجل وجوده وألف فيه .

- المدائى : علي بن محمد بن عبد الله (١٣٥ - ٧٥٢ / ٢٢٥ - ٨٤٠)

الذي يمكن اعتباره قمة الطور الأخباري السابق للتاريخ . وهو بصري صار إلى المدائن ثم إلى بغداد وتوفي بها ^(١) . وارتبط برابط قوي من الصلة مع ابن اسحق بن إبراهيم الموصلي الموسيقي البغدادي المعروف . وكان شديد الحدب عليه ، موفراً له سعة العيش والدعة . وقائمة كتب المدائني تجعله أول قائمة المكترين من التأليف في الإسلام . ولعله بالنسبة لعصره أكثر غزارة في الانتاج من ابن الجوزي أو السيوطي أو ابن طولون ، أو ابن عربي أو ابن سينا في حصورهم . وتعد قائمة المدائني ٢٤٠ كتاباً . وهو فيض هائل قد يكون معظمها مقالات أو رسائل مخلودة الصفحات . وقد قسمها مرغليوث إلى ثمانين مجموعات وذكر أنها قد تشبه مجموعة من الفصول في كتاب أكثر من شبهها بالكتب المطردة ..

- ١ - في أخبار النبي ، مثل أمهات النبي . صفة النبي . أخبار المنافقين . عهود النبي . تسمية المنافقين .
- ٢ - في أخبار قريش مثل نسب قريش . كتاب العباس بن عبد المطلب . أخبار أبي طالب وولده ...
- ٣ - مناكح الأشراف وأخبار النساء . من جمع بين أختين . من جمع بين أربع . من تزوج حمودية . من قتل عنها زوجها . من هجّها زوجها ... وهي مجموعات من غرائب الأخبار .
- ٤ - أخبار الخلفاء وهي كل ما يجب أن نسميه تراجم أو سير أشخاص ولعلها من المؤلفات القصيرة مثل .. كتاب من تزوج من نساء الخلفاء . تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم . حل الخلفاء . وفي هذه القائمة كتاب أخبار الخلفاء الكبير ابتدأه بأخبار أبي بكر وختمه بأخبار المعتصم . ولا شك أن ما نجده عند المؤرخين التاليين مروياً عن المدائني فإنما هو مقتطفات من هذا الكتاب .

(١) انظر فيما يتعلق بالمدائني ياقوت الحموي . وانظر (دراسات عن المؤرخين العرب) لمرغليوث وقد اعتمدناه في عدد من النقاط في هذه الترجمة وفي غيرها . وقد ظهر كتاب «هـ» بعنوان : «شيخ الإخباريين» بقلم محمد فهد (طبعة النجف سنة ١٩٧٥) .

٥ - في الأحداث الرئيسية في الإسلام . وهي بدورها رسائل صغيرة في الغالب .. كتاب الردة . كتاب الجمل . كتاب النهروان . كتاب الخوارج . خطب علي بن أبي طالب وكبه إلى عماله . أخبار الحجاج ووفاته . ويضيف ياقوت إلى هذه القائمة كتاباً كبيراً لم يذكره الفهرست باسم كتاب الدولة العباسية وقد وقع بعضه لياقوت بخط السكري العالم المنقب .

٦ - في الفتوح .. فتوح الشام منذ أيام أبي بكر حتى أيام عثمان . فتوح العراق وإلى آخر أيام عمر . فتوح خراسان وأخبار أمرائها (مثل قتيبة ونصر بن سيار) . كتاب ثغر الهند وكتاب أعمال الهند . والقائمة في هذه المجموعة طويلة تغطي منطقة الفتوح الإسلامية عدا إفريقيا الشمالية وإسبانيا . ولعل معظم المسادة في هذه الكتب قد دخل في كتب البلاذري ، في العصر التالي ، أو فيما عزي إليه من بعد .

٧ - أخبار العرب وتضم مجموعة من الأخبار الغربية ولكن في إطار الأساليب العربية التقليدية .. كتاب من نسب إلى أمها . كتاب من سمى باسم أمها . كتاب التلليل والرهان . كتاب بناء الكعبة .

٨ - التاريخ الشعري ، وعنوان الكتاب في هذه المجموعة تعكس بدورها ولع المدائي بالغريب من الخبر والمحدث .. كتاب من تمثل شعره في مرضه . كتاب الأبيات التي جوابها كلام . كتاب من وقف على قبر فتمثيل بشعر . كتاب من بلغه موت رجل فتمثل شعراً أو كلاماً . كتاب من تشبه من النساء بالرجال . كتاب عن فضل الاعرابيات على الحضريات ... ويضيف ياقوت إلى هذه المجموعة من الرسائل الصغيرة في الغالب قائمة أخرى من الكتب المطرولة لعلها تضمنت مادة أكثر أصالة وسعة من هذه المجاميع السابقة وكانت أقرب إلى التاريخ منها إلى الرسالة أو المقالة . وفي هذا المجال لدينا مجموعتان ..

٩ - كتاب في التاريخ الحضاري .. قضاة أهل البصرة . قضاة أهل

المدينة . ضرب الدرهم والصرف . كتاب المدينة . كتاب مكة ...

١٠ - كتب أخلاقية وجغرافية . منها مقالة في الكور وجبارتها
وهو جهد مدعاً في التأليف والنشاط الثقافي حتى ولو كانت رسائل محدودة
الحجم . وهي تكشف بعنوانينها وبالمعلومات التي يمكن أن تحوّلها :

١٠ - ميل المدائني إلى المواضيع الغربية والمعارف البترافية والتفاصيل الشيقة
المثيرة للفضول .

جــ اطلاع المدائي الواسع على التاريخ الإسلامي كله وقد رتبه على استخلاص الأمور المشابهة من خلال معلوماته الواسعة . وهي قدرة فريدة في بابها ، تعكس نوع الاهتمامات الثقافية السائدة في ذلك العصر .

وقد بقي لنا من المدائني إلى اليوم كتاب واحد فقط هو نسب قريش وأخبارها كما بقيت لنا مقتطفات عديدة من مؤلفاته المختلفة ونجد منها خاصة في العقد الفريد لابن عبد ربه مجموعة كاملة لخطب ورسائل علي بن أبي طالب هي أيضاً التي نجدها في (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي ولو أنه لم يكن يثق كثيراً في المدائني . ومصادر معلومات المدائني كانت من جيل الأخباريين الذي سبقوه .. من أبي حنف وابن اسحق والواقدي وقد أضاف إليها بمحوه الخاصة وتوسيع في الأخذ من روایات المدينة واستفاد من روایات البصرة خاصة فيما يتعلق بالخوارج ومدينة البصرة وبفتح خراسان وما وراء النهر . وتوسيع في جمع المادة فجاءت أخباره أوفى بكثير من غيره .

وقد اتبع المدائني في المنهج التاريخي طريقة المحدثين في نقد الروايات وإثبات الأسناد مما أعطاه لوناً من الثقة لدى الناس . كما نظم المادة الواسعة التي وقعت له تنظيماً متوازناً خدم التأليف التاريخي ، وكان بذلك كله خطوة هامة في تطور عملية التاريخ كما أصحي المصدر الرئيسي للمؤرخين التاليين .

ولعل آخر من يأتى في هذه السلسلة من رواد المدرسة العراقية اثنان ..
 أحمد بن الحارث الخزار (توفي سنة ٢٥٨ هـ) مولى المنصور (؟) وهو صاحب
 المدائح وقد ألف مثله في السيرة النبوية (مغازي النبي وسراياه وذكر
 أزواجها) وفي الخلفاء (أسماء الخلفاء ، أخبار أبي العباس ، كتاب الخلفاء)
 وفي الفتوح (كتاب مغازي البحر في دولةبني هاشم ، وذكر أبي حفص
 صاحب إقريطش) وفي الجغرافيا (المسالك والممالك) وفي أمور أخرى
 متفرقة (كتاب الأخبار والتواتر ، كتاب شحنة البريد ، كتاب القبائل ،
 كتاب الأشراف ، كتاب أبناء السرارى) ... ولم يبق من هذا المؤرخ شيء
 يتعدى بعض المقتطفات لدى الطبرى وغيره .

عمر بن شبة بن عبيد (توفي سنة ٢٦٢ عن تسعين عاماً / ٨٧٦ م) .
 وهو بصري .. شاعر أخباري وفقيه وقد روى عن ابن سلام وهارون بن عبد الله
 وأبراهيم بن المنذر فهم مصادر معلوماته . أما كتبه فتزيد على ٢٢ كتاباً معظمها
 تاريخي ومنها .. كتبه عن الكوفة والبصرة والمدينة ومكة . وكتبه عن أخبار
 بني نمير ومقتل عثمان وأخبار المنصور وكتبه عن أمراء الكوفة وأمراء البصرة
 وأمراء المدينة وأمراء مكة . وكتاب الكتاب وله : كتاب محمد وأبراهيم ابني
 عبد الله المحض ، كتاب التاريخ . وكتاب السلطان (ولعله تأثر فيه بالثقافة
 الفارسية) وكتب أخرى في الأدب والنسب (١) .

وأما عن النسابين والأنساب ، فإن تجدد العناية بتعلم الأنساب بعد الفتوح
 الإسلامية خاصة وإنشاء الدواوين ثم التوسع في ذلك خلال العصر الأموي
 بسب العصبيات القبلية التي ظهرت فيه ، و حاجات الادارة ، والمعطاء ،
 وعملية الإسكان للقبائل في الأ蚊ار وظهور أرستقراطية عربية إسلامية في
 القرن الأول تحاول الحفاظ على امتيازاتها مقابل نمو الشعوبية كل ذلك أوجد
 حاجة اجتماعية علمية – اقتصادية أشد إلى الأنساب منها في العهد البخاري .

(١) انظر ابن النديم – الفهرست ص ١١٢ - ١١٣ .

وحين انصرف النابون إلى جمع المادة وتسجيلها جمعوا منها ومن حوطها الكثير من المادة التاريخية التي دخلت التاريخ من بابه الأوسع .

ولعل أول خط تاريخي كتب في الإسلام إنما كان في النسب وإنما كان على يد أولئك النفر الثلاثة الذين أتى بهم عمر بن الخطاب فعهد إليهم بوضع سجلات الأنساب للدواوين التي أنشأها . وهؤلاء هم :

– أبو عدي جبير بن مطعم بن عدي القرشي .

– أبو يزيد عقيل بن أبي طالب عبد مناف الماشمي (شقيق علي) .

– أبو صفوان خرمة بن نوفل بن أبيب الهرمي القرشي .

فسجلات هؤلاء التي دونوها كانت أساس كتب النسب وسجلاته الرسمية في الإسلام . وقد سجلت في الأمسكار العربية وخاصة في البصرة والكوفة – ثم في واسط – من العراق ، وفي دمشق الشام وفي مصر ، سجلات أنساب أخرى كان مركزها « دواوين » الجند . وقد رأينا بعضها يحرق في البصرة خلال ثورة ابن الأشعث سنة ٨٢ – ٨٣ هـ . ويبدو أن بعض هذه السجلات كان مصدرًا من مصادر معلومات النسائيين والمؤرخين . وقد ظهر نابون كثيرون بعد ذلك جمع بعضهم إلى النسب علم الأخبار والأدب أيضًا ، ومن أبرزهم :

محمد بن الساب الكلبي (توفي ١٤٦ / ٧٦٣) وقبيلته في الشام مهدت له الاتصال بعلم الأنساب ، مع الأدب والأخبار ، فحاول جمع أطراف هذا العلم معتمدًا حسب ما قال على أفضل نسابة في كل قبيلة^(١) . وأضاف إلى ذلك شعر الناقص .

وهو متهم بالتشييع مع أن هذا قد يكون السبب في نقد المحدثين له إلا أن ثمة اتفاقاً على أنه أول النساين الكبار ولكنه روى ولم يؤلف في النسب .

(١) ابن النديم . الفهرست ، صفحة ٩٥ (طبعة فلورجل) .

وقد تابع العلم من بعده ابنه الذي عاش في كنف أحد البرامكة : جعفر ، كما اتصل بالمؤمن وهو : هشام بن محمد الكلبي (توفي ٨١٩ / ٢٠٤) على أنه توسع أكثر من أبيه بالأخبار والتاريخ وألف في ذلك كله فقائقه كتبه قرابة ١٥٠ كتاباً .

وعناوينها تشبه أن تكون عنوانين مقالات في مواضيع محددة وتشبه كثيراً بقائمة كتب المدائني فهما يجريان في الواقع في ميدان واحد . وقد قسم ابن النديم تلك الكتب إلى مجموعات ^(١) .. نعدد هنا في مجموعات عشر .. الأولى .. كتبه في الأخلاق .. حلف عبد المطلب وخزاعة . حلف الفضول . حلف كلب وثيم ..

الثانية .. كتبه في المأثر والبيوتات والمنافرات . ومع أنها تخدم عامة الأرستقراطية العربية إلا أن فيها الكثير من الكتب التاريخية من مثل كتاب بيوتات قريش . بيوتات ربيعة . بيوتات اليمن .

كتاب الكنى . كتاب شرف قصي بن كلاب . كتاب ألقاب قريش . ألقاب ربيعة . ألقاب اليمن .

كتاب المثالب . كتب في التوافق . أخبار العباس بن عبد المطلب . كتاب ملوك الطوائف ^(؟) . كتاب ملوك كندة . كتاب ملوك اليمن من التابعة . كتاب تفرق الأزد . كتاب طسم وجديس .

الثالثة .. كتبه في أخبار الأوائل .. وهي مجموعة تتناول العهود السابقة للإسلام منذ آدم حتى الباھلية ويدخل فيها كتب عن عاد وعبسي وبني إسرائيل وحمير . كما تدخل كتاب عن أديان العرب والأصنام وحكام العرب والخليل والجن والسيوف والقداح ...

(١) ابن النديم ، الفهرست من ٩٦ - ٩٨ . ويلاحظ أن أقسام ابن النديم يختلط بعضها بعض فيهي ليست دقيقة القصة وذلك حسب هنارين الكتاب على الأقل .

الرابعة .. كتب ما قارب الإسلام من أمر الجاهلية .. مثل كتاب اليمن وأمر سيف. كتاب أزواج النبي . كتاب من هاجر وأبوه . كتاب أخبار عمرو ابن معد يكرب ..

الخامسة .. كتبه في أخبار الإسلام .. كتاب التاريخ . كتاب تاريخ أخبار الخلفاء . كتاب صفات الخلفاء

السادسة .. كتبه في أخبار البلدان والجغرافيا .. كتاب البلدان الكبير . البلدان الصغير . كتاب أسواق العرب . كتاب الحيرة وتسمية البيع والدبارات . كتاب قسمة الأرضين . كتاب الأقاليم ... الخ .

السابعة .. كتبه في أخبار الشعر وأيام العرب .. كتاب المنذر ملك العرب .. كتاب داحس والغراء . كتاب أيام فزارة . كتاب الأيام . كتاب مسلمة الكذاب ...

الثامنة .. كتبه في الأخبار والأمسكار .. كتاب القتبان الأربع . كتاب عجائب البحر . كتاب الأحاديث .

التاسة .. كتب الأنساب .. النسب الكبير . ويتضمن ، بجانب نسب نصر ونسب اليمن ، كتاباً آخر في الأنساب المفردة .. لقرיש وولد العباس . ومعد بن عدنان ... وكتاب الكلاب الأول والكلاب الثاني (وهو يuman من أيام العرب) . وله كتاب جمهرة الجمهرة . وقد صنف كتاب (الملوكي) في الأنساب بحقير البرمكي وكتاب الفريد في الأنساب للمأمون .

العاشرة .. وأخيراً كتب تتعلق بالخلفاء .. أولاد الخلفاء . أمهات الخلفاء . كنى آباء الرسول . أمهات النبي .

ولم يبق لدينا من كتبه سوى (الأصنام) وقد طبع ، وجزء من كتاب جمهرة النسب ، مخطوط بالتحف البريطاني . وهو يحوي مع الأنساب بعض

اللاحظات عن الرجال . وبالرغم من أن المداني يعتبره ناقصاً في أنساب اليمن إلا أنه أضحت المرجع الأساسي للمؤلفين من بعد .

ويلاحظ أن ابن الكلبي اهم خاصية بما سبق الإسلام من أحوال العرب والناس أكثر من اهتمامه بالتاريخ الإسلامي . واهم بالأنساب والأدب كذلك قدر اهتمامه بالأخبار . وتتنوع مصادر معلوماته فهو يأخذ عن أبيه وعن عوانة وأبي حنف والرواة من القبائل خاصة ، إلا أنه يضيف مصادر مترجمة في الغالب عن الفارسية فيما يتعلق بتاريخ إيران ، وشعبية أسطورية فيما يتعلق بتاريخ اليمن ، وعن أهل الكتاب فيما يتعلق بتاريخ الأنبياء السابقين . وبعض معلوماته مأخوذة عن الوثائق أو عن كتب سريانية أو أغريقية في كنائس الحيرة وأديرة العراق .. مثل كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ، وكتاب المنذر ملك العرب . وكتب الأقاليم والبلدان . وهو في هذا وثيق المعلومات كما أنه وثيق كذلك في أمور الأنساب وأحوال الجاهلية . وتضطرب الثقة بمعلوماته حين يتناول تاريخ اليمن لأنه يعتمد على القصص الشعبي المتداول ، ومن الصعب الافتراض بأنه يعرف التواريχ اليمنية القديمة أو يقرأ الخط المستند الذي كتب به التفاصيل الأخرى والمخلفات المكتوبة .

وقد عاصر ابن الكلبي نسبة آخر اهم خاصية بالنسبة ، هو :

– أبو اليقطان النسابة (توفي ٨٠٨/١٩٠ م) واسمه عامر بن حفص وكان مولى لبني تميم ^(١) ويلقب بسحيم . وكان عالماً بالأنساب والأخبار والآثار والمثالب . ويتميز بأنه كان أول من ألف في الأنساب عاملاً نقاً عن الروايات القبلية . وله من الكتب : النسب الكبير ، وكتاب أخبار تميم ، وكتاب نسب خنادق ... وكتاب التوادر . ولكن هذه الكتب ضاعت فليس منها الآن سوى مقتطفات متفرقة . وقد نقل المداني كثيراً عنه . ويبعد أنه أول عناية للتواتر وأن كتابه بهذا العنوان لقي بعض الرواج ، وقد اطلع عليه ابن التديم في القرن

(١) انظر الطبريج ٤ ص ٤٤٩ .

الرابع . ولهذا أيضاً مزج في كتابه النسب الكبير ما بين الأنساب والأخبار . وتوكّد المقطفات المأخوذة عنه لدى البلاذري وأبي خباط وغيرهما هذه الملاحظة كما توّكّد أمراً آخر هو عنایته بأنّ أخبار البصرة وأحداثها .

وئمه من العصر نفسه بين علماء النسب والأخبار ..

- عبد الرحمن بن عبدة .. وكان من النسّابين الثقات حسن المعرفة بالآثار والأخبار وأيام العرب . وقد ألف على مثال ابن الكلبي .. كتاب الشجمان بالإضافة إلى ١١ كتاباً آخر في الأنساب المختلفة ^(١) .

وهناك أبو جعفر محمد بن حبيب بن أبيه مولىبني العباس (المتوفى سنة ٢٤٥ھ) وقد كان من علماء ورواة بغداد البارزين في النسب والأخبار واللغة والشعر . روى عن أبي عبيدة وقطرب وتلمذ لأبي القظان النسابة وغيره . عمل مؤديباً وألف من الكتاب ما بلغ في تعداد ابن النديم ثلاثة وثلاثين كتاباً تجعل منه بقية مدرسة الإخباريين في كثير من التواحي ، أو مرحلة الانتقال بينها وبين مدرسة التاريخ . ومن هذه الكتب :

كتاب تاريخ الخلفاء ، كتاب مقائل الفرسان ، ثلاثة كتب حول الأمهات : أمهات أعيانبني عبد المطلب ، أمهات الشيعة من قريش ، أمهات النبي . واسعة كتب في الشعر وكتب في الخيل والنبات والأرحام . هذا عدا ثمانية كتب في النسب منها كتاب في المؤتلف والمختلف لعله أقدم ما صنف في هذا الفن وقد سلم هذا الكتاب وطبعه المستشرق وستنفلد (غوتينغن سنة ١٨٥٠) كما باقي من مؤلفاته أيضاً :

- كتاب المعبر وفيه خلاصات تاريخية هامة . طبع بعنابة المستشرقة شتير في بيروت (دون تاريخ) .

(١) انظر ابن النديم ص ١٠٥ .

– كتاب المغتالين ، وكتاب من نسب إلأى أمه . ومنهما خطوطتان في دار الكتب بمصر .

أما كتابه الفصح والأكابر فهو : كتاب القبائل الكبير والأيام كتبه للفتح ابن خاقان في أربعين جزءاً كل جزء في ٢٠٠ ورقة (١٦ ألف صفحة) ووضع له فهرساً في ثلاثة صفحات . رأاه ابن النديم في القرن الرابع بخطه . وقد ضاع هذا الكتاب .

ولنلاحظ أن ثمة علماء في النسب فهموا هذا العلم على وجه سليبي ، وبدل أن يكون سجل مفاخر العرب جعلوه مستودع المثالب وألفوا التأليف العديدة في ذلك دعماً للشموبية . ومن أبرزهم ^(١) :

علان الشعوبي (توفي في أوائل القرن الثالث) وكان منقطعاً إلى البرامكة وينسخ في دار الحكمة للرشيد والمأمون . وهو راوية عارف بالأيام والأنساب ، ولكنه لم يدع قبيلة أو حيّاً من أحياء العرب إلا كتب عن مثالبها في (كتاب المثالب) الذي جمع المطاعن حول ما يزيد على ٧٥ قبيلة عربية من بينها قريش . ولا شك أن الكتاب كان يحوي بهذا الشكل الكثير مما يهم التاريخ . ولعلان يحيى هذا الكتاب ، خمسة أخرى من بينها كتاب الميدان الذي ذكر ابن النديم أنه هتك فيه العرب وأظهر مثالبها ...

ثم ظهر بعد هؤلاء :

– مصعب بن عبد الله الزبيري (توفي سنة ٢٣٣ أو ٢٣٦ / ٨٤٧ – ٨٥٠ وله ٩٦ سنة) . وقد كتب كتابين هنا النسب الكبير وقد ضاع ، ونسب قريش وقد وصلنا . ومصادره مأخوذة عن الزهري وعن والده وعن بعض علماء

(١) لم يُلْفَحْ كِتَابٌ كَتَبَ فِي مَثَابِ الْأَرْبَابِ ذَلِكَ الَّذِي كَتَبَ حَسْبَ رِوَايَةِ ابْنِ النَّدِيمِ (ص ٨٩) زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ لِيَدْفَعَ مَجْرُومَ الْأَرْبَابِ عَلَى نَسَبِ الْمَسْتَحْرِلِ . وَانْظُرْ قَائِمَةَ مَوْلَقَاتِ عَلَانَ لَهُ ابْنُ النَّدِيمِ مِنْ

النسب والرواية ، وبعضهم رواة شفهيون . أما الإطار الذي أفرغ فيه الكتاب (فهو الذي اتبعه ابن الكلبي من قبل والبلذري من بعد) . وأما محتويات الكتاب « فتلقي ضوءاً خاصاً على التحولات في الروابط القبلية وعلى التبدليات في خطوط الأنساب . ويعطي الزيري بالإضافة إلى ذلك أخباراً بعضها مهم مفصل عن بعض الشخصيات الهامة من جاهلية وإسلامية »^(١) ، وبصورة عامة . وقد تلمذ على مصعب ابن أخيه ..

— أبو عبد الله الزيري بن بكار بن عبد الله بن مصعب القرشي ، ولد سنة ٧٨٨/١٧٢ في المدينة وتوفي سنة ٢٥٦/٨٧٠ . وله أربع وثمانون سنة . وهو من أهل المدينة ، اصطدم مع العلوين فيها فانصرف إلى بغداد ثم تولى قضاء مكة سنة ٢٤٢ حيث توفي وترجمته موفورة في العديد من المصادر^(٢) . وقد كتب خاصة في الأخبار وأخبار الشعراء والعادل الجاهلي ، وفي النسب . ونجد بين كتبه مثلاً قدماً لتسمية الكتاب باسم من ألف له . فهو يعطي كتابه في اللغة اسم الموقفيات لأنه ألفه للموقف بالله أخي الخليفة المعتمد . أبرز كتبه كتاب بقى لنا هو : كتاب نسب قريش وأخبارها ، وهو مختلف في ترتيبه ومضمونه عن كتب النسب الأخرى . وقد لاحظ شيئاً من ذلك معاصره اسحق الموصلي فقال : « لقد سماه صاحبه كتاب النسب وهو في حقيقته كتاب الأخبار »^(٣) . اقتبس منه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ، في كافة الفصول تقريباً . ونجد مخطوطات منه أو من بعض أقسامه في استانبول وغيرها . كما طبع الجزء الأول منه في القاهرة (بتحقيق محمود محمد شاكر سنة ١٩٦١) .

وأما الموقفيات فكتاب أقصاصه تاريخية تمازجت الفصائيد الكثيرة . وولع الزيري بالشعر يبدو في هذا الكتاب كما يبدو في كتاب نسب قريش .

(١) الوردي . نشأة علم التاريخ ص ٤٢ .

(٢) انظر وكيع - أخبار القضاة ١/٢٦٩ . وياقوت ، معجم الأدباء (القاهرة) ١١/١٦١ . وابن خلkan ، وفيات الأعيان (بولاق) ١/٢٣٦ .

(٣) انظر البندادي - تاريخ بغداد ٨ ص ٤٦٩ .

ونعمة أقسام مخطوطة منه في غوتغدن (مخطوطات عربية رقم ٧٦) كما أن ثمة مخطوطاً في البصرة (العباسية رقم ٥٥ في ١٨٦ ورقة) ونجد مقتبسات كثيرة منه في الإصابة لابن حجر وشرح نهج البلاغة^(١). وقد طبع في بغداد سنة ١٩٧٣.

وللزبير عدا ذلك كتاب : أزواج النبي (ومنه أوراق مخطوطة في الظاهرية بدمشق - مجموع ٤١/١٠) ، وكتاب الفكاهة والمزاح ، وأخبار المدينة (ومنه مقتبسات في الإصابة لابن حجر) وكتاب العقين بالمدينة ، وكتاب المفاحرات .

ويظهر أيضاً من بعده .. ابراهيم بن محمد بن سعيد (توفي سنة ٢٨٣/٥) وهو مؤلف مكث . انتقل من الكوفة إلى أصفهان فاستقر بها ولعل لتشيعه على المذهب الزيدية أثر في هذه النقلة وفي ضياع كتبه التي تualaً صفحه كامله وتشبه قائمه المدائني في غناوينها ولعلها مثلها في كونها رسائل تتناول السفينة والردة ، ومقتل عثمان وصفين والحكمين، ولكنها كانت دون شك تحمل وجهة نظر الزيدية في هذه الأحداث .

وقد كتب في (فضل الكوفة) ومن نظمها من الصحابة وهو من أول كتب فضائل البلدان . كما كتب في (من قتل من آل محمد) وهو من أوائل الكتب من هذا اللون في الأدب الشعبي كذلك .

ويجح أن نضيف أخيراً أن علماء الأدب واللغة والشعر في القرن الثاني ومطلع الثالث قدمووا الكثير لعلم التاريخ وزودوه بالمادة ذلك أنهما في بحثهم عن المادة اللغوية والشعرية غزوا ميدان روایة القبيلة ، وكان هذا الميدان خاصاً من قبل بنشاط الرواية والنarratives ، فجمعوا بهذا الشكل شتات المادة التاريخية وخدموا التدوين التاريخي إذ دخلت روایاتهم في صلب كتب التاريخ .

(١) انظر مثلاً ابن حجر - الإصابة ج ١ ص ١٢٧ ، ٤٣١ ، ٦٠٢ ، ٦٦٧ ... الخ . وانظر ابن أبي الحميد - شرح نهج البلاغة ١٦٩/٢ - ١٧٠ ، ٢٦٢ ، ١٢٩ ص ١٢٩ ، ٣٤٤ - ٣٤٢ ، ٣٨ ... الخ . وج ٦ ص ١٧ - ٣٤٢ ، ٣٤٤ ... الخ .

ومن علماء الأدب واللغة ، من أهل الكوفة :

– أبو عبيد القاسم بن سلام (توفي سنة ٨٣٩/٢٢٤) وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة والكساني والشيباني . وقد كتب كثيراً من الكتب في اللغة والأمثال . على أن أهم كتاب تركه لنا هو كتاب (الأموال) ونعتبره مع كتاب الخراج لأبي يوسف أهن كتابين نطلع من خلالهما سواء من الناحية العملية أو الفقهية على النظام المالي في الدولة الإسلامية . وهو كثر من المعرف المختلفة في هذا الباب .

ومن علماء اللغة البصريين :

– أبو عمرو بن العلاء : الذي كان « أعلم الناس بالعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس » على حد قول الحافظ ... وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيته إلى قريب من السقف ثم إنه تقرأ فأحرقها كلها ^(١) ...

وأبرز منه تلميذه ..

أبو عبيدة معمر بن بشير التميمي (١١٤ – ٧٣٢/٢١١) وقد كان يجمع المعلومات ، بجانب الرواية والعلماء عن رواة البدو (حين يقدمون المريد) ويسهل له بهذا الشكل أن يجمع من الروايات القبلية والمحلية والأسرية ما شمل حقل الروايات العربية الشمالية كاملة . وقد شهد له أبو الفرج الأصفهاني بعد الحافظ بأنه « أعلم الناس بجميع العلوم » وابن التديم يقول أنه له « علم الإسلام والخالقية ». وقد عرف بأنه يسجل معلوماته ويأخذ عن الكتب حتى لقد حاول بعضهم أن يجعل ذلك مطعناً عليه فقد ذكروا أنه « عَلِمَ مَا تُرَكَّ مَعَ اسْفَارِهِ » وأنه « كان ديوان العرب في بيته ». وما من شك في أنه بهذا

(١) الحافظ - البيان والتبيين (طبعة دار الفكر بيروت) ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

التدوين قد أسمهم في حفظ الأخبار من جهة كما حافظ على روحها الأدبية الأولى كما رويت من جهة أخرى .

ولأبي عبيدة من الكتب عدد كبير يزيد على مائة وثلاثة كتب . مجموعاتها تكشف اهتماماته العلمية . وبالرغم من أن طابع كتبه لغوي وبمكانته وجهة نظر اللغويين ومع أنه كتب في اللغة أكثر من نصف كتبه إلا أنه ألف كذلك : في المثالب والماڭاير .. مآثر العرب . مناقب باهلة . كتاب الموالي . كتاب المثالب . كتاب لصوص العرب . فضائل الفرس .

في الفتوح .. فتوح الأهواز . فتوح أربمنية . كتاب خراسان . كتاب السواد وفتحه .

في أيام العرب وأخبارها . مغارات قيس واليمن . كتاب بيونات العرب . كتاب الأيام . كتاب أيامبني يشكرا . كتاب بنى مازن وأخبارهم . كتاب الحمس من قريش . كتاب الغارات . كتاب القبائل .

وفي عدد من المواضيع التاريخية .. مثل .. خوارج البحرين واليمامة . كتاب مرج راهط . كتاب المجان ، كتاب مقابل الفرسان ، مقابل الأشراف ، كتاب الحمد وصفين ، كتاب مقتل عثمان . كتاب أخبار الحجاج . قصة الكعبة . كتاب الأوس والخزرج . كتاب قضاة البصرة ، كتاب مكة والحرم

ولا يتمهم أبو عبيدة بالوضع في أخباره ولكن يقتضيه إلى العلماء والناس كثرة ما روى من مطالبهم من جهة و موقفه بجانب الشعوبية من جهة أخرى . ولكن المؤرخين التاليين اعتمدوا عليه ، كما اعتمد اللغويون في الكبير مما روى وكتب . وقد ورد اسمه لدى الطبرى في تاريخه أكثر من خمسين مرة بروي فيها عنه .

وقد احترم الناس بالمقابل معاصرأ لأبي عبيدة لا يقل عنه شهرة هو :
- الأصمسي : أبو سعيد عبد الملك بن قریب المتوفى في البصرة في سنة

٢١٤ أو سنة ٢١٧ ، في خلافة المأمون وهو من كبار علماء اللغة والنحو والأخبار والنواذر . وشهرته في اللغة خاصة والنحو لا تمنع من ذكره أيضاً في مجال الأخبار . فقد كان أيضاً من الإخباريين . وهو في الأصل من أهل البصرة ثم قدم بغداد واتصل بخلفيتها هارون الرشيد وبالبرامكة ، وبالمأمون ، ونافس قرينه ، في ذلك العصر ، أبو عبيدة معمر بن المنفي منافساً ما تزال تذكرها كتب اللغة والأدب والنحو ، كمنافسة الكساناني والفراء . وله من الكتب الإخبارية عدد ومنها : كتاب النسب ، كتاب الخراج ، كتاب الفتوح ، كتاب النواذر ، تاريخ ملوك العرب الأولية . ولم يبق من هذه الكتب سوى هذا الكتاب الأخير الذي نشر (بتتحقيق محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٥٩) عن نسخة بخط يعقوب بن السكري ، نفيسة جداً مكتوبة على الرق محفوظة في باريس تاریخها سنة ٢٤٣ هـ . وأعطي الكتاب عنوان تاريخ العرب قبل الإسلام . وقد نقل الطبرى بعض أخبار الأصمعي ومنها أخباره عن معركة ذي قار ويرد اسمه لديه في أحد عشر موضعاً .

تعريف التواريخ غير العربية .. - كان أبو عبيدة إنما يمثل في الواقع تياراً ثقافياً له جذوره الشعبية في العراق في العصر العباسي الأول وقد عرف هذا التيار باسم الشعوبية . وإذا كان للتاريخ العربي موقفه من هذه الحركة فلنها من وجهة نظر علم التاريخ قد أسهمت بدورها في إغناء المادة التاريخية ..

فأصحاب الميل الشعوبى حاولوا أن يضعوا باللغة مآثر الفرس خاصة ، مقابل العرب ، وماكير غيرهم . وشهد القرن الثاني نتيجة لذلك حركة من الترجمة عن الفارسية كان من بينها ترجمة لكتب تاريخية وشبه تاريخية أسهمت في كشف مصدر تاريخي جديد للمؤلفين باللغة .

وهذا المنصر أدخل على المدرسة التاريخية العراقية - التي أصبحت المدرسة التاريخية الأولى والرئيسة منذ أواسط القرن الثالث - عنصراً قصرياً أكثر مما هو أسطوري . ذلك أن المادة التاريخية المترجمة عن الفارسية لم تكن تواريخ

أو مادة ذات تسلسل زمني تاريخي ، وإنما هي سير مطلقة من قيد الزمن لأنها لم يكن للفرس من تقويم ثابت . فدخلت هذه المواد بشكل مادة تاريخية مشوشه إلى التدوين التاريخي العربي . ولأن سدت فراغاً في تاريخ ما قبل الإسلام للشعوب الفارسية فإنها لم تستطع أن توحى للمؤرخين وأصحاب الأخبار بخطة أو منهاج تاريخي جديد . فظلت نشأة علم التاريخ الإسلامي عربية خالصة لا سيما إذا عرفنا أن ما ترجم عن السريانية والاغريقية لم يكن يحوي أي مادة تاريخية سوى ما كان يتعلق بعرب الحيرة أو عرب الجنوب .

وأخيراً نلاحظ أن انتقال التقليل السياسي والثقافي إلى بغداد والعراق قد امتص العلاقات الفكرية في المراكز الأخرى . وبينما تضاءلت مدرسة المدينة منذ أواخر القرن الثاني حتى جفت في نهاية القرن الثالث ، نجد بالعكس أن الجو الثقافي التاريخي كله كان يتهيأ في العراق لا للسيطرة العرقية فقط ولكن لظهور أبرز المؤرخين الأوائل منها . وبالرغم من أن الخط المدني لم يهجر لأنه متصل بمذور دينية ، وبالرغم من أن سلسلة كتب المغازي التي ميزت مدرسة المدينة ظلت متصلة الحلقات قروناً بعد القرن الثالث ، إلا أنها فقدت أصالتها تماماً وكانت السير والمغازي التالية ترجعاً وتكراراً مختصرأ أو مطولاً للسير الأولى .

* * *

الفصل السادس

ظهور المؤرخين الكبار

١ - الميزات العامة وجمهرة الماهدين

من نسبتهم بالمؤرخين الكبار هم طبقة كاملة من مؤرخي النصف الثاني من القرن الثالث كانوا النهاية الطبيعية لخط من التطور المستمر أصاب علم الأخبار وما يتصل به ، خلال أكثر من قرنين . وقد تميزوا بأنهم :

- ١) فهموا التاريخ بالمعنى الشامل فأفقيهم في الجملة عالمي والإسلام عندهم أمة واحدة . فالاتجاه القبلي أو الديني عندهم ضعيف أمام قوة العملية التاريخية .
- ٢) أظهروا اندفاعاً للرحلة في طلب العلم وجمع المعلومات كما استفادوا من أسلوب المحدثين في توثيق الرواية والسد .
- ٣) استفادوا من مواد السيرة والأخبار والأنساب والشعر والأدب جمعياً لتكوين مادة علم التاريخ . كما استفادوا أحياناً من تواريخ الأمم الأخرى ومن القصص الشائعة .
- ٤) اختاروا مادة التاريخ بعد النقد من مختلف المصادر ونظموها في كتب

خاصة طبق أسلوب هو تارة حوليًّا وتارة يتبع الأنساب وثالثة يختار موضوعه اختياراً من الحوادث المختلفة .

٥) وجد كافة هؤلاء المؤرخين في العراق إلا أنهم لم يمثلوا المدرسة العراقية السابقة فقط ولكن مثلوا تطورها وتطور مدرسة المدينة في وقت معاً . وقد حمل التاريخ في نهاية هذه الفترة فقط اسمه بعد أن لم يكن من قبل سوى «أخبار» أو «أنساب» أو «سيرة» أو «أيام» . أما السيرة النبوية فقد ظلت موضوعاً قائماً بذاته ويكتب بعنوان «السيرة» حتى القرن التاسع المجري .

٦) ومن الضروري أن نضيف أيضاً ملاحظة هامة تتصل برابطة التاريخ والمورخين مع الجلو الثقافي العام هي أن علم التاريخ الإسلامي انما اكتمل شكلاً على يد هؤلاء المؤرخين الكبار في الوقت الذي كانت فيه كافة الجهود الفكرية العربية تبذل بالتوازي ، في مختلف الميادين لبناء التكوين الثقافي العربي – الإسلامي . ففي القرن الثاني خاصة والثالث بذلت جهود واسعة لبناء الفقه الإسلامي وفهم القرآن وجمع اللغة وكشف أسرارها وتقعيد النحو ، واستجلبت كذلك الفلسفة الإغريقية والهندية وعلوم الطب والفيزياء والكيمياء ... أي أن الثقافة العربية كانت تقوم بعملية تحويلية تركيبية في وقت معاً لبناء ذاتها ، بأيدي أبنائها أنفسهم . وبينما نظم البخاري ومسلم علم الحديث وقواعديه ، اكتشف الخليل بن أحمد تحليلاً موسيقياً للشعر العربي يقيم تركيبه وأوزانه ، ووضع على يد سيبويه والكسائي قواعد النحو من خلال الكلام العربي نفسه وعلى يد أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل ومالك وجعفر الصادق أسس الفقه من خلال القرآن والسنة وجمعت اللغة والأدب والشعر على يد البرد والفراء وأبي عبيدة وكشفت الأسس الجمالية والتکوینية فيها

ويبينما كان آخرون ينصرفون عن «العلم» الإسلامي إلى علوم العقل ويتعلمون عن طريق الترجمة على مدارس الفلسفة الإغريقية والهندية والهلنستية ويطبقون ذلك على الفكر الإسلامي لاظهار أفكار الاعتزال والكلام والباطنية ...

في تلك الفترة أخذ التاريخ الإسلامي شكله كعلم وتبورت الفكرة التاريخية الإسلامية على شكل معين لم تتحول عنه فيما بعد إلا في التفاصيل المحدودة . ومن نسيهم بالمؤرخين الكبار هم الذين قاموا بهذا التطور الأساسي في مسيرة التاريخ .

٧) ولعل أهم ما نصيفه أخيراً هو أن النقلة من مرحلة الاخباريين والأخبار إلى مرحلة المؤرخين والتاريخ لم تم في قفرة واحدة ، وقد جاءت بين المرحلتين في الواقع مرحلة انتقالية ظهر فيها عدد من أنصار المؤرخين . وإذا لم تكن هذه المرحلة واضحة زمنياً لاشتقاقها مع المرحلتين الآخريتين فلأنما كانت واضحة في تطور التأليف التاريخي نفسه إذ أن عدداً من الاخباريين طرقوا التأليف على مناهج المؤرخين نفسها ، ونعني بهذا أن من ندعوهم بالمؤرخين الكبار لم يكونوا وحدهم مثلي علم التاريخ الإسلامي في القرن الثالث ، فقد وجد معهم ومن حوالهم عدد كبير من « المؤرخين الصغار » أو من الاخباريين الهامين – وبعضهم جاء التاريخ عن طريق السيرة والحديث – كانوا يتممون جمهورة هذا العلم ويمهدون الطريق لظهور التدوين التاريخي على الأسس العلمي المنظم في الزمن والموضوع . ومن هذه الجمهرة الواسعة جداً من الماهدين والبناء الصغار نكتفي بذكر الجماعة التالية التي تحوي بين أفرادها عدداً من الرجال لم يخل بينهم وبين أن يكونوا من مشاهير المؤرخين سوى سوء الحظ بفقد كتبهم على الأيام . ولو جاءنا بعض إنتاجهم أو كله لكان لهم في هذا العلم المكان الواضح ^(١) .

– يوسف بن ابراهيم الكاتب ، صاحب ابراهيم بن المهدى (الخليفة العباسى ما بين سنة ٢٠٠ – ٢٠٣) وقد صنف كتاباً عديدة ، حسب شهادة

(١) لعلنا نشير هنا إلى أننا أهلنا وسوف نجمل في الكتاب فيما بعد أسماء الكثير من المؤرخين الصغار الذين لم نر فائدة كبيرة في إيراد إسائهم ونحن نجمل كل شيء عنهم وعن محتوى مؤلفاتهم . ومن أمثلتهم في هذه الفترة من القرن الثالث وطالع الرابع متلا : دماذ بن رفيع بن سلة ، والزرقي الأنصاري ، والأخجبي ، والرياشي ، وأبو جعفر محمد بن أبي السرى ، وعبد الله بن محمد البلوي الانصاري ، ومحمد بن سليمان المقري الجوهرى وغيرهم وندرك للطراقة فقط أن الخليفة الواقع بالله (المتوفى سنة ٢٣٤) اشترك في التأليف وكان له كتاب باسم البستان نقل عن ابن أبي أصيحة خبراً عن العمارث بن كلدة التقى .

المسعودي ، منها : كتاب في أخبار المنطبيين مع الملوك ، في المأكل والمشارب والملابس وغير ذلك . ومنها كتابه المعروف بكتاب ابراهيم بن المهدى في أنواع الأخبار^(١) .

– التوفى : أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان وهو معاصر لابن الكلبي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ . وكان أحد مصادر الطبرى والمسعودي والأصبغاني . وله : كتاب الأخبار ، وكانت فيه أخبار عن الأمويين ومن بعدهم حتى عصر المؤلف^(٢) .

– الفزارى : أبو اسحق ابراهيم بن محمد (من مطالع القرن الثالث) وله كتاب السير ويتعلق دون شك بالفتح كأمثاله من الكتب . وقد سمعه ابن خير من راوية أبي صالح محبوب بن موسى الفراء في انطاكية سنة ٢٢٥ هـ نقلًا عن مؤلفه^(٣) .

– البصري : الحسن بن ميسون من بنى نصر بن قعين ، وهو أستاذ المؤرخ ابن النطاح . وله من الكتب : كتاب الدولة وكتاب المأثر^(٤) .

– ابن بكار أبو الوليد العباس بن بكار الفقي (ولد سنة ١٢٩ / ٧٤٦ توفي سنة ٢٢٢ / ٨٣٧) وهو بصري المولد والإقامة والوفاة ، وكانت له مشاركة في العمل الإخباري الذي بقى لنا منه :

– أخبار الوافدين من الرجال من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان . وأخبار الوافدات على معاوية أيضًا . وهم رسالتان مخطوطتان الآن في الاسكورتيل باسبانيا (رقم ٤٦٧ و ٥٤٦) في ١٢ ورقة .

(١) المسعودي – مروج الذهب ج ٤ ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤ .

(٣) انظر ابن خير – فهرس ابن خير ص ٢٣٦ .

(٤) ابن النديم – الفهرست ص ١٠٨ .

– عبد الله بن جبلا بن الحمر الكتافي (المتوفى سنة ٨٣٣/٢١٩) وهو من أوائل مؤلفي الشيعة الذين ألفوا في علم الرجال وكتابه معروف باسم : كتاب الرجال ^(١) ولكنه ضائع .

– الحسن بن علي بن فضال بن أبيس التميمي الولاء الكوفي (المتوفى سنة ٨٣٨/٢٢٤) وهو معاصر لسابقه ويتنسّى إلى المذهب الشيعي مثله كما أنه كتب تاريخ الشيعة المعروف أيضاً باسم كتاب الرجال ^(٢) ولابنه علي بن الحسن بدوره كتاب الرجال أيضاً حسب رواية النجاشي والطوسي ^(٣) وكان هذا الكتاب من مصادر تقي الدين الحلبي (من رجال القرن السابع) في كتابه الرجال .

– الأزرق أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (المتوفى سنة ٢٢٣) وهو أحد الأخباريين وأصحاب السير . إلا أنه ألقى أقدم ما كتب في تاريخ مكة : كتاب مكة وأخبارها وجبلها وأوديتها . والكتاب مطبوع في سلسلة أخبار مكة المشرفة التي نشرها المستشرق وستنفلد (ليزيغ سنة ١٨٥٩) (المجلد الأول بعنوان : كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) .

– أبو دلف العجمي : القاسم بن عيسى بن معقل (المتوفى سنة ٢٢٥) والرجل أحد الأبطال المشهورين والأجراء المدحدين وقد ولّ إمرة دمشق للمنتصم . وله صنعة في الفناء كما كانت له مشاركة في التأليف . وبعض كتبه تدخل أجواء التاريخ الحضاري ومنها : كتاب السلاح . كتاب الزره . كتاب البراءة والصيد وكتاب سياسة الملوك .

(١) انظر النجاشي – رجال النجاشي ج ٢ ص ١٦٠ (ط / ٢ مركز نشر كتاب ، مصطفوي – ايران ، دون تاريخ) .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨ وانظر السخاوي – الاعلان ص ٧٩ ، وابن حجر – لسان الميزان ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) النجاشي – الرجال ج ٢ ص ١٩٦ ، الطوسي – الفهرست (تحقيق بحر العلوم – التجفف ١٩٣٧) ص ٩٢ وانظر السخاوي – الاعلان ص ٥٨٠ .

- خالد بن خداش بن عجلان أبو الميم مولى آل المهلب (المتوفى سنة ٢٢٣) وقد اختص بكتابه تاريخ المهابة وله في ذلك كتابان : كتاب الأزارقة وحروب المهلب . كتاب أخبار المهلب .

- وقد كتب في الموضوع السابق نفسه يزيد بن محمد الملهي الشاعر وعنوان مؤلفه : كتاب المهلب وأخباره وأخبار ولده .

- الجمحي أبو عبد الله محمد بن سلام البصري (المتوفى سنة ٨٤٥/٢٣١) أحد الاخباريين المشهورين والرواة الكبار في الأدب وحفظ الحديث . وله من الكتب ذات الماده التاريخية : كتاب بيوتات العرب ، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء المسلمين .

- أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي (المتوفى سنة ٨٤٧/٢٣٣ م) وقد كان من كبار الحفاظ والمحدثين البارزين ويعطى في بعض الكتب لقب الامام وحجة الاسلام وهو معاصر وصديق لابن حنبل وله كتابان نعرفهما :

- التاريخ والعلل : ومنه مخطوط في دار الكتب الظاهرية [مجموع ١١٢] في مجلد من ١٦٧ ورقة .

- معرفة الرجال ومنه قطعة مخطوطة في الظاهرية أيضاً (مجموع ١٣٩) .

والكتابان رغم تاریختهیما وما فیهما من فوائد تتصل بالتاریخ إنما يتصلان أساساً بعلم مصطلح الحديث . والكتاب الأول جاء برواية أبي الفضل العباس ابن محمد الدوري (توفي سنة ٢٧١) صاحب يحيى بن معین . ويبعد أنه لم ينظم في الأصل ولكنه يجمع أقوال يحيى في جرح الرجال وتعديلهم والتعریف بالأسماء والکنى والنسبة والطبقه ، كما يبدو أن الروایی لم ینقل فقط أقوال شیخه ولكنه أضاف إليها بعض المعلومات من عنده مثل وفاة ابن معن وابن حنبل وتفسیر بعض الغامض من القول . ويبعد أن الباحثین منذ القديم قد لاحظوا عدم التنظیم في هذا التاریخ وهذا فقد عمد أبو سعید بن الاعربی إلى توبیه

ورتبه على حروف المعجم وقد قرأه ابن خير في القرن الرابع على هذا الترتيب^(١).

وأما كتاب معرفة الرجال فلم يسلم منه سوى الجزءين الأول والثاني من روایة أبي العباس أحمد بن محمد بن القاسم بن عزز البغدادي . وهو بدوره مجموعة أقوال ذكرها ابن معين جواباً على أسئلة تلميذه أبي العباس أو تلاميذه آخرين . ومعظم الأسئلة في الجرح والتعديل .

- ابن أبي شيبة عبد الله بن إبراهيم العبسي الكوفي (ولد سنة ١٥٩ / ٧٧٥) توفي سنة ٨٤٩ / ٢٣٥) وكان يؤدب الصبيان في الرصافة ببغداد . وهو من المحدثين المصنفين . وضع عدداً من الكتب التاريخية منها :

كتاب التاريخ . كتاب الفتن ، كتاب صفين . كتاب الجمل . كتاب الفتوح . وينسب إليه أيضاً كتاب أوائل الإسلام الذي نفعه مؤلف آخر سنة ٣٠٠ هـ . ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين رقم ٩٠٤٩ .

- الشاذ كوفي أبو أيوب سليمان بن داود بن بشر بن زياد النفري البصري (المتوفى سنة ٢٣٤ أو سنة ٢٣٦) وهو من أهل البصرة ومن الحفاظ المكثرين خرج لأصحابها سنتين قبل أن يستقر بها ولكنه ليس بثقة . والبخاري يقول « هو عندي أضعف من كل ضعيف »^(٢) ومع ذلك فقد ظلل الناس يتدارسون عدة قرون كتابه : تاريخ طبقات أهل العلم ومن نسب منهم إلى مذهب . وقد روي حتى في الأندلس من قبل ابن خير وابن عبد البر .

- الزبيادي أبو حسان الحسن بن عثمان بن حماد (ولد في بغداد سنة ١٥٦ / ٧٧٣) وتوفي سنة ٨٥٧ / ٢٤٣ هـ وكان - على حد قول ابن النديم - قاضياً فاضلاً ديباً ناسباً جواداً .. يعمل الكتب وتعمل له . وكانت له خزانة حسنة كبيرة^(٣) .

(١) انظر ابن خير - فهرست ابن خير ص ٢٢٨ .

(٢) انظر ترجمت لدى السعافي - الانساب الورقة ٣٢٤ ظهر وانظر ابن خير - فهرست ص ٢١١ .

(٣) انظر ابن النديم - الفهرس ص ١١٠ .

روى عن الحسن بن الميمون والواقدي كما روى عنه وكيع القاضي وابن أبي طاهر : وبعد بين المؤرخين والمحدثين النقاش . وقد ول في قضاة بغداد الشرقية للمتوكل في أواخر حياته . وله من الكتب : كتاب الآباء والأمهات . كتاب ألقاب الشعراء . كتاب طبقات الشعراء . كتاب معاني عروة بن الزبير . ولم يذكر له ابن النديم كتاب التاريخ على السنين الذي ذكره له الخطيب البغدادي والمسعودي ^(١) ويأقوت في معجم الأدباء ومعجم البلدان ^(٢) . وقد ضاع هذا التاريخ مع الكتب الأخرى .

– البزار أبو بشر هارون بن حاتم التميمي (المتوفى سنة ٨٦٣/٢٤٩) من علماء الكوفة . محدث . مؤرخ . قاريء . كما يعتبر من علماء المحرح والتعديل . له بجانب كتاب القراءة كتاب تاريخ الإسلام . وقد ضاع سوي أوراق محدودة لا تزيد على ثمانين ورقة موجودة ضمن مجموع (رقم ٤٠ من ورقة ٢١١ حتى ٢١٨) مخطوط تحفظه دار الكتب الظاهرية بدمشق . ويبعد أن الكتاب كان مختصراً لأن الأوراق تشمل ما بين عهد علي إلى آخر الأمويين ^(٣) .

– الشlasses أبو حفص عمرو بن علي (المتوفى سنة ٨٦٣/٢٤٩) وله كتاب في التاريخ من ثلاثة أجزاء هو في تاريخ المحدثين قرأه ابن خير . كما أخذ عنه الذهبي في تاريخ الإسلام والخطيب البغدادي ^(٤)

– الرواجني أبو سعيد عباد بن يعقوب البخاري (المتوفى سنة ٢٥٠) وهو من علماء الشيعة في الكوفة . أخذ عنه كثير من علماء السنة كالبخاري والترمذى

(١) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٥٧ والمسعودي – مروج الذهب ج ١ ص ١١ .

(٢) يأقوت – معجم الأدباء ج ٩ ص ١٨ – ٢٤ وانتظر معجم البلدان (مادة شيراز) ج ٢ ص ٣٨١ .

(٣) انظر يبرست الش – فهرس المخطوطات (التاريخ) ص ٩٣ – ٩٤ وانتظر الذهبي – ميزان الاصفال ج ٢ ص ٢٤٦ وابن حجر – لسان الميزان ج ٦ ص ١٧٧ .

(٤) انظر ابن خير – فهرس ابن خير ص ٢١٢ والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٧ . وانتظر كذلك السخاوي ، الإعلان ص ٥٢٢ .

وله في الغالب كتاب المعرفة في الصعابة الذي كان من المصادر الأساسية لأبي الفرج الأصبهاني في كتابه مقاتل الطالبين^(١)

– الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطاخ البغدادي ، وزير المترك الذي قتل معه سنة ٢٤٧ . وكان للرجل بجانب دوره السياسي مشاركته في دنيا التأليف والأدب . وكتبه إنما جاءت من باب الترف الثقافي ومنها : كتاب اختلاف الملوك . وكتاب الصيد والخارج .

– محمد بن الحارث التغلبي ، وهو معاصر لالفتح بن خاقان وقد ذكر المسعودي أنه ألف له الكتاب المعروف بأخلاق الملوك وأثبته بين مصادره في مطلع كتابه مروج الذهب .

– ابن الجراح : داود بن الجراح رأس أسرة الوزراء التي برزت منذ أواسط القرن الثالث واستمر أفرادها يتولون ، مع غيرهم من المنافسين ، منصب الوزارة للعباسيين حتى مطالع العهد البويهي . وكان داود يكتب للخلفية المستعين (٢٤٨ – ٢٥١) وقد توفي سنة ٢٥٢ . له من الكتب :

– كتاب التاريخ ، ويبعدو أن أولاده وأحفاده من بعده تابعوا ستة أبيهم فأضافوا إليه .

– أخبار الكتاب ، وقد صاغ مع كتاب الرسائل .

– ابن النطاح أبو عبد الله محمد بن صالح بن مهران (المتوفى سنة ٢٥٢ / ٨٦٦) بصري الأصل ولكنه عاش في بغداد . وهو راوية . محدث . مؤرخ . نسابة . وقد ذكر له ابن النديم عدداً من الكتب منها^(٢) :

– كتاب الدولة وأخبارها (أي العباسية) ويقول ابن النديم إنه أول من

(١) انظر النجاشي – الرجال ص ٢٢٥ وابن حجر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٠٩ – ١١٠ .

(٢) ابن النديم – الفهرس ص ١٠٧ .

ألف في هذا الموضوع وذلك وهم " فقد سبقه إليه كثيرون منهم الحبيم بن عدي ، والمدائني والحسن بن ميمون البصري أستاذ ابن النطاح نفسه .

ولابن النطاح أيضاً كتاب البيوتات . كتاب مقتل زيد بن علي . كتاب أخذاذ العرب . كتاب أنساب أزد عمان . وقد نقل صاحب الأغاني عن ابن النطاح في مواضع كثيرة من الكتاب كما نقل عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١)

– الزمين أبو موسى محمد بن مشي العتزي (المتوفى سنة ٢٥٢) وله تاريخ صغير أخذ عنه الذهبي في تاريخ الإسلام وذكره البغدادي والسعواوي (٢)

– الفلافي المفضل بن خسان (المتوفى سنة ٢٥٦ / ٨٧٠) وله بدورة تاريخ اعتمده الذهبي أحياناً في تاريخ الإسلام (٣)

– الخواز : أبو جعفر احمد بن الحارث بن المبارك (والمبارك مولى المنصور) المتوفى آخر سنة ٢٥٨ / ٨٧٢ وقد نشأ في بغداد ، وكان من أصحاب المدائني ، وله مع الشعر ، مشاركة في التاريخ واسعة وقد ألف فيه كتاباً عديدة ذكرها ابن النديم وضاعت كلها (٤) ومنها : – كتاب أسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة (يقصد صحابتهم والخاشية) .

– كتاب مغازي البحر في دولة بني هاشم وذكر أبي حفص صاحب إقريطش ، ولعله الكتاب الوحيد الذي صدر في التاريخ العربي حول هذا الموضوع فندر أن سمعنا بكتاب خاص بمغازي البحر .

(١) انظر الأغاني ملاج ٣ ص ٢٩٨ - ٣٠١ ، ج ٨ الصفحات ٥١ / ٨٨ / ٢٨٦ / ٢٨٧ / ٢٩٢ من ٢٩٢ / ٢٨٧ / ٢٨٦ / ٨٨ / ٥١ ج ١٠ الصفحات ٤٥١ / ٦٢ - ٤٥١ / ٦٢ - ٢٦٤ / ٢٦١ - ٢٥٩ / ٢٥٦ ... الخ . وانظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) انظر البغدادي – تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٣ والسخاوي – الاعلان من ٥٢٢ .

(٣) انظر السخاوي – الاعلان من ٥٢٤ وبروكمان ج ١ ص ١٤١ .

(٤) ابن النديم – الفهرس ص ١٠٤ - ١٠٦ .

- كتاب أخبار أبي العباس وقد يكون أساس الكتاب الذي نشره الدكتور الدوري مؤخراً مؤلف مجهول^(١) وقد أضيف إليه شيء بعد ذلك .
- كتاب مغازي النبي وسراياه وذكر أزواجه .
- كتاب الأخبار والنواادر .
- كتاب شحنة البريد . وهو بدوره كتاب نادر الموضوع لا نعرف كتاباً آخر ألف في موضوعه .
- كتاب الأشراف . وربما كان فيه النواة الأولى لما سوف يوبلغه البلاذري .
- كتاب المسالك والممالك وهو من أقدم الكتب - على ما يظهر - في هذا الموضوع .

عدا كتب أخرى في أنباء السرارى ، ونواادر الشعر ، وكتاب القبائل ، وكتاب الحلائب والرهائن وختصر كتاب البطون .

- ثمرة مؤلف آخر يلقب بالخزاز يعاصر هذا المؤلف السابق هو أبو الحسن عبد الله بن محمد بن سقير كان معلماً في دار الوزير أبي الحسن علي بن عيسى الجراح . كان عالماً بالعربية وال نحو والأدب وله بين مؤلفاته العديدة كتاب : أخبار أعيان الحكماء ، ألفه - فيما يذكر ابن النديم - لأنبي الحسن بن أبي عمر^(٢) .

- الجوز جاني أبو إسحق ابراهيم بن يعقوب (المتوفى سنة ٨٧٣/٢٥٩) وكان من كبار العلماء الفتاوى في الحديث والجرح والتعديل . رحل إلى دمشق وتوفي ببغداد . وله :

- الشجرة في أحوال الرجال وهو في رواة الحديث ومنه نسخة مخطوطة في الظاهرية (حديث ٢٤٩) .

(١) يرجح الدكتور عبد العزيز الدوري نسبة الكتاب المجهول المؤلف الذي نشره باسم أخبار البولة
البابية إلى ابن الطاعان محمد بن صالح بن مهران . وقد يكون من صل انفاز فيما نرجح .

(٢) ابن النديم - الفهرس ص ٨٢ .

– ابن سعيد القطريبي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن الحسين المترف سنة ٢٦١ و كان من علماء الكتاب – فيما يذكر ابن النديم – وقد كتب كتاب التاريخ . عمله إلى أيامه ^(١)

ويأتي مع هؤلاء المؤرخين الصغار ومن حوصلهم جماعة من معاصرتهم عرفهم بالأسماء والانتاج ولكننا نجهل سني وفياتهم وإن كانوا ب بصورة عامة في أواسط القرن الثالث . ومن هذه الجماعة أولاً مؤلفان هما من بموضع التأليف الذي قدماه . فقد كتبا عن الروم عن معرفة مباشرة ولعلهما كانوا يعرفان اليونانية جيد المعرفة .

– مسلم بن أبي مسلم الجرمي . وكان مجاهداً ذا عمل في التغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها . وقع في الأسر فترة حتى جرى فداؤه في القداء المشهور الثالث على نهر اللامس (قرب طرسوس) في أيام الخليفة الواحد سنة ٢٣١ الذي جرى فيه امتحان الأسرى بخلق القرآن . وللجرمي – حسب رواية سعودي – « مصنفات في أخبار الروم وملوكيهم وذوي المراتب منهم وبلادهم وطريقها ومسالكها وأوقات الفزو إليها والغارات عليها ومن جاورهم من المالك من برجان والأبر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ... » ^(٢) .

– أبو الحسين أحمد بن الحسين الأهوazi وقد كتب هذا الرجل بدوره كتاب معارف الروم ذكر فيه ما عابنه بالقسطنطينية وببلاد الروم من المراتب الدينية والسياسية . وقد نقل عنه البيروني في الآثار الباقيه بعض المعلومات ^(٣) .

وهنالك إلى جانب هؤلاء جماعة كبيرة منها :

– جعفر بن محمد بن الفضيل وله كتاب تاريخ رآه عمر بن شبة بخطه ونقل

(١) المصدر نفسه ص ١٢٤ .

(٢) سعودي – النبه والإشراف ص ١٦٢ .

(٣) البيروني – الآثار الباقيه ص ٢٨٩ وص ٢٩٣ .

منه عن طريق ابن شبة المؤلف المجهول لكتاب أخبار بنى العباس وولده (الذي نشره الدكتور الدوري باسم أخبار الدولة العباسية) ^(١)

— أبو القاسم الحجازي وله بدوره (التاريخ الملحق) وقد نقل عنه ابن النديم في الفهرست ^(٢).

— أبو صالح بن يزداد عبد الله بن محمد بن يزداد بن سعيد، وكان من الكتاب البلغاء كما كان أبوه من قبله وابنه من بعده. وقد كتب عبد الله كتاب التاريخ من بين ما كتب ثم جاء ابنه من بعده أبو أحمد محمد بن عبد الله وتعم كتاب التاريخ هذا الذي كتبه أبوه إلى سنة ثلاثة مائة ^(٣).

— ابن أبي شيخ واسمه سليمان ويكنى أباً أليوب. وهو إخباري راويه. يقول ابن النديم إنه لقى جلة الناس وأخذ عنه أصحاب الأخبار. وله من الكتب : كتاب الأخبار المسومة . رأيته ... ^(٤).

— الخراساني : محمد بن الهيثم بن شابة . وكتابه : كتاب الدولة (ويقصد العباسية) كان بين مصادر المسعودي في مروج الذهب ^(٥).

— الخليل بن الهيثم الهرثمي ويبدو أن له عدة كتب من بينها كتاب : الخيل والمكاييد في الحروب وكان هذا الكتاب من مصادر المسعودي في مروج الذهب .

— ابن أبي طبيور محمد بن أحمد الجرجاني من أهل جرجان وله من الكتب كتاب أبواب الخلفاء ومعناه من كان الخلفاء يأنسون به ويستشرون به ويستعلونه ويستعذونه .. ^(٦)

(١) أخبار الدولة العباسية (تحقيق الدوري والمطلاعي) ص ١٦٩ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ١٠٦ .

(٣) ابن النديم نفسه ص ١٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١١٤ .

(٥) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٣ .

(٦) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١١٠ .

– الجلودي واسمها محمد بن عيسى بن يزيد . وكان أبوه من كبار رجال الدولة العباسية . وقد نقل عنه الطبرى بعض أخبار الفتنة أيام الأمين وخبر قتله . ويبدو من الرواية أنه كان كتب ذلك ^(١)

– المكاوبي : أبو العباس عبد الله بن اسحق بن سلام ، وكان حسن العلم بالآثار والفقه والشعر وله كتاب الأخبار والأنساب . والسير ويبدو أنه صاع مبكراً . وقد ذكر ابن النديم أنه رأى بعضه ولم يره كاملاً ^(٢)

– الجهمي : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن أبي جهم العدوى (من عهد المتوكل) . نشأ في العراق وبه تعلم . وكان أدبياً شاعراً نابياً ومتيناً . غير أنه كان يتناول جلة الناس بالمثلالب وقد تناول العباس بأمر عظيم فضربه الموكلاً مائة سوط . وله كتب عديدة منها : أنساب قريش وأخبارها . كتاب المثالب . كتاب المعصومين . كتاب فضائل مصر . كتاب الانتصار في الرد على الشعوبية ^(٣) .

– الليثي سلمويه بن صالح . وكان من رواة الأخبار والأنساب وله من الكتب (كتاب الدولة) روى فيه عن جماعة من النساين . وقد نقل المسعودي عنه في التبيه والاشراف وسمى كتابه باسم : كتاب في الدولة العباسية وأمراء خراسان ^(٤) .

– الرواندي : وقد ذكر ابن النديم أنه كان يجلس للرواندية يقرأ عليهم كتاباً ألفه في (أخبار الرواية) وجوده فيه كما كانوا يأخذون عنه أخبار الدولة العباسية من كتاب ألفه باسم (كتاب الدولة) في نحو ألفي ورقة ^(٥) .

(١) انظر الطبرى ج ٨ الصفحتان ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٤٠ .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ١١٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١١١ .

(٤) المسعودي – التبيه والاشراف (ط. الصارى – القاهرة ١٩٣٨) ص ٥٧ .

(٥) ابن النديم – الفهرست ص ١٠٨ .

– ابن شبيب وهو أبو سعيد عبد الله بن شبيب البصري من الإخباريين البارزين وقد كتب كتاب الأخبار والآثار .

– الغلاني أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار ، أحد الرواة للسير والأحداث والمغازي ، وهو بشهادة ابن النديم من الثقات . كتب عدداً من الكتب منها : مقتل الحسين ، وقعة صفين ، كتاب العمل ، كتاب الحرة ، كتاب مقتل أمير المؤمنين ، كتاب الأجواد . كتاب المخلين ..^(١)

– أبو اسحق اسماعيل بن عيسى العطار ، من أهل بغداد الذين عرروا بحفظ السير وله من الكتب : كتاب المبتدأ . الردة . الفتوح . العمل . صفين وكتاب الأولوية . كتاب الفتنة . كتاب حفر زرم ..^(٢)

– ابن عابد ، الذي كتب كتاب الملوك وأخبار الأمم . يقول ابن النديم ولا يعرف من أمره غير هذا ..^(٣)

– ابن زبالة ، الاخباري النسابة ، والوراق عبيد الله بن أبي سعيد النسابة ، وقد كتب كل منهما كتاباً في « أخبار المدينة » كما كتب الوراق كتاب الألقاب ..^(٤) وكتاب الشعراء .

– الغنبرى أبو عمر حفص بن عمر وله من الكتب : كتاب زيد الأشراف وذكر شباب العرب وما يجري بينهما وذكر ادعية الجاهلية . وكتاب النساء ..^(٥)

– عمرو بن بكر ، صاحب الحسن بن سهل وكان إخبارياً راوية نساباً . ويبدو أنه كان ميسور الحال عبأ للمعرفة فقد عمل له الفراء كتاب معانى

(١) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

القرآن . وله من المؤلفات كتاب أو كتب في مواضع تتصل بالتاريخ دون شك . فقد ذكر له ابن النديم : كتاب يوم الغول . يوم الظهر . يوم أرمام . يوم الكوفة . غزواتبني سعد بن زيد مثابة . يوم منابض ^(١) .

– أبو بكر محمد بن علي بن مروان البغدادي وله تاريخ في ستة أجزاء ذكره ابن خير في فهرسه على أنه مما قرأه في المشرق ^(٢) .

– عيسى بن داب (ولعلها دأب) وله كتاب أخبار تتعلق بتاريخ العرب القديم وتاريخ الفرس . نقل عنه حمزة الأصفهاني عبراً يقارن بين أزمان الانبياء وملوك فارس وبين تاريخ اليمن وأولئك الملوك ويفسر سبباً على أن عبد شمس بن يشجب لم يدع بأرض اليمن أحداً إلا سباء . وقد اتفقده حمزة قائلاً : « ولا أدرى كيف تصرف ابن داب في العربية لأن السبي غير مهموز وسباً مهموز على أن لابن داب أسوة بالساب فإنهم زعموا أن طيباً سمي طيباً لأنه أول من طوى المناهل وأنا بريء من عهدة الكلمتين ... » ^(٣)

– حفص بن أشيم وهو من الخوارج وله من الكتب : الفرق والرد عليهم . يذكر ابن النديم أنه رواه عن جبير بن غالب ^(٤) فلعله لهذا الأخير في الأصل ، ولكنه على أي حال من نوادر الكتب التي ألفها الخوارج في الدفاع عن آرائهم .

– عبهرول من ولد الربيع بن زياد بن أبيه (المنسوب لبني سبان) كتب كتاباً في خطط البصرة وقطائعها ذكره ابن حزم الأندلسي ^(٥) ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى هذه الجماعة من مؤلفي الأمور التاريخية في أواسط القرن الثالث اسم :

(١) المصدر نفسه ص ١٠٧ .

(٢) ابن خير – فهرسة ابن خير ص ٢٢٩ .

(٣) حمزة الأصفهاني – تاريخ سفي ملوك الأرض من ١٠٥ – ١٠٦ .

(٤) ابن النديم – الفهرست ص ١٨٢ .

(٥) انظر لسان الدين بن الخطيب – نفع الطيب (ط. محمد محبي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٤٩)

ج ٤ ص ١٥٩ .

– الباحث أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ولد بالبصرة أوائل سنة ١٥٠/٧٦٧ وتنوف فيها سنة ٢٥٥-٩٨٦) وهو أشهر كتاب العربية وكان لا بد من ذكره لأنّه أحداً من مؤلفاته الكثيرة كان مشاركة واضحة في التاريخ الحضاري وقد تحوى من الإشارات والأمور التاريخية ما لا تحويه أي الكتب في التاريخ . ومنها :

– كتاب البيان والتبيين . كتاب الحيوان . كتاب البخلاء . كتاب التاج في أخلاق الملوك وهي مطبوعة موجودة . وكتاب الأخبار أو تصحيف الأخبار وهو ضائع إلا بعض قطع منه نقلها أحمد بن يحيى بن المرتضى في كتاب الميبة والأمل ...

– وله من الرسائل الهامة تاريخياً : رسالة في بيان مذاهب الشيعة (مخطوطة) ومقالات الزيدية والرافضة (مخطوطة) ومقالات العثمانيه (مخطوطة) . ومن الرسائل (بين مشورة وضائعة) : رسالة فيبني أمية . كتاب في العباسية . رسالة في تفضيلبني هاشم . رسالة في أمر الحكمين . رسالة في اثبات إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . ورسائل في مناقب الترك وعامة جند الخلافة . وفي فضل السود . وفي مفاحرة الجواري . في أخلاق الملوك . في الحجاب وذمه . في مدح التجارة وذم عمل السلطان ، في القیان وفي المغنين وفي اللصوص وفي القحطانية والعدنانية . وفي العرب والعجم . وفي إمامه ولد العباس . وفي الملوك والأمم السالفة . وفي العرب والموالي . وفي أدیان العرب . وفي غش الصناعات وفي حيل المكدين وفي أخلاق الشطار وفي عدد من الألعاب . وفي ذم أخلاق الكتاب . وفي صناعة القواد . وفي الحجاب . وغير ذلك ..

ولقد درس الباحث دراسات واسعة من الناحية الأدبية ولكن لم يتصدّ أحد بعد للتقطاط واستخراج ما تكشفه كتب الباحث ورسائله من جوانب التاريخ الإسلامي وخاصة منه التاريخ الاجتماعي والفكري والحضاري لعصره مع أن هذا الفكر الموسوعي الذي منجم للمعلومات والمعطيات والأخبار

الفريدة ، وقد كان بالامكان أن نضيف إلىه اثنين من معاصريه هما الفتح بن خاقان وسهل بن هارون ولكن مؤلفاًهما ضاعت .^(١)

ونعود إلى جمهور المؤرخين الصغار بعد عصر الباحث فنجده العدد الكبير أيضاً و منهم :

– الطلحي أبو اسحق طلحة بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل التيمي ، (المتوفى سنة ٢٧١) وهو من أهل البصرة كان نديماً للموقف شقيق الخليفة المعتمد . وكان راوية إخبارياً صنف من الكتب كتاب جواهر الأخبار وكتاب المتيمين^(٢) .

– الدوري العباس بن محمد بن حاتم (المتوفى سنة ٢٧١) وقد كان أحد المصادر للمؤلف المجهول صاحب كتاب أخبار العباس و ولده^(٣) .

– الشيباني أبو علي حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال بن أسد البغدادي (المتوفى سنة ٢٧٣/٨٨٦) وهو ابن عم الامام أحمد بن حنبل وتلميذه . ويعتبر من الحفاظ المعروفين والثقافات الصدوقين الآيات ، غير أنه كان فقيراً فترك بغداد إلى عكرا يقرئ الحديث فيها ثم خرج إلى واسط فاستقر بها حتى توفي وله من الكتب ، وكلها مفقود :

– كتاب التاريخ وهو على الأرجح في رواة الحديث وترجمتهم .

– كتاب الفتن . وعلمه في ملاحم آخر الزمان .

– وكتاب المحن ولعله حكى فيه مخنة عمته الامام احمد وغيره في قضية خلق القرآن .

– ابن أبي السرح أبو العباس أحمد (المتوفى سنة ٢٧٤/٨٨٧) وقد

(١) انظر قائمة مؤلفات الائتين لدى ابن النديم – الفهرست ص ١١٦ وص ١٢٠ .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ١١٢ .

(٣) انظر أخبار الدولة العباسية (تحقيق الدوري والمطبي) ص ١٢٧ .

وصلنا منه أقدم كتاب خاص بعادات العرب وخرافاتهم وأسمه :

– كتاب الرموز . ومنه نسخة مخطوطة في استانبول (مكتبة راغب رقم ١٦/١٤٦٣ – من الورقة ٩٩ وجد حتى ١٠٥ وجه) وقد نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ١١ لسنة ١٩٣١ ، من ص ٦٤١ حتى ٦٥٥) بتحقيق س. محمد حسين .

– البرقي أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (المتوفى في حدود سنة ٢٧٤ أو سنة ٨٨٧/٢٧٠ أو ٨٨٣) قتل جده في السجن بالكوفة لأنّه من أنصار زيد ابن علي فهرب إلى برقة من أعمال قم وهناك نشأ وأشتهر وصنف الكثير من الكتب ^(١) في إطار المذهب الشيعي ومنها :

كتاب التاريخ ، كتاب أنساب الأمم . كتاب مغازي النبي . كتاب بنات النبي . كتاب الجمل . كتاب النوادر . كتاب الأولاد . وقد ذكر المسعودي بين مصادر تاريخه مروج الذهب كتاب البيان في التاريخ للبرقي ^(٢) وصاحب كشف الغلوون يذكر أنه في أخبار بغداد فهو إذن من أقدم الكتب في تاريخ هذه المدينة . وللبرقي أيضاً كتاب الرجال وقد طبع بعنابة كاظم الموسوي الميامي (طهران سنة ١٣٨٣) مع كتاب آخر يحمل العنوان نفسه من تأليف الحلي نقى الدين الحسن بن علي بن داود من رجال القرن السابع . وقد يكون كتاب الرجال للبرقي هو نفسه الكتاب المعروف بالتاريخ . وقد اقتصر فيه البرقي على بعض الصحابة الذين وقفوا بجانب الإمام علي وأيدوا خلافته عقب وفاة الرسول وعلى الشيعة بعد ذلك . وقد رتب الرواية على أساس الصحبة لصاحب الرسالة أو لأحد الأئمة . وهكذا ارتبط نظام الطبقات التي أتى بها بتواتي أسماء الأئمة : فهناك بعد أصحاب النبي ، أصحاب علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن

(١) انظر قائمة كتب لدى الطوسي – الفهرست ص ٤٤ - ٤٥ . وانظر أيضاً أنوارتاري – روشنات الجنات ص ١٣ - ١٤ .

(٢) المسعودي – مروج الذهب ج ١ ص ١٣ .

الحسين حتى ... أصحاب الحسن العسكري . ثم ذكر النساء حسب الرواية عن الأئمة أيضاً . وختم الكتاب بفصل ذكر فيه أسماء الصحابة الذين انكروا خلافة أبي بكر وأرادوها لعلي . وهو يقتصر في التراجم على ذكر الأسماء والسبة ولا يعني بالجرح والتعديل ولا سنوات الوفاة .

- المروزي أبو العباس جعفر بن أحمد (المتوفى قبيل سنة ٢٧٤) أحد المؤلفين للكتب في سائر العلوم . توفي بالأهواز ويعتبر كتبه ببغداد . ومؤلفاته على قول ابن النديم غزيرة جداً وله كتاب المالك والممالك وهو أول من ألف في هذا الموضوع ولم يتممه . وله عدا ذلك كتاب تاريخ القرآن تأييد كتب السلطان . بالإضافة إلى الكتب الأدبية الأخرى (١) .

- الصميري أبو العباس محمد بن اسحق بن ابراهيم بن المغيره (ولد سنة ٢١٢ - توفي سنة ٢٧٥) المنجم الكوفي البغدادي . أصله من الكوفة وتولى قضاء الصميرية ثم أضحت من نداماء المتوكل والمعتمد لما عرف به من الفكاهة والأدب والمرفة بالنجوم . وإذا كان له في الفلك كتاب يمدحه المنجمون - كما قال ابن النديم - فان له في أجواء التاريخ :

- كتاب مساوىء العوام وأخبار السفلة الأغثام ولو سلم الكتاب لأعطانا دون شك صورة حية لحياة الطبقات الدنيا . - كتاب عجائب البحرة - كتاب نوادر القواد - كتاب صاحب الزمان (في تصورات الناس حول نهاية العالم) - وكتاب الدولتين في تفضيل الخلافيين (٢) .

- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكابر بن عمير بن ثعلبة الأزدي البصري (ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ٢٨٥) الأدب التحوي اللغوي الفقيه . وكانت اللغة همه الأول ولكنه دخل عن طريقها باب الأخبار والتأليف التاريخي . وله بين مؤلفاته الأربع وأربعين بعض ما يمس التاريخ ومن ذلك :

(١) انظر قائمة كتب لدى ابن النديم ص ١٤٠ .

(٢) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١٥٢ .

- كتاب الكامل ومع أنه في الأدب واللغة إلا أنه يحوي من تاريخ المخوارج مثلاً ونبي أمية جانباً لا يحويه أي كتاب تاريخ . كما تكثر في الأخبار الأخرى المختلفة والخطب والرسائل البلاغية . وقد طبع مرات .

- كتاب طبقات النحاة البصريين . ولعله أول كتاب في نحوبي البصرة ولكنه ليس أول كتاب في تاريخ النحاة فقد سبقه إلى الموضوع عدد من النحاة المؤرخين ومن ذلك : أخبار النحاة للنجيرمي وأخبار النحوين لأبي سعيد السيرافي وأخبار التحويين لأبي بكر محمد بن عبد الملك التارخي^(١) وسوف يتبع المبرد من بعد المرزباني بكتاب المقتبس الكبير في أخبار التحويين ..

- وللمبرد أيضاً كتاب أدب الجليس ، كتاب نسب عدنان وقططان .
كتاب الروضة ويبدو أنه في الأخبار... ويبدو أن طريقة المبرد في كتبه وجدت بعض الرواج والمادحين أو بعض الحسد والتقد فقد ظهر مؤلفان يعارضانه :
أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الذي كتب كتاباً في الأخبار
وعنوانه الباهر يعارض فيه كتاب الروضة .

- وابراهيم بن ماهويه الفارسي الذي ألف كتاب الكامل في الأخبار
يعارض كتاب المبرد الذي يحمل العنوان نفسه . وقد كان هذا وذاك بدورهما
من مصادر المسعودي^(٢) أيضاً لكنهما ضاعا مع الزمان .

- الفسوسي أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جسوان التارمي الهمذاني
المتوفى سنة ٢٧٧/٨٩١ عن بضع وثمانين سنة) وكان أحد أركان الحديث والحفظ
والتأريخ . ترك بلده فسا سنة ٢١٩ واتجه إلى دمشق وحمص وفلسطين ومصر
ومكة ثم عاد بعد عشر سنوات ليتركه من جديد إلى العراق ومصر ، ثم استقر في
العراق وتوفي في البصرة^(٣) .

(١) انظر ابن النديم - الفهرست ص ٨٧ .

(٢) انظر المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٦ .

(٣) انظر ترجمة في مقدمة أكرم ضياء العمري لتأريخه المطبع (المعرفة والتاريخ ج ١ ص ١١٢-٧)

ولهذا الرجل كتاب ضخم اسمه كتاب المعرفة والتاريخ^(١) كان يتألف فيما يبدو من قسمين أحدهما تاريخ للأحداث السياسية على السنين وقد ضاع معظمه وكان من مصادر الذهبي في تاريخ الإسلام ، والآخر يتعلق بمعرفة الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقد سلم هذا القسم ومنه نسخة مخطوطه تقع في مجلدين كبيرين يشتملان عشرين جزءاً من الكتاب وأحد المجلدين مخطوط في مكتبة طوب قبو سراي باسطنبول (ريفان كشك ١٥٥٤) والثاني في مكتبة أسعد أفندي هناك أيضاً (رقم ٢٣٩١) وبينما المخطوط الأول بعد موجز حولي يمتد بين سنتي ١٣٥١ و ٢٤١٦ بـ ٨٤ صحفة حول الصحابة : اسم كل منهم ونسبة مع الحديث الذي روی عنه . ثم يأتي ذكر التابعين ثم من جاء بعدهم طبقة طبقة ويختت الكتاب بترجم مفصلة لبعض كبار الصحابة وأولادهم . وقد طبع الموجود من الكتاب بتحقيق طيب من أكرم ضياء العمرى في ثلاث مجلدات ضخمة أضاف فيها إلية النصوص التي وجدها في المصادر مقتبسة عن المجلد المفقود (جاءت في ٧٥ صفحة) (طبع بغداد - الأوقاف ١٩٧٤ - ١٩٧٦) .

وللسوسي معجم الشيوخ رتبه على البلدان التي زارها ومنه جزءان (الثاني والثالث) مخطوطان في الظاهرية بدمشق (رقم ٧٤١٨ ، ٧٤١٩ عام) ويقعان في ٤٢ ورقة .

- ابن أبي خبيرة أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب (المتوفى سنة ٨٩٢/٢٧٩) بغدادي تلمذ على ابن حنبل والمدائني حتى أنسحب من كبار علماء الحديث والأدب والتاريخ . له من الكتب كتاب المتنين . كتاب الاعراب . كتاب أخبار الشراء . أما كتابه الأهم فهو : كتاب التاريخ الكبير الذي ذكر الكثافي أنه يقع في ثلاثين مجلداً صغاراً أو اثنتي عشر مجلداً كباراً . وقد نقلت عنه كثير من كتب التراجم كما كان أحد مصادر الطبرى والذهبي والخطيب البغدادى الذى قال فيه : « لا أعلم أغزر فوائد منه » ...

بقيت لنا من هذا التاريخ قطعة مخطوطة في مكتبة القرويين بفاس - المغرب (ح ل ٤٠ : ٢٤٤N رقم ٨٨٧ وتببدأ هذه القطعة بالقسم الثالث من الكتاب

(١) أدخله بروكلمان (ج ٢ ص ٤٣ من الترجمة العربية) في كتب أخبار الدولة العباسية . ويبدو أنه يعني النصف الصانع منه .

وفيه بعد ذكر أولاد بعض الرواة وإنحوthem ذكر للرواة المحدثين **نُظموا** على أساس المدن : مكة ومن نزلها ولكنه شمل معهم التابعين ومن جاء بعدهم ثم اليمن ثم اليمامة ثم أورد السيرة النبوية بشكل موجز وعلى السنين قبل أن يتحدث عن صحابة المدينة والتابعين فيها ثم جاء على ذكر الكوفة .. ويتبني المخطوط قبل نهاية السفر التاسع منه .

وابن أبي خيثمة يحافظ على السندي في أخباره . وقد لا تزيد الترجمة عنده على سطر ولكنها قد تطول عدة صفحات . وهو يهتم بالأمور الفقهية خلال التراجم وقد يورد بعض آراء الناس وعقائدهم ويخلط الترتيب على السنين أحياناً كثيرة بالتراجم . وقد أورد عند ذكر المدينة قائمة بأسماء الولاية والقضاة فيها في العهد الأموي وحتى مطالع العهد العباسي . وأما مصادره فكبار المحدثين والرواة من أمثال ابن اسحق وابن عقبة ومصعب والمدائني وابن حنبل والمديني وابن سلام .

- ابن الأزهر : جعفر بن أبي محمد بن الأزهر بن عيسى (ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٧٩) سمع من ابن الأعرابي وغيره . وله كتاب التاريخ الذي وصفه ابن النديم بأنه « من جياد الكتب » . وقد نقل عنه كثير من المؤرخين .

ويلفت النظر أن ابن العديم مؤرخ حلب ينقل عن كتاب الأحداث تأليف من بسميه أبو جعفر محمد بن الأزهر ، ويدرك أنه ألفه لأبي نصر الطائي^(١) . وقد يكون هذا المؤلف هو الأول نفسه لأنه من غير المعقول أن يكون أبوه ما دام ابن العديم ينقل عنه احداثاً تتعلق سنة ٢٥٠ (بالقائد أحمد المولد)^(٢) وبهذا الشكل يكون كتاب الأحداث كتاباً ثانياً لابن الأزهر إن لم يكن الاسم عنواناً ثانياً لكتاب التاريخ الأول نفسه .

- الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلى ،

(١) انظر ابن العديم - بقية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) المجلد الثاني الورقة ١٦٥ وجه .

(٢) ابن النديم - الفهرس ص ١١٣ .

(المتوفى سنة ٢٧٩) الامام الحافظ الفزير صاحب أحد كتب السنن الأربعية المعروفة وقد كتب أيضاً كتاباً في التاريخ لا شك أنه في تراجم الصحابة رواه الحديث على طريقة المحدثين كما لا شك أنه هو نفسه الكتاب الذي يحمل عنوان « تسمية أصحاب رسول الله » والذي نجد نسخة منه مخطوطه في مكتبة شهيد علي باستامبول (رقم ١/٢٨٤٠) في ١٧ ورقة ونجده من قطعة مخطوطة أيضاً في (لاله علي) هناك (برقم ١/٢٠٨٩) .

- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله (أو عبد الله) بن محمد بن عبيدة القرشي بالولاء (المتوفى سنة ٨٩٤/٢٨١ عن ثلث وسبعين سنة) من العلماء الزهاد العالمين بالأخبار والروايات . كان على اتصال وثيق بالباطل العباسي وقد أدب عدداً من أولاد الخلفاء منهم الخليفة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥) وكتبه تدخل في إطار المثل العليا الفكرية والاجتماعية لمصره ^(١) ومنها مثلاً : كتاب الفرج بعد الشدة . مكارم الأخلاق . ذم الملامي . ذم المسكر . قرى الضيف . الصبر والثواب . الغيبة والنميمة . على أن له كتاباً تاريخياً واضحة منها :

- تاريخ الخلفاء وقد ذكره الصفدي في مقدمة كتاب الوافي ^(٢)

- كتاب مواعظ الخلفاء . - كتاب آخر الزمان وهو دون شك في التنبؤ بما يجري في نهاية الدنيا .

ولابن أبي الدنيا - فيما يذكر ابن النديم - كتابان تاريخيان آخران هما : كتاب النوادر وكتاب أخبار قريش . كما يذكر ابن القوطي له كتابي : الدعوات والصحاب ^(٣) .

وقد نشر كتابه الفرج بعد الشدة في مصر منذ سنة ١٩٠٦ وتحفظ له

(١) انظر قائمة كتب لدى ابن النديم - الفهرست ص ١٨٥ وهي ذلك كشف الظنون ج ١ ص ٤٤١ .

(٢) الصفدي - الوافي ج ١ ص ٥١ .

(٣) ابن القوطي - تلخيص معجم الآداب ج ٤ القسم الأول ص ٧٨٠ و ٧٨٦ والقسم ٢ ص ٨٠٥ .

مكتبات استانبول وأوروبا نسخاً خطورة من بعض رسائله كذم الملاهي وقرى الضيف ، وبعض هذه الرسائل نشر في مصر ولكن كتبه الأساسية ضاعت .

– شبلمة محمد بن الحسن الخارجي الكاتب (المصلوب المحروق سنة ٢٨٠) وشبلمة لقب . « كان أولاً مع العلوي البصري ثم صار إلى بغداد » وأعطي الأمان « ثم خُلط (أي أصابه بعض الاضطراب العقلي) وسمى بعض المؤرخ فحرقه الخليفة المستضد حباً بعد أن صلب على عمود خيمة ». غير أن له من الكتب كتاباً في التاريخ هاماً لو أنه سلم : كتاب أخبار صاحب الزنج ووقاته^(١)

– الشفهي إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال ... بن مسعود الشفهي (المتوفى سنة ٢٨٣ بأصفهان سنة ٨٩٦) وهو كوفي الأصل ولكنه أقام بأصفهان . وكان في أول أمره زيدياً ثم صار إلى الإمامية وله كتب كثيرة تجعله حسب عناوينها المألوفة في زمرة الإخباريين المتأخرین^(٢) ومنها وهي تزيد على الخمسين : كتاب المغازي . كتاب السقيفة . كتاب الردة ، كتاب مقتل عثمان . كتاب الشورى . كتاب الجمل . كتاب صفين ... وتعد على هذا النحو حوالي ٣٦ كتاباً عدا الكتب ذات الطابع الفقهي والديني ومن بينها نذكر خاصة : كتاب التاريخ . كتاب السيرة . كتاب أخبار يزيد ، كتاب ابن الزبير . كتاب أخبار عثمان . كتاب أخبار عمر . كتاب محمد (النفس الزكية) وابراهيم (ولدي عبد الله المحضر) . كتاب الغارات الذي ينقل عنه المجلس كثيراً، كما نجد قطعاً عديدة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

– الحربي أبو اسحق إبراهيم بن اسحق بن ابراهيم بن بشير (المتوفى سنة ٢٨٥) ببغدادي من كبار الحفاظ المحدثين والمؤلفين في الحديث ومن هذا الباب وضع كتاب المغازي ولعله من أواخر الكتب التي ألفت على الطريقة القديمة للسيرة النبوية^(٣)

(١) ابن النديم – الفهرس ص ١٢٧ .

(٢) انظر قائمة كتبه لدى الطوسي – الفهرست ص ٢٧ – ٢٨ .

(٣) انظر قائمة كتبه لدى ابن النديم – الفهرست ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

- السريحي أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب (القتيل سنة ٨٩٩/٢٨٦) وهو تلميذ الكندي الفيلسوف وأحد كبار المحدثين في نظر اليروني ، وأحد فلاسفة الإسلام في نظر القبطي . كان متوفياً في علوم كثيرة، موسوعي الثقافة، بلغ اللسان والتصنيف . عمل أولاً معلماً لل الخليفة المعتصم (٢٧٩ - ٢٨٩) وانحصر به ونادمه ثم أفشى بعض أسراره فسجنه ثم قتل في مكيدة^(١) ... كتب عدداً من الكتب في الفلسفة والموسيقى والطب . كما وضع عدداً من الكتب التاريخية والسياسية المتصلة بالدولة وبعصره وتكشف بمجموعها مدى ثقافته الواسعة المتنوعة . ومنها :

- كتاب سير المعتصم إلى الشام . وهو نوع من المذكرات الجغرافية السياسية التاريخية لعلم كتبها بطلب من الخليفة نفسه . ولكنها من أوائل كتب المذكرات في التاريخ الإسلامي إن لم يكن أولها . وقد وجدت نسختها بين كتبه المصادرية يوم مقتله فعهد بها الخليفة إلى كاتبه ثابت بن سنان الحراني فجعلها كتاباً في سيرة المعتصم .

- كتابان في السياسة هما : كتاب السياسة الصغير والسياسة الكبير .

- كتابان في الحسبة هما : كتاب الأغشاش وصناعة الحسبة الكبيرة وكتاب غش الصناعة والحسبة الصغيرة .

- كتب في أدب أهل البلاط والخاشية، منها : زاد المسافر وخدمة الملوك . آداب الملوك . البخلاء والمجالسة .

- كتب في المتعة الأدبية التاريخية منها : كتاب اللهو والملاهي في الغناء والمعنى والمجالسة والمنادمة وأنواع الأخبار والملح . كتاب القيان .

- كتب جغرافية وتاريخية أخرى مثل : كتاب المسالك والممالك الذي امتدحه سعودي^(٢) .

(١) انظر القبطي - تاريخ المكتبة (محضر الزوزني - طبعة لبيت) ص ٧٧ .

(٢) سعودي - التبيه والاعتراض ص ٦٥ .

— رسالة في الصابرين ومذاهبهم وكتاب فضائل بغداد .

ولم يبق من هذا التراث كله شيء سوى بعض النصوص ومنها ما نجده لدى ابن العديم في بغية الطلب منقولاً عن كتاب ثابت بن سنان^(١) .

٩٠٢) . أدب لغوي عرف برواية الأفاصيص القديمة والحكايات . ذكره البغدادي في تاريخ بغداد . وله :

— أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب (المتوفى سنة ٢٨٧ / ٩٠٠) ويصف ابن النديم هذا الرجل بأنه « من أهل السير » وجدّه هو أول كاتب بارز في تاريخ الأدب العربي . وقد كتب أبو الفضل كتاب أخبار خلفاءبني العباس . وقد وصف بأنه تاريخ كبير . وقد كان من مصادر الطبراني^(٢) كما وجده الجهمي بخطه ونقل عنه جدول خراج الدولة زمن الرشيد^(٣) .

— العلوبي، أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة الهاشمي (المتوفى سنة ٢٨٧ / ٩٠٠) . وهو مؤرخ محدث شاعر^(٤) . روى عن أبيه وعن عمر بن شبة كما كان أستاذ أبي حاتم الرازي . وقد كتب :

— كتاب مقاتل الطالبين وكان من المصادر الهامة لأبي الفرج الأصفهاني في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه .

— المتنزي أبو علي الحسن بن عليل بن الحسين (المتوفى بسامراء سنة ٢٩٠)

(١) انظر ابن العديم — بغية الطلب مثلاً (مخطوط أحد الثالث رقم ٢٩٢٥) المجلد ٢ ورقة ٨٩ وجه . ومحفوظة أبي صونيا ورقة ٦٩ وجه . وقد كتب روزنفال بحثاً عن أبي الطيب السريسي سنة ١٩٤٣ درس فيه بعض النصوص الباقية من كتاب فضائل بغداد وغيره . انظر :

Rosenthal, F. : A. b. At-Tayyib As-Sarakhsî (New Haven 1943, American Oriental Series, 26).

(٢) انظر ابن النديم — الفهرس ص ١٠٧ وانظر الطبراني ج ٢ ص ٢١٣٤ ، ٢١٩٢ ، ٢١٩٤ .

(٣) انظر الجهمي — الوراء والكتاب ص ٢٨١ حتى ص ٢٨٨ .

(٤) انظر الجعافي — الرجال (ط. ايران) ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ وانظر المطيب البغدادي — تاريخ بغداد ج ٣ ص ٦٣ .

— كتاب التوادر الذي استخدمه المرزبانى في الموضع وكانت لدى القسطنطيني نسخة منه استخدماها في كتابه إنباء الرواية^(١).

— ابن أبي خيثمة (الابن) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زهير المتوفى سنة ٢٩٧ وهو بغدادي من المحدثين روى عن أبي حفص الفلاس وكان شديداً في الحفظ حتى كان أبوه يستعين به في تصنيف التاريخ الذي كتبه . وقد كتب ابن أبو عبد الله بدوره :

— كتاب التاريخ ولا شك أنه على الطريقة الحدبية .

— كتاب الركاة وأبواب الأموال بعلمه من الحديث . وهو يدخل في زمرة كتب المراج .

— أحمد بن يعقوب الرازي المقرئ المتوفى سنة ٣٠٠ ولم يكتب أخبار العباسين أو أخباربني العباس . وكان من المصادر التي اعتمدناها المسعودي^(٢) .

— ابن خردادبه : عبيد الله بن عبد الله (أو أحمد) أبو القاسم المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ . كان من موظفي الدولة . تولى البريد في ناحية الجبل (شمال غرب ايران) كما كان نديم الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩) . وقد أفرغ معلوماته الجغرافية في كتاب المسالك والمالك الذي أصبح به أحد الجغرافيين العرب البارزين . غير أنه ألف العديد من الكتب غيره مما يدخل في التاريخ الحضاري مثل : كتاب الندماء والخلساء . كتاب اللهو واللامهي . كتاب أنساب الفرس والتواقل ...

(١) انظر البغدادي - تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٩٨ والقسطنطيني - إنباء الرواية ج ١ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) جاء ذكر هذا المؤلف لدى هدية المارفرين (ج ١ ص ٥٦) بالياس والألقاب التي ذكرناها وجاء ذكره في المطبوع من مروج الذهب للسمودي (ج ١ ص ٥١) وفي كشف الظنون (ج ١ ص ٢٦) على أنه المصري وليس المقرئ . ومن غير المحتل أن يكونا مؤلفين اثنين مع سهولة تصحيف إحدى هاتين الكلمتين إلى الأخرى .

وقد ذكر المسعودي اسم ابن خرداذبه في مراجعه التاريخية بالتفصيل الواضح وذكر أن له كتاباً كبيراً في التاريخ . يقول المسعودي :

« ... إنه كان إماماً في التأليف متبرعاً في ملاحة التصنيف . اتبعه من هذه طريقة وأخذ منه ووطئه على عقبه وفقى أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ فإنه أجمع هذه الكتب جداً وأبرعها نظماً وأكثراًها علمًا وأحوى لأخبار الأمم وملوكها وسيرها من الأعاجم وغيرها .. ومن كتبه الفنية كتابه في المسالك والمالك وغير ذلك مما إذا طلبه وجده . وإن فقدته حمدته ... »^(١) ولم يبق من انتاج ابن خرداذبه سوى هذا الكتاب الأخير .

— العقيقي : علي بن أحمد العلوى الذى قدم ببغداد سنة ٢٩٨ ومات بعدها وله كتاب الرجال ^(٢) تحدث فيه عن رواة الشيعة خاصةً وكان من مصادر تقى الدين الحسن بن علي الحلى (المولود سنة ٦٤٧) في كتابه عن الرجال . ويبدو أن ولدأً لهذا المؤرخ العلوى اسمه أحمد بن علي كتب بدوره كتاباً في تاريخ الرجال ^(٣) .

— سعد بن عبد الله الأشعري القمي (المتوفى سنة ٢٩٩ أو سنة ٣٠١) وهو من علماء الشيعة وقد كتب بدوره كتاباً يسميه السخاوي : تاريخ الشيعة . ولعله هو نفسه أحد الكتابين التاليين أو كلامهما . وهما : كتاب مناقب رواة الحديث ، وكتاب مثالب رواة الحديث ^(٤) والكتابان يكمل أحدهما الآخر ويبدو أن أحدهما كان مرتبًا على الطبقات .

(١) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٤ .

(٢) انظر الطوسي - انقرضت من ٩٧ وانظر الحلى - كتاب الرجال من ٢ .

(٣) انظر النجاشي - الرجال ج ١ ص ٦٢ والطوسي الفهرست من ٤٤ .

(٤) ذكر الكتابين النجاشي : الرجال ج ١ ص ١٢٤ والطوسي - الفهرست من ٧٥ وذكر السخاوي تاريخ الشيعة في الاعلان من ٥٨٠ .

– البردعي البرديجي أبو بكر أحمد بن هارون بن روح (المتوفى سنة ٣٠١) نزيل بغداد وكان من الثقات الأخيار ومشاهير العلماء المحدثين وكتابه التاريخي إنما كان في هذا الباب واسمها : كتاب الطبقات في الأسماء المفردة من أسماء العلماء وأصحاب الحديث . ومنه مخطوط بالظاهرية في دمشق في ١٧ ورقة وآخر في مكتبة كوبوريلى باستانبول (رقم ١١٥٢) . وهو يذكر الاسم والكنية والنسب إلى المدينة ويدرك أحياناً أحد شيوخ المحدث أو تلاميذه وقد قسم الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى خمس طبقات بنى عليها كتابه .

– وأخيراً نذكر الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الاطروش بن الحسن الزيدبي ، صاحب طبرستان ما بين سنتي ٣٠١ - ٩١٣ / ٣٠٤ - ٩١٦ فقد ذكر له ابن النديم ^(١) :

– كتاب السير ، ولا شك أنه يكمل سلسلة كتب السير المعروفة التي تتحدث في الفتوح وتنظيم العلاقة مع البلاد المفتوحة .

وبأئني مع هذه المجموعة في أواخر القرن الثالث جماعة من مجهولي الوفاة منهم :

– البروقي ، أحمد بن إبراهيم وقد كتب سيرة عمر بن عبد العزيز في خمسة أجزاء ، درسها ابن خير في بغداد سنة ٣٩٧ من خلال ثلاثة رواة ^(٢) .

– نطاحة : أبو علي أحمد بن اسماعيل بن الخطيب الأنباري المعروفة بنطاحة كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . قتلته محمد بن طاهر . وكان بليناً متربلاً – فيما يروي ابن النديم – شاعراً متقدماً في صناعة البلاغة ، صديقاً لابن المعتر . وديوان رسائله يبلغ حوالي ألف ورقة ، وله :

كتاب طبقات الكتاب : وكتاب أسماء المجموع المنقول من الرقاع يحتوي

(١) انظر ابن النديم – ص ١٩٣ .

(٢) انظر ابن خير – فهرس ابن خير ص ٢٧٣ .

على سمعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة^(١)

– النعمي أبو نعيلة : وابن النديم يقول إنه لا يعرف من أمره غير هذا وله من الكتب : كتاب الشذور في مؤامرات الخلفاء والأمراء^(٢)

– أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى وله من الكتب : تاريخ سفي العالم^(٣) ولعله يشبه كتاب حمزة الأصبهاني .

– عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب وقد كتب : كتاب التاريخ وأخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم وكان من مصادر المسعودي .

– النعمي حسن بن موسى . صاحب كتاب الأغاني على حروف المعجم الله للمتوكل وذكر في هذا الكتاب – على رواية ابن النديم – أشياء من الأغاني لم يذكرها اسحق (الموصلي) ولا عمرو بن باتة وذكر من أسماء المغنيين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل طريف وغريب . وله عدا ذلك كتاب مجردات المغنيين^(٤)

– الذهلي سعيد بن محمد وله كتاب في التاريخ اعتمد فيه على التوراة والإنجيل في إخراج التاريخ القديم . وقد نقل عنه البيروني في الآثار الباقية وذكر أنه بحث فيه مبدأ الخلق وأن هناك أوادم كثيرة وأدواراً للخلق ...^(٥) .

– أبو حشيشة : محمد بن علي بن أمية ويكنى أبا جعفر من ولد أبي أمية الكاتب . و كان طنبوريأ حاذقاً كما ألف كتاب أخبار الطنبوريين^(٦) .

– أبو العبر الهاشمي : ويكنى أبا العباس محمد بن أحمد بن عبد الله من

(١) ابن النديم – الفهرس ص ١٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٥) البيروني – الآثار الباقية ص ١١٢ .

(٦) ابن النديم – الفهرس ص ١٤٥ .

نسن العباس وله من الكتب : كتاب سماء جامع الحماقات ومؤوى الرفاعات ،
وكتاب المنادمة وأخلاق الخلفاء والأمراء . وكتاب النوادر ^(١) .

– ابن الشاه الظاهري : أبو القاسم علي بن محمد من ولد الشاه بن ميكال
وكان أدبياً وفي نهاية الظرف . وله من الكتب : كتاب أخبار العلمان . كتاب
أخبار النساء . كتاب عجائب البحرة ، وغيرها ^(٢) .

– رجل يعرف بالمنادكي له من الكتب : كتاب المميج والرعام وأخلاق
العوام . كتاب نوادر الغلمان والخميان ^(٣) .

– محمد بن اسحق السراج من أهل نيسابور ، وله من الكتب : كتاب الأخبار
ذكر فيه أخبار المحدثين والوزراء والولاة وغير ذلك .. ^(٤) .

(١) المصدر نفسه من ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه من ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه من ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه من ١٥٥.

٢ - المؤرخون الكبار

يأتي في طبعة المؤرخين الكبار مؤرخ ظهر في وقت مبكر هو :

خليفه بن خياط الليبي العصيري : (ولد حوالي سنة ١٦٠ - ١٧٠ وتوفي حوالي سنة ٢٤٠)^(١) وهو بصرى الأصل من بيت علم وحديث يتحدر من الجد إلى الأب فالحفيد . درس على شيوخ كثرين^(٢) لكنه عانى الكثير من العنف بسبب عداه للمعتزلة وهو في عصر المأمون وعانى الكثير من الحسد بسبب سعة علمه وفقته .

ألف ابن خياط من كتب التاريخ .. كتاب الطبقات . كتاب التاريخ وكتاب طبقات القراء وتاريخ الرمني والعرجان والمرضى والعميان . وقد اتفق أن سلم من هذه المجموعة الكتابان الأولان في خطوطات فريدة وقد طبعا مؤخراً في دمشق وبغداد . وأضيف بذلك إلى قائمة المصادر اسم هذا المؤرخ .
مصادر معلوماته تحوى أسماء محمد بن اسحق ، وهب بن جرير (الذي

(١) يذكر ابن خلkan وفاته سنة ٢٣٠ ولكن كتابه يصل في التاريخ إلى سنة ٢٣٦ وقد ذكر ابن عساكر وابن كثير وفاته سنة ٢٤٠ وله ترجمة لدى ابن خلkan وابن الأثير (الباب ج ٢ ص ١٤٠) والتبسي في تذكرة المفاظ .

(٢) تجد في التاريخ الكبير للبخاري (المجلد ١ قسم ١ ص ٣٥٩ وقسم ٢ ص ٥٨ ، ١٢١ وفي المجلد ٢ قسم ٢ ص ٢٢٥ وفي المجلد ٤ قسم ١ ص ١٨ وص ٣٦٧) أسماء شيوخ خليفة بن خياط .

نقل عنه ابن سعد وخاصة في الطبقات الكبرى) وأبي معشر السندي ، وهشام ابن محمد الكلبي (في الأنساب) .

كما تحوى خاصة اسم المدائني الذي اعتمدته ابن خياط على نطاق واسع واسم أبي البيقسطان سحيم النسابة (الذي يظهر في التاريخ والطبقات على السواء) واسم أبي عبيدة معمرا بن المثنى (فيما يتعلق بالخوارج) . وثمة عدد آخر مثل عبد الله بن المغيرة والوليد بن هشام وغيرهم يبلغون في العدد أكثر من ١٠٣ رواة . وطريقة ابن خياط في السرد التاريخي متصلة بصفته كمحدث فهو بهم بالاستناد لا سيما حين يتعلق الأمر بالأحداث الخلافية ولكنه يتناهى في الطبقات ، حيث اكتفى بذكر قائمة مصادره في أول الكتاب . إلا أن أهم ما يميزه هو أنه اتبع الطريقتين الأساسيةتين اللتين ستكونان في المستقبل الطريقتين الرئيسية والمفضلة لدى المؤرخين .. طريقة الطبقات (في كتاب الطبقات) وطريقة الحواليات في (التاريخ) .

ويكشف ابن خياط في كتاب التاريخ عن اهتمامات تاريخية لا نجد لها لدى الطبرى نفسه .

ا - فهو يبدي اهتماماً خاصاً بذكر أسماء الشهداء في الغزوات والواقع .
المأمة .

ب - وهو يقدم قوائم هامة بأسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء ومن كان من الموظفين الكبار على الشرطة وبيت المال والخزانة وغير ذلك من وظائف الادارة . فهو من هذه الناحية مصدر لا يستغني عنه لدراسة النظام الاداري والمالي الإسلامي .

ثم إنه يقدم معلومات في بعض الأحداث لا توجد لدى غيره مثل أخباره عن شمال أفريقيا وواقعة الحرّة والزاوية وغيرها .

وأهمية كتابه في التاريخ هو أنه أقدم كتاب في أبديتنا لتاريخ الإسلام

مرتب على الموليات ، ولعله كان المثال الذي احتذاه الطبرى وأخذ كثيراً من المعلومات عنه .

أما كتاب الطبقات فهو في علم الرجال ، وابن خياط يكشف عن عام واسع بالأنساب ولكنه يضيق إليها الأخبار . وقد درب كتابه على ثلاثة أنسس : التنظيم على النسب وعلى الطبقات وعلى المدن . وقد اتبعت كتب علم الرجال فيما بعد هذه الأنسس مجتمعة أو منفردة في تنظيم مادتها . وابن خياط (مع ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى) هو أقدم من أخذ بالترتيب الأنسابي^(١) من المصنفين في علم الرجال . وقد اعتمد التسلسل القبلي بالنسبة للآخرين من بعدهم .

ثم قسم ابن خياط رجال الطبقات على أمصارهم وهو (مع ابن سعد) أقدم من فعل ذلك . وتأتي المدينة في الطبيعة لوفرة علمائها . وكلما قلَّ العلماء نزلت منزلة البلد . لهذا تأتي الكوفة بعد المدينة ثم البصرة ثم المدن الأخرى .

وقد أخذ الكثيرون عن ابن خياط ، فنفعه لدى المحدثين جعلته مصدرأً للبخاري والأحمد بن حنبل والطبرى وابن سعد كما اعتمده الكثيرون قبل الطبرى وبعده مثل يعقوب بن شيبة والتستري وبقى بن مخلد .

وكتاباً ابن خياط من وجهة نظر علم التاريخ يكشفان عن استقرار النظرية الوحدوية للأمة الإسلامية ويعبران عن ثبات المعطيات الأولى سواء في نماذج الرجال أو نماذج الأعمال – التي تبني عليها تلك الأمة سلسلة وحدتها وتراثها في الخبرة عبر الزمن .

– محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي (١٩٤ – ٨١٠ / ٢٥٦ – ٨٧٠) : وهو من الحديث النبوى ورجال الحديث في القمة . و « صحيح

(١) يظهر أن ابن خياط سبق ابن سعد في التأليف بالطبقات وهذا متواضع لأن ابن سعد يأخذ عن ابن خياط في طبقاته .

البخاري » أحد الصحابة المعتمدين بين كتب السنة الستة . وجد أبيه إبراني كان مولى لبعض ولاته بخاري من اليمن . درس البخاري الحديث في وقت مبكر ، وحين بلغ السادسة عشرة خرج للحجج وسمع من علماء مكة والمدينة ثم رحل إلى مصر فسمع من علمائها . وبعد رحلة استمرت ١٦ عاماً عاد إلى إلى بخاري علماً من أعلام الحديث والمحاذين . وقد اضطر أن يترك بلدته فترة من الوقت حين رفض تعلم أولاده إليها ، خالد بن أحمد الذهلي ، ثم عاد إليها وتوفي في قرية تبعد فرسخين عن سرقسطة .

وإذا كانت شهرته تقوم على « الصحيح » فقد انسحب جزء من هذه الشهرة على كتابه : « التاريخ الكبير » وهو مصنف ضخم جمع نحواً من أربعين ألف ترجمة لرجل وامرأة من رواة الحديث مرتبة على حروف المعجم وتبدأ بالمحمدين . وقد ملأت ثمانين مجلدات مطبوعة (طبع في حيدر آباد ما بين ١٩٤١ - ١٩٦٣) ولعله أقدم كتب التراجم المرتبة على الأحرف الأبجدية .

وقد نردد في ادخال هذا الكتاب الذي يقوم على التراجم ، وعلى نوع خاص منها هو تراجم أهل الحديث فقط : في دنيا التاريخ . ولكن هذا النوع التاريخي ظهر مع ظهور علم التاريخ ورافقه واندمج به . وكما ظهرت المواضيع الأخرى في التدوين ظهر هذا الموضوع في المدرسة العراقية، ولعله تتمثل قبل البخاري بعدد المؤلفين منهم :

- عبد الله بن المبارك . أبو عبد الرحمن (المتوفى بيته وهو عائد من الغزو سنة ١٨١) وله كتاب التاريخ .

- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (المتوفى سنة ٢٣٥) وله أيضاً كتاب التاريخ .

- الأئمأ أحمد بن محمد من أصحاب احمد بن حنبل وله كتاب التاريخ .

- يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ وقد صنع أصحابه من أقواله كتاب التاريخ باسمه .

ومع أن ضياع هذه التواریخ (عدا الأُخیر منها) یعنی من أن نؤكد صفة الترجم فیها ولكن أصحابها كانوا ، كالبخاري ، من المحدثین المهمین بصورة أساسیة بترجم أهل الحديث ، الفرع التاریخي الذي أخذ يوازی الفرع الآخر من الترجم المنصب على الصحابة . وكما بلغ احصاء الصحابة هذا والتابعين مع ترجمتهم أوجه في طبقات ابن سعد (المتوفی سنة ٢٣٠) بلغ العمل على جمع ترجم الحفاظ ورواية الحديث أوجه على يد البخاري وان كان الامر ان في النتیجة واحداً . وإذا أخذ (التاریخ الكبير) شأنه لما يحمل من قيمة دینیة تخدم علم الحديث إلا انه لم يكن الجهد التاریخي الوحید لاصحابه . فالبخاري كتب عدا ذلك الكتاب :

– التاریخ الأوسط : وهو مرتب على السنین ولعله أقدم كتب الوفیات . ولكنہ ما زال مفقوداً ليس منه سوى ٥٦ ورقة مخطوطۃ ضائعة البقیة في مکتبۃ بنکیبور فی الهند (١٢ : ٣٢ رقم ٦٨٧) .

– التاریخ الصغير ومنه مخطوطات عديدة في برلين وكلكتا ، والظاهریة بدمشق ، وقد نشر بتحقيق محمد الجعفری فی الله آباد سنة ١٣٢٤ ثم أحمد آباد سنة ١٣٢٥ .

– التاریخ فی معرفة رواة الحديث ، ونکلة الآثار والسنن وتمییز ثقائهما من ضعفهما وتاریخ وفایتهما . ومنه مخطوط فی مکتبۃ سراي باستامبول (مدینة رقم ٥٢٤ فی ١٨ ورقة) .

– التواریخ والأنساب : وهو كتاب تاریخي لا منهج له یضم بعض المعلومات أو التواریخ الهامة ويتناول بالترجمة بعض الشخصیات العلمیة . ومنه مخطوط فی مکتبۃ أحمد الثالث باستامبول رقم ٢/٢٩٦٩ في ١٧ ورقة (من ورقة ٣٩٩ وجه حتى ٣٩٩ ظهر) .

– كتاب الکنی وقد طبع فی حیدر آباد سنة ١٣٦٠ .
وهذا الجهد التاریخي الواسع جعل البخاري فی رأی الكثیرین و منهم ابن

حجر السخاوي « أول من صنف في تاريخ الصحابة والصحابيين »^(١) . ولهذا لم يسلم عمله من النقد والتقصي وقد ألف عدد من العلماء من بعده في تصحيح هفواته أو أكال نوافصه . ولكنه يظل على أي حال رأس مدرسة التراجم تماماً كما صار ابن سعد رأس مدرسة الطبقات وكما سوف يكون الطبرى رأس مدرسة التاريخ بجانب رئاسته في التفسير .

– ابن قتيبة الدينوري : (٢١٣ – ٨٢٨ / ٢٧٠ – ٨٨٣) ، عبد الله بن مسلم إمام في اللغة والأدب والأخبار والقرآن والحديث من بيت علم مستقل الفكر . وأبوه من مرو ولد في الكوفة أو بغداد . وانما لقب بالدينوري لأنه ولد قضاء دينور زماناً . وقد تربى في بغداد على أبي حاتم السجستاني وحرمه ابن يحيى والرياشي وأقرأ كتبه في بغداد أيضاً فمن تلاميذه السكري وابراهيم ابن محمد الصانع وعبد الله التعمسي . وكان واسع الصلة بالفتح بن خاقان الوزير وكتب له أدب الكاتب .

وقائمة مؤلفاته تصل إلى ٤٧ مؤلفاً . منها ما هو في القرآن والحديث ومنها ما هو في الخبر ، ومنها ما هو في اللغة والشعر . وأما ما يتعلق بتاريخ فعدد من المؤلفات . ومنها ما هو موجود مثل طبقات الشعراء (مطبوع باسم الشعر والشعراء) . كتاب الأنواء (مطبوع) ; الميسر والقداح (مطبوع) ، فضل العرب على العجم (منه قسم مطبوع وآخر خطوط في دمشق وفي القاهرة) . ومنها ما هو ضائع مثل .. كتاب الحكاية والمحكي . الجوابات الحاضرة ، كتاب حكم الأمثال ، آداب العشرة .

على أن أهم كتبه دون شك – كتاب معروفة موجودان مما يكتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف . ثالثة كتاب ثالث خطوط في دمشق يُعرف بتاريخ ابن قتيبة

(١) انظر السخاوي – الاعلان بالتوبيخ (طبعة روزنفال – المرية) ص ٥٤٠ .

وكتاب رابع ينسب اليه هو الإمامة والسياسة . أما عيون الأخبار (مطبوع في ٤ أجزاء) فهو مجموع عشرة كتب .. كتاب السلطان . كتاب الحرب والمؤدد . الطبائع والأخلاق المنشومة . العلم والبيان . الزهد . الأخوان . الحوائج . الطعام . النساء . فكتاب السلطان يتحدث عن سيرته و سياساته و عمله و صحبه وعن الكتابة والقضاء والمظالم والمحاجب ... وكتاب الحرب يتحدث عن أدابها وأخبار الجناء وحيل الحرب والفروسية والدواب ... وكذلك الكتب الأخرى فهو أذن كتاب في التاريخ الحضاري . لا ظل للسياسة والأحداث والزمن المتسلسل فيه ولكنه كالمنجم يستخرج منه الكثير من عناصر الحضارة الإسلامية .

وأما كتاب المعرف فليس بكتاب مبسوط في التاريخ ولكنه أشبه بمخطوط لكتاب كدائرة المعارف شديد الإبهاز .. فيه قوائم أحداث و شيء من السيرة وجداول أسماء وأنساب وذكر لفرق الرجال . ولعل ابن قتيبة وضعه لسد حاجة الكتاب والناس إلى تاريخ موجز يحوي المعلومات الأساسية أو لعله وضعه مشروعًا لكتابه تاريخ عالمي يبدأ بالخلقة وينتهي في عهد المعتصم شاملًا تاريخ الأنبياء وأنساب العرب والسرير والصحابة والتابعين والخلفاء وأصحاب الرأي والنسب وأخبار الحديث والشعر والولاة وصناعات الأشراف وأخبار الملوك العرب والعمجم

ومصادر ابن قتيبة في كتاب المعرف تعتمد على الكتب والروايات الشفهية فهو يروي عن ابن اسحق والواقدي والكلبي ويرجع في تاريخ الخلق والأنبياء وجوعاً مباشراً إلى « العهد القديم » ولعله أول من رجع مباشرة إليه .

وابن قتيبة لا ينقد المصادر فحسب ولكن ينقد المعلومات أيضاً . ويورد الآراء السائدة وقد يعطي أحياناً بعض الأحكام الشخصية كرأيه في الحجاج وفي الخزانة الظاهرية بدمشق كتاب مخطوط يحمل اسم .. تاريخ ابن قتيبة ^(١) . وقد ذكر صاحب كشف الظنون في كلامه على تاريخ أبي حنيفة الدينوري

(١) هو مخطوط في دار الكتب الظاهرية رقمه ٨٠ تاريخ .

كلمة المسعودي عنه إذ يقول إن ابن قتيبة أخذ ما ذكره أبو حنيفة وجعله عن نفسه .

أما كتاب الإمامة والسياسة ... فكتاب مطبوع أكثر من مرة ويبحث في تاريخ الخلافة وشروطها منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عهد المأمون . وقد تشكك العلماء في نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة . وأول من أعلن ذلك وعلله هو غاينغوس المجريطي في صدر كتابه عن الأندلس سنة ١٨٨١ ثم تبعه دوزي وآخرون . وأوجه الشك في نسبة الكتاب كثيرة ..

١ - فلم يذكر أحد من مترجمي ابن قتيبة هذا الكتاب له .
٢ - وذكر في الكتاب أنه استمد عدداً من معلوماته من حضر فتح الأندلس وقد كان هذا الفتح سنة ٩٢ وميلاد ابن قتيبة سنة ٢١٣ .

٣ - وفي الكتاب جهل تاريخي لا يمكن أن يفوت ابن قتيبة كاعتباره أبو العباس والسفاح شخصيتين وجعله الرشيد خلفاً للمهدي وذكره أن ابنه عبد الله دس له السم وليس للمهدي ابن بهذا الاسم .

٤ - في الكتاب عناية بأخبار الأندلس لا يعرفها ابن قتيبة وغيره في العراق لعهودهم .

٥ - شيخوخ ابن قتيبة الذين يردون عادة في كتبه عنهم لا ذكر لهم أبداً في هذا الكتاب .

٦ - المؤلف مالكي الموى والمذهب وابن قتيبة حنفي .

٧ - يظهر في تصاعيف الكتاب أن مؤلفه مقيم في دمشق وابن قتيبة لم ير هذه المدينة .

٨ - في الكتاب رواية عن ابن أبي يعلى محمد بن عبد الرحمن الانصاري المتوفى سنة ١٤٦ قبل ولادة ابن قتيبة بخمس وسبعين سنة !

٩ - في الكتاب ذكر لبلاد لم تكن موجودة زمن الرشيد . فمراكتش لم يغزها موسى بن نصیر واما بناها يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤/١٠٦٢ سلطان المرابطين .

١٠ - وأخيراً فان اسلوب الكتاب مغاير لمؤلف اسلوب ابن قتيبة، فيه عناية بالقصص والرواية .

ويرجح مرغلبيوث أن يكون مؤلف الكتاب من أهل القرن الثالث ، وعصر ما بعد الرشيد ، يوم اهتم الناس بالإماماة وكيفية انتقالها وشروطها ... ولكن يظهر أن عهده متاخر عن ذلك أيضاً وربما كان من القرن الرابع . وقد يكون لأكثر من مؤلف واحد لأن ثمة اختلافاً بين قسمي الكتاب . وقد يكون صاحبه إنما قصد إلى القصص والرواية الشعبية ففيه مواد خرافية وذكر بعض الرسائل والخطب والمحوار الموضوع الذي يصعب القبول بأصله أخذه كوثائق ونصوص سياسية ، وبعض الرسائل فيه تتحدث أحياناً عن أمور جرت بعدها في الزمن وهذا يعني أنها وضعت بعد الأحداث واستبقيت منها ولم تكن بالعكس قبلها . وإذا كان هذا النوع من العرض التاريخي يجعل الكتابة حية شيقة إلا أنه في الوقت نفسه يمنعها أن تكون مصدراً للمعرفة العلمية .

فإذا تركنا كتاب (الإمامة والسياسة) جانباً فان ابن قتيبة في كتبه الأخرى يبدو ذا مادة تاريخية وافرة وقدرة على الاستبطاط والجمع والتنظيم واضحة كما يظهر في منهجه التاريخي حيادياً يؤكّد على الحقائق ويعرض الآراء السائدة ولكنه لا يكتم رأيه فيها .

وعلى أي حال فكتب ابن قتيبة تبدأ بالنسبة للتأليف التاريخي مرحلة من النظرة العالمية والحضارية لم يعرفها المؤلفون السابقون إلا جزئياً . وان تكون محاولة محدودة بالقدر الذي سمحت به معارف ابن قتيبة وعصره ومواهبه . وبالرغم من أن أهل الحديث يضعونه على طريقتهم المعهودة في الريمة

المنهجية إلا أن ابن قبيبة يظل بالنسبة للمؤرخين مرحلة هامة من مراحل الوعي التاريخي الإسلامي .

البلافري ^(١) .. أحمد بن يحيى بن جابر (توفي سنة ٨٩٢/٢٧٩) وهو من رجال البلاط العباسي منذ عهد المتوكل حتى المعتز وقد عين مربياً لابنه عبد الله . وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربية . ومصادر معلوماته تعتمد شيوخه الأربع في بغداد . ابن أبي شيبة : والقاسم بن سلام ، والمدائني و محمد بن سعد ولكنه أغنى معارفه غنى كبيراً بالرحلة . فقد زار مدن الشام والمحجاز وايران بعثاً وراء المعرفة بل زار موقع الأحداث التاريخية بنفسه . ولكن حسده للناس كان يقتله حقداً ويملاً فمه هجاء وخاصة للأشراف .

وقد كتب البلافري عدداً من الكتب منها .. كتاب البلدان الصغير ^(٢) وكتاب البلدان الكبير (ولم يتم) وكتاب عهد أردشير لكن كتبه التي صنعت مجده هي : كتاب فتوح البلدان وخاصة أنساب الأشراف . وفتح البلدان سجل شامل لفتورج الإسلامية وهو معروف بهذا الاسم ولو أنه في المخطوطات يحمل اسم (أمور البلدان) وقد فصل فيه البلافري فتوح كل بلد وكل ما يتعلق به تقلاً عن أهل البلد أنفسهم وكتبهم . وأهمية الكتاب تظهر فيما أورد من معلومات ثقافية واقتصادية وإدارية فقد فصل في منازل السلطان والقبائل العربية بعد الفتح . وفي إنشاء المرافق العامة وفي انتقال المجرة ومسالكها وفي مصدر الأسماء الخاصة ... وبالرغم من أنه استخدم الواقدي عن طريق كاتبه محمد ابن سعد وروايات المدينة فإنه أضاف بعض الروايات التي يحوم حولها الشك لأنها كانت شفوية في الأصل فوقع منها في بعض الأخطاء الكرونولوجية . وقد يورد الخبر الواحد أحياناً أكثر من رواية واحدة ولكن الاختلاف بين الروايات ليس بكثير في النهاية لا سيما حين يورد أكثر من نص للمعايدة الواحدة . وقد استطاع أن يصفي المادة التي جمعها ثم ينسقها . أما كتابه الثاني أنساب الأشراف

(١) قالوا ينسب إلى البلافري وهو ثغر شربه جده فوسوس .

(٢) لعل هذا الكتاب هو نفسه فتوح البلدان .

فهو موسوعة ضخمة ما يزال في معظمها مخطوطاً^(١) فقد طبع منه الجزء الأول وبعض الرابع والخامس . ويظهر في هذا الكتاب تلاقي طريقة الخبر بالأنساب في الطبقات بالتاريخ وتلاقي طريقة الرواية المفصلة والخبر المفرد مع الرواية التاريخية المتصلة والتاريخ المطرد . فقد كتب التاريخ ولكن على أساس عمود الأنساب لا الرسم التاريخي ثم جعل لكل موضوع عنواناً فرعياً خاصاً به كأنه وحدة مستقلة تماماً على ما عرفنا من عناوين كتب الأخباريين . فهو ليس مؤلفاً تاريخياً متصل الحلقات ولكنه بمجموع روايات في إطار الأنساب توسيع حتى احتوت الأخبار والشعر والترجم .

ومصادر البلاذري في أنساب الأشراف تعتمد على المؤلفات المكتوبة وعلى الرواية الشفهية . فهو يومئذ بين المصادرين حسب الحاجة لكن منهجه في كل الأحوال هو أن يختار الروايات التي يعتمدتها وأن ينقدتها أحياناً لكنه يوردها دوماً مع ذكر الأسانيد . ويكتب أحياناً « قالوا ... » ويعني ذلك أن نوعاً من الإجماع قد تم حول قبول بعض الروايات والرواة .

وهو يورد الروايات لكنه يقدم ما اتصل منها .. برواية المنطقة أو القبيلة ،

(١) في استانبول من كتاب أنساب الأشراف النسخة المخطوطة الروسية في العالم (بمكتبة عشر أفندي) وهي في مجلدين ضخمين مجموع صفحاتها ٢٤٦٤ صفحة . وهو مع ذلك مخروم الآخر . وفي برلين جزء مخطوط منه (يسمى الجزء ١١) وقد نشره آلوارت سنة ١٨٨٣ (وهو يوافق آخر الجزء الأول من نسخة استانبول ومطلع الجزء الثاني ٨٦ صفحة زائد ٢٩) وفي باريس جزء مخطوط منه (منقول عن استانبول . وفي اليمن جزء (يسمى بالرابع) . وقد طبع المستشرقان Max Schloessinger سنة ١٩٢٨ و S.D. Goitein سنة ١٩٣٦ جزئين يطلق عليهما الجزء الرابع (القسم الثاني) والخامس . كما نشر Levi della Vida في R.S.O. العدد VI لسنة ١٩١٤ - ١٩١٥ فصلاً يتعلق بعلم بن أبي طالب وترجم سنة ١٩٢٨ مع المستشرق Pinto الفصل المتعلق بمعاوية . أما ما نشره آلوارت Alwardt من قبل فيتناول عبد الملك بن مروان وقد أخطأه عنوان تاريخ عربي مجهول . ويذكر أن الجزء الأول من المجلد الرابع طبع في القدس سنة ١٩٧١ . ويصل الدكتور عبد العزيز السوري حالياً بعمل تحقيق الكتاب ونشره كله . وقد كان محمد حميد أفندي نشر الجزء الأول منه (القاهرة ١٩٥٩) كما نشر محمد باقر المحسودي مؤشراً (بيروت ١٩٧٤) الجزء الثاني .

تم يتممها بالروايات الأخرى .. فأخباره عن (الشوري) تعتمد الواقدي والزهري (أي روايات المدينة) ثم يضيف إليها روايات أبي مخنف وهي أقرب إلى الرأي العلوي وواقعة الحرج عندئ يرويها بصورة أساسية المداني والواقدي وعوانة وأشيخ المدبنة ويجمع فيها بين الروايات المدنية والأموية . أما الأنساب فيأخذها عن الزبير بن بكار، وأخباره عن عبد الملك بن مروان تستند إلى عوانة ابن الحكم مباشرة أو بواسطة المداني وعلى الواقدي فهي شامية مدنية ولكنه يضيف إليها الروايات العراقية . وبالرغم من «عباسيته» واتصاله بالباطل العباسي الاتصال المباشر فأن أخباره محابدة لا تضيق بالموضوعية ومتزنة لا تشدد وراء الاستطراد والهوى .

وقد نقل عن البلاذري كثيرون وان تحامى النقل عنه رجال الحديث لارتباطهم في ثقته وثقة أصحاب الأخبار عامة كالمداني والواقدي وابن الكلبي، لكن الطبرى لا ينقل عنه . وأما أبو الفرج الاصفهانى فقد نقل عنه مرات عديدة . لكن قائمة الآخدين عنه تطول بعد ذلك وفيها .. الصولى (في الأوراق) . والشريف المرتضى (في الأمالي) والقاضى عبد الجبار بن أحمد (في الشافى) وابن أبي حميد (في شرح نهج البلاغة) وابن خلkan وابن عساكر وياقوت والزبيدي (في تاج العروس) ... الخ .

وإذا كان كتاب أنساب الأشراف محاولة لإقامة وحدة الأمة الإسلامية من خلال الارستقراطية العربية وأعمدة الأنساب المتصلة فان كتاب فتوح البلدان محاولة مماثلة لجعل خبرات هذه الأمة وعهودها وأعمالها قواعد ثابتة في الإدارة والتشريع والعمل .

- ابن طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزى (٢٠٤ - ٢٨٠)

وهو شاعر أولًا ثم مؤرخ للآداب ثم اخباري مؤر . مروزى الأصل بدأ مؤدب صبيان ثم لزم سوق الوراقين ، في بغداد حيث ولد ومات ، وعاش يرزق من شعره وعلمه وهذا وجد بعض الموجأ على لسانه كما ظهر بعض العداء في

مواقف الناس منه . وهو احدى ثمرات تلك الفترة الخصبة من التاريخ العباسي العراقي في القرن الثالث . وقائمة المؤلفات ورامة طويلة تزيد – حسب رواية ابن النديم وياقوت – على ٥٦ كتاباً معظمها في الشعر والشعراء وتاريخ الأدب . على أن له منها بعض كتب التاريخ الهمامة مثل : كتاب المعروفين من الأنبياء وكتاب بغداد (وهو كتاب في تاريخ المدينة) ومقابل الفرسان . ومقابل الشعرا . وأخبار المتظرفات . وكتاب الحجاب . وكتاب الجواهر وكتاب الهدايا . وكتاب المؤنس . وكتاب المؤلفين وقد سبق به ابن النديم .

وله مجموعة من الكتب تتصل بالتاريخ مثل فضل العرب على العجم . أسماء الشعراء الأوائل . الجامع في الشعراء وأخبارهم . أخبار مروان وآل مروان و اختيار أشعارهم . أخبار وأشعار عدد من الشعراء منهم : ابن النطاح ، العتافي ، منصور التمري ، أبو العنايبة ، بشار ، ابن مبادة ، ابن هرمة ... الخ . وله في هذا الباب أيضاً كتاب جمهورة بنى هاشم وكتاب المختلف من المؤلف . كما أن له مجموعة من كتب التعليم السياسي على شكل القصص مثل : خبر الملك العالمي في تدبير المملكة والسياسة . كتاب الملك المصلح والوزير العين . كتاب الملك البabilي والملك المصري الباغين . كتاب الملك الحكيم الرومي ... هذا إلى بعض كتب القصص والسر والرواية التاريخية .

ولم يبق من هذا الجهد كله سوى جزء من كتاب هو القسم السادس من كتاب بغداد وقد طبع^(١) في مائتي صفحة ويبداً بخلافة المأمون وينتهي بوفاته . ويبدو ابن طيفور في هذا الجزء مؤرخاً حسن الاطلاع . وقد انفرد بعدد من الأخبار في عهد المأمون لا نجد لها لدى غيره (مثل حركة جند بغداد للمطالبة

(١) طبع ثلاث مرات أولها على يد المشرق H. Keller في ليفربور سنة ١٩٠٨ ثم في القاهرة سنة ١٩٤٩ وأخيراً طبع بمنوان (بغداد في تاريخ الملة العباسية) في مكتبة المشرق بغداد سنة ١٩٦٨ وقد ترجمه X.C. Seely إلى الإنكليزية وطبع في نيويورك سنة ١٩٢٠ . كما يتي أياً من مؤلفات ابن طيفور الجزء ١١ و ١٢ من كتاب المشور والمنظوم .

بالأرزاق . توجيهه محمد بن حميد الطوسي إلى مكة . أخبار أبي دلف العجل . موقف المؤمن من أهل الشام ...) وهي تزيد في مجموعها على عشرين خبراً .

أما مصادر معلوماته فأبرزها عمر بن شبة ، فابن طيفور يروي عنه . ولكن ثمة العديد من المصادر الأخرى التي لا يあげ لإيراد سندتها الكامل مكتفياً بأن يذكر في مطلع الخبر .. « قال فلان ... » أو « حدثني فلان ... » وهو لهذا ولغيرة متهم في صدقه بل ينسبون إليه سرقة الشعر والتاليف والتصحيف واللحن ... ^(١)

وأهمية ابن طيفور أنه كان من الرعيل الأول الذي بدأ كتابة التاريخ المحلي . فكتابه عن بغداد هو أول كتاب في سلسلة الكتب الطويلة التي سوف تظهر في تاريخ بغداد نفسها وفي تواريХ المدن عامة .

أبو حنيفة الدينوري ^(٢) أحمد بن داود (ولد في العقد الأول من القرن الثالث وتوفي سنة ٢٨٢ أو سنة ٢٩٠) .

هو فارسي الأصل أمضى شبابه في الرحلات بين العراق والمحاجز والشام والخليج وعاش بأصفهان مدة . كان موسوعي المعرف لأن دراسته متنوعة الثقافة جداً . فقد درس النحو واللغة على البصريين والковفيين كما درس علم الهيئة وعمل بالرصد الفلكي في اصفهان ودرس الحساب والهندسة والنبات والطب والجغرافيا دراسته لعلوم القرآن والحديث واشتهر ككاتب بلغ حتى اعتبره أبو حيان التوحيدي – وهو من هو في الأساليب الأدبية – ثالث ثلاثة هم أربع من كتب في العربية ^(٣) .. ومواهب أبي حنيفة قربته إلى البلاط العباسي وخاصة إلى الموفق أخي المعتمد فاختص به .

(١) أنظر ترجمته في ياقوت وأنظر قبل ذلك ابن النديم – القهـرس صفحة ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) دينور بلد حدد مكانه الآثري المستشرق شتراوس في عربستان وهو (ماء الكوفة) قرب هذدان وموقعه الآن خراب وأعلاف . سقطت المدينة من القرن الرابع المجري .

(٣) الثلاثة هم المحافظ وأبي زيد البلاخي وأبو حنيفة الدينوري .

ومجموعة كتبه تعكس نوع ثقافته فقد كتب في النبات وفي القرآن والجغرافيا والتاريخ وغيرها حوالي عشرين كتاباً . يهمنا منها ..

– كتاب البلدان وهو كبير ولبس له شهرة وقد دثر . ولعله في الجغرافيا التاريخية .

– كتاب الأخبار الطوال . وهو كتاب التاريخ الهام الذي تركه أبو حنيفة وقد ظل مجهولاً حتى اكتشف مخطوطه في لينتغراد سنة ١٨٧٧ ونشره كراتشيفسكي ثم اكتشف مخطوط آخر أقدم من الأول في سوهاج سنة ١٩٥٧ فنشر في مصر سنة ١٩٦٠ ومع ذلك مما يزال بعض الباحثين يشككون في نسبة هذا الكتاب إلى أبي حنيفة^(١)

وخطة الكتاب تتناول الأحداث المستمرة الطويلة المدى وينقسم إلى ثلاثة أقسام الأولى منذ آدم حتى جميع الأنبياء . والثانية تاريخ الفرس الساسانيين والروم . والثالث حروب العرب والعجم وهو القسم الأهم ويشمل تاريخ الفتوح (دون التعرض لذكر تاريخ الراشدين إلا بقدر) وقصة الفتنة الكبرى وصفين والخوارج والحسين وال العراق (دون ذكر تاريخ الأمويين) ثم مختصر التاريخ العباسي حتى موت المعتصم سنة ٤٢٢ . وأهمها أبو حنيفة ذكر الحقبة التي عاشها بنفسه . إنما قصد أن يكتب نوعاً من التاريخ العالمي يبرز فيه خاصة التاريخ الفارسي وقصة الفرس في العهد الإسلامي .

ومصادر أبي حنيفة في معظمها مفقودة اليوم مثل كتاب الأنساب لابن الكيس الشعري مالك بن عبيد ، وأخبار الملوك وأخبار الماضي لعييد بن شريه الجرهمي ودواوين الشعراء وهو يروي عن الكلبي والأصمعي وعن الهيثم بن عدي خاصية ، فقد ورد اسمه في الكتاب عشر مرات . كما يروي عن الشعبي

(١) بعض المشرقيين انتلقاً من عدم انتظام اسم الكتاب على محتواه يحاولون الشك في الكتاب مستفيدين أن المؤلف الأصل الذي يحمل عنوان الأخبار الطوال قد ضاع والكتاب الذي وجد أعلاه هو كتاب مؤلف آخر لكنه يحمل العنوان نفسه .

أبي عمرو عامر بن شرجيل التابعى الرواية، بمعنى أن أبو حنيفة قد جمع في نسق واحد بين الأسرائليات والمصادر والروايات العراقية والمدنية . فكان بذلك نموذجاً للمثقف الفارسي المسلم في ذلك العصر .

وقد راعى أبو حنيفة في « الأخبار الطوال » التسلسل الزمني في التاريخ ولكنه انتهى الأخبار وفقاً لفهمه خاص في التاريخ العالمي فتوسع في الحوادث والحركات التي اختار ما جعل كتابه أقرب إلى أن يكون سلسلة أخبار يلتصق بعضها بعض لتتواءز مع التاريخ الابراني الذي يحتل المكان الرئيسي . فهو قبل الإسلام بهم بتاريخ الرسل كثيراً ويقدم صوراً متوازية لناريخ اليمن والجزيرة ويزنطية ويتسع في تاريخ فارس وبعد الإسلام يمر بفترة الرسالة المروي السريع ليركز اهتمامه على تاريخ العراق وايران .

ومنهج أبي حنيفة أن يهمل الأسانيد الطويلة ويوثر السرد الروائي المتصل مقدماً فيه الكثير من الشعر حتى لقد تبادل الفرق والأحزاب الرسائل عنده شرعاً . وفي أسلوب من هذا النوع لا مكان للقدر . حتى لقد قبل أبو حنيفة - كما لاحظ مار غليوٹ - نصاً مسجوعاً لنسخة معايدة قامت في الجاهلية بين اليمن وربيعة وفي مطلعها كلمات التوحيد ولم يخامره أي شك في صحتها مع أن أهل اليمن كانوا وثنين ويتكلمون لغتهم الجنوبية الخاصة ويدونون ما يدونون بالخط المعروف بالمسند السُّبُّ^٣ .

وشعورية الدینوري تأخذ شكل الميل للعباسين في كتابه . لكن ما من شك في أن الرجل إنما أحباب في كتابه على حاجة تقافية معينة في عصره هي تقديم تاريخ متصل ذي صبغة اسلامية لناريخ فارس وال伊拉克 قبل الإسلام وبعده . - البيهقي .. أحمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح (توفي سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)^(١) . هو من أسرة كتاب تعمل في دواوين الخلافة وقد جمع إلى هذه الخبرة العملية

(١) تلاك المصادر ومنها ياقوت أن ستة وفاته هي سنة ٢٨٤ ولكن كتابه البلدان وحديثه فيه عن الخليفة المنصور (٨٦٣ - ٨٩٢) يؤكد مع بعض الدلائل الأخرى أن تاريخ وفاته يجب أن يتأخر إلى سنة ٢٩٢ / ٩٠٥ (انظر مقدمة فيكت لشره كتاب البلدان)

الموروثة ثقافة واسعة يوم أكثر من الرحلات البعيدة في شبابه وأبعد طلباً للعلم . وقد كتب كتاباً في الجغرافيا وآخر في التاريخ كان كلاهما متميزاً في مادته . وقد وصلنا الكتابان كما وصلتنا رسالة صغيرة منه بعنوان : مشاكلة الناس لزمانهم (طبعت) .

فاما كتاب (البلدان) فهو أقدم ما وصلنا من نوعه من الكتب^(١) . (طبعه دي غويا Dc Goeje في ليدن سنة ١٨٩٢ ثم طبع في مصر) وهو في الجغرافيا التاريخية . ومعلوماته الجغرافية تركت أثراًها الواضح في كتابه التالي التاريخي .

وأما كتاب (التاريخ)^(٢) فهو موجز تاريخي منظم يتناول التاريخ العالمي منذ الخلق حتى سنة ٨٧٢/٥٢٥٩ م في « خطة لا بد أنها احتجت إلى قسط طيب من البحث لتحقيقها »^(٣)

فقد كان فهمه للتاريخ العالمي يتناول يجانب تاريخ الأنبياء وتاريخ الفرس والبابلية ، تواريخ الأمم الأخرى القديمة .. من آشورية وبابلية وهندود ويونان ورومان وفراعنة وبربر وحبش وزنج وترك وصين . فهو من هذه الزاوية تاريخي عالمي حقيقي وإن اصطيف بعضه بالأسطورة بسبب ضيق المصادر وغبة المعرفة فيها . وقد اهتم في هذه التواريخت بالجانب الحضاري أكثر من اهتمامه بالجانب السياسي ولخص - بقدر ما سمح له معارفه - ما كان متوفراً لدى الناس في عصره من معلومات عن الأمم الأخرى القديمة كما عكس في مادته لوناً من ألوان امتراج الثقافات في ذلك العصر .

(١) نجد عنوان البلدان على كتاب هشام بن محمد الكلبي سنة ٢٠٤ من قبل وكتب أخرى سبقت اليقوبى .

(٢) مرغليوث . الموروثون (ترجم) صفحة ١٣٩ .

(٣) نشر (تاريخ اليقوبى) أول مرة من قبل Houtsma في مجلدين في ليدن سنة ١٨٦٠ ثم سنة ١٨٨٣ ثم طبع طبعة في النجف سنة ١٣٥١ هـ ، وطبعة ثالثة أخرى في بيروت سنة ١٩٦٠ في مجلدين .

وгин وصل اليعقوبي إلى التاريخ الإسلامي اختط لنفسه أن يذكر التقاوم الفارسية والرومية وأن يورد تفاصيل فلكية في مطلع كل عهد تعين الخبراء في النجوم على تتبع مجرى الأحداث^(١) ثم اختط أيضاً أن يسجل في ختام كل عهد أسماء الرجال الذين شاركوا فيه مع الخلفاء وأمراء الحج وقاد الحملات ومشاهير القضاة . حتى إذا قارب عصره أوجز في الأخبار جداً فلأنه ثورة الزنوج من اهتمامه الا ملاحظات بسيطة وهذا ما جعله يظهر أكثر علمًا بالعهدين الأموي والعباسي الأول منه بعصره .

ومصادر اليعقوبي في تاريخه متعددة تعكس انتباهاً بارعاً «للمنهج التاريخي» فهو في قسم التاريخ القديم يرجع إلى المصادر الأصلية .. الكتاب المقدس . وحين يتحدث عن التاريخ الابراني لا ينسى أن يتبين أن مادته أسطورية لا يوثق بها . وبأخذ عن المصادر اليونانية المترجمة حين يكتب عن الثقافة اليونانية . أما في التسم الإسلامي فقد ذكر مصادره في مقدمة هذا القسم واتبع في هذه المصادر نهجاً انتقائياً لأنه رأى أن ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتاريخيات متباين ، فقد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم في السنين والأعمار ولذلك أخذ منهم بأجمع المقالات والروايات . ومصادره لهذا ذات ألوان عديدة فهي علوية تارة وعباسية أخرى ومدنية حيناً (عن الرائقدي وابن اسحق) وعراقية حيناً آخر (عن المدائني والمهيم بن عدي) وقد أخذ النسب عن ابن الكلبي والفالك عن ما شاء الله الخاسب والخوارزمي الفلكي .

أما منهجه في العرض فهو اهتم الأسانيد لأنها كانت استقرت في تلك الآونة وقد أعاد انتشار التدوين على ذلك الاستقرار . ثم انه قلماً يذكر المصدر لأنه اكتفى بذكر مصادره الأساسية في مطلع البحث ولكنه حين يقترب من عصره يذكر بين حين وآخر مصادره الشفوية والأشخاص الذين زوّدوه بالمعلومات .

(١) ذكر اليعقوبي (التاريخ ج ٢ صفحة ٣) أن مصدره في ذلك هو كتاب « طوالع السنين والأوقات لما شاء الله الخاسب » . كما يأخذ عن الخوارزمي التجم .

وقد اتى العقوبي في عرض مادته تسلسل المهد خليفة بعد خليفة^١ واتبع في عهد كل خليفة توالي السنين جاماً بين أسلوب العهود والحواليات . وأكثر العقوبي من ايراد الرسائل والخطب كنصوص سياسية ووثائق . وجاء أحاجاناً بمعلومات تاريخية تفرد بها .

ولكنه في إيجازه التاريخي كشف عن براعة محدودة سواء في اختيار الأعمال الهمة والأساسية لكل خليفة أو في اعطاء التفسيرات التاريخية الواضحة للأحداث . وقد كشف في اهتمامه بالأمور الأخلاقية عن مفهوم « براغماتي » للتاريخ عنده فكانه أراد أن يبين أن هذا العلم إنما غايته التربية والعبرة . وهذا المفهوم بالرغم من أنه اسلامي الجذور إلا أنه مفهوم مبكر في الظهور وكان تمهيداً لما سوف يكتبه الباحثون في فائدة التاريخ من أفكار فيما بعد ، بين القرن الخامس والثامن .

وبالرغم من أن العقوبي كان متزناً في أخباره دقيقاً في تحري الحقائق والمعلومات التي يورد إلا أنه لم يستطع أن يمنع مbole من الظهور في تصاعيف الأسطر فهو واضح الميل العلوي حين يتحدث عن الراشدين والأمويين « كثير الأصحاب في ايراد أقوال الأئمة وخطفهم وسيرهم عند ذكر وفاتهم ولعلنا نكون أكثر دقة إن قلنا أن وجهة نظره إمامية » بدليل أنه يمر بإيجاز عرضي بثورة زيد بن علي^(١) .

ويظهر العقوبي بالمقابل نوعاً من التسامح والمجاملة حين يتحدث عن العباسين ويحاول أن يمر بعض الأحداث المحرجة في تاريخهم مرور المجامل (قتل أبي مسلم وقصة البرامكة ومقتل موسى الكاظم) . وقد لاحظ مرغليوث أنه قد يكون معتبراً الموى^(٢) لأنه يسميهم – كما يشتئون – بأهل التوحيد ولكنه

(١) الدوري . نشأة علم التاريخ صفحة ٥٤ - ٥٣ .

(٢) مرغليوث . المؤرخون (مترجم) صفحة ١٤٠ .

مع ذلك لا يشار كهم الفكر المتعلق بالريبي حين يسمع لبعض المؤرخ والمعجزات
أن تجد طريقة لها للتسجيل في تاريخه .

ولا شك أن الكتاب بمصادره ومعلوماته يمكن تأريخ الطبرى . ويمثل
بالنسبة لتطور التدوين التاريخي أول تاريخ عالى بمعنى العالمية للكلمة .

– الطبرى .. محمد بن جرير (٨٤٠ / ٢٢٥ – ٩٢٢ / ٣١٠) .

وهو عَلَمٌ معروف في التاريخ الإسلامي (وفي التفسير) بلغ به التدوين
التاريخي نهاية عمر التكوين والنشأة وسجل قيمة من قمم التاريخ الحقيقى . ولستا
لتعيد هنا ترجمة الرجل ^(١) فهى معروفة ونكتفى ببعض ملامعها فقد بدأ الدراسة
في آمل من طبرستان ثم في الري وتلمذ على الرازى والدولابى وكتب عن ابن
حميد أكثر من مائة ألف حديث . ورحل إلى بغداد فلم يلحق ابن حنبل ثم
ذهب إلى البصرة وأقام بواسطه ثم بالكوفة وكتب عن محمد بن العلاء المحمذانى
مائة ألف حديث ثم عاد إلى بغداد ثم غرب إلى الشام ثم مصر سنة ٢٥٣ . ثم
عاد إلى بغداد فواسط فطبرستان ثم بغداد ثم طبرستان ثم بغداد .. كل ذلك في
طلب العلم حتى انتهت إليه الرئاسة في التفسير والفقه والتاريخ . ونحن ندين له
بكابين من أهم كتب الثقافة الإسلامية .. التفسير والتاريخ .

وقد أمل الأول في ثمانى سنوات (٢٨٣ – ٢٩٠) ثم فرغ من التاريخ
سنة ٣٠٣ وانتهى به إلى سنة ٣٠٢ وقد كان في وده لو أمل في كل منها
ثلاثين ألف ورقة ! وله كتاب ثالث في القراءات كان في ١٨ مجلدة ولكنه
ضاع .

والطبرى طالب علم دائم لا يعرف التعب ، مكث فى مادته ذلك أنه يقى
أربعين سنة يكتب كل يوم ورقة . وما من شك في أنه كان حديد الذاكرة في
مادته وإن كان ضعيف الحفظ للشعر والأدب .

(١) ترجم له كثيرون . ومن أطول الترجيات القديمة ما أورده ياقوت في ٤٠ صفحة . وقد صدر
من كتيب في سلسلة اعلام العرب (رقم ١٢) بقلم الدكتور احمد محمد الحرفى .

وكان له رأيه الخاص في الفقه وله خصوصاته الشديدة مع المذاهب والخوارج والروافض ومع المذهب الظاهري وصاحبها داود بن علي الأصفهاني ، وقد أثار من التأييد والخصوصة ما هو جديراً بالرجال العظام . ولهذا فإنه حين توفي دفن ليلاً خوفاً من أعدائه ثم بقي أنصاره بعد ذلك يصلونه أشهراً على قبره رحمة وذكراً .

وكتاب التاريخ الذي كتبه الطبرى هو أحد كتابين ضخمين شهيرين فيتراث العربى الإسلامى هما التفسير والتاريخ ، والناس ينسبونهما إلى اسمه بدل العنوان الأصلى لهما . وتاريخ الطبرى يحمل اسم تاريخ الرسل والملوك وبسميه بعضهم : تاريخ الأمم والملوك^(١) ، ويمكن أن نقسم هذا التاريخ قسمين أساسيين : ما قبل الإسلام وما بعده .

فأما في القسم الأول فقد بحث في الخلقة والبدء وهبوط آدم وقصة قابيل وهابيل ثم عرض للأنبياء نوح وآبراهيم ولوط واسماعيل وأيوب وشعيب ويعقوب ويوسف وموسى والياس وداود وسليمان وهواد صالح ويونس وعيسى ومحمد . وأرخ بعد ذلك للأمم فذكر تاريخ الفرس منذ عهده الأول أيام من شهر إلى كسرى ابرويز وواقعة ذي قار ويز درج بن شهريار ثم تحدث عن بني اسرائيل وأخبارهم ثم ذكر ملوك الروم منذ المسيحية ثم عطف على عاد ونمود وطم وجدهم ثم ملوك اليمن وبعض مشاهير الأسماء العربية كالزباء ثم تحدث عن اجداد الرسول تمهيداً لعهد الرسالة . ولم يتبع في هذا القسم ترتيب السنين ولكنه أورده على أساس المواضيع .

وفي القسم الثاني تناول التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول حتى سنة ٣٠٢ وفرغ من التأليف سنة ٣٠٣ ومصادر الطبرى في كتابه واضحة لأنه سجلها في استناد أخباره وأهمها^(٢) :

(١) انظر ياقوت - معجم الأدباء ج ١٨ ص ٦٨ ثم الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) راجع في مصادر الطبرى مقالاً هاماً كتبه جواد علی في مجلة المجمع العلمي العراقي بعنوان موارد

أ – في تاريخ الرسل والأنبياء ، كتب التفسير وسيرة ابن اسحق ، وكتب وهب بن منه .

ب – في تاريخ الفرس ، ترجمات بعض كتبهم وخاصة كتب ابن المفعع وهشام الكلبي وما لديه من معلومات منقلة عن وثائق ومدونات الحيرة ^(١) .

ج – في تاريخ الروم على ما نقله كتاب النصارى منه إلى العربية .

د – وفي تاريخ اليهود على كتبهم وقصصهم التوراتي .

ه – وفي تاريخ العرب قبل الإسلام على ما كتب عبيد بن شريعة و محمد ابن كعب القرظي وهب بن منه وخاصة هشام الكلبي وابن اسحق .

و – وأما في السيرة النبوية فقد استند إلى مؤلفات أبيان بن عثمان وعروة ابن الزبير وشريحيل بن سعد وموسى بن عقبة وعاصم بن عمر وابن شهاب الزهرى وابن اسحق .

ز – وأخذ حروب الردة والفتح عن سيف بن عمر الأستدي والمدائني .

ح – ومصادره في موقعه بالحمل وصفين ما كتبه أبو مخنف والمدائني وسيف بن عمر .

ط – كما أخذ تاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم وأبي مخنف والمدائني والواقدى وعمر بن شبة وهشام الكلبي .

ى – فإذا انتهى إلى العهد العباسي اعتمد أحمد بن أبي خبطة وأحمد بن زهير والمدائني وعمر بن راشد والمهيم بن عدي والواقدى وابن طيفور (وان لم يذكره إلا مرة واحدة) ...

= تاريخ الطبرى (الجزء الأول لسنة ١٩٥٠ والجزء الثاني لسنة ١٩٥٢ والجزء الثالث لسنة ١٩٥٤) .

(١) راجع تاريخ الطبرى ١/ ٦٢٨ : ٧٧٠/١ .

وأهم الملاحظات التي يمكن أن تسجل حول هذا العمل التاريخي الضخم :

١) ان المادة التاريخية التي أتى بها الطبرى في تاريخه تعتبر من أوئل المادة لأنها ، كمحدث دقيق، حاول انتقاءها وتنخلها جهد طاقته ، وأوردها دوماً بالنصوص عن أصحابها الرواة الأولين .

٢) إذا ظهرت لديه في بعض الأحيان (في التاريخ السابق للإسلام) بعض اللمحات الحضارية فان هذه إنما كان مرجحها بصورة خاصة إلى التاريخ السياسي وحده . ولم يسجل أشياء أخرى إلا ما كان يقتضيه الحديث عن الأحداث والمشاكل السياسية .

٣) أنه ذكر في تاريخ الفرس كثيراً من الحقائق التي لا نجد لها عند غيره .

٤) انه كان دقيقاً في تاريخ الروم دقة تدعو إلى العجب ، مع قلة المصادر حوله في هذا الموضوع ، فقد ذكر أباطرة الروم والرومان قبلهم حتى عصر هرقل وهم واحد وستون عدما من اشتراكوا مع أبنائهم أو غير أبنائهم . ومرة حكمهم جميعاً ستة قرون وبضع سنوات . ويدعو الباحث من صحة المعلومات التي أوردها ومن دقتها وترتيبها . وإذا تجاوزنا عن أخطاء طفيفة قد تكون من فعل النسخ والرواية فمن الواضح ان الطبرى أخذ معلوماته هذه عن مصادر أو جماعات تستند إلى وثائق صحيحة .

٥) لم يمل الطبرى مع أيّ هوى في ايراد الأخبار التاريخية الإسلامية . وكان جياده في الغالب عن ورع ودقة علمية ، لأنّه إنما أمنى التاريخ تأييداً وتنمية لكتابه في التفسير القرآني . ولعله لم يمارس حتى النقد في الروايات التي أوردها لأنّه وجد أنّ أحاديث التاريخ فيما عدا الشؤون السياسية - لا تبني عليها أحكام شرعية واضحة .

٦) أهل أحداث عصره وكان فيها موجزاً سريعاً الخطوط مقللاً كلّ الإقلال ولهذا فهو « كشاهد » على العصر من أشد الناس ضئلاً بشهادته .

وقد نُقل « تاريخ الرسل والملوك » بالرواية الشفهية والإملاء عن الطبرى

رغم ضخامته التي تزيد على ١٠ مجلدات في بعضطبعات . وإذا تناول فيه الطبرى التاريخ العام منذ الخليقة حتى عهده فتاریخ ما قبل الإسلام كله لا يشغل إلا أقل من عشر الكتاب مع أنه يشمل تاريخ الأنبياء جميعاً وتاريخ الفرس والروم وال拜اهلة . أما في التاريخ الإسلامي فقد قام الطبرى فيه بما قام به البخاري ومسلم في الحديث : أي اختيار المادة الصحيحة أو المتفق على صحتها من مجموع المادة التي تراكت حتى عهده .

ولما كانت مصادر الطبرى هي في الواقع مجموع أسماء الإخباريين التي وردت معنا في هذه الفصول السابقة تقريباً وبخاصة كتب المدائى ، لهذا فإن الناس حين اجتمع لهم الطبرى تركوا الكتب الصغرى اليه واكتفوا به عنها جميعاً . ومن هنا كانت شهرته كمنظم ومنسق وجامع لأطراف المادة التاريخية حتى نهاية القرن الثالث المجري .

وقد انعكس في تاريخ الطبرى أثر ثقافته كمحدث وفقىء . فأسلوبه في التدوين على منهج أهل الحديث ، ويمكن أن يلخص في نقطتين رئيسيتين :

١ - التعويل على الروايات : « ولعلم الناظر في كتابنا هذا ان اعتمادى في كل ما أحضرت ذكره فيه إنما هو على ما رویت من الأخبار التي أنا ذاكراً لها والآثار التي أنا مستندها إلى روايتها فيه .. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الملايين مما ينكره قارئه من أجل انه لم يعرف له وجهأً من الصحة .. فليعلم أنه لم يتوت ذلك من قبلنا وانما أتي من قبل بعض ناقليه اليانا وانما أدينا ذلك على نحو ما أدي الينا »^(١)

٢ - الحرص على السنن، وإنما كان هذا الحرص نتيجة النقطة الأولى . وقد تساهل الطبرى في هذا السنن في الأجزاء الأخيرة من الكتاب وخاصة فيما بين الجزء التاسع إلى الحادى عشر حتى ليندر أن يظهر في صفحات متواليات .

(١) الطبرى ج ١ ص ٧ - ٨ .

وكان الطبرى إذا انتقد أهتم ب النقد السندي أكثر من الاهتمام بالمعلومات المروية
بعده . وبالرغم من أنه تحرى الثقات من الرواية قدر طاقته ومن أن الأسانيد
كانت قد استقرت لعهده إلا أنه أبقى على الطريقة كاملة في كتابه . وهذا ما
سمح للطبرى أن يحتفظ في كتابه بكثير من المقطففات التاريخية المبكرة في الوجود
والمحاصرة لبعض الحوادث والتي صاغ روايتها ومؤلفاتهم فليس توجد إلا في
كتابه . إن كتابه أشبه بمعدة التنين الفصخم التي تجد جميع المواد مكانها فيها
دون دمج أو تمثيل يجعل منها كتلة متجانسة واحدة . وقيمة الطبرى إنما هي
خاصة فيما حفظ من هذه المادة الضائعة لا بالرأي الذي أعطاها فيها . لأنه لم
يعط رأيه أبداً في الذي قدم من المعلومات . وإذا كان ثمة من شيء كشف فيه
عن رأيه فعلاً فهو نوع اختبار المادة . وهو اختبار للراوى في الواقع وليس
للرواية نفسها فهو – فيما عدا الانتقاء – حيادي تمام الحياد ، والمادة أمامه قطع
من الأخبار صاغ منها تاريخاً كاملاً . وما من شك في أن هذا التاريخ إن كان
مقطفع العرض بسبب الاهتمام بإيراد الروايات فإنه كان في الوقت نفسه أيضاً
متوازناً من جهة وبعيداً بجميع الأحداث من جهة أخرى ، وقد كان هذا كله
سبباً آخر لاكتفاء الناس به عن كل ما عداه أو سبقه من المؤلفات . والواقع
أننا لا نجد بعد الطبرى من حاول إعادة فحص أو تقدير المادة التاريخية للفترات
التي كتب عنها الطبرى نفسه أي القرون الثلاثة الأولى . ولعله بشهرته واحاطته
كان السبب غير المباشر في ضياع قسم من تلك التدوينات التاريخية الأولى ،
وقد اهتم الناس من بعده بمتابعة عمله من حيث وصل في ذيول بعد ذيول .

وقد أتم الطبرى منهجه التاريخي لهذا بقواعد أخرى اتبעה :

٣ - الإكثار من إيراد النصوص الأدبية من خطابة ورسائل وحوار وشعر
في مناسباتها التاريخية .

٤ - كان يختتم عهده كل خليفة بالأختبار العامة عنه مما لا ينفع للنظام

الحولي ، كوصفه الحسدي وذكر أولاده وأهله ورجال عهده في مختلف الأعمال .

هـ - اتبع في تنظيم مادته النظامين المعروفين معـاً : فلما لم يكن بامكانه اتباع التسلسل الزمني الحولي في الفترات الغامضة السابقة للإسلام فقد أورد لها على أساس المواضيع ، على الشكل الذي يسمى في الإصطلاح *Chronicles* بينما نظم تاريخه في القسم الإسلامي حوليات على السنين أي *Annals* ولم يكن أول من اختر هذه الطريقة فقد سبقه إليها في التدوين التاريخي كثيرون منذ أواخر القرن الثاني . ولعل أولهم هو الهيثم بن عدبي .

وأهم ما يؤخذ على الطبرى في منهجه :

١) ضمور النقد عنده . كان يقف خارج الأحداث وخارج الرواية نفسها في بروز عقلي واضح ، راماً منذ مطلع الكتاب عهدة كل أمر على روائه . وإذا كانت تلك امانة تقدر لعالم الحديث فانها في التاريخ نقطة نقاش . وقد أورد في بعض الأحيان روايات غير معقولة أخذ عليه ابن الأثير ايرادها على صورتها دون نقد وتفكير مع أنها « منافية للعقل » ... ولا يجوز أن تسطر في الكتب ،^(١) ولعله أتفق في منهجه كحدث فلم يعدل رواة التاريخ الذين نقل عنهم كما يعدل المحدثون علماء الحديث . ولقد روى بعض الروايات البيئة الكذب ، فلم يشر إلى ذلك حتى لقد أخذ عليه ابن خلدون نفسه بعض ما روى عن سبب نكبة البرامكة^(٢) ، على أن الطبرى كان أحياناً يقول : « ... والصحيح عندنا » في نوع من التوجيه التقدي . ولم يعتمد من الأصل في التقليل على من كان مظهراً شبيهاً به من أمثال محمد بن السائب الكلبي ، ومقاتل بن سليمان الا في الندرة . واعتمد مؤلفات سيف بن عمر المنحولة على التاريخ لأنها موئق من أهل الحديث بدل الواقعى المشبوه الرواية في نظره .

(١) انظر ابن الأثير - الكامل ج ١ ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) انظر ابن خلدون - المقدمة من ٢٣٠ .

٢) لم يذكر عند النقل من الرواية ، عن أي كتاب من كتبهم ينقل . وللثثير منهم كتب تعد بالعشرات فإذا ذكر المداني لم نعلم عن أي من كتبه الـ ٤٠ يأخذ . وكذلك ما أخذه عن سيف بن عمر وعن هشام الكلبي في كتبه التي تزيد على ٤٠ كتاباً ولو فعل لأعطانا ثبتاً واسعاً ضخماً يلخص الثقافة التاريخية كلها لعصره .

٣) كان يقطع الأحداث بالروايات المتعددة وبالستين على السواء . وبشروع في الحديث إلى أخبار عارضة تقطع الخبر الأصلي مما جعل تاريخه يفتقر إلى الوحدة وارتباط السياق ، وتشتت في الروايات على هواها دون ضابط أو تنسيق ، فلابد أن الحادث لهذا كله صورته الحقيقة الحية .

أما أهم ما يؤخذ على الطبرى في مادته التاريخية فهو :

- ١ - أنه لم يحفظ التوازن بين فترات التاريخ قبل الإسلام وبعده .
- ٢ - أنه أسرف في قبول الإسرائيليات والأوهام الخرافية فيما يتعلق بيدهم والخلق وقصص الأنبياء دون تحخيص .
- ٣ - أن ارتباط الطبرى بالمصادر والأسناد الماضية حرمه فيما يظهر من أن ينظر في أحداث عصره ويجلها بنفسه وهذا جامت صورة الأحداث التي عاصرها باهته في كتابه ولم يتتبه إلى تفاصيل هامة فيها . وظهر القديرون من وزراء عهده وخلفائه في صورة الظلال المعتمة . وقد يكون فهمه للتاريخ على أنه مستودع خبرات الأجيال السابقة فقط سبباً آخر في عدم اهتمامه بجيشه وعصره وظهور نوع من الفسف و والإيجاز في القسم الأخير من تاريخ الطبرى ، وكان مفروضاً أن يكون - مع مكانة الطبرى وخبراته ورحلته في العالم الإسلامي - أهم أقسام الكتاب .
ويؤخذ على تاريخ الطبرى عدا هذا أمور أخرى :

٤ - فقد كان فهمه للتاريخ العالمي أضيق من فهم بعض المؤرخين السابقين له

كالبعقوبي مثلاً أو ابن قتيبة . فتاريخ العالم عنده محدود بالخط الذي يصل ما بين الأنبياء والuhd الباхلي عبر الساسانيين وتاريخ اليمن ثم يأتي التاريخ الإسلامي تزيجاً ضخماً لكل ذلك التاريخ .

٥ - ثم ان فهم الطبرى للتاريخ كان عصوراً بالأمور السياسية خاصة ، وبالشكل الداخلى للدولة بصورة أخص . وإذا كان من الهام في التاريخ الإسلامي مثلاً أن يخصص جانب منه لتاريخ الفتوح التي تلت الفتوح الأولى كفتح الأندلس والعلاقات مع الدول والمناطق غير الإسلامية كالبيزنطية والفرنجية وأحوالهم وأمرائهم ، فإن الطبرى لم يول هذه الأمور أي عناية . وحتى في الأمور الداخلية فقد شغله الحديث السياسى عن أن يسجل أمور الإداره أو القضاء أو الاقتصاد أو المجتمع .

٦ - ومفهوم التاريخ عند الطبرى متأثر بالنظرية الدينية أكثر من تأثيره بالنظرة التجارية ... فهو عنده تعبير عن المشينة الإلهية أولاً ثم مستودع خبرات عليا للأمة الإسلامية تكشف عن وحدة هذه الأمة بقدر ما تبين قيمة تجاربها ووحدة رسالتها التاريخية .

وعلى أي حال فإن ما قد يوجه إلى منهج الطبرى وإلى تاريخه من نقد لا يمكن أن يلغى شيئاً من قيمته كذريخ أول انتهى به العصر الأول للتدوين التاريخي ، وكمؤلف ظلت أجيال المؤرخين في المصور التالية عيالاً على كتابه في كل ما يتصل بالقرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام .

وقد عني الناس بهذا التاريخ منذ صدر أحفل العناية وتتابع الوراقون على نسخه وتنافست مكتبات الملوك والأمراء في اقتناه . ذكر المقريزى أنه كان بجزاته كتب العزيز بالله الفاطمى ما ينفي على عشرين نسخة منه أحداها بخط المؤلف ^(١) . وسرعان ما تتابع المؤرخون في التذليل عليه بين فترة وأخرى .

(١) المقريزى - المخطوچ ١ ص ٤١٨ .

بل يذكرون أن الذيل الأول على هذا التاريخ وضعه الطبرى نفسه ثم ثالت الذيول من عرب بن سعد صاحب «صلة تاريخ الطبرى» حتى الذيل الأخير الذى كتبه الملك الصالح أىوب بن الكامل (المتوفى سنة ٦٤٧) موجزاً فيه جميع الذيول.

وقد اختصر تاريخ الطبرى كثيرون ذكر ابن النديم منهم محمد بن سليمان الهاشمى ، وأبا الحسين الشمشاطى المعلم من أهل الموصل ، ورجل يعرف بالسليل بن أحمد وآخر كاتب يعرف بـ.....^(١) والشمشاطى هو أبو الحسن علي بن محمد العدوى (توفي سنة ٣٨٠) وقد ذيَّل على تاريخ الموصل للأزدي كما اختصر تاريخ الطبرى بمحذف الأسانيد والمكررات ثم زاد عليه بأن تتمه من سنة ٣٠٣ إلى وقته فجاء في ثلاثة آلاف ورقة كما حكاه النجاشى^(٢) كما اختصر الطبرى مع بعض الزيادات عرب بن سعد القرطى فوصل به إلى سنة ٣٢٠ في «الصلة» وتخصمه مع التذليل عليه وكذلك فعل المكين بن العميد في القرن السابع (١٣٤م) . وكما اختصر تاريخ الطبرى مبكراً فقد ترجم كذلك مبكراً أيضاً ومنذ القرن الرابع الهجرى إلى الفارسية . قام بترجمته أول من قام أبو على محمد بن عبد الله البلعى المتوفى في النصف الثاني من ذلك القرن . بأمر من الأمير أبي صالح منصور بن نوح بن نصر السامانى وهي ترجمة اختصرت فيها الأسانيد وأصابته ببعض التصرف . ثم نقلت هذه الترجمة الفارسية إلى التركية في العهد العثمانى مرتين كانت الثانية منها ما بين سنتي ٩٢٨ - ٩٣٨ وطبعت هذه الترجمة الأخيرة في الاستانة سنة ١٢٦٠هـ . كما نقلت الترجمة الفارسية الأولى إلى الفرنسية من قبل زوتبرغ Zotenberg وطبعت في باريس سنة ١٨٧٤ في أربعة مجلدات وترجمت كذلك إلى لغات أخرى .

وبالرغم من هذه العناية البالغة فإن ضخامة الكتاب جعلت اجزاءه العربية

(١) انظر ابن النديم - الفهرست ص ٤٣٥ . والاسم الناقص نبه ابن النديم .

(٢) النجاشى - الرجال من ١٨٧ وانظر أيضاً آغا بزرك - الفريدة المتصانيف الشيشة ج ٣ ص ٩١ - ٩٣ وص ٣٤٠ .

تفرق أيدي سا بين المكتبات . فلما أقبل المستشرقون في القرن الماضي على طبعه طبعة علمية كاملة لم يجدوا منه نسخة واحدة كاملة ، فاضطروا إلى تأليف نسخة متكاملة من الأجزاء المتفروقة وطبعوه طبعة أولى ما بين سنتي ١٨٧٩ - ١٨٩٨ في ثلاثة أقسام بلغت في مجموعها ٢٨ مجلداً .

القسم الأول : الأجزاء المتعلقة بما قبل الإسلام وبالسيرة النبوية والخلفاء الراشدين حتى سنة ٤٤٠ .

القسم الثاني : تاريخ الدولة الأموية تقريباً أي ما بين سنتي ٤١ و ٥٣٠ .

القسم الثالث : ما بين سنتي ١٣١ حتى سنة ٣٠٢ .

وقد ألحقو به في نهاية المتنبِّه من ذيل المذيل في أسماء الصحابة والتابعين للطبرى ، وقسمًا من مختصر عريب بن سعيد سمه : الصلة . كما أتبعوا الطبعة بالفهارس الشاملة . ثم أعيد طبعه مرة أخرى في ليدن ما بين سنتي ١٨٩٧ - ١٩٠١ وكانطبع في الحالين تحت اشراف المستشرق دي غوبه وبلجنة من كبار المستشرقين منهم نولدكه ، وغويدي ، ومولر .

وعلى أساس هذه الطبعة الأوروبية طبع في مصر في المطبعة الحسينية سنة ١٩٢٠/١٣٣٩ ثم في مطبعة الاستقامة سنة ١٩٣٩/١٣٥٨ بعد حذف التعليقات والفالهارس . ثم طبع طبعة أخيرة في دار المعارف بالقاهرة اعتمدت على ما ظهر من المخطوطات الأخرى لأجزاء الطبرى مع نسخته الأوروبية . وقد قام بهذه الطبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ما بين سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٧ . ثم كررها سنة ١٩٩٧ وهي في عشرة مجلدات خصص معظم الجزء الأخير منها للفهارس .

ويبدو أن هذه العناية كلها لم تمنع من ضياع بعض تاريخ الطبرى . فان النسخة الأوروبية ناقصة ، وقد رقعها المستشرقون من التوارييخ الأخرى (ابن الأثير ، والمغازى ، والفتح لابن حبيش) ما بين الصفحتين ٢٣٨٣ - ٢٤١٤ من القسم الأول . ثم جمع دي غوبه ما عثر عليه من نواقص الطبعة في كراس

صغير أصدره بعدها . غير أن هذه النواقص ، ما عُثر عليه منها وما قد يُعْثَر عليه من بعد ، ليست بالتي تشكل نقصاً هاماً في جملة الكتاب أو تقلل من قيمة نسخه المطبوعة المتداولة .

وقد جاء بعد الطبرى مؤرخون آخرون كثيرون ولكن ما كتبوه عن مصدر الإسلام كان يفتقر إلى الأصالة وإلى إمكان عثورهم على مصادر لم يتفق للطبرى أن وقعت تحت يده .

ومن المسعودى إلى مسکوكىه إلى هلال الصابىء إلى ابن الجوزى إلى ابن الأثير إلى سبط ابن الجوزى ثم إلى الذهبي وابن كثير خط طويل من العمل التأريخى يأتى الطبرى دوماً فى مقدمته . وهذا الخط الطويل كان يصدر دوماً عن إيمان واحد بأن ثمة رسالة تاريخية متقدة عبر الأنبياء إلى آخر النبىين ثم إلى الأمة الإسلامية .

وقد كان تطور الكتابة التاريخية جزءاً من التطور الثقافى العام الذى عرفه المجتمع الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى ، وهذا التطور كان إسلامياً صرفاً لم يتأثر بمؤثرات ثقافية أجنبية أى في جوانب ثانوية منه ومحفوظة . وإذا كان التاريخ تعبراً عن مشيئة الله في الناس فقد استخدم للعبرة ولبيان التجارب والخبرات والإجماع وال السنن ، وإذا كان اعتبر منذ البدء علمًا خاصاً أو نوعاً من العلم فإنه بالمقابل عبر عن اتجاه نحو الفلسفة الجبرية و نحو ارتباط الإنسان بقدر الله كما عبر عن شعور متزايد بقيمة الراكم الزماني في تكوين الأمة . وفي هذه القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي لم يوضع علم التاريخ فقط ولكن تحددت أيضاً منهجه وخططه وأساليب كتابته ، في إطار لن تخرج منه إلا "ناماً في العصور التالية" .

الكتاب الثاني

٤٣

التاريخ الإسلامي في السيرة العباسية
ما بين أوائل القرن الرابع وأواخر السابع الهجري



وزارت تحقیقات
کمپیوتر و علوم پزشکی

الفصل السابع

المَلَامِعُ الْمَائِمَةُ لِرَجَالِ التَّارِيخِ فِي الْمَشْرِقِ الْعِيَاضِيِّ

إذا شئنا مراقبة تطور هذا العلم ورجاله عبر المصور الاسلامية المتواتلة والبلاد الإسلامية المتعددة فقد نستطيع أن ندرك شيئاً من ذلك بدراسة سواء في المراحل الزمنية أو في المناطق المختلفة على هدى الأحداث السياسية البارزة . وهكذا نجد أن تطوره بعد القرن الثالث في الشرق يمكن أن يقسم إلى فترتين اثنتين ، بينما اتّحد التاريخ في الأندلس والمغرب تطوراً موازياً آخر ذا طابع على في المواضيع والمادة خاصة لا في المنهج ، وبهذا الشكل :

١ - ندرس أولاً في قسم خاص من الكتاب التاريخ في الشرق ما بين مصر إلى اليمن إلى ما وراء النهر منذ مطلع القرن الرابع حتى سقوط عداد على يد المغول في أواسط القرن السابع سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ م بدخل في ذلك العهد البوهيمي والسلجوقي والخوارزمي في العراق وليران من جهة والمصر الفاطمي ثم الأيوبي من جهة الشام ومصر واليمن من جهة أخرى . وهذه هي الفترة العباسية - الفاطمية .

٢ - ثم ندرس في قسم ثانٍ من الكتاب تطور التدوين التاريخي في المشرق أيضاً ، ما بين أواسط القرن السابع حتى أواخر القرن العاشر . وتلك هي الفترة التي تبدأ بظهور المغول الأيلخانيين ثم الجلاييرية في إيران والعراق من جهة وبظهور المماليك في مصر والشام من جهة أخرى ، ونتهي بالصفويين وآخر التركمان في إيران والعراق وسيطرة العثمانيين على بلاد العرب وهذه هي الفترة المملوكية المغولية - التركمانية .

٣ - ونختص بعد ذلك قسماً خاصاً للتاريخ في الأندلس والمغرب . منذ عهد الأمراء الأمويين والخلافة والأدارسة ثم ملوك الطوائف إلى عهد المرابطين والموحدين والمربيين وحتى ظهور الشرفاء الحسينيين في أواسط القرن العاشر في المغرب .

التاريخ فيما بين أوائل القرن الرابع الهجري وأواسط السابع

الملامح والميزات العامة

بلغ التاريخ ، كعلم ، سن الرشد أي فترة الاستقلال بmadate واسمها ومناهجه ورجاله في أواخر القرن الثالث الهجري وكانت الباكر الأولى من مؤلفاته قد ظهرت منذ أواسط القرن الثاني . ثم ما زال المؤرخون يوفقون بين المواد المستمدّة من السيرة والكتب الاخبارية المتّوّعة وعناصر التاريخ الأجنبي لتنسيقها وإدماجها في رواية تاريخية متّسقة متصلة الزَّمن ، وما زالوا يخضعونها لفكرة تاريخية متزايدة النّمو والوضوح في أبعاد الزَّمان والمكان وتنوع الأمم حتى استكمّل علم التاريخ عناصره : في النهج والمادة والمثابرين وصار عملاً مستقلاً ، بصرف النظر عن مكانه غير البارزة بين العلوم الإسلامية الأخرى

ومن أثر شأنه الأولى في تلك المكانة ونحيف علماء الدين وعلوم الدين عامة
هذا العلم .

ومنذ مطالع القرن الرابع بدأ علم التاريخ ، مسيرةه العلمية المستقلة لحدٍ
كبير مسجلاً طوراً خاصاً جديداً في تلك المسيرة ومتأنراً دون شك بنمو العلوم
الأخرى واتساع نطاق الحضارة المادية وانتشار الورق .

ولإذا كان عمل التاريخ ، حسب المفهوم القديم ، تسجيل أخبار الأحداث
والناس فقد كان دوماً وبالضرورة على صلة بأحداث السياسة وأخبار الرجال
ولا شك أنه تأثر بها أكثر من تأثر أي علم إسلامي آخر . بل لعل الفروع
الثقافية كلها كانت تسير وتطور من وراء الأحداث ومن فوقها ، لا يهم الفقيه
بالحاكم ولا صاحب الفلسفة بالمعارك الخارجية ولا الطبيب باحتلال بلد أو
الفيزيائي بموت أمير ، إلا المؤرخ فإن عينه ويده مرتبطة بالأحداث نفسها
 وبالرجال . ومن هنا قد يكون من الضروري أن نستعرض في أسطر أبرز الملامع
السياسية لهذه القرون المتعددة ما بين مطالع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)
 وأواسط القرن السابع (الثالث عشر الميلادي) .

فقد كانت الخلافة العباسية تجتاز أزمة الخصوع للقواد الأتراء في بغداد
منذ مصرع المتوكل سنة ٢٤٧ حتى ٣٢٤ حين استطاع البوهيمون زرع حكمهم
بعد الاستيلاء على غرب إيران في عاصمة العباسين نفسها وبجانب الخلفاء ولدمة
تزيد على مائة سنة . أما إيران الشرقية فكانت تبنت في الوقت نفسه أسرة محلية
وهي البيت الساماني الذي استمر حتى سنة ٣٨٩ ليحل محله بعد ذلك الفرزنيون .

أما في الجزيرة وشمال الشام فقد ظهر الحكم الحمداني في الموصل وحلب
ما بين سنة ٣١٧ حتى ٣٩٤ ، وأما في الشام البخنوي ومصر فقد كانت الدولة
الطولونية قد تركت البلدين منذ سنة ٢٩٢ ثم ظهر الأخششيديون ما بين سنة
٣٢٣ - ٣٥٨ ثم قدم الفاطميون من أفريقيا (تونس) ففتحوا مصر والشام وامتد
نفوذهم إلى الحجاز واليمن وتقاسم العالم الإسلامي الشرقي خلافان : إحداهما

عباسية سنية في المشرق والأخرى فاطمية شيعية في الشام ومصر حتى اليمن
مدة قرنين تقريباً .

على أن الخليفة العباسية عرفت ، بالرغم منها ، نوعاً من اليقظة السياسية
منذ أواسط القرن الخامس حين تدفق عليها الغزّ الأثراك بزعامة السلاجقة من
سهوب تركستان واستطاعوا سنة ٤٤٧ دخول بغداد والحلول محل البوهين
فيها . وقد توطنوا في قلب الأناضول فيما بين سنة ٤٥٠ - ٤٧٥ كما احتلوا
في الوقت نفسه بلاد الشام مزيجين عنها التفوذ الفاطمي .

ووجشت هذه المنطقة من ساحل المتوسط الشرقي ، في نهاية القرن الخامس
سنة ٤٩٢ بهجوم الفرنجية عليها ، في الحروب المدعومة بالحروب الصليبية والتي
استمرت قرنين (١٠٩٥ - ١٢٩١م) . ونشأت في المنطقة امارات لاتينية أربع
انقرضت إحداها مبكرة لكن الإمارات الأخرى استمرت فترة طويلة قبل
أن تترى . وفي أواسط القرن السادس استيقظ الشرق الإسلامي يقطة قادها
البيت الزنكي في مثلث الموصل - حلب - دمشق ثم ظهر صلاح الدين والبيت
الأيوبي فألغى الخليفة الفاطمية وحل محلها في ما بين اليمن والقاهرة إلى دمشق
واللى الجزيرة الشامية . واستمر هذا البيت يحكم المنطقة حتى سقط في مصر
بانقلاب المماليك عليه سنة ١٢٥٠ وسقط تحت ضربات المغول في الجزيرة
والشام سنة ١٢٦٠ .

أما في العراق وإيران فقد ظل التفوذ الساجوفي موجوداً حتى أواسط القرن
السادس (سنة ٥٥٢ خاصة) ثم زال من معظم المناطق وحل محله في أقصى
الشرق الدولة الغورية ما بين سنة ٥٤٣ - ٦١٢ وهي غرب إيران دول صغرى
تدعى بالدول الأتابكية ، ما لبثت أن ابتلعتها شيئاً فشيئاً الدولة الخوارزمية التي
كانت نشأت في خوارزم سنة ٤٧٠ وببلغت أوجها في عهد علاء الدين خوارزمي مشاه
ما بين سنة ٥٩٦ - ٥١٧ ولكنها سقطت رغم جهود جلال الدين منكوري
تحت سبابك المغول سنة ٦٢٨ . وقد تغير مصير المنطقة كله فجأة بدخول هذا

العنصر الجديد المتمر إليها ، عنصر المغول الذين تحركوا منذ مطالع القرن السابع فدخلوا بعد سلسلة هجمات إلى قلب العالم الإسلامي وبعد أن دمرت الدولة الحوارزمية الغوريين جاء المغول فدمرواها ثم أتوا على خلافة بغداد سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ ثم على الإمارات الأيوبية كلها ، حتى أوقفهم المالك في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ بعد ستين من سقوط بغداد .

سجل التاريخ الإسلامي هذه الأحداث العاصفة التي رأى فيها خلفتين إسلاميتين تعشان وتنتهيان ، وثلاثة هجمات غربية مدمرة : اثنان من الشرق السلاجقة ثم المغول وواحدة من الغرب : الفرنجية ، وما رافق كل ذلك من هزّات كما سجل في الوقت نفسه بعض الوجه الآخر الحضاري أيضاً ، من أجيال علمية وفكرية خلال هذه القرون .

وبالرغم من أن الفترات التاريخية الطويلة تمنع عادة على الدقة الشديدة في الملاحظات وتعطي الدراسة طابع التعميم المخلّ ، وبالرغم من أن الفترة التي ندرس تمتد ثلاثة قرون ونصف القرن لكننا قد نستطيع أن نعطي علم التاريخ في هذه القرون حجمه وملامحه من خلال النظر في رجاله ومادته ومناهجه وأهدافه في مختلف مدارسه الإقليبية .

رجال التاريخ

في هذه الفترة الطويلة دخل ميدان التاريخ أنواع شتى من الرجال قد يزيدون على الألف عدداً ويختلفون في الوظيفة الاجتماعية اختلافهم في التكوين العلمي والاهتمامات الفكرية وفي العنصر القومي والمذهب الديني وفي الإقليم السككي ، على أننا قبل الالتفاف في الدراسة يجب أن نقدم بين أيديها ملاحظات أساسية ثلاثة :

الأولى : أن العالم الإسلامي كله كان مجالاً مفتوحاً وحرّاً لرحلة أي عالم من

منطقة إلى أخرى حتى لقد ندر من العلماء من استقر في بلده . وكانت الرحلة خاصة إلى العاصمة الكبرى وبصورة أخص إلى بغداد أم الدنيا .

الثانية : أن العلماء المسلمين كانوا عقولاً مفتوحة للاختصاصات المتعددة حتى لقد ندر أن عرف عالم بفرع واحد من فروع العلوم .

الثالثة : أن النوع القومي خاصة والإقليمي والمذهبي لم يكن يأخذ المعانى الحاسمة الحادة التي قد تفهمها منها اليوم . وكانت الرابطة الإسلامية حتى بالنسبة لبعض المؤرخين من أهل الكتاب - أقوى من أن تدفعهم إلى التجريح أو التهجم أو إلى تعمد تسجيل المساوىء دون الحسنات .

١ - في عدد المؤرخين وتوزعهم الزمني والمكاني

ليس ثمة من إحصاء أو شبه إحصاء لرجال هذا الفرع العلمي العايم في الثقافة الإسلامية ولا لغيره ولو وجد مثل هذا الإحصاء لأعطي على الأقل فكرة عن مدى اهتمام الحضارة العربية الإسلامية بالتاريخ والأمكن بالمقارنة العددية مع رجال العلوم الأخرى بيان مدى قيمته ومكانته من الفكر والناس . على أنها قمنا في حماولة مخلودة بإحصاء تقريري لمؤرخي ما بين القرن الرابع ونهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ وفي المشرق الإسلامي وحده فإذا بين أيدينا من الأسماء ما يزيد على ألف ومائتي اسم ، ولو دفعنا التفصي إلى مدى أبعد لوصل الرقم إلى زيادة مائة أخرى في الغالب وربما وصل المائتين وهو رقم ضخم يجعل المعدل أكثر من ثلاثة مؤرخين في السنة الواحدة .

ولا يتوزع هؤلاء المؤرخون التوزع المتفرق ما بين أقطار ومدن المشرق الإسلامي كما لا يتوزعون التوزع المتوازن عبر السنين والقرون . فثمة مراكز جذب ونکائف جغرافية كانت تجتذبهم إليها كثمة فترات زمنية ، ديناميكية

الحركة والفكر ، كانت تعلمهم بالأعداد الوفرة .

ولذا كنا نستطيع بصورة عامة أن نقول إن مراكز هؤلاء المؤرخين كانت المدن الكبرى فإن نسبة هذه المدن منهم كانت بدورها تفاوت . ويجب الفحص لا وراء الأسباب السياسية فقط ولكن وراء الأسباب الاقتصادية أحياناً والفكرية لتحليل اختلاف التكاثف في أعداد المؤرخين بين بقعة وأخرى ولتحليل ظهور التاريخ أيضاً في شعوب لم تكن في الأصل ذات اهتمام تاريخي .

وقد كان طبيعياً أن تكون بغداد - بسبب من مكانها السياسية والدينية والعلمية - أكبر مركز للتدوين التاريخي في المشرق الإسلامي لأنّه ما من عالم كبير إلا رحل إليها في طلب العلم أو قصدها ليشهر ويُعرف على النطاق الإسلامي الأوسع .

وبالرغم من أن الفسطاط (ثم القاهرة) كانت مركز دولة ثم خلافة مستقلة وكان لها مركزها العلمي الضخم إلا أنها لم تتنافس ببغداد في أي مجال من مجالاتها، ومن ذلك التاريخ . وربما كان للطابع الفاطمي الشيعي أثره في عدم منافسة القاهرة لها في جذب العلماء المسلمين . وقد تلت بغداد في كثرة المؤرخين مدن عدّة ، وخاصة ما كان منها مراكز دول شبه مستقلة سواء في إيران أو الشام كما تلتها مصر . على أن الكثرة الواضحة كانت في إيران وخاصة في مرو ونيسابور وأصفهان وتلي ذلك القاهرة الفاطمية دون باقي مدن القطر المصري ثم تأتي في العدد بلاد الشام (في دمشق وحلب خاصة) ثم بلاد العراق (في الكوفة والموصل خاصة) وتأتي في النهاية بلاد اليمن . أمّا الحجاز فينقطع التاريخ تقريباً له منذ القرن الرابع إلا ما يصدق به عليه المؤرخون الطارئون تكريماً للمدن المقدسة وتعريفها بها . وهكذا فإن ثلاثة أربع المؤرخين كانوا من بغداد أو كانوا على صلة بشكل أو باخر معها . وبخاصة منهم مؤرخو إيران الذين يختلطون لهذا السبب مع مؤرخي العراق ويؤلفون معهم جمهوراً يزيد عن ثلثي المؤرخين في هذه الفترة^(١) .

(١) آثراً هنا على المعطيات الرقمية الإحصائية لهذه التقديرات واكتفينا بالنسب المترتبة التي -

وليس عجياً بعد هذا أن نرى أن كافة المؤرخين الكبار ، ذوى السمعة التاريخية المعروفة والآثار الصخمة الباقيه إنما كانوا عراقيين ، ولم يظهر بعد الطبرى – الذى عاش واشتهر في بغداد على أي حال – أي مؤرخ كبير وعلى المستوى الاسلامي الأوسع لا في إيران ولا في الشام ولا مصر . ذلك أن بغداد وال العراق كانت تلخص وتتمثل علم العالم الاسلامي كله .

وأما من الناحية الزمنية فالظاهرة الواضحة هي تكاثف المؤرخين وتكاثرهم في القرن الرابع خاصةً وفي النصف الأول من القرن السابع . وإذا كان القرن الرابع قرن الحgrave؛ العربية فإنه كذلك قرن التاريخ . اهتمام الناس بعملية التدوين التاريخي وإقبالهم عليها كان في الواقع جزءاً من تلك الفعالية الواسعة التي شملت جميع نواحي الحياة وجميع فروع المعرفة في ذلك القرن الذي يمكن أن يعتبر فترة الأوج والنضج في الحضارة العربية الاسلامية . وكثرة الألوان والأنواع التاريخية التي ظهرت فيه إنما كانت نتيجة لاغرارات التطلع العلمي الموسوعي الذي طبع بطابعه ذلك القرن . ولم يكثر عدد المؤرخين فقط ولكن كانوا أيضاً أحسن فهماً لمعنى التاريخ وهدفه . ثم نجد بالمقابل أنه لا تقل اعدادهم في القرنين التاليين الخامس والسادس فقط ولكن يسوء أيضاً « نوع » التسجيل التاريخي . يختفي فيه الانفتاح والموسوعية ويزيل التقليد . وهذا السبب فيما يظهر يفسح الكثير منه . فإذا جاءت أو اخر القرن السادس وجاء النصف الأول من القرن السابع أصحاب التاريخ نوع من اليقظة وعاد المؤرخون إلى التكاثر الواضح . ولعل السبب في ذلك هو تلك اليقظة السياسية الحضارية التي أصحاب المشرق الاسلامي من جراء التحدى الفرنجى العصليي من جهة ثم التحدى المغولي من الجهة الأخرى . كان ظهور الزنكينيين والأيوبيين أولًا ثم ظهور الحوارزميين جواباً على التحدىين يستحق التسجيل ، كما كان دافعاً – فيما يبدو – للعودة إلى النظرة العالمية ، ولعل هذا هو السبب في ظهور المؤرخين الكبار في مطالع هذه

- نحسب أنها تؤدي الغرض الذي نقصد في توزيع المؤرخين الجغرافي .

الفترة (كالطبرى والمسعودى) وفي أواخرها (كابن الأثير وسبط ابن الجوزى).

٢ - في الوظيفة الاجتماعية

كان التاريخ حتى عصر الطبرى من ميادين العاملين بالثقافة والعلم ومقصورةً بالذات على رجال علوم الدين خاصةً أو اللغة على قلة ... لم يحاوله أحد غيرهم إلا أنه منذ القرن الرابع انضم إلى الفقهاء والمحدثين واللغوي في رواية التاريخ وتلبيته مجموعات أخرى عديدة الت نوع من العلماء.

صحيح أن الأسماء اللامعة والهامة من المؤرخين في هذه القرون كانت تضم جماعة واسعة من الفقهاء والمحدثين المشهورين منهم : في إيران الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) وأبو نعيم الأصبهانى . وابن منه (ت ٤٧٠) وشيروىه ابن شهريار (ت ٥٠٩) والنسفى (ت ٩٣٧) صاحب الفند في تاريخ سمرقند (٢٠ مجلداً) والتيسى الأصبهانى (ت ٥٣٨) مؤلف سير السلف . وابن فندق ظهير الدين البهيفي . والرافعى (ت ٦٢٣) صاحب التدوين في أخبار قزوين ...

ومنهم في العراق الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣) وابن ماكولا ساحب الإكمال (ت ٤٨٣) وابن عقيل (ت ٥١٣) صاحب كتاب الفنون في أكثر من أربعين مجلد وسمعاني صاحب الأنساب وذيل تاريخ بغداد والمجمع الكبير ، وابن الأزرق الفارقى (توفى بعد سنة ٥٧٦) والإمام ابن الجوزى . وابن الأثير . وابن نقطة (ت ٦٢٩) صاحب إكمال الإكمال ، ومحب الدين بن التجار (ت ٦٤٣) صاحب ذيل تاريخ بغداد (١٧ مجلداً) وابن الدبيبي (ت سنة ٦٣٩) صاحب الذيل الآخر . وابن دحية وغيرهم .

ومنهم في الشام : أبو الحسين الرازى (المتوفى سنة ٣٤٧) والسمساطى (المتوفى سنة ٤١٧) وابن الأكفانى هبة الله (ت ٥٢٤) وابن عساكر وابن قدامة المقدسى (ت ٦٢٠) وابن سعادة اللبودى (ت ٦٣٧) وابن العدين وسبط

ابن الجوزي وبهاء الدين بن شداد وابن أبي أصبيعة وأبو شامة . وابن عبد الدائم (ت ٦٦٧) ...

ومنهم في مصر : المؤيد الشيرازي الداعية ، وابن منجب الصيرفي ، والسلفي صاحب معاجم الشيوخ (ت ٥٧٦) والمنذري صاحب التكملة... وغيرهم . صحيح هذا كله لكننا نجد بجانب هذا الرعيل الواسع مجموعات أخرى متنوعة أيضاً أهمها :

(أ) الموظفون من عمال الدواوين والكتاب ورجال البلاط حتى الوزراء وقد كان رجال هذه الطبقات الرسمية ذوى شأن خاص في النظام السياسي وعلى اطلاع أكثر من غيرهم على دخائل الأحداث كما كانت تحت أيديهم محفوظات الدولة ووثائقها وكان بعضهم هو من صانعي تلك الأحداث وكتاب تلك الوثائق وكان في ذلك كله ما يغري الكثير منهم بكتابة التاريخ وخاصة في تلك الفترات التي عاشها الكاتب أو أتبع له الاطلاع على دخائلها . وإذا نجم عن ذلك تغيير واضح في أسلوب التاريخ وفي مادته وروحه إذ غاب فيه السند وكثُرت فيه الوثائق فقد أسهם ذلك في تكريس ظهور «التاريخ» كعلم للمعلومات العامة وأسهם خاصة في إعطاءه الطابع المدنى (Profane) بدل الطابع الديني .

ذلك أن هؤلاء الموظفين الكبار من الوزراء ومن كتاب الديوان خاصة انصب اهتمامهم على تاريخ الأحداث السياسية يسجلونها مع وثائقها ، وقد نجد أحياناً أن الفقيه والمحدث قد تنحى عن مكانيهما أحياناً في تدوين التاريخ السياسي فقط وظلا على استئثارهما بكتابة التراجم وابقاء هذا الميدان تحت نفوذهما فترة طويلة . وإذا كان التاريخ السياسي أكثر قرباً إلى معنى التاريخ لا سيما بعد تحوله إلى حواليات عن الأسر المالكة وحوادث الحكام فإن وجهة نظر رجال الدين تجعل تراجم «العلماء» (وهم) ورثة الأنبياء » أصدق تعبيراً عن التاريخ الحق للأمة الإسلامية من النظم السياسية الزائلة^(١) التي تشوب أخبارها الأعمال

(١) انظر جب - الموسوعة الإسلامية - مادة تاريخ (في الترجمة العربية ج ٤ ص ٤٩٦) .

المنافاة للدين في كثير من الأحيان .

وهي كما يبينا نجد السلسلة القديمة من المحدثين ورجال الدين والرواة المؤرخين مستمرة وتهتم بالترجم خاصية نجد أن مجموعة أخرى قد نشأت بجوارها من كبار الموظفين وقد قدمت الكثير من الإنتاج التاريخي الممتاز . ويأتي في طليعة المجموعة مسكونيه ، والصولي وثابت بن سنان ثم هلال الصانيه والروذراوري في العراق ، والبيهقي أبو الفضل محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٧٠ صاحب تاريخ بيهق الذي يزيد على ثلاثين مجلداً . والطالبي صاحب الفرق ، والعبي (ت ٤٢٧) صاحب اليميني ونظام الملك الوزير من إيران ، والمبسيحي الوزير وابن أبي مررم والقاضي القضايعي من مصر ، وكل هؤلاء فيما بين القرن الرابع والخامس ويستمر الأمر ويتسع في القرنين التاليين :

ففي في الشام ابن زريق التنوخي (المتوفى بعد سنة ٥٠٨) وحمدان أبي الفوارس بن أبي الموفق (المتوفى سنة ٥٤٢ أو سنة ٥٥٤) والحسكفي القاضي المرتضى (ت ٥٤٩) وابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق (ت ٥٥٥) ، والعظيمي صاحب تاريخ حلب (توفي بعد سنة ٥٥٨) والعماد الأصفهاني الأديب المعروف (ت ٥٩٧) والقاضي العماد الأصفهاني أيضاً صاحب السنن الجامع وابن عنين الوزير الشاعر (المتوفى سنة ٦٣٠) وابن المستوفى صاحب تاريخ اربيل (ت ٦٣٧) وابن نظيف الكاتب الحموي (ت بعد ٦٣١) وابن أبي الدم الحموي (ت ٦٤٢) وابن حمويه الحموي (ت ٦٤٢) .

ونرى في العراق وإيران : السنناني أبي القاسم (المتوفى سنة ٤٩٩) والباثاني أحمد بن محمد (ت ٥٠١) والإقلidi صاحب كتاب الوزراء (ت ٥٠٧) وابن بابه الكاشي (ت ٥٤٤) وشهردار بن شهرياره (ت ٥٥٨) وابن حمدون صاحب التذكرة (ت ٥٦٠) . وأبا غالب الشيباني الكاتب صاحب الذيل على الطبرى (ت ٥٩٧) وابن الأزرق الفارقى (ت بعد سنة ٥٧٦) وابن فندق ظهير الدين البيهقي (ت ٥٦٥) والمتجميقي الحراني (ت ٦٢٦) والقيليوي البغدادي (ت ٦٣٣)

والبنداري الأصفهاني (ت ٦٤٣) والنسوي شهاب الدين محمد (ت ٦٤٧) والزبيدي (ت ٦٤٧) وابن الشعار الموصلي (ت ٦٤٥) صاحب عقود الجمان . ونرى في مصر : القاضي الرشيد ابن الزبير (٥٦٢) وابن مسلمة الكاتب وابن منجب الصيرفي (ت ٥٥٠) وابن الطوير القيسراني . وابن ظافر الأزدي (سنة ٦١٣) والقاضي الفاضل (٥٩٧) وابن وصيف شاه (ت بعد ٦٠٦) وابن مماني (ت ٦٠٦) والقفطي الوزير (ت ٦٤٦) ...

(ب) وقد دخل في جوقة التأليف التاريخي أيضاً بعض الأمراء والملوك في هذه الفترة ومنهم : الأمير منصور ابن شاهنشاه الأيوبي صاحب مضمار الحقائق وابن ماكولا الأمير الوزير صاحب الأكمال ، وابن ندى الجزري والأمير العباسى أبو الحسن يوسف (ت ٦٥٦) وابن أبي الهيجاء وابن مأمون البطائحي وأسمة بن منتد ، بل ثمة خبر يذكر أن ملك شاه السلطان السلاجوقى كتب رسالة يصف بها مملكته^(١) ويروى أخباره كما أن نور الدين محمود بن زنكى كتب كتابين أحدهما في الجهاد والثانى هو الفخر النورى^(٢) . وقد نقل ابن أبيك الدواداري عن كتاب تحفة القصر فى عجائب مصر الذى ينسب إلى العاصد الفاطمى^(٣) آخر الخلفاء الفاطميين . كما نقل ابن أبي أصيحة بعض أخبار الحارث ابن كلدة الطيب عن كتاب البستان الذى ألفه الخليفة العباسى الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢)^(٤) . وأمّا ابن المعتر فمعروف التأليف وله في التاريخ الأدبي كتاب طبقات الشعراء وغيره .

ويلحق بهذه الطبقة بعض الاشراف من العلوين وآل بيت النبي الذين اهتموا خاصة بعلم الأنساب وألقوا فيه المؤلفات الضخمة التي بلغت أحياناً

(١) البغدادي - هدية المارفرين ج ٢ ص ٤٧١ .

(٢) انظر سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان ج ٨ ص ٣١٣ .

(٣) انظر ابن أبيك - كنز الدرر - الدرة المثنيج ج ٦ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٤) انظر ابن أبي أصيحة - طبقات الأطباء (ط . بيروت ١٩٦٥) ص ١٦٥ .

١٠ و ٢٠ مجلداً ، كابن عبد الصمد الماشمي (أواسط القرن السادس) والشريف العابد الدمشقي وابن زهرة الحسيني الحلبي (بعد سنة ٥٨٠) وابنه القاضي الزيدى والجوانى نقيب الاشراف (سنة ٥٨٨) والادريسي الاسكتدرانى (سنة ٦١٠) وأبو طالب الماشمى (٦٢١) وعزيز الدين العلوى المروزى (٦٣٢) صاحب حظيرة القدس في ٦٠ مجلداً .

(ج) ولم يقتصر ميدان التاريخ على هؤلاء وأولئك من الفقهاء والمحاذين من جهة أو رجال الإدارة والسياسة من جهة أخرى ، ولكن دخله كذلك أصحاب المهن الحرة بل والأعمال المهنية الصغيرة المحدودة الدخل .

فقد ظهر مثلاً عدد من الأطباء المؤرخين من جملتهم : سعيد بن البطريق (ت سنة ٣٢٨) الذي اشتهر بالطب شهرته بالتاريخ ، وابن بطلان (المتوفى بعد سنة ٤٥٥) وابن جرير التكريتى (ت ٤٧٢) صاحب زيج التوارىخ . وابن شراره الحلبي (ت ٤٩٠) . وابن أبي صادق النيسابوري (حوالى ٤٧٠) . وابن جزلة أبو غالب (ت ٤٩٣) . وابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز المصرى (ت ٥٢٩) . وابن المارستانية (ت ٥٩٩) الذي وضع تاريخ بغداد في مائة مجلد . وابن أبي أصيحة صاحب طبقات الأطباء وابن زقيقة الشيباني (ت ٦٣٥) والدنيسري (ت بعد ٦١٥) صاحب تاريخ دفسر . وابن اللباد عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩) ... الخ .

وظهر في المؤرخين كذلك بعض أصحاب المهن المتواضعة من النساجين والوراقين والفرصين الشروطيين : ومنهم مثلاً : أبو الحسين ابن القواس الوراق (من القرن الخامس) ومحمود الوراق (بعد ٤٥٠) . وشجاع الذهلي الوراق النساخ (ت ٥٠٧) الذي ذيل على تاريخ بغداد . وأبو اسحق الحبالي الوراق ، وابن حنظلة وأولاده باعة الكتب (القرن السابع) وابن شنيف أبو الفضل الكتبى (ت ٦٤٠) .

وقد برز من هؤلاء خاصة جماعة قفزوا إلى الصاف الأول في المؤرخين :

فابن النديم (ت ٣٨٥) صاحب الفهرست ، أهم كتاب في تاريخ العلوم الإسلامية حتى أواخر القرن الرابع ، كان ورافقاً . والمؤرخون الثلاثة الأواخر الذين كانوا آخر من ذيل على الطبرى في القرنين السادس والسابع كانوا من هذه المجموعة ، فالمدائى محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١) صاحب تكملة تاريخ الطبرى كان فرضياً . وأبو الفرج صدقة الحداد (ت ٥٧٠) كان فرضياً ناسخاً والقادسي محمد بن أحمد كان كتبياً (ت ٦٣٤) . ومثل هؤلاء كان أبو شجاع محمد بن الدهان (ت ٥٩٢) فهو فرضي منجم ، والخطيرى أبو المعالى سعد ابن علي دلال الكتب (ت ٥٦٨) وهو صاحب زينة الدهر .

ولعل أبرز المؤرخين النسخين اثنان هما ابن أبي طي (ت ٦٢٦) المؤرخ الصخم الذي كتب أربعة عشر مؤلفاً في التاريخ بعضها في مجلدات عديدة ولم يبق من أعماله أي كتاب . وياقوت الحموي التاجر النسخ الذي كان ينسخ الكتب ويتاجر بها وبغيرها والذي ترك للتراث الإسلامي أشهر معجمين للبلدان والأدباء .

وبالرغم من المفارقة الظاهرية بين النشاط العلمي والاقتصادي فقد وجد بين المؤرخين أيضاً بعض التجار من أمثال : ابن المجاور الدمشقي (ت بعد ٦٣٠) صاحب تاريخ المستنصر ، وأبي الثناء الحراني (ت ٥٩٠) صاحب تاريخ حران .. والعيسى أبي الخطاب (ت ٥٧٤) المعروف بابن حوائج كاش . كما أن ياقوت الحموي نفسه كان يعمل بالتجارة مع التأليف والنسخ .

(د) وأخيراً فئة ظاهرة في التأليف التاريخي لا بد من تسجيلها هي ظهور أسر مؤرخة ، كما كانت ثمة أسر يتوارث رجالها العلم والفقه والحديث . ولعل هذا من ذاك . وتواترت الاهتمام التاريخي كان يستمر عدة أجيال أحياناً في الأسرة الواحدة . وغالباً ما كانت هذه الأسر ، من تلك التي توارث « الوظائف » الحكومية أو جاه المكانة العلمية والوظائف الدينية . ومن تلك الأسر مثلاً :

- آل الجراح : وهي أسرة كتاب ووزراء ظهر منها ما بين أواسط القرن الثالث وأواسط الرابع عدة كتاب مؤرخين كداود بن الجراح كاتب المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ / ٨٦٢ - ٨٦٦) ثم ابنه محمد بن داود ، ثم حفيده على بن عيسى بن داود (المتوفى سنة ٣٣٤) وزير المقتدر وابن الحفيد الآخر أبي القاسم عبد الله بن علي بن محمد بن داود (المعروف بابن أسماء وهي اخت على بن عيسى) ...

- آل الصابيء : وهي أسرة الكتاب الصابية التي قفت معظم أيام بروزها وخدمتها للخلافة العباسية وهي على دينها الأول . وكان منها : أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابيء (المتوفى سنة ٣٨٤ / ٩٩٤) ثم حفيده الذي خلفه أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم (المتوفى سنة ٤٤٨ / ١٠٥٥) وقد أسلم في أواخر حياته وجاء من بعده ابنه المؤرخ الثالث في الأسرة محمد غرس النعمة (المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٦) ...
- ومن مثل هذه الأسر الكتابية المؤرخة ولكن على جيلين مثلاً : ابن أبي طاهر وابنه عبد الله ، وثبتت بن سنان بن قرة ثم ابنه سنان.. وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وابنه محمد الذي عمّ كتاب أبيه في التاريخ إلى سنة ٣٠٠^(١) .

وأما من أسر الفقه والعلم فهناك مثلاً :

- آل السمعاني أسرة العلم المروزية : وإذا كان أشهرهم هو عبد الكريم ابن محمد بن أبي المظفر منصور (المتوفى ٥٦٢ / ١١٦٧) فإن آباء (المتوفى سنة ٥١٠) وجده من قبله قد شاركا في التأليف التاريخي كما شارك به ابنه عبد الرحيم من بعد وقد توفي سنة ٦١٤ .

- آل البناء : وهم أسرة بغدادية واسعة من الفقهاء الختابلة وكان منها

(١) ابن النديم ص ١٤٧ وص ١٢٤ .

عدد من المؤرخين أصحاب الماجم والتعليلات التاريخية ، منهم :
أبو علي الحسن بن أحمد (المتوفى سنة ٤٧١ / ١٠٧٨) صاحب التعليق ،
وأبو غالب أحمد بن أبي علي الحسن (المتوفى سنة ٥٢٧ / ١١٣٢) .

ـ آل أبي جراده : أسرة القضاة الحلبين .. وأبرز أبنائها كان في آخرها
نقيباً وهو كمال الدين عمر بن العديم المؤرخ الذي كشف في مؤلفه
عن أسرته ، وفي مؤلفه التاريخي الواسع بغية الطلب عن إسهام أبيه وجده
وعصمه في التدوين التاريخي .

ـ آل المقدسي : أسرة الفقهاء الحنفي في دمشق منذ أواسط القرن السادس
إلى ما بعد أكثر من قرنين وقد برز منها في التاريخ والترجم خاصه
تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد (المتوفى سنة ٦٠٠ / ١٢٠٤)
وابن قدامة وموافق الدين عبد الله بن أحمد (المتوفى سنة ٦٢٠ / ١٢٢٣)
وابن قدامة الآخر أبو العباس أحمد بن عيسى (المتوفى سنة ٦٤٣ / ١٢٤٤)
وضياء الدين محمد بن عبد الواحد (المتوفى أيضاً سنة ٦٤٣ / ١٢٤٤) .

ـ آل عساكر : وقد كان أولها أبرز الرجال فيها وهو ابن عساكر صاحب
تاريخ دمشق (المتوفى سنة ٥٧١ / ١١٧٥) ثم جاء ابنه من بعده (المتوفى
سنة ٦٠٠) فأضاف على مؤلف أبيه كما حاول التاريخ من بعده ابن
أخيه أبو سعد عبد الله بن الحسن وقربيه الآخر نظام الدين أبو سعد
علي (المتوفى سنة ٦٤٥) .

ـ ومن الأمور : آل الجوزي وقد أطلعت اثنين كلاهما من كبار المؤرخين
في الإسلام : أبو الفرج عبد الرحمن (المتوفى ٥٩٨) وبسطه يوسف
ابن قرأوغلو المعروف ببسط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤) .

ـ والأمراء من آل منقذ : إخوة وأبناء وأحفاد أسامة بن منقذ (المتوفى سنة
٥٨٤) . فقد عمل هو على التاريخ كما عمل إخوته الثلاثة : علي بن مرشد
(المتوفى سنة ٥٤٥) وأبو عبد الله محمد ، وأبو المغيث منقذ (المتوفيان

في أواسط القرن السادس) وعمل عليه كذلك مرهف بن أسماء (المتوفى سنة ٦١٤) والحفيد مرهف بن مرهف .

٣ - في التكوين العلمي والاهتمامات الفكرية والمذهبية

(أ) لم يكن التكوين العلمي الأول لمختلف المؤرخين متفقاً أو متشابهاً، فقد جاءوه من أبواب مختلفة وعبر تكوّنات ثقافية متعددة . بلى ! كانت القاعدة الثقافية للجميع تقوم على أساس من العلوم الدينية ، باعتبارها القاسم المشترك بين مختلف المسالك إلى العلوم : والجانب الإجباري في عملية التربية ومواد التعليم كانت هي « العلم » . ولكن التميز والاختصاص بالتاريخ لم يكن نتيجة الدراسة والانصراف العلمي كالمحدث والفقه أو الفلسفة أو الطب بقدر ما كان نوعاً من الهواية المباحة والميدان الآخر يمارسه الكثيرون دون استعداد مسبق في كثير من الأحيان .

وإذا كان بين المؤرخين ، في هذه الفترة العباسية – الفاطمية عدد كبير من المحدثين والفقهاء الذين ملأوا الميدان التاريخي بالترجم خاصّة ، فقد وجد أيضاً عدد واسع من ذوي الثقافة الأدبية والشعرية : من أمثال : الشاعري صاحب البيتية وذيلها (ت ٤٢٧) والباخرزي صاحب دمية القصر (ت ٤٦٧) وأبي الفضل البهيمي صاحب تاريخ بيهق والأبيوردي الشاعر (ت ٥٠٧) وهلال الصابيء وابنه محمد غرس النعمة والخطيري الأديب (ت ٥٦٧) والعماد الأصبهاني ، والقاضي الفاضل ، وأسماء بن منقد وابن عنين الشاعر وابن القلاني ، وابن نظيف الأديب الشاعر وابن شاهنشاه الأبيوي وابن حمدون الكاتب والقاضي الرشيد ابن الزبير (ت ٥٦٢) والعظيمي الشاعر (ت بعد ٥٥٨) وبسط ابن العوايني (ت ٥٨٤) وعمارة اليمني (ت ٥٦٩) وابن الشعار الموصلي وأبي النصر العتبني .

كما وجد بينهم عدد من اللغويين والتحويليين والقراء ومنهم : المجاشعي

(ت ٤٧٩) صاحب كتاب الدول (٣٠ مجلداً) وأبو بكر الباطرقاني المقرئ (ت ٤٦٠) صاحب تاريخ القراء . والأنسيكي أبي الوفا (ت ٥٢٠) وأخوه أبو رشاد (سنة ٥٢٦) والمانداني أبي العباس أحمد (ت ٥٥٢) وابن هلال الصعيدي النحوي (ت ٥٢٠) صاحب خطط مصر . وابن الأنباري اللغوي النحوي (ت ٥٧٧) والطوافقي محمد الدين النحوي (ت ٦١٧) .

ويعضمهم دخل التاريخ عبر علوم الأوائل وعلى أساس من الثقافة الفلسفية أو الطبية . وقد تميز هؤلاء عامة بنظرية أعمق وأشمل في التدوين التاريخي وحاول بعضهم فلسفته كما حاول بعضهم الجمجمة بينه وبين الكون والوجود بنوع من الصلة والتسلسل . ويزخر في هذا الميدان قدامة بن جعفر صاحب كتاب الخراج وزهر الربيع في التاريخ . والمسعودي الذي نثر معلوماته الدينية والفكيرية الغزيرة في كل مكان من مؤلفاته . ومسكويه صاحب تجارت الأمم الذي درس الكيمياء والفلسفة والمنطق والأدب . وابن الداية (ت ٣٣٩) مؤرخ ابن طولون والوزير عن الملك المسيحي (ت ٤٢٠) الكاتب المنجم والذي كتب تاريخ مصر في ١٣ ألف ورقة (٢٦ ألف صفحة) تنتهي حوارده سنة ٤١٦^(١) ، والمظہر المقدسي صاحب البدء والتاريخ . وابن البداء عبد اللطيف البغدادي وأغاييوس النبجي صاحب العنوان الكامل للحكمة ، وابن فندق ظهير الدين البيهقي صاحب مشارب التجارب وتنمية صوان الحكمة (ت ٦٥) ، والطرطوشي أبو بكر (ت ٥٢٠) وابن أبي أصبيعة الكحال .

(ب) ومن جهة أخرى فيمكن أن نلاحظ في هذه الفترة العباسية – الفاطمية أن التاريخ كادة علمية أخذ يستفرق جهد بعض العلماء جمعه : يمعنى أنه أصبح موضوع نشاطهم الفكرى الوحيد أو الرئيسي وليس أحد النشاطات المهمashية أو الثانوية . فالمسعودي مثلاً كان يبحثه وانتاجه كله منصبًا على المواضيع

(١) ثمة في مكتبة الاسكندرية جزء منه . وكتاب تاريخ مصر واحد من حوالي ثلاثة مئة مجلد منها تراوح أوراقه ما بين ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لف ورقة .

التاريخية الفكرية وابن زولاق رغم فتقه لم يترك سوى مؤلفات في التاريخ وبها اشتهر . وكذلك هلال الصابيء والروذراري والبيهقي وابن القلansi وابن الطوير الشيباني والقططي وابن العديم . وقد مزج بعضهم معه الشعر : كالعظيمي وابن عنين وابن نظيف .

وبعضهم حمل بسبب من عنايته بالتاريخ لقب : التاريخ أو التاريخي . وإذا كان أحمد بن محمد الرازي قد حمل لقب التاريخ في الأندلس ففي المشرق عرف : محمد بن اسماعيل (القرن السادس) بلقب : التاريخ لكثره اشتغاله به . وكان يحيى بن علي بن عبد اللطيف المعربي (القرن السادس) يعرف « بتاريخ الشام » .

ومن الملاحظات الظاهرة في هذا المجال أن نموذج المسعودي ومسكويه اللذين ظهرا في القرن الرابع ومطلع الخامس ولقتصر اهتمامهما على التاريخ وحده وكانتا في الوقت نفسه من كبار المؤرخين لهذا النموذج لن يظهر فيما بعد حتى يأتي العصر المملوكي . وبالرغم من أنها نعدّ عدداً من أهم المؤرخين ظهروا خاصة في أواخر الفترة العباسية من أمثال ابن الأثير وسيط ابن الجوزي وابن النجار فإن هؤلاء وأمثالهم كانت لهم اهتمامات فقهية أو حديثية موازية للاهتمام التاريخي ولعلها كانت بالنسبة إلى عصرهم هي الاهتمام الأساسي وهي السبب في سمعتهم الكبرى بين المعاصرين وإن كان الأثر التاريخي الذي تركوه هو الذي جعل أسماءهم كباراً تبرز فيما بعد وتبقى للناس .

(ج) ومن جهة ثالثة فإن الجماعات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي ، في هذه الفترة أسهمت بدورها في تدوين التاريخ . وإذا لم يظهر لليهود خاصة في هذه الناحية إلا النشاط الذي لا يكاد يذكر فإن عناصر مسيحية عديدة منها القبطية ومنها السريانية قد دخلت ميدان النشاط التاريخي . وإذا كان بعضها قد اقتصر على أمور طائفية خاصة أحياناً مثل عمرو بن متى وأبي صالح الأرمني فإن بعضها كتب تاريخ العالم مثل ابن العربي ، وأغاييوس المنجبي ، وابن

براهب وبعضها كتب تاريخ عصره مثل ابن جرير وابن شرارة أو سيرة بعض الحكماء كابن همامي وأتوا جميعهم على أي حال بمحضها وافرة من المعلومات التاريخية إلى هذا العلم .

٤ - في أقاليم المؤرخين (المدارس الإقليمية)

إذا كان تدوين التاريخ قد بدأ في الإسلام ، في أقاليم محددة كانت لنفسها مدارس خاصة في المادة والتنظيم فإن المدرسة العراقية عادة ، في القرن الثالث خاصة ابتلت المدارس الأخرى واستقطبتها . فلم يبق من مدارس الشام والمدينة واليمن سوى بقايا وأقباس في الوقت الذي كانت فيه بغداد تجذب كافة العلماء من كل صنع ومن كل اختصاص . غير أن هذا التأثير الذي ساق إلى مدرسة بغداد بكافة القدرات الفكرية عاد فحمد ، منذ مطلع القرن الرابع ، ولاحظ أن توزيعاً جديداً للمدارس التاريخية قد ظهر . ومع أن جذوة بغداد لم تخمد في هذا التوزيع وظلت هي المدينة – الأم التي تلخص الفكر الإسلامي كله إلا أن أقاليم جديدة من العالم الإسلامي دخلت بدورها ميدان التأليف التاريخي هي مصر والمغرب والأندلس خاصة وظهرت لها تقاليدها في الرواية التاريخية الإقليمية وفي التأليف الإقليمي بعد أن كانت في القرنين الأولين على الأقل وبعض الثالث من العهد الإسلامي صامته سلبية تنتظر ما يأتيها من المشرق كما أن الأقاليم القديمة الشاطئ في التاريخ ظلت تتطلع بدورها أقباساً من العلماء المؤرخين ثم ما لبثت أن تحولت بدورها إلى مدارس متقطعة . وسرعان ما أعطى العلماء هذه الإقليمية التاريخية فلسفتها والتبرير :

– فمن ذلك تزايد التاريخ مع الزمن . يقول المسعودي : « ... ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام ، حادثة مع حدوث الأزمان وربما غاب البارع منها عن القطن الذكي ولكل واحد قسط ينحصر بمقدار عنايته »^(١)

(١) المسعودي – مروج النسب (طبعة بلا) ج ١ ص ١٢ .

— وقد وجد في البلاد المختلفة من شعروا بهذه الحقيقة وبأن لديهم من الأخبار والأحوال ما يستحق التسجيل وما يقولونه بالإضافة إلى ما يسجله أصحاب التواريخ العامة ، وفي ذلك الكثير من الترعة الوطنية من جهة ، ومن نزعة التقدير للأخبار المحلية المشهودة مقابل الأحداث البعيدة غير المشهودة من جهة أخرى وهذا مثلاً هو مبرر ابن القلانسي تأليف « المذيل في تاريخ دمشق » على تاريخ هلال الصابي ، ومبرر تأليف عدد من التواريخ البلدانية والإقليمية الأخرى .

— ومن جهة ثالثة فإن « لكل قطر – كما قال المسعودي – عجائب يقتصر على علمها أهلها . وليس من لزم جرارات وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قطع الأقطalar ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخرج كل دقيق من معادنه ... »^(١) ويزيد المقرizi هذه الناحية ليضاحاً في قوله : « وأهل كل قطر أعرف بأخباره . ومؤرخو مصر أدرى بمحاجرياته .. ». « وإن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير ... فإنه كان حاضراً ومشاهداً... »^(٢) .

— ومن جهة رابعة ، فإن « ... الواجب على صاحب المعرفة من أهلها (البلاد) أن يعلم جل أبنائها ويحفظ أيام أمرائها . ولا شيء أزرى عاليه من أن يجهل أخبار أرضه . ولعله يتطلب أخبار غيرها فيكون كمن ترك الواجب وتبع التواقل ... ». تلك وصبة أبي الحسين علي ابن أحمد السلامي في كتابه (أخبار ولاة خراسان) نقلها عنه جمال الدين اليعموري والساخاوي^(٣) وقد ذكروا أيضاً أن على طالب الحديث أن يعرف أخبار المحدثين وأهل العلم من بلده أولاً ثم من البلاد الأخرى . يقول صالح

(١) المصدر ذاته .

(٢) المقرizi – اعتماد المتفا (طبعة انشياد) ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) انظر الساخاوي – الاعلان (ط . روزنثال المترجمة) ص ٤٤١ - ٤٤٣ .

ابن أحمد الشميمي الحافظ (ت ٣٨٤) في كتابه طبقات المحدثين : « ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهلها .. ويعرف أهل التحديث به وأحوالهم معرفة تامة إذا كان في بلده علم وعلماء قدّيماً وحديثاً . ثم يشغله بعد بمحديث البلدان والرحلة فيه ...^(١) .

ولا شك مع كل أولئك في أن للتفكير السياسي الذي عرفته البلاد الإسلامية ما بين القرن الرابع والسابع ، أثره في ظهور الأنواع الإقليمية من التواریخ . أنها إنما كانت محاولة لإثبات الشخصية المحلية وتبرير الانفصال السياسي واعطائه الأساس التاريخي بجانب ما في ذلك أحياناً من الفخر أو محاولة إثبات الحقوق الشرعية أو المبادئ المذهبية والسياسية .

ولا شك من جهة أخرى في أن للتفاخر بحمل الروايات والحديث وللتنافس بين الأمصار في الرواة والرجال والستد المتبين وكثرة الحفاظ أثراً آخر في ظهور الكثير من مؤلفات التاريخ الإقليمي والبلداني . وكثير من المؤلفين برووا اقدامهم على التأليف لدمتهم بالرغبة في ابراز علماء مصر وإثبات فضلهم وبعضهم سى هذا النوع من التاريخ : « فضائل » مثل فضائل الإسكندرية مثلاً لابن الصباغ وفضائل الشام والقدس وغيرها وبعضهم سماه بشكل أدق : طبقات المحدثين مثل كتاب : طبقات المحدثين بأصبهان^(٢) لأن الشيخ الأنباري عبد الله بن محمد بن حيان (ت ٣٦٩) أو تاريخ مدينة بغداد أو مدينة دمشق ..

ومن هنا وذلك توزعت الأقطار الإسلامية تدوين التاريخ مرة أخرى ، ولكن على أساس جديد لم يلبث به القوى السياسية الدور الأول بمعنى أن المدارس الجديدة إنما كانت تقوم وتتوطد حيث تظهر الدول المنشطة : قامت في الأندلس والمغرب حيث ظهرت إمارة خلافة الأمويين وظهرت إمارة الادارية

(١) الخطيب البنداري - تاريخ بغداد ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٦٥ تاريخ .

والأغالبة وسوف ندرسها فيما بعد في فصل خاص ، وقامت في مصر حيث ظهر الأخشidiون بعد الطولانيين ثم الفاطميون ثم الأيوبيون ، وقامت في إيران حيث أخذت — مع وجود اللغة الفارسية والعواطف القومية والرواسب الزرادشتية — طابعاً خاصاً ندرسه بدوره لوحده . أما الشام واليمن فلأنهما على ما يبدو ظلا قطرتين تابعتن تارة للخليفة العباسي وولاته وتارة أخرى خليفة مصر الفاطمي وولاته فإن مدرستهما التاريخية ظلت أضعف في القوى غير مشهورة المؤلفات ولا كثيرة المؤلفين نسبياً .

على أنه من الضروري أن نسرع إلى القول إن هذه المدارس الإقليمية لم تكن تنسى بجانب الأحداث المحلية الخاصة النظرية الأفاقية الشاملة للعالم الإسلامي عامة . لم تكن تشغله التفاصيل الإقليمية عن أحداث الأقطار الإسلامية الأخرى والاهتمام بها وخاصة منها ببعض عاصمة الخلافة . وهذا يعني أنه مقابل تلك النظرية الانطوانية المتوجهة إلى الداخل وإلى الأقاليم النهاص كان ثمة لدى المؤرخين في هذه الفترة ذاتها نظرية افتتاحية معاكسة تتجه بهم إلى خارجه وإلى ما وراءه من أقاليم الإسلام . وإنما كانت الكتب التاريخية إذ ذاك حصيلة التأثر على مستويات مختلفة بهاتين النظريتين المتناقضتين : وإذا كان الاهتمام المحلي بالأمور التاريخية الإقليمية إنما ينبع :

- (أ) من حب الوطن والتّุصب له والتباخر برجاله .
- (ب) من الحاجة الحياتية لمعرفة التجارب السياسية المحلية والاستفادة منها .
- (ج) من الرغبة في تمجيد الحكام المحليين لأغراض سياسية أو نفعية .
- (د) من قرب المعلومات وأصحابها إلى المؤلفين والاهتمام بالقريب أكثر من بعيد .
- (هـ) ومن أسباب سياسية واقتصادية شئ تتعلق بتحول الأحداث الماءمة مع الأيام من منطقة إلى أخرى .

إذا كان ذلك كله ، فإن عوامل أخرى كانت تعمل عملها بالمقابل في اتجاه

الشمولية الاسلامية ، وفي اتجاه إدخال تواریخ الأقالیم الاسلامیة المختلفة ضمن التاریخ الإقليمي المحدود ولعل أهم هذه العوامل في تلك الفترة :

(أ) نمو واستقرار الشعور بأن المسلمين يكونون أمة واحدة . والنصوص القرآنية في ذلك : « كنتم خبر أمة أخر جلت للناس » و « إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدهون » كانت تجذر تعبيرها العملي في اهتمام المؤرخين المسلمين بكل بلد إسلامي . وهذه مثلاً نجد في « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانيسي أخبار المغرب ، ونجده في زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم أخبار السلاجقة في العراق وإيران ، وفي تاريخ بيهق ، بعض تاريخ العراق وفي تاريخ مصر لابن ميسير أخباراً من الشام والعراق والمغرب ... وتاريخ ميافارقين للفارقي كان نوعاً من التاريخ الاسلامي كله وتاريخ أحداث بغداد ...

(ب) الارتباط السياسي بالخلافة في بغداد خاصة أو في القاهرة . ومع أن هذا الارتباط كان شكلياً وخاصة مع الخلافة العباسية في بغداد فان مؤرخي الأقاليم كانوا لا يستطيعون إغفال أخبار العاصمة التي ترتبط بها أقاليمهم . وهم لا يغفلونها لأنها على الأقل مؤثرة التأثير المباشر أو غير المباشر على تطورات الحكم المحلي ورجاله .

(ج) الرحلة بين أقطار العالم الاسلامي . فقد كانت دار الإسلام مملكة واحدة في نظر العلماء والجغرافيين والتجار والرحالة . وكانت حركتهم فيها خلال تلك العصور حركة ناشطة ، مستمرة ، لدرجة نستطيع منها أن نعتبر « الرحلة » لمختلف الأغراض احدى مميزات القرون الاسلامية الوسطى (ما بين الرابع إلى السابع) . وإذا كانت الحركة التجارية سبباً أساسياً في الرحلة بين الأقطار ، فإن آثارها كانت محدودة في التدوين التاريخي وأهم منها في هذا المجال رحلة العلماء في طلب العلم .

وقد بدأ هذا النوع من الرحلة في جيل الصحابة إذ كان بعضهم يرحل من قطر إلى قطر في طلب حديث لم يسمعه بنفسه ومن هؤلاء جابر بن عبد الله وأبو أيوب الأنصاري . واتبع جيل التابعين السنة ذاتها لتأني العلم على الصحابة المترفين في الأمصار بعد الفتوحات وكان لظهور الوضع في الحديث والأخبار أثره في تشطيط هذه الحركة ، ومن التابعين الرحالة : سعيد بن المسيب والحسن البصري وأبو العالية الرياحي وعامر الشعبي ومسروق . ثم اتسع نطاق الرحلة بعد ذلك حتى صارت الرحلة في القرن الثالث والرابع والخامس ولا سيما إلى بغداد وعلمائهم وإلى مراكز العلماء الأخرى في نيسابور أو دمشق أو القاهرة تقليداً علمياً لا يعتبر العالم عالماً حقاً إن لم يقم به ولا يجد ترجمة لعالم معروف في تلك العصور ليس فيها على الأقل زيارة لبغداد وأنحد عن علماء هذا البلد أو ذاك . ويقدم الراهن مزي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (المتوفى سنة ٣٦٠) قائمة بأسماء المحدثين الذين رحلوا في الأقطار مرتبة على الطبقات فذكر من رحل إلى عدة أقطار ومن قصد قطراً واحداً ...^(١)

وقد كان أثراً هذه الرحلات واضحاً جداً في أمرين :

انعكس الأول في امتزاج علم الأمصار الذي ظهر في مجاميع الحديث وفي الأخبار الملونة في القرن الثالث خاصة مما قلل أثر التعلق الإقليمي في هذه النواحي وإن لم يترك أثراً كبيراً في الفقه كما لم يمنع أصحاب كل إقليم من التوسع في روایة أخبارهم الخاصة أكثر من توسيعهم في روایة أخبار المناطق الأخرى .

وانعكس الثاني ، من ناحية التدوين التاريخي خاصة ، في تواریخ الأقاليم المختلفة المنظمة على أساس الترجم ، فإنها أضحت تغوي ، بجانب الترجم المحليّة مجموعة واسعة من ترجم العلماء العابرين والزوار من كل صقع :

(١) الراهن مزي - المحدث الفاصل (عن طوط الظاهري يدمش - رقم ٢٦ ، ٤٠٠ عام) ج ١
ورقة ١٧ ظهر - ١٨ وجه .

وهكذا أضحت تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، في واقعه ، تاريخاً لعلماء العالم الإسلامي منذ ظهور بغداد حتى أواسط القرن الخامس وصارت ذيوله من بعده موسوعات هؤلاء العلماء . وصار تاريخ دمشق لابن عساكر مصدر معلومات عن عدد من علماء إيران ومصر . وصار تاريخ نيسابور أو مرو أو همدان يعني كل باحث في تاريخ الفكر الإسلامي في أي قطر من أقطاره .

ونضيف أخيراً إلى هذا كله أن الرحلات لأسباب أخرى ، كرحلات الحج ، والوفود وحب الاستطلاع والتتجسس والدعوة كلها كانت تسهم في كسر الطوق الاقليسي عن التواريخ وتدفعها ، رغم عناوينها الإقليمية أحياناً واهتماماتها المحلية ، إلى الإحاطة بأخبار بعض أقاليم العالم الإسلامي أو كلها .

وقد أعطى هؤلاء المؤرخون ، منذ القرن الرابع خاصة ، علم التاريخ ملامحه الأساسية وأبعاده الفكرية المميزة . ويمكن أن نرى جانباً من هذه الملامح والأبعاد إن درسنا ما طرأ من تطور على مادة التاريخ من جهة وعلى منهج التاريخ من جهة أخرى ثم نظرنا أخيراً في الميزات العامة للتفكير التاريخي الإسلامي في هذه القرون ما بين الثالث والسابع من جهة ثلاثة ...

ذلكم موضوع الفصول التالية .

الفصل الثامن

تطور المادّة التاريجيّة

مادة التاريخ هي التي تطورت أوسع التطور في تلك القرون التي تلت القرن الثالث في المشرق وأوسع ما أصابها من التطور إنما كان خاصة في القرن الرابع (العاشر الميلادي). ولقد نستطيع أن نرى ملامع هذا التطور في كثرة المادة وتأثيرها بالنمو الحضاري وبموجات السياسة والإدارة وبنمو العالم الأخرى وبالتمزق السياسي كما نرى تلك الملامع في ظهور أنواع من تواريخ المدن والأسر والسير والمذكرات والقصص.

١ - تكاثر المادة في الكمية

أبرز ما طرأ على مادة التاريخ هو الكثرة والوفرة، الكثرة في عدد المؤلفات والوفرة في كمية المادة المدونة وفي تنوعها. وإذا كانت كثرة المؤلفات ناجمة عن دخول الكثيرين ميدان التاريخ بالثبات فإن وفرة المادة المدونة قد جعلت تلك المؤلفات تتضخم تدريجياً إلى أحجام كبيرة رغم ما يعرضها من ارهاق النسخ، وبعد أن كان التأليف التاريجي في القرنين الأول والثاني لا يجاوز أحياناً كثيرة رسالة من بضع ورقات صارت مؤلفات القرن الثالث خاصة كثيراً من عدة

مئات من الأوراق ثم جاء الطبرى في نهاية هذا القرن ليكرس تقليداً جديداً
سوف يستمر من بعده يجعل كتب التاريخ في عدة ألوف من الأوراق وعدة
أجزاء ضخمة ، وليس يقتصر هذا التضخم على كتب التواريХ العالمية الجامحة
ولكنه قد يصيب أحياناً كتب تواريХ المدن أو الأسر والنسب والتراجم أو حتى
بعض الفترات المحلودة من التاريخ التي قد لا تزيد على عشرات من السنوات ،
كما قد تصيب كتب القصص التاريخي المرسل أو بعض التاريخ الحضاري ...

وهكذا فقد كتب المسعودي في القرن الرابع كتاب أخبار الزمان في ثلاثة
مجلداً ثم اختصره في أربع مجلدات هي مروج الذهب . ولعل ضخامته قد كانت
السبب الأساسي في ضياعه فلم يبق منه سوى المجلد الأول . وقد كتب أبو
الحسن على بن عيسى بن الفرج الربعي الزهيري النحوي المتوفى سنة ٤٢٨/١٠٢٨
أو كتب المجاشعي أبو الحسن بن فضال القبرواني (المتوفى سنة ٤٧٩/١٠٨٥)
كتاب الدول ، رآه ياقوت في الوقف السلاجقى ببغداد في أكثر من ثلاثة
مجلداً^(١) ولئن كتب ابن الجوزي في القرن السادس تاريخه العام المتنظم في ١٠
مجلدات وطبع نصفه وأعقبه ابن الأثير بتاريخه الكامل في ١٢ مجلداً فبقى إلى
اليوم وطبع فان سبط ابن الجوزي ألف مرآة الزمان في ٤٠ مجلداً هي مبهرة
المخطوطات اليوم في أنحاء الدنيا ولم يطبع منها سوى قسم محدود .

وقد حظيت تواريХ المدن بدورها بالضخامة الواسعة بما حملته من مفهوم
« التراجم » الذي حوطها من تاریخ سیاسي – عمراني إلى تاریخ للرجال ومن عرفوا
تلك المدن ولاده أو نزولاً أو زيارة وهو نوع لا ينضب من الأسماء والمعلومات .
وهكذا كتب الخطيب البغدادي على أساس التراجم تاريخ بغداد في ١٥ مجلداً
فكانت مطلع سلسلة من الكتب حول بغداد كتب حلقاتها عدد من المذيلين منهم
السعافي الذي وضع الذيل الأول في ١٥ – ٢٠ مجلداً وابن النجاشي ذيل في
١٧ مجلداً حتى جاء ابن الفوطي في النهاية بذيل من ٥٥ مجلداً ... وفرد ابن

(١) انظر ياقوت - معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٨٩ .

المارستانية أبو بكر عبد الله بن علي التيمي الفقيه الطبيب (المتوفى سنة ٥٩٩ ١٢٠٣) فكتب : ديوان الاسلام الاعظم في تاريخ مدينة السلام (بغداد) في مائة مجلد . ولعله لم يتمه وحال الموت بيته وبين التمام .

وقد ظرخوا المدن الآخرون توارييخ بغداد في الصخامة فكتب ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق في ثمانين مجلدة . وكتب السمعاني تاريخ مرو في عشرين وكتب النسفي عمر بن محمد (المتوفى سنة ٥٣٧ / ١١٤٢) كتاب (القند) في تاريخ سمرقند) في عشرين مجلدة أيضاً . وكتب العباسي الخوارزمي مظہر الدين أبو محمد محمود بن محمد الأسلامي (المتوفى سنة ٥٦٨) ثماني مجلدات في تاريخ خوارزم ...

وإذا كانت التراجم هي التي تمد هذه المؤلفات بالرفد وتساعدها على التضخم فإن بعض المؤلفات التاريخية لم تكن في حاجة إلى التراجم ولا كانت في حاجة إلى شمول التاريخ العالمي العام كي تتضخم وتحتل المجلدات بالعشرات . بعض المؤلفين كانوا من الحصب ومن الولع بالتفاصيل والوثائق بحيث قدموها عدداً من التوارييخ الضخمة لفترات محدودة من الزمن وأحياناً في منطقة محددة أيضاً . فقد كتب هلال الصابيء (المتوفى سنة ٤٤٨) تاريخ قرن تقريباً (ما بين سنتي ٣٦٣ - ٤٤٧) في ٤٠ مجلداً بقى منها واحد . وكتب العماد الأصفهاني اقامته في الشام مع صلاح الدين (٥٦٢ - ٥٨٩) في سبع مجلدات سماها البرق الشامي . بل كتب أبو الفضل محمد بن الحسين البهيفي (المتوفى سنة ٤٧٠ / ١٠٧٧) تاريخ بهيق خلال فترة لا تزيد عن نصف قرن في ثلاثين مجلدة بقى منها خمس فقط (بالفارسية) .

وإذا كانت مصر إقليماً لا مدينة فقد تميزت بأن توارييخها المحلية كانت في الغالب توارييخ اقليم لا تاريخ مدينة (القسطاط أو القاهرة) وقد كتب الوزير المسيحي تاريخ مصر حتى مطلع القرن الخامس في ٢٦ ألف صفحة .

وسرت العدوى ذاتها إلى كتب المعلومات التاريخية على اختلافها وهكذا

صرنا نرى : كتاباً في الأخبار التاريخية المرسلة مثل كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي يزيد على احدى عشرة مجلدة ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني يبلغ إحدى وعشرين ! وكتاب تاريخ القراء لابن العطار (المتوفى سنة ٥٦٨) يصل إلى عشرين مجلداً . وإذا كتب الشاعري كتاب يتيمة الدهر في أربع مجلدات لتأريخ الشعر والأدب فان بعض ذيوله مثل كتاب خريدة القصر للعماد الأصبهاني وكتاب زينة الدهر للحظيري أبي المعالي (المتوفى سنة ٥٦٨) بلغ كل منها عشر مجلدات . وقد كتب ابن الشعاع الموصلي (المتوفى سنة ٦٥٤ / ١٢٥٩) في القرن الثاني عشر مجلدات في تاريخ أدباء عصره سماها (عقود الجمان) .

وسمحت الأنساب وفروعها وعلاقاتها لعلماء النسب في التوسيع وهكذا كتب السمعاني ثمانين مجلدات في (الأنساب) وكتب ابن القاضي الزيدي (المتوفى سنة ٥٩١) كتابه نزحة عيون المشتاقين في عشر مجلدات . وكتب أبو طالب الهاشمي العباسي (المتوفى سنة ٦٢١) (الحاوي لأنساب الناس) في أكثر من عشر . وأمّا المروزي اسماعيل بن الحسين العلوي (المتوفى سنة ٦٣٢) فكتب : (حظيرة القدس) في الأنساب في ستين مجلدة .

٢ - تنوع المادة مع الازدهار الحضاري

وكا تضخت المؤلفات توعدت المعلومات التاريخية وتعددت المواضيع المطروقة التعهد الواسع . شعر الناس أن كل شيء يستحق أن يسجل ويكتب من جهة وأن الحياة السياسية أصبحت تراثاً طويلاً من جهة أخرى . كما شعروا بارتباط التاريخ مع العلوم والمعارف الأخرى فأطلوا بها عليه . وهكذا بينما دخل – وعلى نطاق واسع – ما نستطيع أن نسميه التاريخ الحضاري على أبحاث التاريخ الإسلامي تأثر التاريخ بالمقابل سواء ب الحاجات التنظيم السياسي أو بمختلف أنواع العلوم المجاورة له ومن هذا وذلك وأولئك كانت له ثروة هائلة من المعلومات لم يعرفها تاريخ أمة من قبل .

وقد عدد الذهبي ما سماه «فنون التاريخ» التي تدخل في تاريخه الكبير المحيط : تاريخ الاسلام . ولم ينهض لها على حد قوله - ولو عمله ، على أساسها جلاء في ٦٠٠ مجلد^(١) - فجعل تلك الفنون «أربعين» فناً ونوعاً يشكل تاريخ السيرة والأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك خمسة فنون منها أما باقي الفنون فانما تتعلق تارة بتاريخ التنظيم السياسي (تاريخ الوزراء . تاريخ الأمراء والأكابر ونواب المالك والولاة وكبار الكتاب) أو بتاريخ الحضارة (تاريخ البخلاء وتاريخ التجار وتاريخ أولي الصنائع العجيبة . وقطاع الطريق . ولعب الشطرنج والردد والقمار وتاريخ الملائكة والمشاق وشربة الحمور وأهل الخلعة وأولي الدهاء والمخתفين وأهل المجنون وعقلاء المجانين وتاريخ السائلة والشحاذين والوراقين والقصاصين والندماء والأذكياء والمطربين ... وتاريخ الرهبان وأولي الصوامع . وعجائب الأسفار والشجعان والفرسان والشطار والسمعة ...) أو تتعلق بالعلوم والعلماء (تاريخ الفقهاء . الحفاظ . النحاة . القضاة . الوعاظ . الأطباء . الفلسفه المتكلمين . الشيعة . الخوارج ...) وإذا كان الذهبي متاخراً عن العصر الذي ندرس حوالى القرن مما قد يمنع من الاستشهاد بتوزيعه التاريخي فإن الاعتراض ينتهي إذا تذكرنا أن كافة فنون التاريخ التي صنف وعدد إنما كانت موجودة معروفة قبله بقرون وقد توطدت وألف الناس فيها أو في معظمها منذ القرن الثاني والثالث الهجريين ثم انتشرت في القرون التالية .

فاما في نواحي الحضارة والحياة فإن بلوغ المجتمع الاسلامي في القرن الثالث والرابع أوج تطوره وفاعليته الحضارية أوجد حاجات فكرية مستجدة عليه ، وقد انعكست هذه الحاجات ، في إنتاجه الفكري وفي الكتب التي ألفها الناس وتداولوها وكلها تدور حول كبر في نطاق التاريخ .

وإذا أفرز الخيال الشعبي قصصاً خيالياً يمتد بين الأسطورة وبين ألف ليلة وليلة فإنه أنتج بين هذا وذاك قصصاً تاريخياً أيضاً غرضه الأسмар والتثقيف

(١) لا يوجد هذا النص في تاريخ الاسلام الكبير للذهبى وإنما ذكره السخاوي نقلأ من ابن حجر . انظر السخاوي - الاعلان (ط . روزنثال) ص ٥٢٢ - ٥١٨ .

والوعظ والتيسير . وقد ذكر ابن النديم عشرات من هذه المؤلفات القصصية التاريخية التي كان يشترك أحياناً في تأليفها بعض المؤرخين المعروفين كعمر بن شبة والهيثم بن عدی وأحمد بن أبي طاهر والجهمي . أو كانت تسب إلى إلى مؤرخين معروفين كقصص الفتوح المنسوبة للواقدي أو يضعها الوراقون والمصنفوون بأسماء وهمية .

وقد ذكر ابن النديم قول محمد بن اسحق : « كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ومشتهة في أيام خلفاء بي العباس وسيما في أيام المقتدر (٢٩٥) - (٣٢٠) فصنف الوراقون وكذبوا ... »^(١)

وهكذا ظهرت قصص عنترة ، والنمان ، والأميرة ذات الحمة من المؤلفات الكبرى الواسعة وقصص العاشق والخروب القبلية العربية وشيبان مع كسرى أنور شروان من المؤلفات المحدودة . وهي تحوي من الجلو الاجتماعي لثلث العصور ما لا تحويه كتب التاريخ نفسها .

ولذا لم يكن الخاصة بالذين نفتقنهم مثل هذه الأخيلة الشعبية فقد كانت لهم بدورهم مؤلفاتهم الخاصة للأسمار والمنادمة . ويلفت النظر أن يحاول الجهمي (المتوفى سنة ٩٤٣ / ٣٣١) من رجال البلاط تأليف كتاب للسمر يختار له ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم . كل جزء يقوم بذلك ليلة كاملة في خمسين ورقة . وقد كتب في ذلك ٤٨٠ ليلة أي ٤٨ ألف صفحة وتوفي قبل أن يكمل مشروعه^(٢) الذي ضاع من بعده . وكان العمود الفقري في هذه الأسمار هو التاريخ دون شك . ويمكن أن يدخل في هذا الباب نفسه ذلك القصص التاريخي الحر الذي كان يؤلف ويروى عن المتصوفة والزهاد وعن النوادر أو الأجوة المسكتة أو أخبار الغلمان والجواري والنساء ... الخ ، وما كتبه التنوخي مثلاً في كتبه : (الفرج بعد الشدة) و (المستجاد من فعلات الأجواد) والكتابان

(١) ابن النديم - الفهرست من ٣٠٨ .

(٢) ابن النديم - الفهرست (ص ٢٠٦) .

مطبرungan ، وما كتبه هو نفسه في المجلدات التي تزيد على العشرة والتي سماها نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وما كتبه ابن ظافر عن بدائع البدائة وما كتبه غرس النعمة عن (المفوّات النادرة) وما كتبه المقدس عن (التوايin) وكتبه ابن الجوزي عن (عقلاء المجانين) وعبد القاهر بن علوى المعرى في (نزهة الناظر وروضة الخاطر)^(١) وأبو العلاء محمد بن حمود النيسابوري في كتاب (سر السرور)^(٢) وغيرها كثير . وكلها من حكايات التاريخ المرسلة التي تتحدث عن « تاريخ ما أهمله التاريخ » من حياة الناس العاديين أو الطبقات المترفة على السواء ... ويدخل في هذا الباب بعض الكتب الجنسية أيضاً وكتب اللهو والفحشك . ومن ذلك :

- كتب أبي حسان محمد بن حسان النيلي ، من أيام المترك ، ومنها :
كتاب برجان وصاحب أخبار النساء والباء . كتاب البغاء وكتاب
السحق ...^(٣)
- كتب الكتنجي ومنها : كتاب جامع الحماقات وأصل الرقاعات .
كتاب الملح والمحمقين . كتاب المخرقة . كتاب الصفاعنة...^(٤)
- كتب ابن الشاه أبي القاسم علي بن محمد الظاهري . وكان أدبياً مفاكهاً
في نهاية الظرف قوله : كتاب أخبار الغلمان . كتاب أخبار النساء .
كتاب عجائب البحر^(٥)
- كتب جراب الدولة أحمد بن محمد بن علوجة السجزي وكان طنورياً
من الظفراء والمتطايين ويلقب بالريح . قوله : كتاب التوادر والمضاحك

(١) انظر ابن العليم - بقية الطلب (عطرط فض اقه رقم ١٤٠٤) ورقة ٢٥٠ وجه .

(٢) المصدر نفسه - عطرط أسد الثالث ٥ ورقة ٣١١ ظهر و ٣١٣ ظهر .

(٣) ابن النديم - الفهرست ص ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

في سائر الفنون والتزادر وقد سماه : ترويع الأرواح وفتح المسرور
والأفراح وهو كتاب كبير جعله فتونا ...^(١)

- كتب أبي العبر الماشي محمد بن أحمد بن نسل عبد الله بن العباس
(المتوفى سنة ٢٥٠) ومنها كتاب سماه جامع الحماقات وأماؤ الرقاعات .
كتاب المنادمة وأخلاق الخلفاء والأمراء^(٢).

- كتب الصميري أبي العنبس محمد بن اسحق البصري وكان من أهل
الفكاهة والمعرفة بالنجوم وقد أدخله المتنوكل في جملة ندائه وظل من
ندماء البلاط في أيام المعتمد ومن كتبه : نوادر القواد . نوادر الحوصي .
كتاب الراحة ومنافع العبارة . كتاب الدولتين في تفضيل الخلاقتين .
كتاب الجوابات المskنة . كتاب السحاقات والبعامير . كتاب مساوي
العوام وأخبار السفلة الأغترام . كتاب أخبار أبي فرعون كندر بن
جحدر...^(٣)

- كتب المنادي الذي وضع : كتاب المجمع والرعام وآخلاق العوام .
كتاب نوادر القلمان والمحضيان^(٤).

- كتب الحكيمي أبي عبد الله محمد بن أحمد ، وكان من الأخباريين ومن
كتبه : حلية الأدباء وهو كتاب أخبار . كتاب الفكاهة والدعابة...^(٥)

- كتب أبي العيناء ، أبي عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الماشي .
(المتوفى سنة ٢٨٣ / ٨٩٦) عن ٩٢ سنة . وهو بصري الأصل ومن

(١) ابن النديم - الفهرست من ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه من ١٥٢ .

(٣) المصدر نفسه من ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه من ١٥٣ .

(٥) المصدر نفسه من ١٥١ .

ندامى التوكل . كتب كتاباً في نوادره باسم أخبار أبي العيناء روى فيه بعض القصص الحمقاء التي عاشها . وهو من أقدم من صنف في ذلك وكان كتابه أساساً لكتاب ابن الجوزي بعده بثلاثة قرون : كتاب الحمقى والمقللين (وقد نشر في دمشق سنة ١٣٤٥) .

- كتب ابن خلاد الراهمري أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن القاضي . ومن رواة الشعر والأدب والأخبار وله كتاب ربيع الغيم في أخبار العشاق . وكتاب النوادر والشوارد كتاب أدب الموائد . كتاب المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان ...^(١)

- كتب عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ومنها : كتاب المظفرات والمتظفرات^(٢) .

هذا إلى كتب بالعشرات ألفت في هذه المواضيع من مثل : كتاب المأثور في ملح الخدور لأبي القاسم الحسين بن علي المغربي الوزير الفاطمي^(٣) وكتاب المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (المتوفى سنة ٣١٠ / ٩٢٢) وهو قصص ومقامات في ٤٧ باباً ومحفوظة موجود في باريس ودمشق . وكتاب هواتف الجنان وعجب ما يحكي عن الكهان لأبي بكر محمد بن جعفر ابن سهل الخراطي السامراني الذي قدم من دمشق سنة ٣٢٥ وتوفي سنة ٣٢٧ / ٩٢٨ والذى كتب أيضاً كتاب اعتلال القلوب في أحاديث المحبة والمحبين ... ومنه مخطوطة في القاهرة^(٤) وكتاب عقلاه المجازين للحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٦ / ١١١٥) وكان عالماً باللغوي والقصص والسير

(١) المصدر نفسه ص ١٠٥ .

(٢) ابن النديم - الفهرس من ١٤٧ .

(٣) انظر ابن العديم - بذرة الطلب (مخطوط فيض الله ١٤٠٤) ورقة ٢٥٩ ظهر ، ورقة ٩٤ وجه ومحفوظة أحمد الثالث ، ج ٧ ورقة ٢٩٢ ظهر وجه .

(٤) انظر بروكلمان (الترجمة العربية) ج ٣ ص ١٣٨ .

هذا إلى كتب عديدة في الحو نفسي كتبت في القرون التالية وتقع بين قصص السر وبين التاريخ ونعود فنلتقي فيها بما كنا أسميناه بالتاريخ الحر أو سر الخاصة ومن ذلك ما كتبه :

- غرس النعمه محمد بن هلال الصابيء (المتوفى سنة ٤٨٠) فله بجانب كتاب المفوّات النادرة (المطبوع) كتاب الريّع الذي تجد مقتطفات منه لدى ابن العديم (٢) .

- ابن عقيل أبو الوفا علي الظفيري البغدادي (المتوفى سنة ٥١٣) وكان الرجل قمة في الفقه وفي الحصب الفكري بحيث خلط جميع معارفه في الفقه والتاريخ والأخبار والشعر في كتاب واحد سماه (الفنون) ... رأى منه بعض العلماء المجلد كذلك بعد الأربعمائة (٣) . ولم يبق من الكتاب سوى مجلد واحد (طبع قسماً منه جورج المقدسي - بيروت سنة ١٩٧٠) .

- الحظيري أبو المعالي سعد بن علي دلال الكتب (المتوفى سنة ٥٦٨) وبين كتبه كتاب : لمع الملحق وهو مخطوط موجود .

- البسطامي ضياء الدين أبو شجاع عمر بن محمد (المتوفى سنة ٥٦٢) وله : لقطات العقول .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) ابن العديم - بنيه الطلب (مخطوط أسد الثالث) ج ٢ ورقة ٦٢ ظهر وورقة ٢٠٣ ظهر وج ٣ ورقة ٢٨٧ وجه وج ٤ ورقة ٩٣ وجه ... الخ .

(٣) انظر ابن الحليل - شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٥ - ٤٠ . والذهببي هو الذي يروي خبر عدد المجلدات في كتاب الفنون وأبن الجوزي يحملها مائتين بينما يجعلها بضمهم ثمانمائة . ويعلق الذهببي على ذلك . أنه لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب .

- الشيرازي أبو القاسم مسلم بن محمود (المتوفى أواخر القرن السادس) وله : عجائب الأسفار وغرائب السير .

- الأزدي أبو منصور ظافر بن حسين (المتوفى سنة ٥٩٧) وقد كتب تاريخ الشجمان .

- جمال الدين محمد عوض المتوفى بعد سنة ٦٣٣ . وقد كتب لباب الأباب وجواجم الحكايات (وهما مطبوعان) .

أما الذي أُوفى على الجميع في هذا الباب وجعله جانباً هاماً من نشاطه الفكري ومن تأليفه فهو :

- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن (سنة ٥٩٧) ففي قائمة كتبه التي تزيد على ٨٠٠ مؤلف نجد مجموعة واسعة من الكتب من عناوينها : أخبار الأذكياء (مطبوع) ؛ الظراف والتماجنون (مطبوع) ؛ عيون الحكايات (مجلدان) . ملقط الحكايات (مجلد) ؛ تلبيس ابليس (مطبوع) كتاب القصص (مجلد) كتاب صيد الخاطر (٣ مجلدات) . كتاب الأنس والمحبة ، كتاب البر والصلة ، كتاب فتوح الفتوح ، كتاب ملح الأعريب ، كتاب فضائل العرب ، كتاب تنوير الغيش في فضل السودان على الحبش ... الخ^(١) .

ولم تكن الكتب المتعلقة بالفناء والطرب بأقل من ذلك انتشاراً وإثارة للاهتمام . فإذا نحن وضعنا جانباً ذلك الصرح التاريخي الضخم الذي أقامه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني وهو تراث كامل في تاريخ هذا الفن في الإسلام غطى على المؤلفات الأخرى ومحاتها كما غطى تاريخ الطبرى على مؤلفات من سبقه في التاريخ فان المؤلفات في الفناء وتاريخه وفي الطرب والطنبورين وفي الحمر والشراب كثيرة ومن ذلك :

(١) انظر القائمة الكاملة في كتاب ابن الجوزي لعبد الحميد العلوسي ونجد جانباً منها كبيراً لدى سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨٣ - ٤٨٩ .

- كتب اسحق بن ابراهيم الموصلي : (١٥٠ - ٢٣٥) وهو من رجال أيام ما بين الرشيد والوازن ، ولكن تلك الكتب كانت ثروة الناس من بعد في بابها . كان راوية واسع الاطلاع ترك ما يزيد على عشرة كتب في أخبار مشاهير المغنين (عزة الميلاد . ابن مسحع . حنين الحبري . الأبيحر . الغريض . ابن سريح . ابن عائشة . ابن صاحب الوضوء . معبد ... الخ) . كما أن له كتب : الاختيار من الأغاني كتبه للوازن . كتاب الشراب . كتاب الرقص والزفاف . كتاب الندمة . كتاب المندمات . كتاب قيام الحجاز . كتاب القيام . كتاب التوادر المتخبرة . كتاب الاختيار في التوادر ... وأما أهم كتبه فهو كتاب الأغاني . وكان بين الأيدي في تلك الفترة كتابان ينسبان بهذا الاسم إلى اسحق : واحد من تأليفه فيما يظهر يروي أخبار المغنين واحداً واحداً ، وثانٍ يدعى بالأغاني الكبير ، وينذكر ابن النديم أنه موضوع من قبل أحد الوراقين المسمى سندي بن علي وكان يورق لاسحق فاتفق هو وشريك له على وضع الكتاب الذي أصبح يعرف بكتاب الشركة وكان في أحد عشر جزءاً^(١) .

- كتب أبي حبيسة : محمد بن علي بن أمية الكاتب ، وكان طنبوريأً حاذق الصنعة وله كتاب في أخبار الطنبوريين^(٢) .

- كتب جحظة أبي الحسن أحمد بن جعفر من نسل خالد بن برمث وهو شاعر مغنٌ طنبوري حسن الأدب « وقد لقي العلماء والرواة وأخذ عنهم » توفي سنة ٣٢٦ وله : كتاب الطنبوريين . كتاب النديم . كتاب المشاهدات . كتاب ما شاهده من أمر المعتمد .

- كتب أبي أيوب المديني : سليمان بن أيوب ، من أهل المدينة من

(١) ابن النديم - الفهرست من ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) ابن النديم - الفهرست من ١٤٥ .

- الظرفاء العارفين بأخبار المغنين ، وله في ذلك – كما يقول ابن النديم
عدة كتب منها : أخبار عزة الميلاد . كتاب قيام الحجاز . كتاب قيام
مكة . كتاب طبقات المغنين . كتاب المنادين . كتاب أخبار ظرفاء
المدينة . كتاب أخبار ابن عائشة . كتاب أخبار حنين الحيري . كتاب
ابن سريج . كتاب الغريض . كتاب ابن مسجع ...^(١)
- كتب السرخيسي أبي الفرج أحمد بن الطيب وهو أديب كثير الرواية
وله من الكتب : كتاب أدب الملوك وكتاب الدلالة على أسرار الغناء^(٢) .
- كتب ابن خرداذبه أبي القاسم عبد الله بن أحمد . كان يتولى البريد
للخليفة المعتمد كما كان من نداماته المختصين به وله من الكتب :
كتاب الشراب . كتاب التندماء والخلسae . كتاب اللهو والملاهي .
كتاب أدب السماع ...^(٣)
- يحيى بن أبي منصور الموصلي . وكتبه كانت واسعة الانتشار في القرن
الرابع ومنها : كتاب الأغانى ، الذي عمله على الحروف الأبيحية .
وكتاب العود والملاهي ...^(٤) .
- كتب ابن المرزبان أبي عبد الله محمد بن خلف . وكان حافظاً للأخبار
والأشعار والملح وقد كتب : كتاب المتيين المقصومين . كتاب
الشراب ويحتوي على عدة كتب . كتاب الروض . كتاب الخلسة
والندماء . كتاب النساء والغزل . كتاب أخبار العرجي . كتاب ذم الحجاب .
كتاب ذم الثقلاء . كتاب المدايا^(٥)
- كتب الكسروي علي بن مهدي ، وكان أدبياً حافظاً متصلأً بخشية

(١) المصدر نفسه ص ١٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

- الخلفاء العباسيين في القرن الرابع ومن كتبه : كتاب الأعياد والتوازيز .
كتاب مراسلات الأخوان ومجايات الخلان^(١) .
- كتب ابن بسام علي بن محمد الشاعر وهو من الظرفاء الكتاب وله من الكتب : كتاب الزنجيين وهم المعاقرون^(٢) .
- كتب أبي اسحق ابراهيم بن أبي عون المنجم ، وكان من أهل الأدب وان يكن مخرق الدين . وقد ألف كتاب الجوابات المسكنة . وكتاب بيت مال السرور^(٣) .
- كتب حماد بن اسحق الموصلي ومنها : كتاب الأشربة . وكتاب أخبار الندامى^(٤) .
- كتب حمدون بن اسماعيل الكاتب ومنها كتاب الندماء والجلساء^(٥) .
- كتب يونس بن سليمان الكاتب المعروف بيونس المفي ، وكانت له كتب مشهورة في الأغاني والمعنون منها كتاب القيان^(٦) .
- كتب ابن باته عمرو بن محمد . وكان من ندماء المتكل و قد توفي سنة ٢٧٨ وله كتاب : مجرد الأغاني^(٧) .
- كتب النصيبي حسن بن موسى ، وقد ألف للمتكل كتاب الأغاني على

(١) المصدر نفسه ص ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢ - ١٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٧) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

حروف المعجم وذكر فيه أشياء لا يعرفها غيره وذكر من أسماء المغنين والملقبات في الجاهلية والاسلام كل طريف وغريب وله كتاب مجدادات الأغاني ...^(١).

- كتب أبي الحسن علي بن هارون وكان راوية للشعر أبياً ظريفاً نادم جماعة من الخلقاء إلى أن توفي سنة ٣٥٢ وعمره خمس وسبعين سنة. وله من الكتب : كتاب التوروز والمهرجان . وكتاب ناقض به أبا الفرج الأصبهاني .

هذا إلى كتب قريض الجراحى المخن (المتوفى سنة ٣٢٤) في (صناعة الغناء وأخبار المغنين) وكتب بالحافظ : رسالة القبيان ، طبقات النداماء والمغنين عند الفرس والاسلام (ضمن كتابه الناج في أخلاق الملوك) وكتابه (طبقات المغنين) الذي طبع مع مجموعة رسائله ، وكتاب الطببوريين والطببوريات لعلي بن الحسين ابن علي بن كوجل العبسي الحلبي الذي نقل عنه ابن العديم^(٢) ، وكتاب شعار النداماء لأبي الحسن محمد بن أحمد الأفريقي^(٣) وكتاب جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين لأبي الحسين بن الطحان^(٤) من القرن الرابع وكتاب أبي العباس أحمد بن أحمد بن علي بن بابه الكاشي (المتوفى سنة ٥١٠) واسمه رأس مال النديم وهو مخطوط في مكتبة بتنة (الخند) رقم ٢٢٤٧ وكتاب ابن حموية الجوني أبي المظفر يوسف بن محمد الدمشقي (المتوفى سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩) واسمه تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم وهو مخطوط بدار الكتب في القاهرة .

ويدخل في باب هذه الكتب التاريخية الحضارية دون شك كتب الديارات

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٢) ابن العديم - بنيه الطلب (مخطوط أسد الثالث) ج ٨ ورقة ١٣٩ وجه .

(٣) المصدر نفسه . مخطوط ج ٨ ورقة ٥٩ وجه .

(٤) المصدر نفسه . مخطوط ج ٨ ورقة ١٩٤ ظهر ، ج ٧ ورقة ٦٥ ظهر .

التي كانت تجمع أخبار الغناء واللهو والخمر والنديم والأعياد ... وكانت مادة من مواد التأليف التاريخي الأثيرة إلى الكثيرين . ولعل أقدم كتاب فيها إنما كان : كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين هشام ابن محمد الكلبي (ت ٢٠٤ / ٨١٩) وقد ضاع .

ونعرف بعده :

- كتاب الديارات لأبي الفرج الأصفهاني ، وهو ضائع بدوره ، وإنما ذكره له ابن خلkan والمصفي وحاجي خليفة^(١) ، وقد نقل عنه البكري في معجم ما استجمم ونقل ياقوت في البلدان وابن قضل الله العمري^(٢) في مواضع كثيرة .
- كتاب الديرة للسري الرفاه الموصلي (المتوفى سنة ٣٦٢ / ٩٧٢) وقد ذكره ياقوت وابن خلkan .
- كتاب الديارات للخلالدين الأخوين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد شاعري سيف الدولة وخازنٍ كتبه وقد توفيا في أواسط القرن الرابع (٣٥٠ و ٣٨٠) .
- الأديرة والأعمار في البلدان والأقطار . للشمطاوي (أو السمياطي) أبي الحسن علي بن محمد بن المظفر العلوبي من حاشية الحمدانيين في المائة الرابعة (توفي سنة ٣٨٠) . ذكر ابن النديم أنه يعاصره^(٣) وقد وصف في كتاب الرجال للنجاشي بأنه أكبر كتاب عمل (في موضوعه) فيه

(١) انظر ابن خلkan - الوفيات ج ٣ ص ٣٠٨ الصافي - الواقي ج ١ ص ١١٨ (ط . ريتز)
حاجي خليفة - كشف الظنون ج ١ ص ٧٦٢ .

(٢) انظر البكري - معجم ما استجمم (ط . غوثتنن سنة ١٨٧٦) مثلاً ص ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦١
، ٣٦٥ ... الخ . وانظر العمري - مالك الأبصار ج ١ ص ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩
و ٣٠٨ ... الخ .

(٣) ابن النديم - الفهرس ص ١٥٤ وانظر هدية المارفرين ٢ ص ٦٨٣ .

بضعة وثلاثون ديراً وعمره . ونقل عن هذا الكتاب ابن العديم^(١)
وسمه كتاب الديرة وقد رأه بخط المؤلف .

- كتاب الديرة لمحمد بن الحسن بن رمضان التحوي - وقد أشار إليه ابن النديم^(٢) ونقل عنه ياقوت .

- كتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمدالمعروف بالشافعي (المتوفى سنة ٣٨٨ / ٩٩٨) وهو أشهر هذه الكتب ، والوحيد بينها الذي وقع في أيدينا وقد طبع أكثر من مرة (بتحقيق كوركيس عواد منذ سنة ١٩٥١) . ونبعد فيه من الآباء والأحداث التاريخية ما لو استخلص لكان مؤلفاً في الأخبار والتراجم والتقاليد الاجتماعية وفي آناء الموسيقى والفناء والتصوير والطعام واللباس والزيارة وأساليب العيش وأمر الأدباء والنديمان والوزراء والمعتني في ذلك المصر عدا قيمته البلدانية والأدبية .

واستمر التأليف في الأديرة بعد ذلك ولكن على ضعف . ومن ألف فيها :

- ابن بطلان : أبو الحسن المختار بن عبدون الملقب بـ «بوانس الطيب» (المتوفى بعد سنة ٤٥٥ / ١٠٦٢) وقد كتب كتاباً للأديرة والرهبان . وثمة من هذه الرسالة ثلاثة نسخ مخطوطة على الأقل .

- أسماء بن منقذ الأمير الشيزري (المتوفى سنة ٥٨٤) فإن له بين مؤلفاته التي تبلغ ٢٤ مؤلفاً كتاب المنازل والأديرة.

ويخل في باب التاريخ الحضاري ما كتب المؤلفون منذ القرن الثالث المجري حول أخبار المدايا والتحف وهو موضوع راج الرواج الكبير في القرن الرابع ، مع استبعاد الحضارة . ومن المؤلفات في ذلك :

(١) النجاشي - الرجال ص ١٨٧ . وانظر ابن المديم - بدية الطلب (عنطرط أحمد الثالث) ج ٨
ورقة ٢٢٠ ظهر وورقة ٩١ وجه وورقة ١٧٠ ظهر .

(٢) ابن النديم - الفهرس ص ٨٤ .

- كتاب المدايا المنسوب للجاحظ (٢٥٥هـ) وقد ذكره ياقوت^(١) وأضاف أنه منحول . ولكن الكتاب على أي حال كتب ووجد من قبل مؤلف مجهول .
- كتاب المدايا للمؤرخ الشاعر أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٨٠هـ) ذكره ابن النديم^(٢) .
- كتاب المدايا والستة فيها للفقيه الحنفي إبراهيم بن اسحاق الخريبي (٢٨٥هـ) ذكره ياقوت^(٣) .
- كتاب المدايا لأبي عبد الله محمد بن خلف بن المربزان (٣٠٩) البغدادي . ذكره ابن النديم^(٤) .
- كتاب المدايا لأبي بكر بن المربزان (ولعله المؤلف السابق نفسه) وقد وصلنا مختصر منه . بعنوان منتخب من المدايا في إحدى عشرة ورقة وهذا مختصر في ليدن .
- كتاب المدايا الذي نسبه ابن النديم لمجهول سماه بالخنديسابوري^(٥) .
- كتاب التحف والمدايا من تأليف الآخرين أبي بكر محمد . وأبي عثمان سعيد أبي هاشم الحالديين وقد توفي الأول سنة ٣٨٠ في أغلب الظن وتوفي الثاني بعده سنة ٣٩٠ . والكتاب في أحد عشر باباً تحيي أخبار التحف والمدايا والنهايات الثمينة ومنه أربع نسخ مخطوطة في استامبول والقاهرة . وقد طبع بتحقيق سامي الدهان (دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩م) .

(١) ياقوت - مجم الأدباء ج ١٦ ص ١٠٨ .

(٢) ابن النديم - المهرست (ط . غلوبجن) ص ١٤٦ .

(٣) ياقوت - الأدباء ج ١ ص ١١٢ .

(٤) ابن النديم - المهرست ص ١٤٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٧١ .

- كتاب المدايا وضعه أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد الحراساني . الرواية الكثير المسماع (المتوفى سنة ٣٧٧). ذكره ابن النديم وأضاف أنه كان في ٣٠٠ ورقة وأنه شهد منه نسخة بخطه^(١).
- كتاب التحف والطرف لابن لبيب غلام أبي الفرج البيغاء . والبيغاء شاعر معروف (توفي سنة ٣٩٨) وقد ذكر الشاعري هذا الكتاب في بيته^(٢).
- كتاب التحف والطرف لابن عفيون . ذكره المقربي في فتح الطيب وأضاف أن الكتاب وقع لأبي الحسن ابن زنون وهو أسير ونقل عنه بعض الخبر^(٣).
- كتاب التحفة والطربة لعبد الرحمن بن نصر الدمشقي (من رجال القرن الخامس أو السادس ؟) ذكره ابن ظافر الأزدي في بدائع البدائة ونقل عنه بعض الخبر^(٤).
- كتاب المدايا والتحف مؤلف مجهول من عهد المستنصر الفاطمي (القرن الخامس الهجري) كان في حاشية الخليفة ومات بعد سنة ٤٦٣ . وقد نشر الكتاب خطأً بعنوان الذخائر والتحف كما نسب خطأً إلى القاضي الرشيد بن الزبير (نشر في الكويت بتحقيق محمد حميد الله سنة ١٩٥٩).
- وقد توفي القاضي الرشيد الأسوانى سنة ٥٦٢ بينما يذكر المؤلف أنه شهد تحف القصر الفاطمي تباع أيام الشدة المستنصرية (بين سنى ٤٥٧ - ٤٦٤) وشهد رسول البيزنطيين إلى المستنصر الفاطمي .
- كتاب الحماهر في معرفة الجواهر للبيروني وهو صالح .

(١) المصدر نفسه من ١٢٢ وياقوت ، الأدباء ج ١٨ ص ٢٧١ .

(٢) الشمالي - بيته الدهر (ط . مصر) ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) المقربي - فتح الطيب (ط . أوروبا) ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٤) ابن ظافر - بدائع البدائة (ط . محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٧٠) ص ٣٨٧ .

- كتاب التحف والمدايا للسعاني تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد (المتوفى سنة ٥٦٣ / ١١٦٨) ، وهو ضائع .

- كتاب العجائب والظرف والمدايا والتحف لقاضي الرشيد ابن الزبير الأسواني المقتول سنة ٥٦١ أو سنة ٥٦٢ ، وهو ضائع أيضاً . وقد اختلط أمر هذا الكتاب على ناشر الكتاب السابق الذكر وحبيه إيهاء .

كما يدخل في باب التاريخ الحضاري كذلك ما كتب من أخبار الفروسية وال Herb والسلاح والخيل والبزرة وطرق القتال . وقد كان مثل هذه الكتب موجوداً منذ العهد الساساني ، وترجم منها للعربية كتب : الرمي لهرام جور ، والغرب بالصوابحة ، وتعبيبة الحروب وأدب الأسورة . وأدب الحروب لأزدشير بن بابك . كما كتب مثلها للمنصور (كتاب آداب الحروب وصورة العسكر الذي وضعه عبد البهار بن عدي) وكتب للمأمون أيضاً كتاب الجيل للهرمي الشعراوي – وهو مخطوط موجود ^(١) . وقد استمر الخط نفسه في هذه الكتب ومنها :

- كتاب الحيل والفروسية الذي وضعه محمد بن يعقوب ابن أخي خرام المختلي وقد نقل عنه ابن العذيم ^(٢) .

- كتاب تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب لمرضى ابن علي الطرسوسي ^(٣) .

- كتاب الحروب والسياسة لابن المهندس أبي الفضل الدمشقي (المتوفى سنة ٥٩٩ / ١٢٠٣) وهو ضائع .

(١) انظر حول هذه الكتب : ابن النديم – الفهرست من ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) ابن العذيم – بذة الطلب (مخطوط أحد الثالث) ج ٨ ورقة ١٣١ ظهر .

(٣) نشر هذا الكتاب كلاود كامن في نشرة الدراسات الشرقية (المهد الفرنسي بدمشق) سنة

. ٤٨ - ١٩٤٧

- كتاب عمدة السالك في سياسة المالك (وهو في أساليب الحرب) لأبي يوسف المنجنيقي (المتوفى سنة ٦٢٦) وقد ذكره ابن خلkan^(١).
- التذكرة المروية في الحيل الحربية لعلي بن أبي بكر المروي (المتوفى سنة ٦١١ / ١٢١٤) بحلب ، وقد نشر محققاً مرتين (سوردل - دمشق سنة ١٩٦٠ ، المرابط - دمشق ١٩٧٢).

٣ - أثر الحاجة السياسية والإدارية

وننتقل إلى حاجات التنظيم السياسي والإدارة لنجد أن جهداً متصلاً قد بذل عن طريق التدوين التاريخي لتأصيل وتوطيد المؤسسات التي تقوم عليها الدولة ولتعليم الأجيال اللاحقة ، تجارب الأجيال السابقة . وهكذا فتح على علم التاريخ باب واسع آخر من المعالمات من خلال الكتب التي تتحدث عن الوزارة والمحاجب والكتاب والقصاص والولاة والشرط وكتب المراجح والحساب وكتب التعليم السياسي وأخبار كل أولئك ، وهي بالعشرات ومعظم مواضعها أضحت عنواناً لسلسل طويلة من المؤلفات عبر العصور عصراً بعد عصر واجتماعياً أحياناً يقتصر واحد دون قطر ... ففي كتب الوزارة جاءت سلسلة طويلة يبدأ أن أول من بدأها هو :

- أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح (المتوفى سنة ٢٩٦ / ٩٠٨) بتأليفه (كتاب الوزارة)^(٢) وقد كان ابن الجراح نفسه وزير يوم وليلة لاين المعتز خليفة يوم وليلة ! وقد ضاع الكتاب ... كما ضاعت الكتب التي تابعته ، وقد تابعه بالفعل جماعة متعاصرون في مطلع القرن الرابع راقهم

(١) ابن خلكان - وفيات ٢٢٦/٣ (ط . بولاق) وانظر كذلك حامي خليفة - كشف الظنون ج ٢ ص ١١٦٧ .
 (٢) ابن الدمن - الفهرس ص ١٢٨ .

الموضوع الجديد فاندفعوا يؤلفون فيه ويملاونه دون شك بذلكياتهم .

- واحد منهم هو صاحب ابن الجراح : أحمد بن عبيد الله بن محمد ابن عمار الثقفي الساكت (المتوفى سنة ٣١٩ / ٩٣١) (وكان يعرف بمحار العزيز) وله مشاركة تاريخية واسعة تجلت في عدد من الكتب التي كتبها مثل : أخبار مقاتل آل أبي طالب (ويدعى كتاب المبيضة) ورسالة فيبني أمية ، ورسالة في تفضيلبني هاشم وكتاب أخبار عبد الله بن معاوية وكان من كتبه أيضاً ، الزيادات في أخبار الوزراء^(١) .

- ثم شاركهما في الكتابة كذلك : أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب (المتوفى بعد سنة ٣٣٦ / ٩٤٧) ، وكان يعرف بالملطوق . وقد انتهى إلى سنة ٣١٩ / ٩٣١ وزارة أبي القاسم عبيد الله الكلوذاني وروى أخبار عدّة من وزارة المقتدر^(٢) في كتابه مناقب الوزراء .

- وكتب ابراهيم بن محمد بن نفطويه (المتوفى سنة ٣٢٣ / ٩٣٤) بدوره وفي الوقت نفسه كتاب الوزراء .

- وابراهيم بن موسى الواسطي ، الذي عارض كتاب ابن الجراح^(٣) .

- وأبو الحسن علي بن الحسن وقد لقب بابن المشطة ، وقد عاش لما بعد سنة ٣١٠ / ٩٢٢) وبلغ في تصنيفه : أخبار الوزراء إلى آخر أيام الراضي بالله^(٤) .

وقد نجا من هذه المجموعة من المصنفات المعاصرة كلها مصنف واحد وضعه :

(١) المصدر ذاته ص ١٤٨ ويسميه الكتاب خطأ ابن عمار .

(٢) أشار إلى هذا الكتاب المسعودي (مروج الذهب ج ١ ص ١٦) وحفظ بعض الفقرات منه المؤلف المجهول صاحب كتاب الدخائر والتحف من ٤٧ ، ص ٢٢٩ ، وابن حجر في رفع الأسر (مخطوط بارييس) ورقة ٨٠ ظهر ، وذكره ابن التديم في الفهرس ص ١٢٩ .

(٣) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٦ .

(٤) المسعودي - مروج الذهب (ط . بلا) ج ١ ص ١٥ .

- الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس الذي (توفي سنة ٣٣١) . وعنه نجهل الكثير عنه . ولكتنا نعرف أنه عاش تلك الفترة واكتوى بما اكتوى به أمثاله من الكتاب في ذلك العصر من المصادرة والاضطهاد ، والكتاب الذي كتبه باسم كتاب الوزراء مؤلف ضخم بقيت لنا منه القطعة الأولى وتقف عند وزارة الفضل بن سهل للمأمون . أي أن هذا الناق يحرمنا من شهادة الجهشياري لعصره ومشاهداته فيه ولكنه مملوء بالوثائق والأخبار الهامة .

ثم جاء بعد ذلك :

- أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي الكاتب (المتوفى بين سنة ٣٣٥ - ٩٤٦ / ٣٣٦) الذي وضع (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) الذي بقى لنا منه بعضه وقد ذكر عنه المسعودي أن « فيه غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها ... » .

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي الرازي (المتوفى سنة ٣٦١) وله كتاب أخبار الوزراء^(١) .

- الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني (المتوفى سنة ٣٨٥ / ٩٩٠) فكتب (أخبار الوزراء)^(٢) ... وهو ضائع بدوره .

- ثم ألت التوحيدى أبو حيان علي بن محمد بن عبام (المتوفى سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩) كتاب مثاب الوزيرين (العميد وابن عباد) وقد ضاع أيضاً .

- وجاء الشعابي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (المتوفى سنة ٤٢٩ / ١٠٣٨) فكتب بدوره (تحفة الوزراء) الذي قدمه إلى

(١) انظر هدية العارفین ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ١٣٥ .

وزير خوارزم شاه الفزني أبي عبد الله الحمدوني . ومنه مخطوط في القاهرة (دار الكتب رقم ٥ نحو ش في ٤٢ ورقة) وقد رتبه العالبي على خمسة أبواب : أصل الوزارة . آدابها ، فضائلها ، أقسامها ، نكت الوزارة .

- ثم جاء أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابيء . الكاتب (المتوفى سنة ٤٤٨ / ١٠٥٥) فوضع (تاريخ الوزارة والأمراء) . وقد نشر المستشرق آمدو ز ما وجده منه (بيروت سنة ١٩٠٤) .

- وجاه الماوردي نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٤٥٠ / ١٠٥٧) صاحب الأحكام السلطانية : فكتب أيضاً : (كتاب الوزارة) ومنه مخطوط في استانبول (أمانة رقم ١٣٤٥ في ٧٢ ورقة بخط جميل مبدول ، كتب هدية إلى أحد الوزراء) .

- وكتب ابن ماكولا ، بعد ذلك . أبو نصر علي بن هبة الله بن علي العجلي البغدادي الأمير الوزير (المتوفى سنة ٤٨٧ / ١٠٩٣) فكتب (كتاب الوزارة) الفصانع .

- وكتب الإقليدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الفارسي (المتوفى سنة ٥٠٧ / ١١١٣) كتاب الوزارة الفصانع بدورة^(١) .

- وأعقبه أبو الحسن محمد بن عبد الملك المدائني (المتوفى سنة ٥٢١ / ١١٢٧) بوضع : كتاب أخبار الوزارة الذي لم نعرف عنه غير اسمه وجعله ذيلاً على كتاب الصولي .

عل أن الكتاب التالي كتب بالفارسية أولاً وهو الذي وضعه :

- أبو شروان ابن خالد الوزير السلجوقي المتوفى سنة ٥٣١ فقد وضع

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ٨١ ومن المحتمل أن يكون الإقليدي هذا والرازي المذكور في الصفحة السابقة شخصاً واحداً أكرره صاحب هدية العارفين بتاريخين مختلفين للوفاة .

لوزراء السلاجقة تاريخاً باسم (فتور زمان الصدور وصدر زمان الفتوح)
أرخ فيه للدولة السلجوقية من أول عهد ملكتها حتى عهده فجاءه
ابن أخيه :

- العmad الأصبهاني أبو عبد الله محمد بن صفي الدين محمد بن حامد
الكاتب المشهور (المتوفى بدمشق سنة ٥٩٧ / ١٢٠١) فعرب ذلك
الكتاب وأضاف عليه أخبار الوزراء وتاريخ السلاجقة حتى سنة ٥٧١
وسماه : نصرة الفطرة وعصرة الفطرة في أربع مجلدات . والكتاب
مخطوط موجود في باريس ولكن مختصره الذي صنعه البنداري هو
الذي طبع منذ سنة ١٩٠٠ باسم تاريخ الدولة السلجوقية .

- وكتب بعد ذلك القادسي محمد بن أحمد الحنبلي الكوفي البغدادي (المتوفى
سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧) . (كتاب تاريخ الوزراء) وقد ضاع^(١) .

- ثم جاء كاتب اسمه خليل بن المحسن فكتب كتاباً في الموضوع نفسه
ضاع بدوره بالرغم من أنه حظي بدليل عليه كتبه :^(٢)

- أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان بن الساعي البغدادي
السلامي ، نخازن كتب المستنصرية (المتوفى أيضاً سنة ٦٧٤ / ١٢٧٥) .
كتاب : أخبار الوزراء في دول الأئمة الخلفاء ... وهو ضائع بدوره^(٣) .

وفي الوقت نفسه تقريباً وضع :

(١) لم تذكر المصادر كتاباً في الوزراء القادسي غير أنا وجدها الإشارة إليه لدى ابن حلكان (ج ٦
ص ٢٢٠ ترجمة الوزير ابن هبيرة) .

(٢) ذكر عبد الله مخلص في مقدمة لكتاب الإشارة إلى من نال الوزارة رجلين كتاباً في تاريخ الوزراء
متاليين باسم تاج الدين علي وتوفيما سنة ٦٧٤ أحدهما على بن المسين والتالى على بن أنجب ونظر
أنه وهم وأنهما شخص واحد هو ابن الساعي نفسه (انظر ص ١٠ من كتاب الإشارة ، طبع
المهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٢٤) .

(٣) كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٨ والمخاوي - الاملان (ط . دوزنال) ص ٥٥٢ .

- أبو الفضل جمال الدين أحمد بن مهنا العبيدي الحسيني (المتوفى سنة ٦٨٢ / ١٢٨٣) كتاب وزراء الزوراء الذي نقل عنه ابن القوطي عدداً من التراجم والأخبار^(١).

وسوف تظل السلسلة متصلة من بعد ... في العصور التالية .

ولم تكن الكتب في الكتاب والقضاء والولاة أقل اغراء للمؤرخين وقد تركوا فيها تراثاً واسعاً . وغالباً ما كان أهل كل عمل يورّخون سابقيهم فيه ، وكما كان الوزراء والكتاب يورّخون لأنفسهم كان القضاة يورّخون لأبناء مهنتهم بدورهم . وكانت هذه التوارييخ تأخذ أحياناً شكل الدليل المهني للصنعة وشكل المعلومات التي يعدّ حفظها من أول الموارد لها . ومن مؤرخي القضاة:

— أبو بكر محمد بن خلف بن حيّان المعروف بوكيع القاضي (المتوفى سنة ٣٠٦ / ٩١٨) وهو معاصر للطبراني وقد كتب أوسع كتاب حتى عهده في «أخبار القضاة» وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٤٧).

الإصطخري أبو معيد بن أحمد بن يزيد بن عيسى من ولد هانىء بن قبيصة (٢٤٤ - ٣٢٨ / ٨٥٨ - ٩٤٠) قاضي قم وقد صنف كتاباً حنافياً في (أدب التقاضي) لم يصنف مثله في ياباه^(٢) على حد قول ابن كثير.

- وكتب أبو بكر أحمد بن كامل الشجري (٢٦٠ - ٣٥٠ / ٨٧٣ - ٩٦١) كتاب أخبار القضاة الشعراء ومحظوظه في استانبول (بني ٢٢٣/٢)

— وكتب المخاوف عبد الغني بن سعيد بن علي بن بشر الأزدي المصري السمرقندى (المتوفى سنة ٤٠٩ / ١٠١٨) كتاباً في أخبار القضاة^(٢).

(١) انظر ابن الفوطي - تلخيص مجمع الآداب (نشر مصطفى جواد - دمشق ١٩٦٣) القسم الأول من الجزء الرابع من ١٠٤ ، ١٠٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٤٠ ، ١٤٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، والقسم الثالث من ١٠٤ ، ٣٠٤ ص .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية (حوادث سنة ٣٢٨) ج ١١ ص ١٩٢ .

(٣) ذكره السحاوي - الاعلان بالتوقيع (ط . روزنفال) ص ٥٧٤ .

- وكتب كل من سليمان بن علي بن عبد السميع وأبي الحسن الموسى الرضي بدورهما كتابين في الموضوع نفسه^(١).

- وكتب الماوردي المعروف (ت. سنة ٤٥٠) كتاب أدب القاضي وهو رغم اختصاصه بمحوي الكثير من الأمور التاريخية. طبع بتحقيق محبي هلال سرحان في بغداد سنة ١٩٧٢ في جزأين.

- ثم كتب القاضي أبو القاسم علي بن محمد السناني الرحبي (المتوفى في نهاية القرن الخامس سنة ٤٩٩ / ١١٥٥) مؤلفه روضة الفضة وهو مخطوط نشر قسمه الأول^(٢) وفي نهاية الكتاب فصول في تاريخ القضاة حتى زمانه.

- وتبعه القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي المانداني الواسطي (المتوفى سنة ٥٥٢ / ١١٥٦) فوضع كتاب الحكم ولادة الأحكام في دار السلام.

وانقضى عهد القضاة الكبار في بغداد قبل أن تنتهي هـ هي نفسها سنة ٦٥٦ فلم يظهر من تاريخ خاص بهم من بعد ذلك فيما نعلم .
ويلحق بكتاب تاريخ القضاة كتب الحسبة وهي أصلق بالتاريخ الحضاري منها بتاريخ الاحتساب والمحتسبيين . كانت كتبًا تعالج الأمور العملية ، في طابع تعليمي يوضح عمل المحاسب ولم تكن تحوى إلا القليل عن تاريخ هذه المؤسسة الاجتماعية الكبيرة الأهمية في تاريخ المدن الإسلامية . ونعدد من كتب الاحتساب المعروفة ما كتبه :

- أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السريخسي (المتوفى سنة ٢٨٦)^(٣) .
وقد سمى الحسبة الكبيرة . وهو أول كتاب نعرفه في هذا الموضوع .

(١) ذكرها المصدر السابق نفسه ولكن لم نثر على ترجمة لها ولعلهما من القرن الخامس .

(٢) نشر الأستاذ صلاح الدين الناهي في بغداد سنة ١٩٧٠ القسم الأول من الكتاب وهو قصائى لا تاريخي ثم نشر الجزء الثاني بعد سنتين .

(٣) حاجي خليفة - كشف الظنون ج ١ ص ٦٦٥ .

وبتلاعه الفترات من بعده لظهور الكتب المماثلة فلم يظهر من كتاب فيها حتى جاء :

- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (المتوفى سنة ٤٥٠) فوضع (كتاب الرتبة في طلب الحسبة) الذي ضاع^(١).
- وأدخل النزاوي أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى سنة ٥٠٥ / ١١١١) فصلاً واسعاً في الموضوع ضمن كتابه إحياء علوم الدين.
- ثم كتب عبد الرحمن بن نصر الشيزري (المتوفى سنة ٥٨٩ / ١١٩٣) أهم كتاب في الحسبة نعرفه بعنوان نهاية الرتبة في طلب الحسبة (وقد طبع في القاهرة - الباز العربي ١٩٤٦) فكان الكتاب الأم للكتب التي كثرت في العصر المملوكي من بعد كما ظهرت في الأندلس والتي يبلغ مجموعها أكثر من ثلاثين كتاباً في أيدينا منها سبعة عشر مخطوطاً وألنا عشر مطبوعاً ...

وقد أرخ الكتاب بدورهم لأبناء صناعتهم ، كما فعل القضاة . ومتى عمل على ذلك بعد أحمد بن الحارث النزار (صاحب كتاب أسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة) وبعد أبي علي أحمد بن اسماعيل بن الحصيب الأنباري المعروف بتطاحة صاحب (طبقات الكتاب) :

- محمد بن أحمد بن الحسين بن الحرون (من مطالع القرن الرابع) وهو بغدادي من أولاد الكتاب وقد ألف بين ما ألف: (كتاب الكتاب)^(٢).
- داود بن علي بن الجراح (النصف الثاني من القرن الثالث) الذي كتب: أخبار الكتاب .
- وتلاه حفيده علي بن عيسى بن داود الوزير (المتوفى آخر سنة ٣٣٤)

(١) تذكر بعض المصادر الماوردي كتاباً بهذا الاسم . ومن الأرجح أنهم إنما يقصدون ذلك الجزء من كتابه (الأحكام السلطانية) الذي يتحدث فيه عن الحسبة . فإن صح هذا فالكتاب موجود مطبوع ...

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ١٤٨ .

بعد أن وزر ثلاث مرات لل الخليفة المقتدر : فكتب كتاب الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء .

وكتب بعد ذلك في الموضوع نفسه ثلاثة من المؤلفين في أواسط القرن الرابع هـ :

- أبو الحسن أحمد بن محمد بن حمارة الكاتب صاحب كتاب امتحان الكتاب وديوان ذوي الألباب .
- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب (المتوفى سنة ٣٣٤ / ٩٤٦) صاحب كتاب الكتاب والصناعة الذي كان أحد مصادر كتاب الوزارة للصابيء وقد فقد ...
- أبو سحق ابراهيم بن أبي عون أحمد بن المنجم مؤلف كتاب الدواوين^(١)

وتلامهم بعد ذلك :

- ابن حاجب النعمان الكبير أبو الحسين علي بن عبد العزيز بن ابراهيم الكاتب الملقب برئيس الرؤساء (وقد توفي سنة ٤٢٣) بعد خدمة للخلفاء دامت أربعين سنة و عمر وصل الثالثة والثمانين ، وقد كتب (ذخيرة الكتاب) لأبناء مهنته^(٢). ونقل عنه ابن النديم بعض الصفحات.
- هلال الصابيء (المتوفى سنة ٤٤٨ / ١٠٥٦) وقد ألف : كتاب الكتاب^(٣).

غير أن هذا النوع من التواريخ للكتاب اضمحل بعد ذلك فلا نكاد نسمع عن تاريخ يخص هذه الفتاة لأنها لم تعد ذات مكانة سياسية أو ثقافية كبيرة بينما صار الوزارة هم رأس هذا الجهاز الإداري الصغير بالنسبة لل الخليفة وقصره

(١) انظر في ملوك الثلاثة : ابن النديم - الفهرست من ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٣٢ .

(٢) ابن النديم - الفهرست من ١٩٣ ، ص ٢٣ .

(٣) الصندي - الواني بالوقفيات . ترجمة هلال الصابيء (نفلا عن مقدمة أمدروز لكتاب الوزارة طبعة سنة ١٩٠٤) .

كأن الوزير في البلاط السلاجوقى قد ابتلع مكانة الكاتب ونفوذه لدى السلاطين السلاجقة كما أضحت منصب الكتابة ثانٍ للغة (يكتب بالفارسية والعربية) وبخنس بإنشاء الرسائل فقط ويشارك معه فيها صاحب الطفراء الذي يشبه أن يكون نائب الوزير ورئيس الكتاب والديوان وحاصل الأختمام الرسمية . ولهذا اقتصرت الكتب المؤلفة لكتاب على تعلمهم «الصناعة» ليكونوا موظفين بارعين . ولم بهمل المؤرخون الحجاب ، بجانب الوزراء الكتاب فكتبوها عنهم ومن ذلك :

- ابن أبي طاهر أبو الفضل أحمد (المتوفى سنة ٢٨٠ / ٨٩٣) صاحب تاريخ بغداد الذي كتب في الوقت نفسه (كتاب الحجاب) الصائغ^(١) .

- المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد (المتوفى سنة ٣٧٨ / ٩٨٨) وهو خراساني الأصل ، اخباري واسع التصنيف جداً . مؤلفاته ليست كثيرة في العدد فقط ولكن في الأوراق التي تبلغ المئات دوماً وتتباين أحياناً كثيرة على الآلاف . ومنها : كتاب زمر الحجاب في مائتي ورقة .

- وكتب هلال الصابيء (المتوفى سنة ٤٤٨ / ١٠٥٥) كتاب : رسوم دار الخلافة يروي نظم المراسم وتقالييد القصر التي يسره على تنفيذها الحجاب ، والكتاب مطبوع .

- سبط ابن التماعي الذي أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن نشتكين البغدادي الشاعر (المتوفى سنة ٥٨٤ / ١١٨٨) وقد كتب (الحجبة والمحجب) .

وكما لحق بالقصاء أمر الحسبة لحق بالكتاب أمر الخراج وقد كان هذا الموضوع من الأهمية في النظام السياسي ومن المساس بتكوين الدولة وأوضاع الرعية ، ومن الضرورة العلمية والعملية لأصحاب الدواوين والكتاب وللناس

(١) ابن النديم - الفهرست ص ١٤٦ .

بحيث تكاثرت فيه الكتب منذ كتاب^(١) أبي عبيد الله معاوية بن يسار وزير المهدى الذى نقل الخراج إلى المقاومة وصنف كتاباً ذكر فيه كافة أحواله فكان أول مصنف في هذا الموضوع ثم تبعه مؤلف أشهر منه هو أبو يوسف قاضي الشيشيد . وكانت المؤلفات في الخراج تحمل اسم (الخراج) وقد تحمل أحياناً اسم الأموال ولكنها تحوى في الحالين اشارات ومعلومات تاريخية في الدرجة الأولى من القيمة والثأر وقد ذكر منها ابن النديم ثمانية عشر كتاباً حتى عهده (في النصف الثاني من القرن الرابع) ومن المؤلفين في ذلك :

- أبو عبيد القاسم بن سلام بن مسكن (المتوفى سنة ٢٢٤ / ٨٣٩) وكتابه «الأموال» من أهم الكتب التي وصلتنا في موضوعه مع كتاب أبي يوسف.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الكهم ويعرف باسم أبي سهل الأحول (المتوفى سنة ٢٧٠) وله كتاب الخراج وقد نقل عنه ابن العديم في القرن السابع بعض أخبار التاريخ^(٢).
- ابن الماشطة أبو الحسن علي بن الحسن ولقبه المظلوم بابن الماشطة (توفي بعد ٣١٠) وقد ناهز التسعين ، وله كتاب الخراج^(٣) وكان متقدماً في هذا العمل .
- ابن بشّار أحمد بن محمد بن سليمان الكاتب (من مطالع القرن الرابع) وقد وضع في الخراج كتاباً كبيراً في نحو ألف ورقة رآها ابن النديم بخطه^(٤).

(١) الطقطني - الأسماك السلطانية ص ١٦٣ وينظر ابن النديم أن حفصويه هو أول من ألف كتاباً في الخراج (انظر ص ١٣٥ من الفهرست) ولم نستطع التحقق من سنة وفاة حفصويه لغرض سبقه معاوية الوزير .

(٢) ابن العديم - بنية الطلب (مخطوط إيا صوفيا) الورقة ٦٢ وجه .

(٣) ابن النديم - الفهرس ص ١٣٥ .

(٤) ابن النديم - الفهرس ص ١٣٥ .

وقد ازدحم النصف الأول من القرن الرابع بعدد من المؤلفين تناوبوا الكتابة في هذا الباب كدليل على اهتمام الناس بمعرفة أصل نظامهم المالي . ومنهم :

– الكلواذاني ، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن محمد ويرقى نسبه إلى أزدشير بن بابل . كان صاحب ديوان السوداد في مطالع القرن الرابع وتوفي بعد سنة ٣٣٦ ، وقد كتب كتاباً للخارج سنة ٣٢٦ ثم عدله بنسخة أخرى سنة ٣٣٦^(١) .

– عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ، الكاتب ، وزير المتقي (٣٢٩ - ٩٤٣ / ٩٤٤) شقيق الوزير علي بن عيسى . وله كتاب تاريخي هام ضائع هو : سيرة أهل الخارج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث . يحاجب كتاب آخر في الخارج كبير لم يتممه . وكتاب في التاريخ منذ سنة ٢٧٠ حتى أيامه^(٢) .

– قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (المتوفى سنة ٣٣٧ / ٩٤٨) وكتابه : (كتاب الخارج وصنعة الكتابة في البلاد ومعرفة خراجها وترتيب الكاتب وما يحتاج إليه من الرياسة) كتاب معروف وقد بقي لنا منه نصفه الثاني ومنه نسخة خطوظة في استامبول (مكتبة كوبيريلي رقم ١٠٧٦) نشر بعض المستشرقين قسماً منها .

– العياشي أبو النصر محمد بن مسعود وهو من كبار فقهاء الشيعة الإمامية قبل أن تسمى الأصل وقد عاش في سمرقند في أواسط القرن الرابع . أنفق على العلم ٣٠٠ ألف دينار ورثها عن أبيه وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو قاريء أو مقابل أو معلق مملوء من الناس ...^(٣) وقد ألف

(١) المصدر نفسه ص ١٣١ .

(٢) ابن الدجيم – الفهرست ص ١٢٩ .

(٣) انظر الخوانصاري – روضات الجنات (طبع حجر – طهران ١٣٤٧) ص ٥٣٠ .

ما يزيد على ٢٠٨ كتب من بينها كتاب الجزية والخراج^(١).

ثم جاء من بعد ذلك :

- أبو الحسين اسحق بن يحيى بن سريج النصراوي (ولد سنة ٣٠٠ / ٩١٢) ومات بعد سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ وكان عارفاً بأمور الدواوين ومناظرة العمال وصناعة الخراج فكتب كتاب الخراج ، كبيراً في جزأين ثم كتب كتاب الخراج الصغير . بجانب كتاب جمل التاريخ^(٢).

- أبو الفرج محمد بن سهل الشعبي الكاتب (المتوفى سنة ٤٢٣ / ١٠٣١) ، وقد ألف أيضاً : كتاب الخراج^(٣).

- عميد الرؤساء ابو طالب محمد بن ابوبن سليمان البغدادي الوزير (المتوفى سنة ٥٤٨ / ١٠٥٥) كتب لل الخليفة القائم ١٦ سنة وقد ألف كتاباً في الخراج^(٤).

وتغيب أمثل هذه الكتب بعد هذه الفترة لأن الحكم السلاجوقى الذي ساد المنطقة منذ سنة ٤٤٨ قد عدل النظام المالي الخراجي القديم التعديل الواسع فلم يعد له سوى القيمة التاريخية ...

ولم يحمل المؤلفون موضوع التقدّد والسلكة . كانوا يبحثونه تارة مع كتب الخراج (كما فعل أبو يوسف) أو مع كتب الفتوح (كما فعل البلاذري) أو مع الأحكام السلطانية وشئون الكتابة (كما فعل الماوردي) على أنهم كانوا أحياناً يفردونها ومن أولئك :

- أبو بكر المعروف بوكيع القاضي صاحب أخبار القضاة وله كتاب التصرف والنقد والسلكة ، وكتاب المكافيل والموازين .

(١) انظر قائمة كتبه الطويلة لدى ابن النديم - الفهرس ص ١٩٤ - ١٩٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٣) الصندى - الواقى ج ١ ص ١١٦ .

(٤) ابن الفوطى - تلخيص معجم الألقاب (نشر مصطفى جواد - دمشق ١٩٩٣) ج ٢/٤ ص ٩٤١ - ٩٣٩ .

٤ - التأثر بمادة العلوم الأخرى ونحوها

ومن يكن في وسع التاريخ أن يعيش في عزلة عن تلك الحركة العلمية الواسعة التي أخذت الناس منذ القرن الثاني المجري وبلغت أوجها في القرن الرابع . كان لا بد لنحو الفلسفة والمنطق وتطور الفكر الجغرافي بالاطلاع والرحلات وضلع الكثرين في الفلك والأزياج أن تؤثر بشكل أو باخر على الفكر التاريخي نفسه وعلى طرائق التدوين . لقد وجد المؤرخون في العلوم الأخرى مادة عقلية جديدة ، وإذا سمحت لهم هذه المادة بتوسيع مصادرهم وبالتالي في إضافة مادة جديدة إلى مصادر التاريخ فأهم من ذلك أنها أدت خاصة إلى تعظيم المنهج التاريخي وإدخال طرائق جديدة تزيد في دقة وسعة معلوماته من جهة وفي منطقة الأحداث من جهة أخرى .

وعلاقة التاريخ بالنجوم والفلك نجحت عن امتداد المنجمين أنفسهم على ميدان التاريخ . وأخوان الصفا يعلمون ما ينبغي على المنجم معرفته : « معرفة التواريخ والبدايات » و « الملل والدول وتبدل الأشخاص على سير الملك . والحروب والفنون والحوادث والكائنات من الغلاء والرخص والخصب والجذب والوباء والأمراض ... وحوادث الأيام ... الخ » . فكانما عمل المنجم هو التاريخ ولكن المستنتاج من الأفلالك لا المروي من قبل الناس . وهكذا فإن كتب النجوم كانت تحوي بعض المادة التاريخية ومن أمثلتها كتاب الألوف لأبي معشر مما يجعل الفرز بينها وبين التاريخ والنقل عنها إليه ميسوراً للمؤرخين . ومغرياً لهم .

وهكذا فقد كان من شأن انتشار علم الفلك والنجوم أن استخدمت الأزياج والعلوم الفلكية في تاريخ الأحداث وتحديد أوقاتها . وأحياناً في تعليلها . ولعل من أقدم الأمثلة على هذا التأثر « العلمي » في التاريخ كتاب الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني (٤٤٠ / ٤٤٨) . على أننا نجد الكثير من التحديدات الفلكية للأحداث بالأبراج وغيرها لدى حمزة الأصفهاني في تاريخ سبي ملوك الأرض

والأنبياء واليعقوبي ، والسعودي ، والمطهر المقدسي وابن حوقل وابن ميسير في مصر وابن القلانسي في دمشق وابن العديم في حلب .

ولقد أخذ بعض المؤرخين عن أصحاب النجوم والفلكيين حساباتهم المتعلقة بتاريخ الدنيا وتاريخ الأمم فيما قبل الإسلام . يقول حمزه الأصفهاني « ولم أجد لتواريخ سني (القبط) ذكراً في الكتب إلا في الزينة »^(١) وبهذه الوسيلة توفر لهم مقدار من المادة التاريخية الهامة . وكان اليعقوبي يشير في بداية حكم كل خليفة إلى الطواعي والتنجيم . وكثير من التواريخ البلدانية كانت تشير إلى الطواعي التي كانت قائمة عند بناء أي مدينة من مثل ما ذكره ابن العديم عن تاريخ حلب وتاريخ أنطاكية وما ذكره ابن الأزرق عن بناء ميافارقين .

وكثيراً ما كانت معرفة النجوم والطوالع سبلاً إلى تعليل بعض الأحداث : كمقاتل بعض الناس^(٢) أو خلود بعض المدن^(٣) أو ميلها إلى الفتن^(٤) أو تفسير بعض الكوارث الطبيعية من فيضانات وأوبئة ومجاعات .

(ب) واستخدمت معطيات الفلسفة والمنطق وعلم السياسة خاصةً وعلم الكلام في بعض الكتب التاريخية وعلى مستويات مختلفة تدل كثُرها على تلك الصلة الواشحة ما بين الفكرين الفلسفى والتاريخي : فقد شهد القرن الرابع خاصةً محاولات للمزاوجة بين التاريخ والفلسفة في نظام فكري منسجم متكامل . يذكر السعودي أن سنان بن ثابت بن قرة أهمل بتأليف كتاب « استفتحه بحاجة من الكلام في أخلاق النفوس وأقسامها من الناطقة والغنبية والشهوانية وذكر

(١) حمزه الأصفهاني - تاريخ سفي ملوك الأرض (ط . دار الحياة - بيروت) ص ٧٤ .

(٢) انظر ما ذكره روزنثال في هذا الصدد في علم التاريخ عند المسلمين النص الانكليزي ص ٩٨ - ١٠٠ ، والترجمة العربية ص ١٤٥ - ١٥٧ .

(٣) انظر الطبرى ج ٩ ص (١٤٦٣/٣) حوادث سنة ٤٤٧ والتباو فيه بقتل المركل .

(٤) انظر ما يقوله ابن حوقل عن دمشق ومكة وسرقت واردبيل وصقلية - صورة الأرض (طبعة دار الحياة - بيروت) ص ١٦٢ .

لماً من السياسات المدنية مما ذكر أفلاطون في كتابه في السياسة المدنية وهو عشر مقالات . ولماً مما يجب على الملوك والوزراء . ثم خرج إلى أخبار زعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك بأخبار المعضد بالله وذكر صحبته إياه وأيامه السالفة معه ثم ترقى إلى خليفة خليفة في التصنيف مضادة " لرسم الأخبار ... " وانتقده المسعودي فقال انه : « انتحل (بذلك) ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من طريقته ... »^(١) وجرت محاولة أخرى على المستوى نفسه ولعلها أكمل منها وأعمق لأنها كانت محاولة للفلسفة التاريخية واختضاع احداثه من الناحية الظاهرية على الأقل للإطار الفلسفى . وصاحبها هو المطهر بن طاهر في كتابه البدء والتاريخ ، الذي ألفه سنة ٣٥٥/٩٦٦ . فقد بدأ الكتاب ببحث نظري طويل حول المعرفة والعقل والكون وإثبات الباري وصفاته والرسالة والنبوة ليصل إلى الخلق ثم آدم ثم الأنبياء ثم الرسول وتاريخه والصحابة ثم تاريخ الأميين والعباسيين . فالناظر في هذا الكتاب كالمشرف المطلع على العالم مشاهداً حركاته وعجب أفعاله والسابق له قبل تركيه وحدوده ... »^(٢) غير أن هذه المحاولة كانت فجعة من جهة كما لم تجد الحماس لدى المؤرخين من جهة أخرى فلم يظهر من يتابعها فبقيت تجربة فريدة أروع ما فيها هو تلك الرغبة الحارة في ربط الكون والحياة بنظرية كلية شاملة توحد ما بين الفلسفة والتاريخ في نظام فكري واحد .

بل ! جرت بعض المحاولات الفلسفية الأخرى ولكن على مستوى ثانٍ كانت تنظر إلى التاريخ من زاوية مكانه بين العلوم وتصنيفه في إطارها العام . ومن ذلك محاولة الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم ومحاولات اخوان الصفا في رسائلهم وأكثر منها جدية وقبة محاولة متأخرة قام بها فخر الدين الرازي في كتابه جامع العلوم^(٣) (أواخر القرن السادس / الثاني عشر الميلادي) فقد بحث فيه

(١) المسعودي - مروج الذهب (ط . بلا) ج ١ ص ١٦ - ١٧ .

(٢) المقنسى - البدء والتاريخ ج ١ ص ١٧ (ط . هارت) .

(٣) كتاب الرازي في الأصل بالفارسية بعنوان حدائق الأنوار في حقائق الأسرار وقد صاغ وبقيت -

مكانة التاريخ وجعله خادماً للدين ثم أعطى بعض الآراء التي فلسف فيها طبيعة علم التاريخ ذاكراً أنه لا يعرف معالجة مشاكله بصورة منتظمة متدرجة من البسيط إلى المقد ، ولا يميز بين المعلومات الواضحة وغير الواضحة . وطرق بحثه بعضها معقد وبعضها مبسط ولا تدرج في الانتقال بينها ثم استنتج من ذلك عدم وجود ترتيب منطقي في بحث التاريخ وعلى ذلك فقد قسم أبحاثه إلى تسع زمرة أو فصول تبدأ بتاريخ ملوك العجم ثم تاريخ الرسول وتنتهي بأحوال « ملك البشر علاء الدنيا والدين قطب الإسلام والمسلمين » تكش بن خوارزم شاه الذي عاش الرازي في كنته .

على أننا نجد تأثير الفلسفة في التاريخ على مستوى ثالث لدى مؤرخين آخرين من القرن الرابع أيضاً كالمسعودي . فان الرجل رغم فكره الموسوعي العجيب وثقافته الواسعة لم يحاول محاولة المقدسي في خلق نظرية كلية وإنما بث فراداته الفلسفية ومعلوماته الواسعة في الإلهيات والطبيعتيات والمنطق وما وراء الطبيعة وعلم الكلام وعلم الأديان ، في ثانياً كتبه وإذا كانت كتبه الباقية (مروج الذهب والتنبيه والاشراف وجزء أخبار الزمان) تكشف بوضوح عن ذلك فإن عناوين كتبه الأخرى التي تبلغ خمسة وثلاثين كتاباً تكشف كلها عن طبيعتها الفلسفية – التاريخية . إن طريقة المسعودي كانت في بث معلومات الفكر في ثانياً الأحداث التاريخية . ولم يكن يترك فرصة لا ينجزها لتلخيص كتاب أو عرض فكرة أو ذكر جدل جرى أو شرح مذهب أو استطراد وراء مناقشة فلسفية أو وضع بعض المخطوط في فلسفة التاريخ وقد نجد المنهج نفسه ولكن على مقاييس أضيق بكثير لدى مسكويه : ولدى قدامة بن جعفر كما نجده لدى بعض المؤلفين ، في القرن الرابع الهجري خاصة ممن كتبوا توارييخ العالم ، وذكروا فيها تاريخ الهند والصين والروم والأغريق وأدخلوا ضمن تلك التوارييخ اشارات

— ترجمته العربية التي أعطيت عنوان جامع المعلوم ومنه مخطوطتان في اكسفورد رقم Or. Fraser 182، 183 (Ethie 1481، 1982)

وموجزات عن الأفكار الفلسفية والدينية لتلك الأمم . كاليعقوبي وحمزة الأصفهاني والبيروني ولكنها كانت تدخل المؤلفات ، كما دخلتها عند المسوudi كادة تاريخية تزيد في غناها وليس كنهج فكري للتطبيق التاريخي فيها .

أما الجانب الأهم الذي ظهر فيه أثر الفكر الفلسفى فى التاريخ ، منذ القرن الرابع خاصة فهو ناحيتان :

أوهما : **الحكمة والمعظة** : وهي طفولة الفلسفة ولما كانت العبرة هي بعض أهداف التاريخ فإن تسرب الحكمة الشعبية والأراء والنظارات المبتسرة كان سهلاً ميسوراً ومقبولاً في الوقت نفسه وقد وجد المؤرخون الأخلاقيون في التراث الإسلامي من الآيات والأحاديث والأمثال العربية المرسلة والشعر ، وفي تراث الفرس التاريخي مما يروى عن بزر جمهور وأذدشير وأنوشروان ، وفيما يروى من حكم الإغريق والاسكندر وأرسطاطاليس معيناً لا ينضب من الحكم والمواعظ والشعارات التوجيهية الباهرة للدخول في ثنيا المواقف التاريخية واعطائهما صفة المنطق اللازم أو القانون الحياتي أو البديهة الفكرية أو التحذير القدرى ... « وقد كونت هذه الحكميات بصورة عامة . جزءاً هاماً من السير والترجم في كتب التاريخ المؤلفة على النمط التقليدي »^(١) وأكثر المواضيع الفلسفية التي تعاورت عليها الأفلام في البحث التاريخي هي تلك التي تتصل بمحذور دينية وتتجدد منابعها في بعض الآيات والأحاديث كقصر الحياة ، وزوال النعيم الدنيوي . وجراء السننة بالسيئة وعصيان الله وفضل الاحسان .. ولا يكاد يخلو مؤلف في التاريخ من استشهاد بقصة أو بآية أو حديث أو مثل أو بيت شعر أو قول من أقوال الحكماء يدعم به أخباره ويعطيها طابع الفكر والحقيقة والتوجيه . ذلك كان من الأنقال الحامة التي حملها التاريخ الإسلامي على العصور .

ثانيهما : **علم السياسة** : وآداب السلطان ولعله الأهم والأبقى من الفكر الفلسفى - التاريخي . وبالرغم من أن المؤلفات فيها كانت في معظمها

(١) روزنثال - علم التاريخ ص ١٠١ (١٦٠ من الترجمة العربية) .

تأخذ شكل الحكم والوعظة مما يجعلها من ثمرات الناحية السابقة إلا أن إفراد الباحثين كتبًا خاصة بهذه المواضيع وكثرة هذه الكتب جعلت منها تياراً فكريًا — فلسفياً مميزاً يزدوج فيه تأثير الدين وواجباته بتأثير الفلسفة ومعطيات السياسة مع مباديء الأخلاق فهو خليط من كل ذلك ، أضيف إليه في الوقت نفسه أثر أجنبي من آداب السلطان الفارسية وبعض نوادي علم الأخلاق الإغريقي ... وهكذا ظهرت مجموعات من المؤلفات : كتب السياسة وكتب الإمامة .

في شؤون السياسة : كتبت منذ القرن الثالث الهجري وبدون انقطاع سلسلة من الكتب الفكرية السياسية ، ذات جذور ومستند من التاريخ الإسلامي والأحداث التي مرت به وبغيره ولكنها تهدف إلى هداية الملوك والأمراء سواء السبيل في الحكم على الأساس الإسلامي القويم . وقد سميت هذه الكتب أحياناً بآداب السلطان وأحياناً بسياسة الملوك . ويزعم صاحب كل مؤلف فيها وضع نظرية سياسية تطبيقية . متكاملة أو شبه متكاملة على أساس من العقيدة الإسلامية لسياسة الحكم . على أن هذه الكتب ظلت جميعاً في إطار النصيحة والوعظة لم تجاوزها إلى إيجاد النظرية السياسية الكاملة . وظللت في حدود التعليمات النظرية لم تحاول اختراعها إلى الواقع العملي واقتراح المؤسسات . وظللت ذات طابع مثالى لم تنتقل منه إلى ادانة الواقع الظالم ورفضه به الدعوة للثورة عليه وأخيراً فقد اعتدت أولاً وأخيراً على الوازع الديني الإلهي والمزيد العلوى الفوقى وندر أن اهتمت إلا من باب الشفقة والاحسان والمرحمة — بالمساوى الحياتية التي تعيشها الرعية معتبرة أن مسؤولية الحاكم فيها لم تكن أمام الرعايا ولكن أمام الله . الرابطة الوحيدة التي كانت تربط هذه الكتب بالتاريخ وتعمل منها نوعاً من فلسفة التاريخ السياسي أو تنظير الحكم هي الأمثلة العديدة التي كانت تلتفت من التاريخ حسب المناسبات للتدليل على صحة الرأي المفترض . وكانت تشتمل أحياناً على مختصرات للتاريخ الإسلامي .

كان أول ظهور هذه الكتب السياسية - التاريخية جواباً على الكتب السياسية الأجنبية التي ترجمت إلى العربية منذ مطلع العصر العباسي ، فإن موجة من الكتب الفارسية السياسية قد دفعت إلى الناس من قبل الترجمة الإيرانية ومن أمثلتها : خدای نامه ، الأدب الكبير ، الأدب الصغير ، والكاف نامع واختيار نامه ، وسيرة أزدشير وأنوشروان ... أقنعت الناس أن للفرس السياسة والأداب والحدود والرسوم كما اقتنع الناس من ترجمة غيرها أن للروم العلم والحكمة وللهند الفكر والرواية واللغة والسرج والأناة والترك للشجاعة والإقدام ... ^(١) وزاد في الاقتناع بذلك أن جمهرة الكتاب التي اخندتها الخلفاء العباسيون أعواناً على الإدارة كانت من الإيرانيين . وقد أجباب أنصار الفكر الإغريقي على ذلك بترجمة كتب السياسة الإغريقية : لأفلاطون وأرسطو ونخلوا الإغريق أحياناً ما لم يكتبوا ، كما فعل يوحنا بن بطريق ترجمان المؤمن في كتابه سر الأسرار لتأسيس السياسة وتسيير الرياسة ^(٢) وذلك رغبة منهم في إثبات الفكر السياسي الإغريقي أمام الفارسي ... وبين هذا وذاك وجد متكلمو الإسلام والمفكرون المجادلون دونه أنهم بدورهم مطالبون بصياغة الفكر السياسي الإسلامي ، من خلال العقيدة والتاريخ ومن هذا المزريع ، ظهر تيار من الكتب طويل كان من مؤلفيه :

- سهل بن هارون بن راموني الدستميساني (المتوفى سنة ٢١٥ / ٨٣٠)
صاحب خزانة الحكمة للمؤمنون وكان شديد الشعوبية وان وصف
الباحث ببراعته وفضله وقد كتب كتاب تسيير الملك والسياسة ^(٣) ولعله
من أقدم المؤلفات في هذا الباب .

- الفتح بن خاقان بن أحمد بن عز طوح البغدادي وزير الموكيل الذي

(١) انظر أبي حيان التوحيدي - الامتعة والموانة (ط . القاهرة ١٩٣٩) ج ١ ص ٧٤ .

(٢) نشر هذا الكتاب وأثبت انتهاكه على الإغريق عبد الرحمن بدري في كتابه (الأصول اليونانية للنظريات السياسية الإسلامية - القاهرة ١٩٦٤) .

(٣) ابن النديم - الفهرست من ١٢٠ وابحث - البيان وابن البيهقي ج ١ ص ٢٤ .

- قتل معه سنة ٢٤٧ وله بين كتبه العديدة كتاب أخلاق الملوك^(١).
- ويعزى كتاب بالعنوان نفسه أيضاً إلى رجل من حاشية الفتح بن خاقان هو محمد بن الحارث التغلبي^(٢).
- أبو الحسن علي بن رين الطبرى الطيب النصراني (المتوفى حوالي سنة ٢٤٧) وقد أسلم على يد المتوكل وكتب كتاب الدين والدولة مزج فيه التاريخ بالمناقشة الفلسفية لإثبات تفوق الإسلام « فساد اليهودية وبطلانها وعجازي الشريعة والدهرية وضلالها ... » وقد أعاذه المتوكل نفسه على كتابة هذا الكتاب^(٣) وقد ذكر ابن النديم لابن رين كتاب تحفة الملوك أيضاً.
- الباحظ (سنة ٢٥٥) وله بين كتبه المشهورة الكثيرة كتاب الناج في أخلاق الملوك وثلاثة أرباع الكتاب من التاريخ الإسلامي والفارسي وباقيه أفكار وآراء فكرية لتنظيم علاقة الملك بالحاشية والناس . وقد أهداه الباحظ للفتح بن خاقان .
- ابن أبي طاهر أبو الفضل أحمد (سنة ٢٨٠) صاحب تاريخ بغداد كتب بدوره : كتاب خبر الملك العالى في تدبير المملكة والسياسة .
- أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله (سنة ٣٠٠) له كتاب الرياسة في السياسة .
- أبو زيد البلاخي أحمد بن سهل (سنة ٣٢٢) وقد كتب : كتاب السياسة

(١) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٤ وهدية العارفين ج ٢ ص ٨١٤ والفتح بن خاقان هذا هو غير سيد الآخر الإشبيل الأندلسي الوزير المقتول أيضاً سنة ٥٢٨ ببراكش ، مؤلف قلائد المقيان ومطمح الأنفس وغيرهما ...

(٢) انظر ابن النديم ص ١٤٨ .

(٣) كان الكتاب قد طبع في مانشستر سنة ١٩٢٣ وقد طبع بالعربية في بيروت سنة ١٩٧٣ بتحقيق عادل نور الدين .

- الكبير وكتاب السياسة الصغير^(١) .
- السرخي أبو الفرج أحمد بن الطيب وله كتاب السياسة ، وكتاب أدب الملوك^(٢) .
- أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم المترجم المصري (بعد سنة ٣٣٠) المعروف بابن الديمة المؤرخ وقد كتب كتاب العهود اليونانية تحمله لليونان وهو من وضعه في قواعد السياسة^(٣) .
- أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القير沃اني (سنة ٤١٢) وله من جملة كتبه كتاب أدب السلطان والتأدب له في عشر مجلدات كتبه وهو في خدمة العزيز بالله الفاطمي^(٤) .
- الخطيب الاسكافي أبو عبد الله محمد بن علي (سنة ٤٢١) وله كتاب لطف التدبر في الرباية ومنه مخطوط في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٦٣٣ .
- هلال الصابيء أبو الحسن بن المحسن (سنة ٤٤٨) الكاتب المؤرخ وله أيضاً كتاب السياسة .
- وقد عاصره الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (سنة ٤٥٠) صاحب كتاب الأحكام السلطانية في الولايات الدينية الذي اشتهر بسبب ارتباطه بمؤسسات الدولة رغم طابعه الفقهي النظري . وللماوردي كتاب آخر على المنهج نفسه هو سياسة الملك .
- القراء أبو يعلى محمد بن الحسين الخنليل (سنة ٤٥٨) وقد عاصر الماوردي .

(١) ابن النديم - الفهرست من ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه من ١٤٩ .

(٣) نشره عبد الرحمن بدوي في كتابه الأصول اليونانية .

(٤) الصندي - الوافي ج ٢ من ٣٠٤ - ٣٠٦ .

وكتب كتاباً بالعنوان نفسه الذي كتب به الماوردي : الأحكام السلطانية وليس من خلاف كثير بين الكتابتين سوى اضافة وجهة النظر الخنبية في بعض الأمور .

- نظام الملك الحسن بن علي الطوسي الوزير (القائل سنة ٤٨٥) وقد ألف خلال وزارته الطويلة للسلطان ملكشاه السلاجوقى كتاب سياسة نامه بالفارسية أو سير الملوك وجعله على تسعه وثلاثين فصلاً ثُر فيها آراءه في إقامة الدولة وتنظيمها مع الشواهد التاريخية .

- وكتب الإمام الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (سنة ٥٠٥) بالفارسية أيضاً كتابه : التبر المسبوك في سياسة الملوك ، الذي ترجم في القرن التالي إلى العربية وبقي إلى اليوم فعرفه العربية بهذه الترجمة؛ وقد تكاثرت أمثل هذه الكتب في القرن السادس وخاصة في ظل حكم نور الدين وصلاح الدين اللذين أنعشما بأعمالهما الفكر الإسلامي :

- كتب الطرطوشى أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الفهري (سنة ٥٢٠) كتاب سراج الملوك وهو مطبوع .

- وألف نظامي عروضي السمرقندى الوزير (سنة ٥٦٠) كتاب جهار مقالة بالفارسية وجعله أربع مقالات في كل مقالة عشر قصص تاريخية تتعلق بأركان الملك الأربع : الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب .

- وكتب ابن ظفر المكي أبو عبد الله محمد بن محمد النحوي (سنة ٥٩٨) كتاب : سلوان المطاع في عدوان الطباع . وجعله في قوانين الحكمة ونواتر أخبار السلاطين على لسان الطيور والوحوش . وبالرغم من أنه كتبه لبعض القواد في صقلية إلا أنه انتشر في مصر والمشرق وتترجم بسرعة إلى الفارسية في القرن السابع .

- عبد الرحمن بن نصر الشيزري (سنة ٥٨٩) وله كتاب المهج المسلوك .

في سياسة الملوك ، ومنه خطوطات في استانبول (أحمد الثالث رقم ٣٠١٤) ودار الكتب بالقاهرة (٢٩٢٧ أدب) وقد طبع .

- ابن الجوزي الإمام أبو الفرج (سنة ٥٩٧) وله حسن السلوك إلى مواعظ الملوك ، ومنه خطوطات عديدة في أيا صوفيا (رقم ٤٨٢٥)^(١) وغودا رقم (١٨٨٠) والتحف البريطاني .

- ابن المهندس أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي الدمشقي (سنة ٥٩٩) ومن تصانيفه كتاب الحروب والسياسة .

- القناوي أبو الحسن شبيث بن ابراهيم بن محمد (سنة ٥٩٩) وقد كتب : تهذيب ذهن الوعي في اصلاح الرعية والراعي .

- وثمة خطوط مجهول المؤلف في مكتبة البو دليان بأكسفورد (Or Sale 74) من القرن السادس بعنوان ايضاح المسالك وتدبير الدول والممالك .

- وكتب ابن مماتي أسعد بن المذهب (سنة ٦٠٦) صاحب قوانين الدواوين كتاب حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم وبيان حسن السياسة وهو كبير وكان صلاح الدين يدّيم النظر فيه وقال القاضي الفاضل وقت من الكتاب على ما لا تخصى عدته فدا رأيت والله كتاباً يكون قبلة باب منه . وإنه والله من أهم ما طالعه الملوك^(٢) .

- ابن ظافر الأستدي جمال الدين علي بن ظافر بن الحسين الوزير (سنة ٦١٣) وله بين كتبه العديدة كتاب أساس السياسة^(٣) .

- ابن حمويه الجوني أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي (سنة ٦٤٢) وقد كتب كتاب السياسة الملوكية^(٤) .

(١) انظر المقرizi - الخطط ج ٢ ص ٥٩ .

(٢) هدية المارفرين ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٣) سبط بن الجوزي - مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٤٨ وابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٦٥ .

- ابن الحداد محمد بن منصور بن حبيش الراعظ ، وقد كتب الجوهر النفيض في سياسة الرئيس . ونسخة المؤلف بخطه ما تزال محفوظة في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول رقم (٤٨٢٤) ^(١) .

- الأمير ابن ندى الجزرري حفي الدين بن الصاحب شمس الدين المتوفى بدمشق سنة ٦٥١ وكان صاحب الجزيرة وقد كتب عدة كتب سياسية هي : لطائف الواردات ، معلم التدبير ، مرشد الملك ، ضوابط الملك ، وظائف الرئاسة والتذكرة الملوكية ^(٢) .

- سبط ابن الجوزي يوسف بن قزأوغلو (سنة ٦٥٤) صاحب مرآة الزمان وله : كنز الملوك في كيفية السلوك ^(٣) .

- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد (المتوفى حوالي أواسط القرن السابع) ألف للخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس كتاب سلوك المالك في تدبير المالك (وهو مطبوع) .

- وجاء في نهاية القرن السابع ابن الطقطقى فكتب كتاب الفخرى في الآداب السلطانية فجعل نصفه لوصف الحاكم المثالي ولقواعد السياسة والنصف لتلخيص التاريخ الإسلامي كله .

وسوف تستمر هذه السلسلة وتتوسع أكثر التوسيع في القرون التالية .

وأما كتاب الإمامية : فقد تفرد هذا الموضوع وانتزع من ضلع البحث السياسي الفكري وحده لأنّه كان المحور الذي قامت من حوله خلافات الدنيا الإسلامية منذ أيامها الأولى . وإذا كان الجدل حوله سياسياً في صدر الإسلام الأول فقد تحول مع الأيام إلى جدل تاريخي - سياسي من جهة كما دخلته معطيات الفكر الفلسفى ورواسب البيانات الأخرى من جهة ثانية ، فإذا

(١) الصفدي - الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) كشف الغطون ج ١ ص ١٥١٩ .

به يتضخم على الأيام ككرة الثلج وتنفتح فيه مذاهب بعد مذاهب من الرأي . وإذا كان الشيعة أولاً والخوارج هم الذين حددوا أركان نظرياتهم في الخلافة وكتبوا في ذلك الرسائل والمؤلفات فقد كان طبيعياً أن يتبلور الجدل مع الأيام وخاصة بعد أن وطد العباسيون المذهب الشيعي في عصرهم الأول فيدخل على نظرية الإمامة أمور من الفلسفة والتاريخ والفقه والمنطق والأدب .

ومن الصعب أن نتابع كل فرقة فيما ألفت حول هذا الموضوع ولكن من المؤكد أن نظريات الإمامة ولا سيما الشيعة منها قد دخل عليها الكثير من المعطيات الفكرية الفلسفية التي تتلامم مع تطور المذهب الباطني وتعقد ب بصورة خاصة . وقد كانت الكتب الأولى في الإمامة أكثر تبسيطًا بكثير وأكثر اعتماداً على المعطيات التاريخية من الكتب المتأخرة التي يظهر فيها أثر الفقه والمنطق والاهليات ... وإذا بكرَّ الخوارج (وخاصة الأباشية) والشيعة في جمع الأدلة التاريخية والدينية والسياسية والفلسفية والمنطقية على صدق نظرتهم فقد اضطرَّتُ بالمقابل لمجاراهم واللحاق بهم وكثيراً ما كانت كتب السنين تأخذ شكل « الرد على ... » مثل كتاب الباقلاني أو شكل الاستعراض لمختلف الفرق والتحل مثل كتاب ابن حزم والشهرستاني ، كما كانت كذلك كتب الخوارج وكثير منها في الرد على المرجنة وعلى المعتزلة وعلى الشيعة ... وقد ضاع الكثير من كتب الجدل حول الإمامة من مختلف الفرق منذ زمن طوبيل وابن النديم في أواخر القرن الرابع يكتب معرضاً يجهله كتاب الخوارج قائلاً : « ولعلَّ من لا نعرف له كتاباً قد صنف ولم يصل إلينا لأن كتبهم مستوره محفوظة »^(١) .

ومن المؤلفين القدماء في الإمامة :

– ابراهيم بن اسحق الأباشي (سنة ١٤٥) وله كتاب الإمامة ولا شك أنه يعكس رأي الخوارج الاباضية ^(٢) .

(١) ابن النديم – الفهرس ص ١٨٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٣ .

- الناجي الميم بن الميم وكتاب الإمامة الذي كتب هو بدوره أباضي .
- وكان علي بن اسماعيل بن ميم التمار الطيار أول من تكلم في مذهب الإمامة الشيعي وكتب كتاب الإمامة . وكان جده من أصحاب الإمام علي .
- وهناك أبو محمد هشام بن الحكم مولى شيبان ، وهو أحد أصحاب جعفر الصادق ومن كبار متكلمي الشيعة ، وقد توفي فيما بين نكبة البراءة وخلافة المأمون وله كتاب الإمامة .
- مؤمن الطاق (ولقبه أهل السنة شيطان الطاق) أبو جعفر محمد بن النعمان الأحول من أصحاب الإمام الصادق وقد كتب كتاب الإمامة أيضاً ...

ويتوالى المؤلفون بعد ذلك من الشيعة الإمامية : الشكال صاحب هشام ابن الحكم ، وأبو جعفر بن محمد بن قبة ، ثم أبو سهل اسماعيل بن علي التوبختي صاحب كتاب الاستيفاء في الإمامة وابن أخيه أبو محمد الحسن بن موسى التوبختي وكلاهما متكلم مشاركاً في الفلسفة والمنطق والكلام مؤلف فيها . ثم يأتي السوستجردي ، والطاطري ، والمواليقي وأبو عبد الله ابن ملك الحضرمي^(١) وهناك من مؤلفي الشيعة الزيدية في الإمامة : أبو الحارود وهو أبو النجم زياد ابن المنذر العبدي ، وفضل الرسان بن الزبير ، وأبو خالد الواسطي وابن أبي الأسود والحسن بن صالح ابن حبي ومقاتل بن سليمان ...^(٢).

ومن العلماء والمؤرخين المؤلفين في الإمامة أيضاً^(٣) :

- الواسطي أبو عبد الله محمد بن زيد من كبار المتكلمين (توفي سنة ٣٠٦)

(١) يراجع في هذه الآراء وما قبلها المصدر السابق فيما بين ص ١٧٥ - ١٧٨ .

(٢) انظر في هؤلاء ابن النديم - الفهرست من ١٧٨ و ١٧٩ .

(٣) لا نذكر هنا الكتاب المنسوب إلى ابن قبة (سنة ٢٧٦) المسمى الإمامة والسياسة فهو كتاب تاريخ لا سياسة ولا يظهر فيه تأثير الفلسفة والعلوم على التاريخ .

«وله كتاب الإمامة وقد جوّد فيه».

— ابن أبي ثلوج أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي الكاتب (٣٢٥) وله :
تاريخ الأئمة .

— المسعودي (سنة ٣٤٦) ونجد في قائمة كتبه كتابه : الاستبصار في الإمامة
والصفوة في الإمامة . وقد لخص هو نفسه موضوع الأول بقوله إن فيه
وصف أقواب الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار وحجاج كل
فريق . كما قال عن الثاني إن فيه « ضروب علم الظواهر والبواطن
والخلقي والخلفي والدائر والموافق ... » وفي ذلك ما يكفي لبيان وقوف
الكتابين على العدوة بين التاريخ والفلسفة .

— أبو الحسين الملقي (سنة ٣٧٧) وله كتاب التنبية والرد على أهل الأهواء
والبدع ونسخته المخطوطة في الظاهرية بدمشق (وقد طبع سنة ١٩٤٩
في القاهرة) .

— وثمة رسالة في الإمامة مخطوطة في مكتبة الاسكندرية (رقم ٣٨٤٣ج)
لعلها من تأليف الوزير أبي القاسم اسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب
(المتوفى سنة ٣٨٥) وابن النديم يذكر له كتاب الإمامة في تفضيل علي^(١) .

— وكتب الطبراني محمد بن جرير بن رسم (غير صاحب التاريخ) من
رجال القرن الرابع كتاب : دلائل الإمامة وهو على المذهب الشيعي
(طبع في النجف سنة ١٩٤٩) .

— وكتب أبو عبد الله بن رزام (من القرن الرابع) كتاب الرد على
الإسماعيلية .

— كما كتب سعد بن محمد أبو عثمان الغساني القبراني التحوي كتاباً في
الرد على المحدثين .

(١) ابن النديم - الفهرس ص ١٣٥ .

- وكتب الباقياني أبو بكر محمد بن الطيب (سنة ٤٠٣) منطلقاً من مذهبه السنّي كتاب التمهيد في الرد على الملمعدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعترضة . ومناقشته تقوم بين التاريخ والفلسفة ، كما كتب كتاب : كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية .

- الشيخ المقيد محمد بن محمد النعمان البكري البغدادي (سنة ٤١٣) وقد كتب بين كتبه الكثيرة : الإفصاح في إمامية علي بن أبي طالب (مطبوع)

- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (سنة ٤٢٩) صاحب كتاب الفرق بين الفرق .

- المرتضى علي بن الحسين (سنة ٤٣٦) وله : الشافي في الإمامة (مطبوع).

ويلاحظ منذ مطلع القرن الخامس أن كتب الخوارج حول هذا الموضوع قد انقطعت منذ فترة طويلة وأن كتب الشيعة قد استقرت على الشكل الجدل على التصعيد في حرمة البيت العلوي وبعضها انقطع بعد أن اطمأن إلى قيام خلافة أخرى لآل البيت في مصر (الفاطمية) ، وأنظمة متعددة هم في موقع متفرقة (المغرب مثلاً وطبرستان) بينما اتجهت الكتب السنّية الباحثة في هذا الموضوع إلى « تبنيظير » الخلافة العباسية ووضع القواعد والنظريات والحدود والمراسيم لها كجزء من نظام الكون كله ، ومن واقع ما جرى في التاريخ العثماني . ويتجلى هذا خاصّة في كتابي الماوردي والفراء (الأحكام السلطانية) اللذين ظهرا في أواسط القرن الخامس .

وهكذا فإن الكتب المقلبة تأخذ كلها طابع الجدل الفكري النظري والمناقشة التي تستند إلى الفقه والفلسفة وعلم الكلام أكثر مما تستند إلى التاريخ ولم يكن السبب في ذلك فقط أن الحجج التاريخية قد تخللت وانقطعت ولكن بسبب أن الحصمين الأساسيين اللذين كانوا يقفان في تلك الفترة للخلافة العباسية هما : الشيعة الإمامية التي مشت في طريق الجدل النظري دون العمل الثوري والباطنية التي انتشرت وفشت بين الناس بسبب ظهور الفاطميين وتنظيمهم الدعوة

وإقامتهم مركز « الأزهر » لها ولدعائهما . والباطنية تقوم على قاعدة فكرية فلسفية واسعة وهذا أخذت مشكلة الإمامة منذ القرن الرابع والخامس شكل الجدل بين الفريق العباسي ، والفريق الفاطمي الباطني وضمن هذا الإطار كان بين المؤلفين :

– على بن سعيد الإصطخري (من مطلع القرن الخامس) كتب كتاباً في الرد على الباطنية .

– وفي الوقت نفسه ألف معتزلي آخر هو اسماعيل بن أحمد البستي كتاباً بعنوان : كشف أسرار الباطنية . منه نسخة مخطوطة لدى المستشرق غريفيني في ميلانو .

– محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليمني (أواسط القرن الخامس) من فقهاء السنة في اليمن وقد كتب (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) ومنه نسخة خطية في دار الكتب بمصر وطبع سنة ١٩٣٩م.

– الجوهري عبد الملك بن عبد الله المعروف بإمام الحرمين (سنة ٤٧٨) وقد كتب كتاب غياث الأسم في التباث الظلم يتحدث به عن الإمامة . ومنطلقاته سنية عباسية تتناول صفات أهل الحل والعقد وصفات الإمامة والمناسبات التي توجب الرعامة والطواريء التي توجب الخلع والانخلاع وإمامية المفضول كما يعني بالحديث عن بلي الأئمة والولاة . ومنه مخطوط في دار الكتب بالقاهرة (البيهورية) رقم ٨ اجتماع ، ونسخة أخرى في بلدية الاسكندرية (رقم ٩٢ تاريخ) .

– الإمام الغزالى أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (سنة ٥٠٥) نصب من نفسه مدافعاً عن نظرية الإمامة العباسية في كتابه المستظرفى الذي دعى أيضاً بفضائح الباطنية لأنّه كتبه في غمرة استفحال أمر الباطنية الإسماعيلية خاصةً وانتشار ارهابهم في الناس وفند أعمالهم ومعتقداتهم في الإلهيات والنبوات والإمامية والقيامة والتکاليف الشرعية وفي التأويل

الباطني ... وانتهى « بإقامة البراهين الشرعية على أن الإمام القائم بالحق الواجب على الخلق طاعته في عصرنا هذا (عصر الغزالي) هو الخليفة المستظہر بالله ... » .

- وكتب مجهول لعله من القرن السادس (المجري) كتاباً « في ذكر الإمامة وما يتعلّق بوجوبها وجوائزها والأحكام الخاصة وال العامة وإقامة الأدلة والبراهين على صحتها ... » وهو مخطوط كتب بخط عمر ابن ابراهيم الواسطي سنة ٦٣٢ نسخة في مكتبة فيض الله باستانبول (رقم ١١٧٢) .

- وكتب ابن الحشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي النحوي (المتوفى سنة ٥٩٧) كتاباً في تاريخ الأئمة منه نسخة مخطوطة في ليران .

وتظهر بعد القرن السادس ، وبين الفينة والأخرى كتب في الموضوع لا تعلو أن تكون أصداء وتكراراً للقديم ومنها ما كتبه :

- سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص ، وخواص الأئمة .

- ابن طاووس رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (سنة ٦٦٤) وله على المذهب الشيعي اليقين في إمرة أمير المؤمنين . وكشف المحجة لثرة المهمة .

- الأربلي أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (سنة ٦٩٣) وله على التشيع أيضاً كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة .

ولقد وددنا لو كان في الوضع تناول هذه الكتب وما فيها بشيء مهما قل من التحليل والمقارنة لولا أن الموضوع يخرج بنا خارج نطاق البحث المحدد . على أنه يجب أن لا تفوتنا هنا تسجيل ملاحظة هامة هي أنه ما من شك في أن دراسة عن قرب أكثر إلى هذه الكتب المشابهة الموضوع خلال العصور المتالية من شأنها أن تكشف الكثير من المفاهيم السياسية والدينية العميقة للعصور التي

صدرت فيها . وتكشف بصورة خاصة تطور النظرية السياسية الإسلامية تحت تأثير التاريخ المعاش ، والأحداث التي اغنت بها التجربة السياسية للشعوب الإسلامية .

(ج) وتأثير التاريخ إلى هذا وذلك كله بنمو الجغرافيا ونكاثر رحلات الناس . وإذا كانت الحضارة الإسلامية العباسية حضارة « التاجر » فإن الفترة ما بين القرن الثالث حتى أو اخر الرابع كانت الفترة التي بلغ فيها ذلك التاجر أوج نشاطه وتنقله واطلاعه على مختلف البلدان والطابع والأجناس والمناطق والامتراج بها .

أن نوعاً من الجوع العلمي لأنواع المعرفة قد ظهر في القرن الرابع وهذا « الجوع » ميزة من ميزات العصور المتوجهة نحو الاشباع الثقافي و نحو فترات الأوج الحضاري . وإذا كان القرن الرابع فيما يذكره هو قرن الجغرافيا لأن كافة الكتب الأساسية فيها إنما ظهرت في هذا القرن فإنه كذلك قرن التاريخ ، وقرن تأثر التاريخ بهذا الفيض من المعلومات الجغرافية ، مما نجم عنه ظهور جيل من المؤرخين الجغرافيين .

ولعل أبرز من تمثل فيه التأثر بالجغرافيا من المؤرخين هو المسعودي في كتابيه الباقيين (مروج الذهب) و (التبية والاشراف) فقد كان لا يقطع ، كلما ستحت الفرصة ، وخاصة في الأجزاء الأولى ، عن ايراد المعلومات الجغرافية العامة التي جمعها أو قرأها وهي خليط من الجغرافيا الفلكية والبشرية والتاريخية والطبيعية .

ويشبه المسعودي في التأثر الجغرافي اليعقوبي الذي قال عن نفسه « ... أني عنيت في عنفوان شبابي ... بعلم أخبار البلدان ... لأنني سافرت حدث السن وانصلت أسفاري ودام تغريبي فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سأله عن وطنه ومصره ؟ وعن بلده ؟ ... زرعه ما هو ؟ وساكنيه من هم عرب أو عجم ؟ ... وعن شرب أهله حتى أسأل عن لباسهم ... وديانتهم ومقاليتهم

والغالبين عليه ... واستظهر بمسألة قوم بعد قوم ... حتى سألت خلقاً كثيراً ... من أهل الشرق والمغرب وكتبت أخبارهم وذكرت من فتح بلداً .. بلداً وجند مصرأً مصرأً من الخلفاء والأمراء وبلغ خراجه وما يرتفع من ماله ... »^(١)

غير أن اليعقوبي الذي جمع بهذا الشكل الاستقرائي التراكمي « علم أخبار البلدان » فصل علم الأخبار عن البلدان عند التأليف بعكس المسوودي فجعل للتاريخ كتاباً وللبلدان كتاباً آخر وإن كان كل منهما متأثراً أوسع التأثير بالآخر .

ونجد التأثر ذاته وإن يكن على شكل إقليمي لا عالمي في تاريخ المستنصر الذي كتبه :

– ابن المجاور الدمشقي (?) أبو الفتح يوسف بن يعقوب (بعد سنة ٦٣٠) فجاء الكتاب كتاب جغرافيا بشرية وتاريخية أكثر مما هو تاريخ لمنطقة جنوب الجزيرة العربية وعمان .

ولقد كانت المعلومات الجغرافية في كتب التاريخ قبلة قبل القرن الرابع وذات صبغة عملية : إدارية – شرعية تتصل بعلاقات الشعوب في الدولة الإسلامية مع نظام الحكم كما يتجلّى ذلك في كتب الفتوح (فتح البلاذرى مثلًا) وكتب الخطط . أما بعد القرن الرابع فقد كان دخول المعرفة الجغرافية إلى التاريخ نابعاً من الرغبة في المعرفة وسعة الاطلاع وتنوع المصادر . وقد شجع على ذلك أن بعض كتب الجغرافيا كانت مثقلة بأخبار التاريخ مثل كتاب ابن حوقل (صورة الأرض) وكتب المسالك والممالك ...

غير أن المؤرخين ، بعد القرن الرابع ، لم يذهبوا قدماً مع هذا التأثر الذي انحصر فيما بعد في اتجاهات خمسة :

الأول : فأماماً في كتب التاريخ العامة (العالمية) فان من تابعوا الطبرى في خطه التاريخي (مثل ابن الأثير) لم يأبهوا كثيراً بالوصف الجغرافي للأقاليم

(١) اليعقوبي – البلدان (ط . دى غويه) ص ٢٢٢ .

رغم أن عدداً منهم قد أقرّ (مثل مسکویه) بأنّ أخبار البلدان تشكل مجموعة خاصة من المصادر التاريخية التي يمكن للمؤرخ أن يستخدمها^(١) ومن تابعوا المسعودي اكتفوا بإيجاد تقليد في التأليف التاريخي يقضى بيده المؤلفات بلمحات جفرافية عامة عن المناطق والأقاليم في الأرض ، ونجد ذلك واضحاً في المنتظم وموجزه شذور العقود لابن الجوزي وفي الجزء الأول من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ... وفي البداية والنهاية لابن كثير فيما بعد ولدى العيني والدواداري ...

الثاني : وأما في كتب التاريخ الإقليمية فقد جرى تقليد آخر من النوع نفسه هو التمهيد للبحث التاريخي بنظرة جغرافية طبقاً للإقليم : جبال وأنهاره ومدنه وأديانه وسكانه . ومن أمثلة ذلك كتاب الإكيليل للهمداني في تاريخ اليمن وكتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العدين وكتاب الأعلاق الخاطئة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لعز الدين بن شداد .

الثالث : ومثل ذلك التقليد جرى في التواریخ البلدانية المتعلقة بالمدن وبخاصة بعد المقدمة الطبرانية التي قدم بها الخطيب البغدادي تاريخ بغداد وبعد شهرة هذا التاريخ شهرة جعلته النموذج للاحتماء فلا يكاد يخلو تاريخ مدينة من مقدمة طبرانية . وإذا تركنا جانبًا مثال تواریخ مكة والمدينة وتفصیل مواقعها مما يرجع إلى حاجات الحجيج والعبادات الدينية فإن الترشخي قد قدم لتاریخ بخاری بمقدمة طبرانية ، كتب مثلها أبو نعیم لكتابه تاريخ أصفهان ، والحسن ابن محمد القمي لتأریخ قم والفضل المافروخي في محاسن أصفهان . ونجد التنظيم نفسه في تاریخ دمشق لابن عساکر الذي خصص جزءاً واضحاً لطبرانية المدينة .

(١) انظر مسکویه - تجارب الأمم ١ - المقدمة (ط . کایتانی - لیدن ، لندن ١٩٠٩) .

الرابع : ذكر خطط المدن : ولم يكن يقصد بها ذكر تخطيط المدينة القائمة زمن المؤلف ولكن تخطيطها التاريخي والأثري . وقد ظهر هذا النوع من التأليف قبل ظهور التأثير الحغرافي . وأمّا السبب في ظهر من أسماء المدن التي اتجه التأليف الأول إليها : فهناك خطط الكوفة للهيثم بن عدي وخطط البصرة له أيضاً وكتاب القبائل والخطط لأنبياء الأزدي صاحب تاريخ الموصل ، وهذا يعني حفظ متازل العرب في أماكنهم الجديدة . ويعني أيضاً أن تأليف خاص بالمدن الإسلامية المنشآت .

غير أن هذا النوع من الدراسة الطبرغافية الأثرية لم يجد صدى له إلا في مصر (الفسطاط) فهناك استقر وازدهر وظلت كتب الخطط تظهر تباعاً للفسطاط فالقطائع فالقاهرة حتى القرن التاسع الهجري (١٥١ ميلادي) وكان ممّن عمل على ذلك :

- الكندي أبو عمر محمد بن يوسف التجيبي (٩٦١ / ٣٥٠) صاحب كتاب الولاية والقضاء وقد كتب من جملة كتبه : كتاب الخطط عن إنشاء الفسطاط وأحيائها ومعاهدها وأثارها . فهو حسب قول المقريزى أول من رتب خطط مصر وأثارها .

- وبعد قرن جاء القصاعي : أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعى (١٠٦١ / ٥٥٤) فكتب : المختار في ذكر الخطط والأثار .

- ابن هلال الصعيدي النحوي أبو عبد الله محمد بن بركات (٥٢٠ / ١١٢٦) وقد كتب تاريخ خطط مصر .

- الجواني شرف الدين أبو علي محمد بن أسد نقيب الأشراف (٥٨٨) وله خطط مصر .

ثم جاء ابن عبد الظاهر بعد ذلك ، وابن المتروج الذي كان آخر من

كتب خطط مصر قبل المقرizi .

الخامس : ذكر المنازل والديار والمواقع في الجزيرة العربية . ذلك أن علاقات هذه الواقع بالتاريخ العربي وبالأدب والشعر واللغة جعل من الضروري معرفة تلك الواقع وتاريخها . ومن ذلك مثلاً :

- كتاب الزمخشري (٥٣٨) المسمى كتاب الجبال والبقاء والمياه .
- وكتاب ابن عراق أبي الحسن علي بن محمد الخوارزمي العماني (سنة ٥٦٠) المسمى : اشتقاد أسماء الموضع والبلدان .
- وكتاب الإسكندرى أبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الطوسي (٥٦٠) المسمى أسماء البقاع .

وقد اختصره من بعده مؤلفان : أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني (سنة ٥٨١) وأبو بكر محمد بن موسى الحازمي (سنة ٥٨٤) وكلها تمزج التاريخ بجغرافية الموضع وخاصة في الجزيرة العربية .

٥ - أثر التمزق السياسي

وتأثير التاريخ في هذه الفترة بالتمزق السياسي الذي أصاب الشرق الإسلامي العباسي منذ أواخر القرن الثالث . وبالرغم من أن هذا التأثير هو موضوع جدل ولا نستطيع أن نؤكد إلى أي حد يمكن اعتبار «عملية» التاريخ هي المقابل في الحياة الفكرية لفقدان الوحدة السياسية إلا أنها لا نستطيع إهمال هذه الظاهرة . ذلك أن ضعف المركز السياسي (بغداد) الذي سمح للقوى المحلية في أنحاء الخلافة العباسية بأن تنمو وتملأ حدودها الخاصة قد رافقه في الوقت نفسه ظهور تواريخ عملية مستقلة عن تاريخ الوحدة السياسية الواسعة للخلافة العباسية ، كما وازاه أيضاً وكصدى للحكم الاستبدادي ولبروز الشخصيات الحاكمة من جهة

ولحكم الأسر وبروز الأسر الصغرى المتسلطة من جهة أخرى ظهور السير للشخصيات البارزة من سياسية وعلمية وظهور التواريخ الخاصة للأسر المحلية الصغيرة . وإذا هزت بعض الأحداث الفاجعة التي تعرض لها دون انقطاع أبناء الأسرة العلوية والطاليون بصورة عامة فظل الشيعة يعملون على تسجيل ذلك باستمرار تحية لآل البيت وتفجعاً ونأيكداً للولاء وشحذاً لزمام الفرق الشيعية فإن الاهتمام بالمواضيع المحددة قد ضعف بالمقابل وأخذت تغزو تلك الطريقة ، الأخبارية الأصل ، في التأريخ لبعض الأحداث المأمة ، بكتب أو رسائل خاصة .

وهكذا فإن التواريخ العالمية التي توجت وأعقبت عصر النضج السياسي العباسي والتي تتمثل في تاريخ الرسل والملوك للطبراني (المتوفى سنة ٣١٠) وتاريخ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، ومرجع الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي (المتوفى سنة ٣٤٦) تغيرت مفاهيمها في الوحدة أولاً فصارت مع مسكونيه (المتوفى سنة ٤٢١) تاريخ تجارب الأمم المتعددة . ثم ضعف مفهوم التواريخ العالمية الواحدة نفسه وغاب عن التأليف التاريخي ، انسجاماً مع الواقع السياسي المزق ، وغياب الوحدة الإسلامية ، فلم تعد تظهر هذه التواريخ حتى نهاية الفترة العباسية حين عادت من جديد ، مع ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠) في « مرآة الزمان » ... « الكامل » ومع سبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤) في « مرآة الزمان » ...

بل ! ظهر الكثير من المؤلفات في التاريخ العام ولكن عناوينها تكشف مفاهيم التفرق والخصوصية فيها . وقد كانت هذه العناوين على الأشكال التالية : إما مقتصرة على الخلفاء مثل :

– أخبار الخلفاء للدولابي ^(١) أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنباري
الوراق الحافظ (المتوفى سنة ٣١١ أو سنة ٣٢٠) .

(١) الصفدي – الواقي بالوفيات ج ١ ص ١٥ ، والسعاني – الأنساب ورقة ٢٤٤ غير .

- سير الخلفاء . للرازي^(١) أبي بكر محمد بن زكريا الطيب (المتوفى سنة ٣١١).
 - تاريخ الخلفاء . للسرخسي أبي نصر زهير بن حسن بن علي الجذامي (المتوفى سنة ٤٥٤ / ١٠٦١).
 - تاريخ الخلفاء . لشبوبيه أبي شجاع بن شهردار المعناني (المتوفى سنة ١١١٥ / ٥٠٩).
 - الأنباء في تاريخ الخلفاء . للعمراني جمال الدين محمد بن علي بن محمد (المتوفى بعد سنة ٥٩٠ / ١١٦٥).
 - الاتمام بأخبار الخلفاء . لابن الكربلائي عبد الملك بن قاسم التوزري (المتوفى بعد سنة ٥٧٥ / ١١٨).
 - تاريخ الخلفاء . للرومي (السروجي) أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي السرور المصري (المتوفى سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠).
 - الأصطفا في أخبار الملوك والخلفاء . لابن طاووس أبي القاسم علي بن موسى الحسني الحلبـي (المتوفى سنة ٦٦٤ / ١٢٦٦).
 - أخبار الخلفاء (٣ مجلدات) لابن الساعي علي بن أنجب البغدادـي (المتوفى سنة ٦٧٤ / ١٢٧٥).
- أو كانت مقصورة ومحددة باسم العباسين مثل :
- تاريخ بني العباس . لسمكة أحمد بن اسماعيل بن عبد الله البجلي القمي الشيعـي (المتوفى حوالي سنة ٣٣٠).
 - أخبار العباسـين . لأحمد بن يعقوب المصري (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠) أحد مصادر المسعودـي .
 - أخبار بني العباس . لعبد الله بن الحسين بن سعد الكاتـب (المتوفى سنة ٣٧٢).
- وبعد أن كانت هذه التواريـخ العامة العباسـية تحـمل اسـم : « كتاب الدولة »

(١) المسعودـي - مروج الذهب ج ١ ص ١٥ ، والصفدي - الوائـج ج ١ ص ٥١ .

في القرن الثالث – وقد كتبها تحت هذا العنوان نفسه ، سبعة مؤلفين على الأقل وهم : الميم بن عدي ، ومحمد بن الميم بن شابة ، وابن ناجية وابن النطاح وابن مهران ، والمدائني وسلمويه والراوندي والحسن بن ميمون البصري – تحوال العنوان بعد ذلك إلى « الدول » المتعددة ، فصارت العناوين :

- كتاب الدول . وقد كتبه الربعي أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج الزهيري (المتوفى سنة ٤٢١) في ثلاثة مجلدات ، أو كتبه المجاشعي^(١) أبو الحسن بن فضال القبراني (المتوفى سنة ٤٧٩ / ١٠٨٦) .
- كتاب تاريخ البلاد الإسلامية لأبي منصور ظافر بن الحسين المصري الأستدي (المتوفى سنة ٥٩٧ / ١٢٠١) .
- كتاب الدول المقطعة لابن ظافر جمال الدين علي بن الحسن الأستدي (المتوفى سنة ٦١٣ / ١٢١٦) .
- كتاب نزهة المقتلين في أخبار الدولتين (وليس يعني بذلك الدولة العباسية بل الفاطمية والصلاحية) لابن الطوير القاضي (المتوفى سنة ٦١٧ / ١٢٢٠) .
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية) لأبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (سنة ٦٦٥) .
- كتاب الدول لياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) .

بل أخذت العناوين ملامح التزق الأوسع والندب المؤلم ، كما يتجل ذلك في عناوين :

- كتاب زهر الرياح في الأخبار والتاريخ لقدامة بن جعفر (المتوفى ٣٣٧) .
- كتاب الأوراق وكتاب « الأخبار المشورة »^(٢) للصولي أبي بكر محمد ابن يحيى (المتوفى سنة ٣٣٥ / ٩٤٧) .

(١) انظر ياقوت – الأدباء، ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٢) أما الأوراق فمروي وأما الأخبار المشورة فذكره ابن خير الأنجلسي في فهرس ص ٤٠٢ .

- كتاب البداية والنهاية لابن منقذ أبي الحسن علي بن مرشد بن علي الكتاني (المتوفى سنة ٥٤٥ / ١١٥٠).

وحتى حين ظهر في أواخر القرن السادس (بين سنة ٥٧٠ - ٥٧٥) كتاب المستظم لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى سنة ٥٩٧) وأراد صاحبه أن يجعله تاريخاً عاماً لم يكن ذلك التاريخ على ضخامته ولا سيما في نصفه الثاني المطبوع أكثر من تاريخ بغداد خاصة ومنطقة العراق المحبيطة بها بصورة عامة . لقد كان ابن الجوزي يمثل في الواقع و يؤرخ تلك الفترة التي استيقظت فيها الخلافة العباسية وأضحت فيها لا خلافة شاملة كما كانت من قبل ولكن مجرد إمارة محلية عراقية يحكمها خليفة بغداد الذي حمل بجانب اسمه الديني المحدود سلطة زمية في منطقة العراق يومذاك . الوحيدون من المؤلفين الذين حافظوا على فكرة « الوحدة » الإسلامية ومثلوا تلك الفكرة على مستوىها نفسه من الضعف والصياغة ، وعبروا عن بقائهما في النقوس رغم التمزق السياسي الظاهر هم أولئك الذين ذيلوا على الطبرى واعتبروا تواريختهم مكملاً لتاريخه . لقد كانوا يعبرون بذلك عن إيمانهم بوحدة تجربة الأمة الإسلامية ، وباستمرار تاريخها الواحد المتصل . وهكذا فإن السلسلة التي توالت فيها أسماء أبي اسحق السقطى (أواسط القرن الرابع) وعرب بن سعيد (المتوفى سنة ٣٦٠) وعبد الله ابن أحمد الفرغانى (المتوفى سنة ٣٦٢) ثم هلال ابن ابراهيم الصابيء (المتوفى سنة ٤٤٧) ثم ابنه غرس النعمة (المتوفى سنة ٤٨٠) ثم محمد بن عبد الملك المعناني (المتوفى سنة ٥٢١) ثم أبي الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني (المتوفى سنة ٥٢٧) ثم صدقة الحداد (المتوفى بعد سنة ٥٧٠) ثم أبي غال الشيباني (المتوفى سنة ٥٩٧) ثم محمد بن أحمد القادسي (المتوفى سنة ٦٣٤) . هذه السلسلة من أصحاب الذيول المتالية إنما كانت تحاول الابقاء على التقاليد ودعم فكرة الوحدة الإسلامية بالاستمرار في كتابة التاريخ بروح اسلامية شاملة (بان اسلامية) ولكن أعمال هؤلاء التي لم يكشف عن وجود معظمها حتى الآن قد توحى بأنها من الدرجة الثانية في القيمة التاريخية وقد تدفع إلى الاعتقاد بأنها تتركز خاصة

على العراق وعلى المناطق المتصلة به الاتصال المباشر .

وإذا لم نعتبر ضياع معظم هذه النذيرات التي كتبها هؤلاء وضياع معظم توارييخ « الأوراق » و « الدول » وتوارييخ « العباسين » و « الخلفاء » التي سبق ذكرها دليلاً على قيمتها المتواضعة فإننا قد نفسر ذلك الضياع بأنه الدليل على أهمال الناس لتعلقها التاريخي العام الشامل أو أنها كانت من الإقليمية بحيث لم تستطع الارتفاع ولا البرهان على وجود الوحدة الشاملة والا فمن العجيب ضياع الكثرة الكاثرة من هذه المؤلفات وأن يصيغ منها خاصة كتاب « الدول » الصنف الواسع للطبرى بينما يبقى بالفعل ما ألف قبلها من تأليف الطبرى والمسعودى وما ألف بعدها على يد ابن الأثير وسبط ابن الجوزى ثم الذہبی والآخرين ...

والواقع أننا يجب أن ننتظر حتى نهاية الفترة العباسية التي ندرس أي حتى النصف الأول من القرن السابع لنرى من جديد يقطنة التوارييخ العامة الواسعة ، بما يقطنة العالم الإسلامي في وجه الغزوين الصليبي والمغولي والأزمة الخطيرة التي عاناهما ذلك العالم أمام تلك المجتمعات المدمّرة المبيدة . ففي تلك الفترة ما بين سنة ٦٠٠ حتى ٦٥٠ ظهرت في وقت واحد مجموعة واسعة من الكتب « البيان .. إسلامية » الشاملة ومن التوارييخ العامة الجامحة ل مختلف نواحي الحياة الإسلامية . وإذا كان الطبرى قد كتب في مطلع القرن الرابع تاريخه الشامل فقد جاء ابن الأثير فكتب بين سنة ٦١٥ - سنة ٦٢٩ كتابه « الكامل ». وإذا كتب المسعودى بعد الطبرى مباشرة كتابه « أخبار الزمان » فقد استيقظ هذا الاسم نفسه من جديد في عصر ابن الأثير وكتب :

- ابن أبي طي يحيى بن حامد النجاشي الشيعي (المتوفى سنة ٦٣٠ / ١٢٣٣) كتابه حوادث الزمان ، جعله لأحداث التاريخ على الأحرف الأبجدية في خمس مجلدات وكتب أيضاً تاريخه الضخم الآخر : معادن الذهب في تاريخ الخلفاء والملوك وذوي الرتب ، وقد ضاع الكتابان

إلا من بعض المقتنيات التي أخذها ابن الفرات (المتوفى سنة ٩١٠) من الكتاب الثاني .

- سبط ابن الجوزي يوسف بن قرأو غلي (المتوفى سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦) الذي كتب (مرآة الزمان) في أربعين مجلداً ما تزال في معظمها مخطوطة موزعة في المكتبات .

- ابن نظيف الحموي أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الغساني الحموي (المتوفى بعد سنة ٦٣١ / ١٢٣٤) الذي كتب في عدة مجلدات كتاب الكشف والبيان في حوادث الزمان . بجانب كتابه المختصر الآخر في التاريخ العام « التاريخ المصوري » .

- ابن أبي الدم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله الحموي (المتوفى سنة ٦٤٢ / ١٢٤٤) وقد كتب كتاب (المقنى) على الأحرف الأبيجدية في مجلدات عديدة بجانب المختصر الآخر في التاريخ العام (التاريخ المظفرى) .

واستيقظ أيضاً ذلك العنوان الذي كتبه في عصر المسعودي :

- ابن سوار أبو عبد الله محمد بن الحسين (ابن أخت عيسى بن فرخان شاه) واسم تاريخه : التاريخ الجامع لفنون الأخبار . فكتب العماد الأصفهانى القاضى (وهو غير العماد الكاتب) تاريخاً بعنوان :

البستان الجامع للتاريخ .. وقد توفي العماد القاضى بعد سنة ٥٩٣/١١٩٧.

وانشرت عدوى التوارييخ العامة في تلك الفترة من أواخر عهد الخلافة العباسية فأعطتنا عدداً من أهم المؤلفات التاريخية الكبرى ويكتفى أن نعد منها كتاب :

- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، كتاب الدول (وهو صائع) .

- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة . الكامل في التاريخ .

- والمقدس عبد الغني بن عبد الواحد الحنبلي (المتوفى سنة ٦٠٠) كتاب الكمال في معرفة الرجال في خمس مجلدات .
- والقططي (المتوفى سنة ٦٤٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء وأخبار المصنفين ومؤلفاتهم .
- ابن النجاش عب الدين بن محمود البغدادي (المتوفى سنة ٦٤٣) الكامل في معرفة الرجال .
- سبط ابن الجوزي سنة (٦٥٤) : مرآة الزمان .

- وابن أبي أصبيعة (المتوفى سنة ٦٦٨) كتاب : طبقات الأطباء . وكتاب معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم (صانع) .

فكأنما كان هؤلاء المؤلفون يقيّمون جرد الحساب الأخير لتأريخ وحضارة العصور العباسية كلها ويجمعون أطرااف أخبارها وأعمال رجالها حتى أواسط القرن السابع ، ويكاد هذا القرن في الاهتمام التاريخي يعدل القرن الرابع .

٦ - ظهور التوارييخ المحلية والخاصة

ومقابلاً لهذا التراخي في الاهتمام بالتوارييخ العامة (في أواسط الفترة) ظهرت بالطبع التوارييخ الإقليمية والمحلية وتوارييخ المدن . كان ذلك نوعاً من التعريض . ضاقت رقة التوارييخ، مع ضيق مناطق الدول ورقاء الإمارات كما قصرت وتقلصت أحياناً كثيرة في الزمن . فاقتصرت على فترة محددة أو على أسرة معينة أو على مدينة أو على شخصية واحدة . وبالرغم من أنه لم يكن ثمة حد واضح ولا خط فاصل لدى المؤلفين بين التارييخ الإقليمي والتارييخ العام ولا بين الأخبار الحضارية والسياسية ، فإن جموع الكتب التاريخية التي أرخت للفترة المتداة ما بين القرن الرابع حتى القرن السابع كانت محدودة المدى الزمني كما أخذت العناوين المحلية أو عناوين المدن ، أو اختصت بأسر أو بأشخاص ... وقد اختفت تدريجياً من بينها تلك العناوين «الأخبارية» والمواضيع التي تفرد

حدث خاص أو واقعة سياسية محددة كما كان عليه العهد بالرسائل والكتب التاريخية في القرنين الثاني والثالث . ومعظمها إنما كان في القرن الرابع ولم يجاوزه . وهكذا كانت أعداداً محدودة تلك الكتب التي تتحدث مثلاً : عن البرامكة ، كالكتب التي ألفها :

– أبو حفص عمر بن الأزرق (من القرن الرابع) وكتابه *أخبار البرامكة* كان أحد مصادر ابن العديم في كتابه بغية الطلب وقد نقل عنه^(١) .

– والمرزباني (المتوفى سنة ٣٧٨) وقد ألف فيهم كتاباً أشار إليه ياقوت وأخذ عنه^(٢) وذكر ابن النديم أنه في ألف صفحة .

– وابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧) وقد أشار إلى كتابه في *البرامكة* صاحب *كشف الظنون*^(٣) .

– وذكر السخاوي لبعضهم من المؤلفين المجهولين كتاباً في *أخبار البرامكة* في مجلدين^(٤) .

وكتب آخرون في *أخبار الزنج* ، أو *أخبار التوارج* أو ثورة بابك الخرمي أو يزيد بن معاوية والأمويين ومن ذلك :

– في *أخبار صاحب الزنج* كتاب أبي بشر أحمد بن ابراهيم بن أحمد القمي الشيعي (المتوفى بعد سنة ٣٥٠) وكان جده من أصحاب ذلك الزعيم علي بن محمد من عبد القيس الذي ترجم ثورة الزنج .

– وكتاب شبلمة محمد بن الحسن الخارجي الكاتب (المتوفى معرفة سنة

(١) ابن العديم – *بنية الطلب* (مخطوط أحمد الثالث) ج ٨ ورقة ٢٩١ ظهر ، ومحفوظ (المكتبة الأهلية بياريس رقم AR ٢١٢٨) وورقة ١٥ ظهر .

(٢) انظر ياقوت – *الأدباء* ج ٧ ص ١٣٤ ، ج ١٨ ص ٢٦٩ وانظر ابن النديم – *الفهرس* ص ١٣٤ .

(٣) ساجي خليفة – *كشف الظنون* ج ١ ص ١٨٥ رقم ١٨٤ (ط . فلوبيل) وج ١ ص ٢٦ (ط . طهران) .

(٤) انظر السخاوي – *الاعلان* ص ٥٧٦ .

٢٨٠) واسم كتابه أخبار صاحب الزنج ووفاته^(١).

وفي أخبار الحوارج الذين كانت ثورتهم الحادة قد خدمت واستقر أمر بعض فرقهم في عمان وأفريقيا ومنها :

- كتاب كتبه المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٦).

وفي أخبار بابل كتب واقد بن عمر التميمي كتاباً قرأه ابن النديم ونقل عنه^(٢).

وفي أخبار المقنع كتب مؤلف مجهول اسمه ابراهيم نقل عنه الرشخي في تاريخ بخاري^(٣).

وفي أخبار يزيد بن معاوية كتب كل من :

- أبي العباس محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٣.

- وأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوي (المتوفى سنة ٣٧٠)^(٤).

كما كتب أبو عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي كتاب التاريخ وأخبار الأمويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما أتوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير في أيامهم^(٥).

وندر جداً أن توقف مؤرخ في العصور التالية للقرن الرابع ليورخ حادثاً مفرداً كاماً فصل مثلاً :

- ابن زريق أبو الحسن يحيى بن علي بن محمد التنوخي المصري (المتوفى

(١) انظر الطوسي - الفهرس من ٤٥ وانظر ابن النديم - الفهرس من ١٢٧ .

(٢) الرشخي - تاريخ بخاري من ٩٤ .

(٣) انظر ابن النديم - الفهرس من ٣٤٣ .

(٤) انظر كشف الظنون ج ١ ص ٢٨٩ وج ١ ص ٣١ (ط . طهران) .

(٥) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٥ .

بعد سنة ٥٠٨ / ١١٤) والذي أرخ لدخول السلاجقة والصلبيين إلى الشام في كتاب ضاع أثره .

- والعماد الأصفهاني الكاتب المعروف (المتوفى سنة ٥٩٨ / ١٢٠٢) في كتابه الفتح القدسي حول معركة حطين .

إن الموضوع الوحيد الذي استمر حيا على الأقلام والتأليف بسبب من ارتباطه المدعي بالفرق الشيعية هو موضوع مناقب ومصارع آل أبي طالب وقد ألف فيه الكثيرون ومنهم :

- ابن حمزة العلوي أبو عبد الله محمد القرشي (المتوفى سنة ٢٨٧ / ٩٠٠) وقد سمى كتابه مقاتل الطالبين .

- الثقفي أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار الثقفي الكاتب (المتوفى سنة ٣١٩) واسم كتابه : كتاب الميسنة في أخبار مقاتل آل أبي طالب^(١) .

- أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٥٦) وكتابه مقاتل الطالبين مطبع معروف .

- الشيخ المقيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن العمأن المكربلي العربي الحارني (٣٣٦ - ٤١٣ / ٩٤٧ - ١٠٢٢) وقد كتب : الارشاد إلى معرفة حجج الله على العباد ، وهو تاريخ الأئمة الإثني عشر (مخطوط في لبنان والقاهرة وطهران) وقد طبع في طهران منذ حوالي مائة سنة (١٢٩٧ و ١٣٠٨) .

- الطبرسي أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (المتوفى بين أو آخر القرن الخامس ومطلع القرن السادس) والذي كتب : تاريخ الأئمة .

- وابن الخشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي التحوي (المتوفى

(١) ابن النديم - الفهرس ص ١٤٨ .

- سنة ٥٦٧ / ١١٧١) وله أيضاً تاريخ الأئمة (مخطوط).
- والطبرسي أبو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب المازندراني (المتوفى ٥٨٨ / ١١٩٢) وقد كتب بين كتبه العديدة : مناقب آل أبي طالب .
- ابن الأخضر عبد العزيز بن محمود (المتوفى سنة ٦١١ / ١٢١٤) وله : معالم الفترة النبوية ومعارف أهل البيت الفاطمية الملعوية .
- الكنجي أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠) وقد كتب : كفاية الطالب في مناقب آل أبي طالب (مطبوع) .

وإذا كانت التوارييخ المحلية التي ظهرت في مصر خاصة وفي الشام واليمن قد تكون نوعاً من المدارس التاريخية الإقليمية في هذه البقاع مما يرشحها لأن تبحث في فقرات خاصة بها من بعد ، فإن المدرسة العباسية - الأم نفسها اقتصرت توارييخها الشاملة منذ القرن الرابع على المناطق العراقية خاصة والإيرانية مما جعلها بدورها مدرسة إقليمية كبيرة وإن تكون أم المدارس الأخرى . كما تعمقت توارييخها أيضاً منذ القرن الرابع ما بين أنواع من التوارييخ : بعضها للأقاليم والمدن وبعض "للأمس وبعض لسير الأشخاص أو للترجم . وهذا التمزق لم يكن قاصراً بالطبع على هذه المدرسة ولكنه شمل المدارس الثانوية التابعة لها بدورها أيضاً ، في مصر خاصة وفي الشام واليمن على السواء .

وطغيان توارييخ المدن على التدوين التاريخي يعكس شعور هذه المدن والأقاليم المرتبطة لها بالانفصال عن المركز والتفرد في المصير وبوضوح الأسهام الذاتي لديها ضمن التراث المشترك . وبالرغم من أن تاريخ بغداد لم يكن أول التوارييخ البلدانية التي كتبت - وكان طبيعياً أن لا يكون أولها لأن بغداد العاصمة الكبرى سوف تتأخر كثيراً قبل أن تشعر بوحدتها وتعرف بالفضاض الأقاليم عنها - ومع ذلك فإن تاريخ بغداد حين كُتب توا إلى على كتابة الذين علیهم عدد واسع من المؤرخين حوالي ثلاثة قرون . ولما كانت هي المدينة - الأم فقد أضحت تاريختها

بدوره التاريخ الأم، والنمذج المحتلى للمدن الأخرى. وبعد أن كان ابن طيفور في القرن الثالث خاصة قد كتب تاريخ بغداد على أساس سياسي وأرخ خلفاً لها من العباسين الأوائل ومن تبعهم فقد كان الخطاطها السياسي سبباً في تحول الأنوار المؤرخة إلى فعالاتها العلمية والفكرية . وقد جاء الخطيب البغدادي فغير عن عملية التعويض هذه حين كتب تاريخ هذه المدينة لا على أساس أحداثها السياسية وخلفاً لها وزرائها والكتابة في إطار النسج التاريخي السنوي أو الحادثي ، ولكن على أساس الرجال الذين اضطربوا في أسواق تلك المدينة وجوامعها ومدارسها وبلاطتها وقصورها والصوماع ... مزق المدينة كوحدة أحداث تاريخية اجتماعية متفاعلية ليجعل منها تجمع أفراد وتراكم عرضياً لأشخاص متrockين لصائرهم ... وصار الإطار المكاني هذه المدينة ولغيرها من سور وأبواب هو الرابطة وناسج الوحدة والصلة بين هؤلاء الأفراد الذين كان تنظيمهم في هذه التواريخ «المدينة» البلدانية على أساس المعاجم وحروف الأسماء يسهم مرة أخرى في تزييقهم أيضاً بما يجمع بين أصحاب العصور المتبددة ، بسبب التقارب في الاسم أو يباعد بين المعاصررين لتبان الاسم أيضاً... .

على أن هذا التحطيم لعلاقات الزمان من جهة ولنسيج الأحداث التاريخية بتحويلها إلى تراجم من جهة أخرى كانت تقابلها حستة واحدة هامة هي أن المؤرخين البلديين بصورة عامة اعتبروا رجال العلم والفكر هم التاريخ وهم أولى الناس باحتلال صفحاته دون رجال السياسة أو على الأقل أكثر بكثير من رجال السياسة من كتاب ولاة وملوك وأمراء .. عدم الاعتراف بالزمن واهتمام التطور الحادثي في التواريخ البلدانية قابليهما تركيز متصل على ابراز المفاعلات الفكرية ومساهمتها في الحركة الحضارية العامة . وإذا كان في هذا الموقف اعتراف بتفاهة الدور السياسي لهذه المدن ولأصحاب الحكم فيها ، فإن فيه بالمقابل إدراكاً للقيم الفكرية المخالدة وتقديراً لقيمة الإنسان وعمله ولمسؤوليته عن ذلك العمل . وليس بهم أن يكون مصدر هذا التقويم نابعاً من الرغبة في الحفاظ على التراث الديني خاصة فالمهام هو النتيجة التي نجمت عن ذلك وهي ربط

وتسجل الجماعات العلمية في الاسلام مجموعة مجموعه مع بلدانها ، بشكل نستطيع معه بكل سهولة أن نكتب تاريخ الحركة الفكرية الاسلامية وعلاقاتها رجالها بعضهم مع بعض على المستوى نفسه من الوضوح وأحياناً في وضوح أشد من التاريخ للتحركات السياسية .

وقد استمر اعتبار المدن وحدات حضارية فكرية فترة طويلة من الزمن تزيد على أربعة قرون (ما بين أواسط القرن الثالث ونهاية القرن السابع) ، وكانت هذه الفترة كافية لكي يظهر بعض المدن المأمة ، ذات التراث الحضاري أو القيمة السياسية ، سلسلة من التواريخ توالى على كتابتها عدد من أبناء تلك المدن ، حتى أصبحت كتابة هذه التواريخ البلدانية نوعاً من التقليد لدى العلماء يدرسه في جيل بعد جيل أبناء تلك المدن ويكمله بين فترة وأخرى أحد أو لثلاث الأبناء البارزين . ومن اهام أن نلاحظ هنا أن أوائل التواريخ البلدانية إنما نشأت منذ القرن الثالث . وإذا وضعنا جانباً تاريخ مكة للأزرقى الذي يمت في جوهره إلى ما ألف في السيرة النبوية فإن أقدم تاريخ لقطع من الأقطار هو : تاريخ مصر وفتح المغرب الذي ألفه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (٢٥٧/٨٧١) وهو يفتقر إلى النقد الصحيح ، « ومن الغريب أنه لم يعتمد في تاريخ مصر القديم على مواد مصرية أصلية ولكن على مصادر يهودية وروايات متقدمة عن أهل المدينة » ، « وبلاحظ هذا المزج الحالى من النقد بين السير الخرافية والروايات الصحيحة نوعاً ما في الكتاب الجامع لآثار اليمن الموسوم بالأكليل للهمданى (٣٣٤/٤٩٦)^(١) » وقد استطاع صاحب تاريخ بغداد : ابن أبي طاهر طيفور أن يكون أكثر دقة واتزانًا لأنه إنما كان يتكلم عن مدينة حديثة الظهور ، ولكن الكثير من التواريخ البلدانية التي وصلتنا لا تحملون من العناصر الخرافية والأوهام والخبر الأسطوري ولا سيما حين تتناول في الأقسام الأولى منها التواريخ القديمة للمدن . ومن أمثلة ذلك ما نراه في الفصول الأولى من تاريخ

(١) انظر فيما يتعلق بهذه النقاط جب - مادة علم التاریخ - الموسوعة الاسلامية (الترجمة العربية) ج ٤ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

بخارى للرشى و تاريخ طبرستان لابن اسفنديار وفي الجزء الأول من تاريخ دمشق لابن عساكر والأوراق الأولى من تاريخ ميافارقين لابن الأزرق الفارقى وفي الجزء الأول من بغية الطلب ومن زيادة الحلب فى تاريخ حلب لابن العديم . على أن هذه التوارىخ نفسها قد حفظت لنا بالمقابل الكثير من المواد القيمة التي استبعدت كتفاصيل أو اهملت أو اختصرت في التوارىخ الجامدة الواسعة ، ومن هنا تأنى قيمتها الكبيرة .

وسوف نطوي الأمثلة على هذه التوارىخ البلدانية في هذا الفصل لأن متابعتها تخرج بنا إلى دراسة المدارس ولأنها أيضاً من الكثرة والسعنة بحيث تكاد تستغرق الجهد التاريخي كله أو معظمها . وهذا نكتفي به هنا بتسجيلها كظاهرة أساسية في الفكر التاريخي وتابع بعث الاتجاهات التي تتصل بها .

وكما انتشرت توارىخ المدن والأقاليم وتکاثرت ، انتشرت وتکاثرت بالمقابل توارىخ الأسر الصغيرة والأفراد البارزين ومعظم ما كتب في هذا الباب فإنما كان إما نوعاً من التفاصير وتسجل الأبعاد الخاصة ، أو نوعاً من الملق والتقرب للحكام طلباً للزلفى والإنعم .

وتوارىخ الأسر ، إذا تجاوزنا آل البيت ، كانت لا تقتصر على الأسر الكبيرة الماءمة ولكنها تتناول أحياناً بعض الأسر المحدودة القيمة والأهمية والتي يؤرخ بعض أفرادها لأسرته بغية التأكيد على شأنها وقيمتها السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية . وإذا كان التاريخ لبعض الأسر المحاكمة يتحول غالباً إلى تاريخ إقليمي أو تاريخ للدول فإن التاريخ للأسر الصغيرة كان ظاهرة اجتماعية تتصل بالطبقة الاجتماعية القبلية أو الاقطاعية ، أو كان ظاهرة فكرية ، دفاعية في الغالب ، للتغطية بفخر العلم على توافع النسب أو لجمع المجد من أطراقه في نيل الأصل والعلم في وقت ما .

فمن أمثلة توارىخ الأسر ما كتبه بعض المؤرخين عن البرامكة من أمثال أبي حفص عمرو بن الأزرق الكرمانى وغيره . وقد كانت توارىخهم بالعربية

إلاً أننا نجد مؤلفاً في القرن الثامن يكتب عنهم بالفارسية هو : عبد الجليل بن نظام الدين يحيى بن عبد الجليل البزدي ، الذي كتب أخبار البرامكة سنة ٧٦٢ في مجلد^(١) .

ومن المؤلفين في الأسر الأخرى :

– أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابيء (المتوفى سنة ٣٨٤ / ٩٩٤) حول الأسرة البوهية باسم : التاجي في أخبار الدولة الديلمية ، لأنه ألقى بطلب من تاج الملة عضد الدولة البوهية ولم تبق منه إلا قطع قليلة مخطوطه (طبع منها في بغداد سنة ١٩٧٧ قطعة المنتزع من كتاب التاجي) .

– مؤلفو الكتب التي صدرت بالفارسية باسم سلجوق نامه : أحدهما لظاهر الدين النيسابوري (المتوفى سنة ٥٨٢ / ١١٨٦) وقد ذيل عليها مؤلفان في أوآخر القرن السادس هما :

– عبد الحميد الكرماني وأبو حامد محمد بن ابراهيم الكرماني والكل مطبوع .

– كما ألف بالعربية وفي الفترة نفسها كتاب عبهر المؤلف باسم : مطالع الشروق في حسان بني سلجوق .

– وجاء القسطي الوزير الحلبي (المتوفى سنة ١٠٤٦) فكتب : أخبار السلجوقية . وهو ضائع .

– وكتب القسطي نفسه : كتاب الأئمّة في تاريخ بنى مرداش ، الذين حكموا حلب في معظم القرن الخامس .

– وكتب ابن الأثير المؤرخ (المتوفى سنة ٦٣٠) كتاب الباهر في الدولة الأتابكية لتأريخ هذه الأسرة .

– وألف قبل ذلك أبوبقاء هبة الله بن نعما بن علي بن حمدون الحلبي

(١) انظر ذيل كشف الظنون للبغدادي ج ١ ص ٤١ .

الربيعى (المتوفى سنة ٥٢٠ / ١١٢٦) كتاب المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسدية . يؤرخ لبني مزيد الأسرة العربية التي حكمت جنوب العراق ما بين القرن الخامس حتى أواسط السادس للهجرة . - وكتب عدد من آل منقذ ، تلك الأسرة العربية التي حكمت قلعة شيزر فى أواسط سوريا ما بين أواسط القرن الخامس وأواسط القرن السادس ، تاريخ هذه الأسرة .

كتبه أولاً ، فى أواسط السادس ، أبو عبد الله محمد بن مرشد المقدى الكتانى (شقيق أسامة) ثم كتبه مؤرخ مجهول من واقع الوثائق التي وجدها فى أواخر القرن السادس . وكتبه أيضاً أسامة بن منقذ ، أشهر أمراء هذه الأسرة ... وكل أولئك قد ضاع .

ولإذا كانت هذه التوارييخ نماذج لتاريخ الأسر السياسية الحاكمة فإن ثمة أمثلة على الأسر الاقطاعية الواسعة أو العلمية ومن ذلك :

- أخبار بني سليمان ، التاريخ الذى كتبه لأشهر أسر عمارة النعمان علماً ومالاً واحد من أبنائهما هو القاضى أبو المعالى أحمد بن مدرك ابن سليمان التتوخى المعرى فى أواسط القرن السابع وكان أحد المصادر التي اعتمدتها ابن العديم^(١) .

- نسب بني صالح (بن علي بن عبد الله العباسى) وقد كتبه القاضى أبو طاهر صالح بن جعفر الهاشمى الحلبي (النصف الأول من القرن السابع) وقد أخذ عنه ابن العديم أخباراً كثيرة^(٢) .

- كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جراده وقد كتبه المؤرخ

(١) ابن العديم - بقية الطلب (مخطوط أسد الثالث) ج ١ ورقة ١١٤ وجه ١٩٧٠ وجه ١٩٨٠ وجه ٢٢٢ وجه .

(٢) انظر ملا ابن العديم - بقية الطلب (مخطوط أسد الثالث) ج ١ ورقة ٢٣٩ ظهر ج ٢ ورقة ١٦٤ ظهر ج ٥ ورقة ٢٨٣ وجه .

ابن العديم في تاريخ أسرته في عشرة كراريس بطلب من ياقوت
المحموي الذي نثر الكتاب كله تقريباً في معجم الأدباء .

وندخل تاريخ الأسر من بابه الأوسع ان نحن اعتبرنا – ومن الحق أن
نعتبر – كتب الأنساب في اطار التاريخ وعند ذلك نجد أن فيضاً هائلاً من كتب
الأنساب الأسرية يدخل التاريخ من مثل ما كتبه :

– أبو الفرج الأصبهاني المعروف (المتوفى سنة ٣٥٦) – عدا مقاتل
الطلابين – حول نسببني شيبان ونسب المهابة (بني المهلب لانقطاع
الأصبهاني إلى الوزير المهاي) .

– وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أسعد الجوني النسابة (من أواسط القرن
السابع) الذي كتب (نزهة القلب المعنَّى في نسببني المهاة) وتقل عن
ابن العديم بعض المقتبسات^(١) ويدرك السخاوي كتب أنساب الظهررين
والنوريين والطبريين والقسطلانيين والمهود... الخ^(٢) .

٧ – ظهور السير الفردية والذاتية والمذكرات والقصص التاريخي .

فأما سير الأفراد فان نحن تجاوزنا السيرة النبوية ، التي كان لها على الدوام
من يتناولها بالرواية والاختصار والبساط والتلطم واعادة الكتابة ، وجدنا بابها
قد اتسع ، وورد فيه زمر بعد زمر من السير . فهناك سير أعداد من الصحابة
وسير الخلفاء الراشدين وسير عدد من رجال البيت والأئمة خاصة . وفي كل هذه
النواحي كتبت ثم كتبت أعداد من الكتب والرسائل لم يكنقصد منها الإبداع
التاريخي بقدر ما كان التعبير عن الاحترام والتقدير . ولعل أهم الزمر هي تلك

(١) انظر المصدر السابق ج ٩ ورقة ٢٤٤ وج ٢٤١ ظهر .

(٢) انظر السخاوي – الاعلان من ٥٩٧ ، ص ٥٨٤ .

التي كانت تحمل اسم « المناقب » وقد توجهت لتكريم كبار الرجال الدينيين في المجتمع الإسلامي ، نصبتهم نماذج لل المسلم الكامل وللأسوة الحسنة . وأبرز كتب « المناقب » التي تكررت معاودة المؤلفين لكتابتها ، وتعاونوا على تناولها جيلاً بعد جيل هي التي تتعلق بمناقب « الفقهاء » الكبار ، أصحاب المذاهب الكبرى .

وهكذا نجد أكثر من اثني عشر كتاباً في مناقب أبي حنيفة ونجد ضعف هذا العدد لمناقب مالك بن أنس كما نجد أكثر من ذلك في مناقب الشافعي . وأقل قليلاً كانت الكتب في مناقب ابن حنبل^(١) . أما في مناقب جعفر الصادق والأئمة فالكتب عشرات بعد عشرات وإذا كانت الكتب في أئمة مذاهب السنة نوعاً من التمجيد لذاهبيهم فالكتب في أئمة الشيعة كانت تغييراً عن الولاء لهم ولآل البيت .

وقد نال كبار رواة الحديث وكبار الحفاظ بعد ذلك ونتيجة لذلك نصيب من هذا التكريم و « المناقبية » . وانا لنجد كتاباً تفرد لترجم البخاري مثلاً ومسلم بن الحجاج وأبي داود السجستاني وابن ماجه والترمذى والنمساني وهم أصحاب الصحيحين والسنن الأربع . كما نال التكريم نفسه كبار الزهاد والمتصوفين فلهم بدورهم كتب تروى سيرهم وكراماتهم وأقوالهم ... وأكثر ما قام بذلك هم الوعاظ المعروفون^(٢) كابن الجوزي . وفي الوقت نفسه كانت القيمة الاجتماعية للشعر والأدب والفناء تدفع في اتجاه آخر إلى كتابة سير « الشعراء » خاصة مع حفظ أشعارهم وسير المغنين البارزين .. ومن هذا الباب ثمة أعداد كبيرة جداً من الكتب في أخبار فلان أو فلان من الشعراء والأدباء

(١) من شاء تفصيل أسماء كتب المناقب وجدتها لدى السخاوي في الجواهر والدرر . والنص مطبوع في كتاب روزنثال - علم التاريخ عند المسلمين (ص ٥١١ - ٥١٥) من النص الإنجليزي ص ٧٣٦ - ٧٣٩ .

(٢) ألف ابن الجوزي مثلاً في سير كل من : الحسن البصري وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري ومشهور الكرخي ... الخ .

أو المغنين . وكثيراً ما كان بعض تلاميذ أو أنصار كبار العلماء أو الرجال البارزين في المجتمع الإسلامي يكتبون بدورهم سيرهم تعبيراً عن الإعجاب والاحترام . ومن أمثلة ذلك ما كتبه السلفي الحافظ من سيرة أبي المظفر محمد ابن أحمد بن محمد الأبيوردي ، وكتبه الصياغ المقدسي من سيرة أبي عمر محمد ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي وسيرة عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ... وهي بضاعة راجت بصورة خاصة بعد القرن السابع أبي في العصر المملوكي وكثير طارقوها والكتابون فيها كثرة واسعة^(١) .

وما من شك في أن هذه الزمر المتعددة من كتب السير المختلفة وان كانت ذات مقاصد دينية (اجتماعية وعلمية) أو أدبية فإنها كانت في الوقت نفسه من كتب التاريخ ومن ميدانه رغم ما كانت تضميه أحياناً من التعاليم الدينية ، أو مسائل الفقه أو الأدب والشعر أو المعاуз ، أو القصص الخرافي والأوهام . ولعل هذه الأمور كانت تعطي بعض كتب المناقب والسير هذه ملامح التاريخ الحضاري والاجتماعي وكانت تعكسه أكثر مما تعكسه السير الأخرى المتعلقة بأقطاب السياسة . لقد كانت أحياناً كثيرة نوعاً من الاحتجاج على الظلم السياسي والاجتماعي ومحاولته من قبل المؤلفين لتوجيه رجال السياسة إلى الطريق الصحيح وتوجيه الناس إلى المذهب الأقوم أو لتعليمهم سبيل الخلاص من الظلم والفساد بالزهد والهرب والترفع وإيشار الآخرة . وهذا نلاحظ تزايد هذا النوع من كتب المناقب والسير للزهاد والأولياء والصالحين مع تقدم العهد حتى تصبح في العصر المملوكي من المواضيع التقليدية وتصبح أعدادها بالعشرات بعد العشرات ...

ولم يكن أهل الخل والعقد ورجال السياسة أقل حظاً في مجال السير . وسيرهم الشخصية كانت تسجل تاريخ نظمهم في الفرات التي عاشهوا ومعظم هذه

(١) انظر القائمة الطويلة التي أوردها السنخاوي في الجواهر والدرر (خليط دار الكتب) الأوراق ظهر - ٢٩٨ وجه (روزنال ٧٣٩ - ٧٥٠) .

السير ان لم يكن كلها إنما كانت أمادببع ، وقصائد مشورة ترمي من خلال الأحداث والقصص والأقوال المروية إلى تمجيد صاحب السيرة وتحليله . ولهذا فقد كتب معظمها في عهود أصحابها وقلما كتب من بعده إلا أن يكون ذلك من قبل بعض الأتباع المعجبين أو أقربائهم الآقررين ... على أن ظاهرة كتابة السير للحكام لم تظهر إلا في العهود التي ظهر فيها حكام بارزون لا ينجل الكاتب من أن يخصص لناريخ حياتهم سيرة يسطرها للناس . فلقد كان في مثل هذا النوع من التاريخ للأفراد من الحرج يأتي من أن السيرة الوحيدة الجديرة بالرواية في القناعة العامة هي السيرة النبوية التي لا يمكن لأي سيرة أن تقارنها في الشأن .

ومن نماذج السير الأولى كتاب أفرده بعضهم عن المؤمنون^(١) . والسيرة التي كتبها ثابت بن سنان بن قرة لل الخليفة المعتصم بالله (المتوفى سنة ٢٨٩ / ٩٠٢) ونقل عنها ابن العديم^(٢) والسيرة التي نظمها شعراً ابن المعتر (المقتول سنة ٢٩٦) وسماها سيرة الإمام في تاريخ ابن عمه المعتصم أيضاً .

ولا نكاد نجد في القرن الرابع سوى سيرة سيف الدولة التي ألفها أبوالحسن علي ابن الحسين الزراد الديلمي وقد أخذت عنها ابن العديم^(٣) كما قد عاصرتها أربع سير كتبها ابن زوالق في مصر لكل من ابن طولون وابنه خمارويه ثم للأخشيد وبخواصه الصقلي .

لم لا نكاد نجد في القرن الخامس سوى السيرة التي كتبها أبوالنصر محمد ابن عبد الجبار العتيبي (المتوفى سنة ٤٢٧) للسلطان يمين الدولة محمود الغزنوبي

(١) ذكره السخاوي في الموارد والدرر (مخطوط دار الكتب الفاسية) ورقة ٢٩٥ وجه
انظر علم التاريخ لروزنفال ص ٧٣٦٥ .

(٢) انظر ابن العديم - بنية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ ورقة ١٢١ ظهر ج ١ ورقة ١٧٦ ظهر .

(٣) انظر مثلاً المصدر السابق ج ٨ الورقة ١١٣ وجه ، ج ٤ ورقة ١٣ ظهر .

بسط فيها حياته وترجمة أبيه سبكتكين وحروبه وأعماله حتى آخر أيامه في أسلوب بلغ أسر الكثرين وكان السبب في بقاء الكتاب في عدة نسخ مخطوطة وفي ظهور شروح عديدة له في العصور التالية ، وظهور ترجمة فارسية ... وقد عرفت هذه السيرة باسم اليماني (نسبة ليمين الدولة) محمود سبكتكين الغزنوی (المتوفى سنة ٤٢١ / ١٠٣٠) وفي القرن نفسه كتب ثلاث سير في مصر للوزير المغربي أبي القاسم الحسين بن علي (المتوفى سنة ٤١٨ / ١٠٢٧) اقتبس عنها ابن العديم عدداً من النقول^(١) كما كتب سيرة رابعة للوزير اليازوري أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وزير المستنصر بمصر . ويبدو أن ظهور عدد من الأخطار والأبطال في التاريخ الإسلامي في القرن السادس ومطلع السابع قد فتح الباب لظهور أعداد كبيرة من السير ، إذ ظهر من كتابها :

- أبو الحسن محمد بن عبد الملك الممذاني (المتوفى سنة ٥٢١ / ١١٢٦) الذي ذيل على الطبرى وكتب عن الوزراء وقد ألف (أخبار دولة السلطان محمد وحمود) السلاجوقيين .
- ابن بنجه الأشتري (من رجال أواسط القرن السادس) وقد كتب سيرة لنور الدين نقل عنها أبو شامة .

- ابن الجوزي الإمام المؤرخ (المتوفى سنة ٥٩٧ / ١٢٠١) وقد كان أخصب المؤرخين جمياً في باب السير : فله - عدا سير رجال التصوف والزهد - سير شئ لرجال السياسة منها كتب : المفاخر في أيام الملك الناصر ، المصباح المضيء لدعوة الإمام المستضيء (أو فضائل المستضيء) ، الأعاصر في ذكر الملك الناصر (وربما كان هذا هو نفسه الكتاب

(١) أصحاب هذه السير الثلاث هم : جلال الدولة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي ابن عباس وخلف بن عبد الله بن هبة الله السعدي ثم القاضي الملقب عبد القوي بن عبد العزيز بن الجبار ، أما النقل عنها فانظر ابن العديم - بدنة الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ ورقة ٢٩ وج ٥ وظاهر وغير ما .

الأول) ، الفخر النوري ، المجد الاصلاحي ، المجد العصدي (كل واحد من الخمسة في مجلد) ... ويقال أن له : عقد الخناصر في ذم الملك ناصر ...^(١) .

- ابن المارستانية أبو بكر (صاحب تاريخ بغداد الفصحى المسماى ديوان الاسلام الاعظم) المتوفى سنة ٥٩٩ / ١٢٠٣ وقد كتب سيرة للوزير ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ / ١١٦٥ .

- ابن عاتي الأسعد بن المذهب بن زكريا (المتوفى سنة ٦٠٦ / ١٢١٠) وهو من كتاب مصر الأقباط وقد كتب بين ما كتب سيرة منظومة لصلاح الدين الأيوبي ، لعلها بعد قصيدة ابن المعتر ثاني السير المكتوبة شرعاً . وقد ضاعت .

- ابن شداد القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع الحلبي (المتوفى سنة ٦٣٢) وقد رافق صلاح الدين في القسم الأخير من حياة هذا السلطان ثم كتب سيرته في كتاب « التوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ويعتبر من أهم المصادر عن حياة صلاح الدين .

- القادسي محمد بن أحمد بن محمد الخبلي (المتوفى سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧) وقد كتب الذيل الأخير للطبرى بعنوان الفاخر في أيام الملك الناصر (وهو ضائع) .

- النسوى شهاب الدين محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٦٤٧) وقد كتب سيرة السلطان جلال الدين منكوربى آخر السلاطين الخوارزميين الذي كان انياره أمام المغول أشبه بانيار السود أمام السيول (والكتاب مطبوع) .

(١) انظر السنواي - الجواهر والدرر (مخطوط دار الكتب) ورقة ٢٩٥ ظهر (روزنفالصفحة ٧٢٧) .

- القبطي جمال الدين الوزير (المتوفى سنة ٦٤٦ / ١٢٤٨) وقد كتب بين تواريخته الكثيرة تاريخ محمود بن سبكتكين (صانع) .

- البصري علي بن أبي الفرج بن الحسين الذي كتب بعد سنة ٦٥٩ وانهيار خلافة العباسيين كتاب : المناقب العباسية والماخار المستنصرية (وهو مخطوط) .

- مجذ الدين أبو محمد الحسن بن الملك الناصر داود بن المعظم الأيوبي (المتوفى بعد سنة ٦٦٠) وقد كتب سيرة أبيه في كتاب الفوائد الجلية في الفوائد الناصرية (مخطوط قيد الطبع) .

ويتصل بكتاب السير موضوعان ينفرعان عنه لحدٍ كبير وهما كتابة السير الذاتية ، وكتابة المذكرات وفيهما الكثير من التعبير عن التميز الذاتي وقيمة التجارب الشخصية . ولم يقتصر الكتاب الاسلاميون في طرق هذا الباب أيضاً من التاريخ في تلك الفترات وما بعدها . فأما في السير الذاتية^(١) فيلفت النظر خبر قديم فريد ذكره الطبرى عن الحارث بن سريح أحد كبار المرجنة الثائرين للحق والعدل في أواخر العهد الأموي من أنه « كتب سيرته فكانت تُقرأ في طريق مرو والمساجد فأجلابه قوم كثير » حتى ضرب بعض غلمان نصر بن سبار الوالى قارئاً من قراء هذه السيرة فقامت الخصومة^(٢) . ولاشك أن هذه السيرة كانت بسطاً لآراء ابن سريح وعقيدته في الإرجاء ولستا نجد تكراراً لشل هذه المحاولة فيما بعد . ولكننا نجد الواقعى يروى شيئاً عن تاريخ حياته^(٣) ورؤى

(١) كتب بروكلمان مقالاً حول « ما كتبه العرب في أحوال أنفسهم » نشر في كتاب المتقى في دراسات المستشرقين لصلاح الدين المنجد (القاهرة ١٩٥٥) ص ٢٢ - ٣ ، وكتب قبل ذلك روزنثال بحثاً حول الموضوع نفسه نشر في مجلة Orientalia سنة ١٩٣٥ وقد نصبه عبد الرحمن بدوى وأضاف إليه في بحث نشره في كتابه (الموت والمقبرة) القاهرة ١٩٤٥ .

(٢) الطبرى ج ٧ ص ٣٢٢ (١٩٢٠/٢) .

(٣) انظر طبقات ابن سد (ط . سخا) ج ٥ ص ٣١٤ وقد نقلت هذه النصوص في كتب شتى بعد ذلك .

ابراهيم الموصلي وابنه اسحق بعض حياتهما ونجد شيئاً مما رويما في الأغاني^(١)
كما ألف :

– الحكيم الترمذى (المتوفى سنة ٢٨٥) في أخبار نفسه ومنها نسخة مخطوطة
فريدة في كلية اللغة والتاريخ بأنقرا .

– محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن المقري (٢٦٥ – ٣٥٤) كتاب أخبار نفسه^(٢) .

– وكتب ابن سينا الفيلسوف (المتوفى سنة ٤٢٨) مختصرآ في تاريخ حياته
أكمله تلميذه الجوزجاني ، ونقل عنه القفعي وابن أبي أصيحة .

– وكتب الإمام أبو حامد الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥) تاريخه الفكرى في
كتاب (المتفقد من الصلال) .

– وكتب البيهقي ابن فندق أبو الحسن علي بن زيد (المتوفى سنة ٥٦٥) شيئاً
عن نفسه في كتابه : مشارب التجارب ونقل عنه ياقوت الحموي في
معجم الأدباء^(٣) .

– وألف ابن الجوزي أبو الفرج (المتوفى سنة ٥٩٨) رسالة : لفتة الكبد
في نصيحة الولد يوصي فيها ابنه أن يقلده في حياته .

– وألف ابن عربي محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الحاتمي الصوفى
(المتوفى سنة ٦٣٨) رسالة : مناصحة النفس ، يخبر فيها عن نفسه
ورياضته الروحية ...

وتشبه هذه المؤلفات في معناها المذكرات أو السير وكثيراً ما تختلط بها ،
فإن كتاب ابن شداد باسم النواذر السلطانية هو نوع من المذكرات عن أيامه مع

(١) انظر الأغاني (ط. دار الكتب) ج ٥ ص ١٦٠ .

(٢) الصفارى – الوانى ج ٢ / ٣٢٧ .

(٣) انظر ياقوت – الأدباء ج ٥ ص ٢٠٨ .

صلاح الدين كما أنه سيرة له وكذلك بعض ما نذكر من الكتب التالية فهو
تارة من السيرة أو من التاريخ المعاصر أو من الترجمة الذاتية على شكل المذكرات
ومن ذلك :

— مذكرات الفضل بن مروان بن ماسرجيس النصراوي وقد خدم المأمون
ووزر للمعتضم وتوفي في أواسط القرن الثالث عن ٩٣ سنة . وقد كتب
كتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها ورأها^(١) ولعله أول كتاب
مذكرات .

— وكتب أحمد بن الطيب السريحي الوزير « أخبار سير المعتضد بالله »
(الخليفة ما بين ٢٧٩ - ٢٨٩) من مدينة السلام إلى وقعة الطواحين
بفلسطين ثم انتصافه عنها » وهي الحملة العسكرية التي قادها سنة
٢٧١ / ٨٨٤ ضد خمارويه بن طولون . فكانت هذه المذكرات
أساس السيرة التي كتبها ثابت بن سنان بن قرة عن المعتضد وقد دفعها
الخليفة إليه لهذا الغرض .

— وكتب أبو الحسن أحمد بن جعفر بن جحظة البر مكي (٢٢٤ - ٣٢٤ /
٨٣٨ - ٩٣٦) كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله^(٢) كما كتب
المشاهدات ، وكتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام .

— والصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥ / ٩٩٥)
كتب روزناجة أي يوميات يقيس منها مقططفات عديدة لدى الشاعري
وابن ظافر الأزدي وياقوت^(٣) .

— أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير (من القرن الخامس)

(١) ابن النديم - الفهرست ص ١٢٧ .

(٢) انظر ياقوت - الأدباء ج ٢ ٤٤٢ / ٢ أو ج ٣٨٤ / ١ وابن النديم ص ١٤٥ .

(٣) انظر الشاعري - ببيبة الدر (ط . دمشق) ج ٢ ص ١١ ، ابن ظافر - بدائع البدائ ،
وياقوت - الأدباء ج ١٥ ص ١١٢ وما يليها .

كتب روزنامجاً أنشأه لولده الحسن يذكر فيه رحلته إلى الحج من أذربيجان وعبوره بخلب ومعرة النعمان سنة ٤٢٨ وقد نقل عنه ابن العديم عدة صفحات^(١).

وقد ظهر في القرن السادس عشر كتاب سجلوا المذكرات كل على طريقته فإذا ترکنا عمارة اليمني الذي كتب مذكراته في مصر وجدنا :

– أسامة بن مرشد بن منقذ (المتوفى سنة ٥٨٤) وكتابه الاعتبار الذي يأخذ شكل الذكريات لا المذكرات ويروي بعض الطرف التي عرفها في حياته.

– القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (المتوفى سنة ٥٦٦) وله اليوميات التي تسمى بالتجددات أو المياومات أو الدستور وقد ذكر فيها ما مرّ به في مكانه من دولة صلاح الدين من أمور يومية.

– العماد الأصبهاني الكاتب (المتوفى سنة ٥٩٧) وقد كتب سلسلة من المذكرات في مجلدات عديدة هي : (البرق الشامي) الذي روی فيه ما شهده من أحوال دولة نور الدين وصلاح الدين ما بين سنی ٥٦٣ – ٥٨٩ في سبع مجلدات ، ثم (عقبى الزمان) في تاريخ الدولة الأيوبية منذ وفاة صلاح الدين حتى آخر سنة ٥٩٢ ذيل فيه على البرق الشامي ثم نحلة الرحلة الذي روی فيه مرة أخرى ما شهده من أحداث العهد الأيوبني منذ وفاة السلطان حتى أواخر سنة ٥٩٣ ثم (خطفة البارق وعطفة الشارق) روی فيه ما شهده من التاريخ الأيوبني منذ مطلع سنة ٥٩٣ حتى أول رمضان سنة ٥٩٧ ... وبما يمكن أن يعتبر كتابه : (الفتح القسي في الفتح القدسي) حول حطين وفتح فلسطين من كتب المذكرات أيضاً.

(١) ابن العديم – بذرة الطلب (مخطوط أسد الثالث) ج ١ ورقة ٢١٨ وجه وما بعدها .

وأخيراً كان مما دخل على مادة التاريخ من التطور في القرن الرابع وما بعده
أمران :

(أ) ظهور القصص التاريخي وهي ظاهرة نجمت دون شك عن ازدياد الاهتمام الشعبي بالتاريخ وعن وصول هذا الاهتمام إلى الطبقات الدنيا في المجتمع الإسلامي . وإذا كان الوعاظ من جهة والسمّار من جهة أخرى وأنصار الفرق الدينية من جهة ثالثة هم الذين سطوا على المعلومات التاريخية أول الأمر ، واستخدموها في الوعظ والسرmons ودعم الآراء الدينية المتأخرة فلا شك أن وجود وتكرار جمهور التاريخ في ذلك المجتمع هو المسؤول عن اتساع ذلك الاهتمام وعن ظهور العديد من الكتب نصف التاريخية حيث يمتد الوهم بالتاريخ وينتشر الخيال والأسطورة بالمعطيات الواقعية . يقول جب :

«... ولم يكن جل هذه المفترىات شخص اختلاف بل كان يستند إلى أساس من الرواية الصحيحة مرج بصنوف الروايات الشعبية والقصص الخيالي ومواد الدعاوة والهزيمة وكان يرمي في الغالب إلى هدف سياسي أو ديني معين . أنظر على سبيل المثال مواد ابن اعم وابن قتيبة والمرتضى والأشرف والواقدي . شأنه في كل ذلك شأن مؤلفات سيف بن عمر ...»^(١) .

والواقع أن مادة كثيرة زائفة قوامها الاختلاق والتزيين والإثارة دخلت على مادة التاريخ في هذه الفترة وأصابت بصورة خاصة قارات الفتوح ثم تاريخ الفترة الجاهلية وتاريخ الفرس وتركت طابعها المضلل في الواقع التاريخي . وقد أوجدت في الحقيقة لوناً جديداً من الأدب لا لوناً من التاريخ ، هدفه إرضاء تلك الرغبة الغفوية لدى الناس في رواية القصص وشحذ الخيال وتركيب الصور والواقع . وقد قدم ابن النديم مسرداً واسعاً من أسماء القصص الشعبية التاريخية

(١) جب - الموسوعة الإسلامية - مادة التاريخ (ج ٤ ص ٤٩٥ من الترجمة المرية) .

و مؤلفها يطول استعراضه^(١) ولكن على أي حال يدخل في باب علاقة التاريخ بالأدب .

والأمر الثاني هو أن بعض التاريخ تلوّن في هذه الفترة بألوان الموى السياسي والطاغي للكتاب . لم يكن ثمة مناص من أن يبدو في روایة الطبقات الدينية وغير الدينية التي تكتب التاريخ ما عرف عنها من تحيز إلى فكرها الخاص و اكتفاء بالنظر إلى المسائل السياسية والاجتماعية من وجهة نظر واحدة . وليس يقتصر هذا على فريقي السنة والشيعة ولكن يمتد حتى لظهور فيه التحيزات الفرعية المذهبية ، وأنظر مثلاً ما يكتبه ابن الجوزي الحنبلي عن ابن عساكر الشافعي أو ما يكتبه أبو شامة السنّي عن نسب الفاطميين ، أو ما كتبه ابن أبي طبي الشيعي عن نور الدين وصلاح الدين ... الخ . ونستطيع القول أنه ظهرت في بعض الأحيان لكل جماعة دينية أو اجتماعية توارثتها الخاصة التي تعكس آرائها واهتماماتها .

(١) راجع ابن الدبـ - الفهرس ص ٣٠٤ - ٣٠٨ وسوف نبحث مادة القصص هذه من بعد .

الفصل التاسع

تطور المنهج التاريخي - ١

في التدوين

كان لابد للتاريخ الإسلامي ، بعد أن استقر علمًا بين العلوم ، وفاعليه من فاعليات الفكر الراية ، وبعد أن تكاثر عدد العاملين عليه وتضخت مولفاته وتنوعت أوسع النوع مواضيعه ، وبعد أن تنوّع الطارقون له والمحتجون إليه فشملوا كافة الطبقات و مختلف نواحي الحياة ، كان لا بد لكل أولئك من أن يعكس أثره لا في مادته كثرة وألوانها فقط ولكن منهجاً وأسلوباً وهدفاً ومصادر وتنظيمياً أيضاً . وبديهي أن هذا التغير في المناهج التاريخية لا يمكن أن يكون مفاجئاً ، ولا ابن القرن الرابع وما بعده فان جنوره ومطالعه أبداً منذ القرن الثالث أو قبل ذلك إلا أن النضج الحضاري في القرن الرابع خاصة ، و اكمال الفكر التاريخي في هذا القرن وما بعده هو الذي أبرز هذه التغيرات وجعلها من الملامح المميزة لعلم التاريخ الإسلامي من بعد .

ويمكن أن نراقب ما طرأ على مناهج التاريخ الإسلامي من تطور من خلال أمرين : تدوين المادة التاريخية ، وتنظيم هذه المادة .

١ - في تدوين المادة التاريخية

ثمة عدد من التطورات في تدوين المادة التاريخية يمكن أن نسجل منها :
أولاً : سقوط الإسناد تدويناً وقيمة توثيقه . تلك الزائدة التي كانت تقدم الأخبار مستندة ما فيها إلى روايتها ، راوية " بعد راوية " فقدت وظيفتها وانقرضت . وانقرض باقراصها أهم صلة تصل التاريخ بعلم الحديث ، وأعلن التاريخ بهذا الشكل استقلاله بمنهجه الخاص . وقد أسمى في الوصول إلى هذه المرحلة عدد من العوامل منها : انتشار الورق والمخطوط المكتوب ثم عدم ترتيب أمور فقهية شرعية أو حياتية هامة على التاريخ المدون (مما كان من قبل يستوجب تعری الدقة في التدوين والصحة) ومنها كذلك الرغبة في الاختصار مع تصخيم المادة المتزايد . وعدم مطالبة الناس بسند الحديث التاريخي يوازي تشددهم في تطلب السند للحديث النبوي ... الخ ، على أن هذا كله يعني في الوقت نفسه استقرار الرواية التاريخية المستقلة وتوطدها .

وإذا كان الطبراني آخر مثل للطريقة الحديثية فإن المسعودي الذي ظهر مباشرةً بعده ومات بعد ٣٦ سنة منه يمكن أن يعتبر أبرز مثل للطريقة التاريخية اللاحسانية . على أن العدد الكبير من المؤرخين حتى في القرون التالية كانوا يحاولون الإبقاء على إشارة موجزة في مطلع الخبر تشير إلى المصدر . وبينما كان بعض المصنفين المتأخرین يستغفون في معظم الأحيان الاستغناء الكامل عن كشف مصدر أخبارهم (ومن أبرزهم مثلاً ابن الأثير) فإن المنهج الحديثي مع ذلك لم ينقرض تماماً ونظل نرى دون انقطاع ظهور السند بكل جلاله وطوله ولا سيما لدى المؤرخين المحدثين وفي الكتب التاريخية التي تستهدف ترجم الرجال ورواية الحديث . وأكثر ما يظهر ذلك في التواريخ البلدانية ونماذج تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (القرن الخامس) وتاريخ دمشق لابن عساكر (القرن السادس) وبعية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (القرن السابع) نماذج كافية واضحة في هذا السبيل إن لم نذكر الكثير من غيرها .

وكانت خطوة هامة نحو التوثيق التاريخي المستقل ان يلتزم المؤرخون بذلك المصادر التي نقلوا عنها أخبارهم ونصوصهم . وقد اتبعوا في ذلك طريقين :

- بعضهم ممن استغنى عن الإسناد في صلب الكتاب جمعها جميعاً عند مقدمته في سلاسل وجعلها المصدر الإجمالي لما يرويه كما فعل ابن أثيم الكوفي (سنة ٣١٤) في مقدمة كتابه الفتوح . وكان بعضهم يجمع بدل الإسناد أسماء الكتب التي اعتمدتها ويضعها في المطلع كما فعل المسعودي.

- وبعضهم كان يعزّو كل خبر إلى المؤلف أو الكتاب الذي أخذ عنه بشكل موجز قد يقتصر أحياناً كثيرة على كلمتي « قال فلان » . مثال ذلك ما نراه مثلاً لدى أبي شامة في كتاب الروضتين ولدى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان .

على أن بعض المتشددين في السنن كانوا بالمقابل إذا فقدوا الرواية الشفهية على طريقة المحدثين ، واضطروا إلى النقل عن الكتب المخطوطة يوثقون ذلك النقل توثيقاً عجياً في دقة فلا يكفي أحدهم بذكر اسم الكتاب الكامل واسم صاحبه بالكامل أيضاً ولكنه يضيف إلى ذلك وصف الكتاب المخطوط ومكان وجوده وأحياناً اسم ناسخه ، واسم من يملك الكتاب أو من أهداه ، أو أعاره والنموذج الممتاز في هذا الصدد نجده في ابن العديم . وكثيراً ما نجده يكتب مثلاً : « قرأت الحكاية (حكاية عن الأسر الكلابي الفارس مع سيف الدولة) في مجموع قديم مكتوب في أيام سيف الدولة أو قريب من عصره وشاهدتها في المجموع على الصورة التي ذكرها بخط بعض الاخباريين في جزء وقفت عليه في وقف الإمام الناصر أبي العباس بالخلافة في الجانب الغربي من بغداد . قال ... ». ^(١)

أو يكتب : « ... وجدت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد

(١) ابن العديم - بذرة الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ٢٥٠ وجه ٢٥٤ ظهر .

ابن أحمد بن الحشاب في أثناء مجموع من تعليقه في دار وقف القرآن بسنجر ما صورته . أنشدني ... ^(١) أو يكتب : « قرأت في تاريخ أبي المحاسن ابن سلامة الحراني ، بحران ، دفعه إلى الخطيب ابن تيمية وذكر أنه نقله من خط المؤلف قال وفي سنة ٥٩٣ ... ^(٢) » .

وهذا كله إنما يعني أن التاريخ إن افتقد السندي واستغنى عنه فإنه لم يحمل التوثيق وتحري الدقة في النقل وينهنج لذلك طرائقه الخاصة . وندر أن أهل المؤرخون ذكر المصادر أهملوا ^{كاماً} إلا في الموجزات الحولية والمحصّرات للتاريخ العامة . ويُكاد يكون ابن الأثير من الأمثلة النادرة في هذا الباب إذ أهمل ذكر مصادره في تاريخه (الكامل) ولو أنه لم تغب عن الباحثين تلك المصادر التي تبلغ حوالي خمسة وثلاثين مصدراً .

ثانياً - تزايده الاعتماد على الوثائق : ما كانت الوثائق الرسمية (نصوص المعاهدات أو نصوص الرسائل والخطب وغيرها) بالغائية عن التدوين التاريخي الإسلامي منذ مطلعه ولكن الاعتماد عليها ازداد بعد أن عمل على هذا التدوين الكتاب والموظفون الرسميون أيضاً وأدخلوا في مصنفاتهم ما يقع تحت أيديهم من مخطوطات الدواوين وأحياناً من نصوص الكتب التي يكتبوها هم أنفسهم .

وهكذا فإذا كان من النادر أن تجد وثيقة في كتب الترجم ولدى المؤلفين ذوي الثقافة الحديثية إلا ما اتصل منها بوقف ديني أو فقهى شرعى فإننا بالمقابل نجد الوثيقة السياسية (من رسالة رسمية بصورة خاصة ، أو درج نسب أو تقرير أو مرسوم تعين أو وقف أو توقيع أو كتاب بولاية ... الخ) قد دخلت في صلب الكتب التاريخية التي ألفها أمثال الروذراوري ، والبيهقي ، والصولي ، والصلابي ، ومسكوبه ، وابن القلانسي ، والمبغي ، والعماد الأصبهاني ، والقاضي الفاضل ، وابن شداد ، وأبي شامة ، وعمر بن شاهنشاه الأيوبي

(١) المصدر نفسه ج ٨ ورقة ١٦٣ ظاهر .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ورقة ٢١٠ وجه .

(صاحب مضمون الحقائق) ويبدو أن هذه الأقلام المتکاثرة من هؤلاء على كتابة التاريخ ، قد شعرت بنقص التوثيق في مدوناتها بالمقارنة مع التدوين الحديدي ذي الإسناد فكان عليها أن « توثق » معلوماتها بنصوص أصلية تأخذها مباشرة عن منابع المعلومات وعن محفوظات الدواوين . على أنها يجب أن لا تغفل دافعاً آخر أتى بالوثائق إلى كتب التاريخ هو الدافع الأدبي فكثيراً ما كانت الوثيقة تنقل بنصها الكامل أو في معظمها لا لقيمتها السياسية أو الأخبارية ولكن لقيمتها الأدبية . والنصوص التي كتبها كبار الكتاب كانت إنما تنقل كنماذج يحتذ بها الكتاب الناشرون .

ومؤرخو القرن الرابع وان احتفظوا من المحفوظات الديوانية التي وقعت لهم الكثير من الوثائق بنصوصها إلا أنهم كانوا أحياناً يعتمدون على معلوماتها دون ايراد نصوصها كما فعل أحياناً كثيرة مسكونه والصولي أو كانوا يوردون بعض الفقرات منها طبقاً ل حاجاتهم . وكتب الخراج كانت تحوى الكثير من ذلك . ومع أن هاتين الطريقتين اتبعا من قبل المؤرخين في القرون التالية كالروذراوري والصابيء ، ثم ابن القلاني ثم أبي شامة ، إلا أنها شهدت في القرن الخامس ظهور النصوص بعذافيرها لدى بعض المؤرخين ، [عجبأ] منهم بأساليبهم أو بأساليب أساتذتهم كما فعل المسبحي والبيهقي (في تاريخ بيهق) فإذا جاء القرن السادس توسع بعض الكتاب في ذلك فتضخت مؤلفاتهم أوسع التضخم بما تزول فيها من نصوص الرسائل والوثائق الكثيرة المتدافعة كما فعل العماد الأصبهاني مثلاً وأبن شاهنشاه . ويصل هذا المد الوثائقي إلى أوجه لدى القاضي الفاضل الذي طبع التاريخ الأدبي قروناً بطابعه والذي بلغ دون شك من اعجابه بما دفع من الرسائل والتقارير التي لو جمعت كلها جاءت في ما يقارب مائة مجلد...^(١)

(١) لا شك أن شكله القمي قد أسمى في تخصيم الآثار عنده . وهي عددة حبذا لو درست من قبل الأدباء . وتقدير الرسائل بآفة مجلد ذكره ابن خلkan - الوفيات ج ٣ ص ١٥٨ - ٩ (ط . عباس -- بيروت) .

أنه جمع منها مجلدات عديدة وأعطتها اسم «المتجددات» (وتسمى أحياناً بالمياميات أو بالتاريخ) فهي ثالث كتاب تاريفي خالص للوثائق فحسب . لم يتكرر مثال آخر من نوعها في التاريخ الإسلامي .

والهام في كل هذا أن الروح «الوثائقية» قد توطدت باستمرار كطريقة أساسية في المنهج التاريفي الإسلامي ولكن دون أن تخوّل التاريخ مع ذلك إلى «تاريخ رسمي». فالكاتب الذي كان يستعمل الوثائق لم يصبح مؤرخاً «رسمياً» للدولة ولكن مؤرخاً موثقاً واحتفظ رغم ارتباطه الوظيفي بمحريته في اختيار ما يريد من الوثائق إلا في بعض الحالات النادرة كحالة إبراهيم الصابي، وكتابه التاجي في تاريخبني بوه. وهكذا فإذا انتهت الوثائقية فيه إلى إقرار أهم استقرار الرواية التاريفية واستقلالها . فقد انتهت الوثائقية فيه إلى إقرار أهم عنصر من عناصر الموضوعية فيه .

ثالثاً : التأثر بالعلوم الأخرى والتاريخ لرجالها : فقد تركت العلوم المختلفة في غوها الواسع أثراًها في التاريخ ، في تلك العصور فإنما نجد أنها أخذت بدورها حيزاً خاصاً من اهتمام المؤرخين لا كعلوم ولكن ك الرجال وحملة فكر وعلم . وقد سجل المؤلفون تطور الثقافة الإسلامية على اختلاف فروعها من خلال التاريخ لرجالها والتسجيل لأثارهم العلمية . فكان العلم عندهم هو رجاله وبهذا الشكل ارتبط التاريخ الإسلامي بالأجيال المتالية من رجال العلم الذين ظهروا فيه قدر ارتباطه برجال السياسة وال الحرب الذين ظهروا فيه .

وانهالت على التاريخ : من هذا الباب كتب بعد كتب لا تحفظ ذكر الرجال فقط ولكنها تسجل في الوقت نفسه وفي ثنايا الترجم مع مسالفهم وروابطهم دقائق الحياة الفكرية والاجتماعية لمصوريهم تسجيلاً جعلها المنجم الغني بالمادة الأولية التاريفية . وما من علم من العلوم البارزة في الفكر الإسلامي العربي إلا ولرجاله كتب تتحدث عنهم وعن آلامهم .

وإذا كان علم الحديث هو الذي بدأ «التاريخ» يعني تسجيل أسماء رواة

الحديث فطبيعي جداً أن يستمر ذلك «التاريخ» فيما بعد وأن ترتبط كلمة التاريخ ، في هذا المجال خاصة ، بمعنى الترجم وأن ينسحب هذا المعنى أحياناً على تواريخ المدن فتصبح ترجم لرجالها فقط ؛ وأحياناً لرجالها من رواة الحديث . ولم يكن هؤلاء الرواة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بالقليل العدد. فائهم يزيدون على ستين بالمائة من رجال العلم والفكر . وقد نستطيع القول أنا لا نكاد نجد «عالماً» لم يشارك من قريب أو بعيد في حمل الحديث وروابته . فقد كان ذلك «فخراً» علمياً لا يحمله إلا الأئلون وكان لقب «الحافظ» من أجل «الألقاب إن لم يكن أجل» الألقاب التي يحملها عالم .

وهكذا وصلت الكتب التاريخية التي تجمع ترجم رجال الحديث في العدد ، إلى المئات العديدة والألاف . وأضحت من الصعب حصرها وغدت زمراً بعضها يحمل اسم الطبقات ، وبعضها اسم الرواة وبعضها اسم المعاجم وبعضها اسم الشيوخ وبعضها اسم الرجال وبعضها اسم تاريخ مدينة كلها وبعضها اسم التاريخ مجرداً .

وتفرعت عنها فروع منها الأنساب (بمعنى الثاني الذي بُرِزَ في السمعاني) ومنها المؤتلف والمختلف ومنها كتب الكنى والألقاب ، ومنها طبقات أهل أهل المذاهب المختلفة . ولا ضرورة لأن ثانٍ بالأمثلة عليها لا لأنها تفوق الطرق في المحصر والتعداد ولكن لأنها أضحت تشكل أكثر من نصف مادة التاريخ الإسلامي .

وإذا نحن نتجاوزنا علم الحديث إلى العلوم والمعارف الأخرى هبط بالطبع عدد الكتب التاريخية لرجالها إلى العشرات وأحياناً إلى الأعداد المحظوظة . ومن ذلك الكتب حول المتصوفة والأطباء والحكماء والقراء والمحورين والشعراء والأدباء ...

فاما حول التصوف والزهد وأهله فمن الملاحظ أن التأليف في هذا الباب قد تأخر حتى بلغت الحضارة العربية الإسلامية فترة النضج في القرن الرابع وعند ذلك تبى المؤلفون إلى هذه الفتة من المتدينين الذين لم يسجل فهرست ابن النديم (وهو من أواخر القرن الرابع) حولهم أي كتاب تقريباً : بينما سجل للعلماء الزهاد عشرات بعد عشرات من الكتب التي تعلم الزهد وجعل لهم فصلاً خاصاً (هو الخامس) من المقالة الخامسة . الكتابان الوحيدان اللذان ذكرهما :

- كتاب الرهبان لابن الجنيد ، وكتاب المتنين من السياح والعباد والمتصوفين لأبي حمزة الصوфи^(١) . ولا شك أنه قد ألف غيرهما أيضاً ، قبل القرن الرابع الذي ظهر فيه وفي القرون التالية عدد من المؤلفين في تاريخ العباد والصوفية والزهاد منهم :
- أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفى سنة ٣٢٢ / ٩٣٤) وله بين كتبه التاريخية العديدة كتاب العنكبوت والنمساك^(٢) .
- أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الاعرابي العترى (المتوفى سنة ٣٤١ / ٩٥٣)^(٣) وله كتاب : طبقات النساء .
- المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران (٢٩٧ - ٣٧٨) وبين مؤلفاته الواسعة الكثيرة كتاب الزهد والزهاد^(٤) .
- أبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوى (المتوفى سنة ٣٩٦ /

(١) ابن النديم - الفهرست ص ١٨٥ و ١٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٣) ابن الجوزي - المستلم ج ٦ ص ٣٧١ ، وكشف الظنون ج ٢ عمود ٨ . ١١٠٨ .

(٤) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١٣٣ .

(١٠٠٥) صاحب طبقات الصوفية .

- سعيد بن أسد الأموي (ولعله من القرن الرابع) مؤلف : فضائل التابعين وأخلاق الصالحين^(٢) .

- عبد الواحد بن مياه الشيرازي (ولعله من القرن نفسه) ، وقد اقتبس ابن التجار في ذيل تاريخ بغداد من كتابه ترجمة علي بن محمد الزنجاني^(٣) .

وكثرت هذه الكتب في القرن الخامس التالي ، كتبها :

- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (المتوفى سنة ٤١٢ / ١٠٢١) .

- وأبو سعيد محمد بن علي بن عمرو النقاش (المتوفى سنة ٤١٤ / ١٠٢٣) .

- وأبو الحسين (أو الحسن) علي بن عبد الله بن جهم (المتوفى سنة ٤١٤ أيضاً) صاحب : « بهجة الأسرار ولوامع الأنوار في حكايات الصالحين والأخبار والصوفية الحكمة الأبرار » .

- وأبو منصور معمر بن أحمد بن زياد العارف (المتوفى سنة ٤١٨ / ١٠٢٧) وله : طبقات النساك .

- وقد جاء بعد ذلك أبو نعيم أحمد بن عبد الله (المتوفى سنة ٤٣٠ / ١٠٣٨) صاحب تاريخ أصفهان ، فوضع كتاب حلية الأولياء الذي طبع في عشرة مجلدات وصار من أشهر الكتب في تاريخ الصوفية . وقد ذكر فيه أخبار جماعة من الصحابة والتابعين والخلفاء العشرة الأوائل . وقد اختصره ابن الجوزي في كتاب (صفة الصفة) .

(١) البنداري - تاريخ بغداد ج ٩ ص ٩ ، وينتكره بروكلمان (ملحق ١ ص ٩٤٩) باسم السوسي .

(٢) السخاري - الإعلان ص ٥٧٤ .

(٣) انظر ابن التجار - ذيل تاريخ بغداد (خطوط باريس A٢ ١٢٣١) ورقة ٣٢ وجه .

- وجاء القشيري بعد ذلك : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٥ / ١٠٧٢) عن ٨٩ سنة . وقد كتب هذا الصوفي كتاباً لا يقل شهرة و شأنها عن سابقه عُرِف باسم : الرسالة القشيرية في ٤٤ باباً و ثلاثة فصول .

- وكتب ابن خميس الكعبي مجد الدين أبو عبد الله الحسين بن نصر ابن محمد الجهمي (المتوفى سنة ٥٥٢ / ١١٥٧) كتاب طبقات الأولياء وكتاب مناقب الابرار والكتابان من المخطوطات اليوم .

- وألف ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزرري (شقيق المؤرخ المعروف) المتوفى سنة ٦٠٦ كتاب : المختار في مناقب الأخيار وهو مخطوط .

- كما ألف في الوقت نفسه مؤلف آخر اسمه جمال الدين محمد بن أبي الحسن المصري الشافعي كتاب أخبار الأخيار .

- وجاء ناصح الدين الحنبلي عبد الرحمن بن عبد الوهاب الأنصارى الشيرازي الدمشقى (المتوفى سنة ٦٣٧ / ١٢٤٠) فألف كتابين هما : الاستعداد بن لقيت من صالحى العباد في البلاد . وتاريخ الوعاظ .

- وكتب الحسين بن علي بن الحسن بن ظافر الأزدي (ابن المؤرخ المعروف) في أواسط القرن السابع بدوره كتابين أحدهما لابنه في (أخبار الأولياء) والآخر باسم تاريخ الصوفية . والأول مخطوط موجود .

وتکاثرت الكتب المتعلقة بمثل هذه المواضيع فيما بعد . كان عدد من الظروف الحياتية والسياسية ومن المفاهيم الدينية يدعون إلى جعل التصوف والزهد نوعاً من الحياة المثلث ، ويدعون بالتألي إلى كثرة الحديث عنها وعن رجالها والتأليف فيهم .

أما الطب ورجاله فقد ارتبط تاريخهم - بسبب ارتباط العلم نفسه - مع

رجال الفلسفة والحكمة . كانت علوم الأوائل دائرة علمية واحدة . فاختلطت توارييخ الأطباء والحكماء بعضهم مع بعض ، من جهة كـا كانت أخبار الفلسفة والأطباء اليونان تماماً غالباً القسم الأول من تلك التوارييخ من جهة أخرى ... بل كانت الكتب الأولى التي صدرت في هذه الموضعـ مجرد توارييخ للأطباء والحكماء الأغريق : وهكذا جاء المؤلفون :

– اسحق بن حنين (المتوفى سنة ٢٩٨) وقد نشر كتاب (تاریخ الأطباء والحكماء) وكان يجب أن يضيف إلى العنوان كلمة الأغريق لأنـه إنما تحدث فقط عنـهم مـعتمـداً على تاریخ اغـريقي في الموضوع نفسه كان كتبـه بـوحـنا الغـرامـاطـبـيـ (بحـيـ النـحـويـ) . وقد نـشـر رـوزـنـالـ هـلـاـ الكتاب (مـجلـة Oriens سنة ٩٥٤) .

– حـنـينـ بـنـ اـسـحقـ الـمـرـجـمـ الـمـعـرـفـ (المـتـوـفـ سـنـة ٢٦٠) وـتـرـجـمـ عـدـدـاًـ مـنـ (نوـادرـ الـأـطـبـاءـ) وـهـيـ مـقـطـفـاتـ مـنـ آـدـابـ وـأـقـوـالـ الـفـلـاسـفـةـ الـيـونـانـ مـعـ بـعـضـ أـخـبـارـ عـنـهـمـ وـقـدـ جـمـعـ مـؤـلـفـ مـجـهـولـ مـنـ أـقـوـالـ حـنـينـ هـذـهـ النـوـادرـ فـيـ كـتـابـ نـجـدـهـ مـخـطـوـطـاًـ فـيـ الـاسـكـورـيـالـ (رـقـمـ ٧٥٦) وـلـدـىـ اـبـنـ أـبـيـ أـصـبـيـعـ نـقـولـ مـنـهـ^(١) .

– وجـاهـ طـبـبـ مـرـجـمـ آـخـرـ هـوـ قـيـنـونـ الـرـجـمـانـ (مـنـ الـقـرـنـ الثـالـثـ) – وـبـرـدـ الـاسـمـ أـحـيـاـنـاـ عـلـىـ شـكـلـ فـيـثـونـ) فـوـضـعـ كـتـابـاًـ نـقـلـ عـنـهـ اـبـنـ أـبـيـ أـصـبـيـعـ كـثـيرـاًـ مـنـ تـرـاجـمـ الـأـطـبـاءـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ الـأـوـلـ وـنـقـلـهـ الـقـطـعـيـ كـذـلـكـ دـوـنـ أـنـ يـنـسـبـهـ إـلـيـهـ وـتـمـتـازـ بـأـنـهـ دـقـيـقـةـ تـحدـدـ الـأـخـبـارـ بـالـتـوـارـيـخـ^(٢) .

– اـسـحقـ بـنـ عـلـيـ الرـهـاوـيـ (مـنـ أـوـاـخـرـ الـقـرـنـ الثـالـثـ وـمـطـالـعـ الـرـابـعـ) وـكـتـابـهـ : أـدـبـ الـطـبـبـ هـوـ مـصـادـرـ أـبـيـ أـصـبـيـعـ وـالـقـطـعـيـ عـلـىـ السـوـاءـ ،

(١) انظر مـثـلاـ اـبـنـ اـبـيـ أـصـبـيـعـ – طـبـقـاتـ الـأـطـبـاءـ (طـبـةـ بـيـرـوـتـ ١٩٦٥) صـ ٩٥ـ وـ ٩٦ـ .

(٢) انظر اـبـنـ اـبـيـ أـصـبـيـعـ – طـبـقـاتـ الـأـطـبـاءـ (طـ بـيـرـوـتـ ١٩٦٥) صـ ١٨٣ـ – ١٨٩ـ ، ١٩٠ـ ، ١٩٨ـ ... الخـ .

- نقاً عنه بعض الترجمات^(١).
- أبو علي القياني (من العصر نفسه) وله هو بدوره كتاب كان أحد مصادر ابن أبي أصيبيعة^(٢).
- ثم وضع أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (المتوفى سنة ٣١٣ / ٩٢٥) سيرة الحكماء التي لم تصلنا منها سوى مقتولات ابن أبي أصيبيعة.
- وكتب أبو الحسن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الديمة (وهو آخر المتخصص بالرضاخ) (٨٧٨ - ٧٩٦ / ٢٦٥ - ١٨٠) كتاباً : أخبار الأطباء ، وأخبار المتجهين وينقل ابن أبي أصيبيعة^(٣) والقططي كثيراً عن الكتاب الأول.
- أبو القاسم مسلمة المجريطي (المتوفى سنة ٣٩٥ / ١٠٠٥) الذي كتب تاريخ فلاسفة العرب . وقد ضاع الكتاب الا من ذكره في كتاب آخر للمؤلف هو (غاية الحكم - مقالة الطلسات)^(٤).
- أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي (السجستانى) المنطفي (المتوفى او اخر القرن الرابع) صاحب صوان الحكمة الذي وصلنا متنبه له .
- عبيد الله بن جبريل بن عبيد الله بن يختيشوع (المتوفى سنة ٤٥١ / ١٠٥٨) . بنيافارقين وهو طبيب معروف ألف (مناقب الأطباء) وذكر فيه شيئاً من أحوال الأطباء ومآثرهم وأخباراً عن أبيه وجده . كتب ذلك
-
- (١) انظر المصدر السابق الصفحات ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ... الخ
- (٢) المصدر نفسه ، الصفحات على سبيل المثال : ٢٢٨ ، ٢٠٨ .
- (٣) المصدر نفسه الصفحات : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢١٦ - ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ - ١٥٩ - ٢٥٧ ... الخ ، وبعض المصادر تجعل الكتاب لأحمد بن يوسف المذكور مع أنه للأدب (وانظر خاصة من ١١٧ - ١٢١ من طبقات الأطباء).
- (٤) انظر آما يزرك - التزيرية إلى تصانيف الشيعة ج ٣ من ٢٧٣ والمزلف الاندلسي ذكرناه للإشارة إلى أننا سنترك ذكر الأنجلترايين الآخرين .

- سنة ٤٢٢ ونعرف بعض فقرات الكتاب عن طريق ابن أبي أصيحة^(١)
- أبو الحير المبارك بن شرارة الحلبي الطيب (المتوفى سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩) بخلب وقد كتب تاريخ أطباء العصر .
 - البياسي أمين الدين أبو زكريا يحيى بن اسماعيل (المتوفى أواسط القرن السادس) كتب تعليقات حول أطباء عصره .
 - زين الدين عمر بن سهلان الساوي (المتوفى سنة ٥٤٠) اختصر صوان الحكمة وهو مخطوط موجود .
 - الشهريستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (المتوفى سنة ٥٤٨ / ١١٥٣) صاحب الملل والتعلل . كتب أيضاً تاريخ الحكام ومنه مخطوط في مكتبة أحد المستشرقين وله ترجمة فارسية في الهند^(٢) .
 - ابن فندق ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد البهقي (المتوفى سنة ٥٦٥ / ١١٦٩) كتب أيضاً تتمة صوان الحكمة وقد طبع في لاهور بالهند بهذا العنوان سنة ١٣٥١ بينما طبع بدمشق بعنوان تاريخ حكماء الاسلام سنة ١٩٤٦ .
 - موقف الدين أسعد بن الياس بن المطران (المتوفى سنة ٥٨٧ / ١١٩١) كتب : (بستان الأطباء وروضة الأباء) ومنه نسخة خطية في مكتبة الجيش الطبية - كليفلاند (تحت رقم ٨) بالولايات المتحدة .
 - الأمير المبشر بن فاتك (المتوفى سنة ٥٨٩ / ١١٩٣) كتب بدوره (ختار الحكم ومحاسن الكلم) ومحظوظه موجود في استامبول (أحمد الثالث رقم ٣٢٤٩) .
 - مؤلف مجهول كتب في أواخر القرن السادس تاريخ الفلسفه السابقين

(١) ابن أبي أصيحة - طبقات الأطباء ص ١١١ ، ١١٢ ، ١٥٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ - ٣١٠ وترجمة من ٢١٤ .

(٢) انظر زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٠٤ .

وهو مخطوط موجود في استانبول (أحمد الثالث رقم ٢٠٥٥) كان قد استخدمه ابن خلkan وعليه خطه بذلك .

- أبو الثناء شديد الدين محمود بن عمر بن محمد الشيباني المعروف بابن زقيقة الطبيب (المتوفى سنة ٦٣٥ / ١٢٣٨) كتب (قانون الحكماء وفردوس الندماء) الذي نقل عنه ابن أبي أصيبيعة بعض التقول .

- أسد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن علي (المتوفى سنة ٦٤٥ / ١٢٤٨) أيضاً كتب نوادر الأطباء وهو ضائع بدوره إلا من تقول عنه لدى ابن أبي أصيبيعة .

- جمال الدين علي بن يوسف القفعي الوزير (المتوفى سنة ٦٤٦ / ١٢٤٨) كتب بين الكتب التاريخية الكثيرة التي كتب : أخبار العلماء بأخبار الحكماء وقد وصلنا مختصر الكتاب على يد الزوزني ، وقد طبع (ليزينج سنة ١٩٠٣) كما أن في استانبول مخطوطة (مكتبة بني جامع رقم ٨٥٤) بعنوان روضة العلماء في تاريخ الحكماء ويدرك عليه أنه من جمع حفيض المؤلف .

- ابن أبي أصيبيعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفى سنة ٦٦٨ / ١٢٧٠) وقد كتب أوسع وأهم كتاب في هذه السلسلة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ولها طبعات عديدة ... ومع أنه ليس آخر الكتب في هذه المادّة إلا أنه يكاد يكون آخرها . فما ظهر من بعده في العصور التالية كان معظمها بالفارسية من جهة كما كان أقل شمولاً وسعة بكثير منه .

ويمكن أن نجد في تاريخ التحويين وطبقاتهم سلسلة ليست أقل طولاً ولا غنى من سلسلة تاريخ الحكماء والأطباء . وهكذا بعد أن ألف أول المؤلفين أمثال محمد بن يزيد المبرد ، وأحمد بن يحيى المعروف بشغل و محمد بن عبد الملك التاريخي^(١) ما بين القرنين الثاني والثالث أول الكتب في هذا الموضوع

(١) انظر ياقوت - الأدباء (المقدمة) ج ١ ص ٤٧ .

ظهرت الكتب الواسعة في القرن الرابع كتبها :

– ابن درستويه أبو محمد جعفر بن محمد (المتوفى بعد سنة ٣٣٠) وهو بصري متخصص وقد كتب *أخبار النحويين*^(١).

– أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (المتوفى سنة ٣٥١ / ٩٦٣ في دخول الدمشق الرومي إلى حلب) وله : مراتب النحويين (ويسمى السيوطي مراتب اللغويين) ومنه نسخة مخطوطة قديمة في القاهرة (التيمورية رقم ١٤٢٥ تاريخ في ١٦٥ صحفة).

– أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المربان السيراني (المتوفى سنة ٣٦٨ / ٩٨٩) وقد كتب طبقات النحويين واللغويين (طبع في بيروت سنة ١٩٣٦) ومنه مخطوط في استانبول (شهيد على رقم ١٨٤٢) بعنوان *أخبار النحويين*.

– أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرباني (المتوفى سنة ٣٧٨ أو ٣٨٤ / ٩٨٨ أو ٩٩٤) وله : المقتبس في *أخبار النحاة*^(٢) وقف عليه ياقوت الحموي في ١٩ مجلداً وقال إنه كتاب حفيل ولكنه قليل التراجم بالنسبة لحجمه محتوى بأراء النحويين وينبغى أن يسمى مستند النحويين ..

– أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي (المتوفى سنة ٣٧٩ / ٩٨٩) وقد ألف طبقات النحويين واللغويين الذي نشر في القاهرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٥٤) وقد جمع فيه النحاة من صدر الإسلام حتى شيخه الرياحي (المتوفى سنة ٣٥٨).

– أبو محمد عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي (من أواخر

(١) ابن النديم – الفهرس ص ٦٣ .

(٢) انظر ابن النديم ص ١٣٣ ، السخاوي – الاعلان ص ٥٦٦ ، وانظر ياقوت – الأدباء

القرن الرابع) وقد انتقى من كتابي الريبيدي^(١) والسيراني كتاب المتنقي من طبقات النحوين واللغويين^(٢).

- أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر البصاني (المتوفى سنة ٤٠٠ / ١٠٠٩) وله تاريخ النهاة^(٣). وقد ذكره القسططي ونقل عنه في مواضع كثيرة من كتابه إنباء الرواية على أنباء النهاة.

- أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسرع المغربي النحوي القاضي (المتوفى سنة ٤٤٢ أو سنة ٤٤٣ / ١٠٥١ - ١٠٥٠) وقد كتب أخبار النهاة من البصريين والكوفيين^(٤).

- أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي القيرزياني (المتوفى سنة ٤٧٩ / ١٠٨٦) وقد كتب بجانب كتابه الدول (٣٠ مجلداً) كتاب : (شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب) وهو على قول ياقوت كثير الترجم ولا يعني بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار.

- وجاء ابن الأباري بعد قرن : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد (المتوفى سنة ٥٧٧ / ١١٨١) فكتب تاريخ النهاة منذ أبي الأسود حتى شيخه ابن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ ضمن كتابه : (نزهة الأباء في طباء الأدباء) وقد طبع على الحجر في القاهرة منذ سنة ١٢٩٤ وأعيد طبعه في العراق سنة ١٩٥٩.

- ثم جاء القسططي الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (المتوفى

(١) ابن خير الأندلسي - فهرس ابن خير ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) في هذه الفترة نفسها (النصف الثاني من القرن الرابع) كتب مؤلف أندلسي هو أبو بكر محمد بن الحسن الاشبيلي كتاب طبقات النحوين يورخ فيه النحوين في الشرق وصلاتهم بعضهم مع بعض .

(٣) بروكلمان - الملحق ١ ص ٢٠٢ .

(٤) السخاري - الاعلان ص ٥٦٦ .

سنة ٦٤٦ / ١٢٤٨) فكتب بين ما كتب من التوارييخ : كتاب :
(إنباء الرواة إلى أنباء النهاة) رتبهم فيه على حروف المعجم وقد طبع
الكتاب في القاهرة في ٤ أجزاء (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم منذ
سنة ١٩٥٤).

ولم تقطع السلسلة بعد ذلك في المهد الملوكى التالي . وكان أبرز من أنهاها
السيوطى في كتابه بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنهاة .

ولعل القوائم تطول بنا إن نحن تتبعنا ما كتب حول توارييخ رجال العلوم
والفنون المختلفة الأخرى ، وقد يكفي هنا اختصار هذه الجولة الواسعة أن نشير إلى
المؤلفات في تاريخ الأدب والشعر وتاريخ الفرق الدينية :

فأمساً في تاريخ الأدباء والشعراء : فقد كتب الاخباريون والرواة فيما
هائلاً من الرسائل والكتب منذ القرن الثاني وخلال القرن الثالث منها ما حمل
اسم طبقات الشعراء (مثل كتاب ابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١) أو اسم
الشعر والشعراء (مثل كتاب ابن قبيبة الدينوري) . واستمر التأليف تحت هذين
العنوانين فترة من الوقت ما بين أواخر القرن الثالث ومطالع الرابع . فكان
من المؤلفين :

– عبد الله بن المعتز الخليفة القتيل سنة ٢٩٦ مؤلف كتاب طبقات الشعراء .
– أبو عبد الله محمد بن خلف بن المربزان (المتوفى سنة ٣٠٩ / ٩٢١) له
كتاب الشعر والشعراء .

– أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى (مطالع القرن الرابع)
الفقيه الأديب الشاعر ازراوية ، وقد كتب بدوره الشعر والشعراء في
مصنف كبير ولم يتمه حسب رواية ابن النديم^(١) .

– ابن الحرون محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبهن (مطالع القرن الرابع)

(١) ابن النديم – الفهرست من ١٤٩ .

وهو بغدادي من أولاد الكتاب وبين مصنفاته العديدة هناك كتاب
الشعر والشعراء أيضاً^(١).

- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الخراساني (٢٩٧ - ٣٧٨ / ٩٨٨ - ٩١٠) وهذا المؤلف الخصيبي الذي كتب ما يزيد على
خمسين مؤلفاً في حوالي ٤٥ ألف ورقة (١٠٨ آلاف صفحة) كتب في
تاريخ الأدب العربي^(٢).
- كتاب الموفق (٥٠ ألف ورقة) : أخبار الشعراء المشهورين من الجاهلية
حتى أول العباسين.
- كتاب المسنين (١٠٠ ألف ورقة) : أخبار الشعراء المشهورين والمكررين
في العصر العباسي حتى ابن المعتز.
- كتاب المقيد (٥٠ ألف ورقة) : أخبار المقلدين من الشعراء ، ونحوهم
ومذاهبهم ... الخ .

عدا الكتب العديدة الأخرى المفردة لمواضيع شتى في التاريخ الأدبي وفي
أخبار الشعراء المفردین ، وقبل أن نلاحق سلسلة يتيمة الدهر في القرن الخامس
وما بعده نذكر :

- أبي سعد محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحمن الوزير (المتوفى سنة
٤٣٩ / ١٠٤٧) صاحب طبقات الشعراء . وقد سبقه مؤلف بلغ من
قيمة مؤلفه أنه لم يبق حتى الآن فقط ولكن جر وراءه سلسلة طويلة
من الكتب المتصلة له جيلاً بعد جيل مدة حوالي القرنين هو :
- الشاعري عبد الملك بن محمد (المتوفى سنة ٤٢٩ / ١٠٣٨) الذي كتب :
يتيمة الدهر في ذكر شعراء العصر في أربع مجلدات ثم عقب عليه هو
نفسه بذيل اليتيمة ، متمماً له .

(١) المصدر نفسه ص ١٤٨ .

(٢) انظر مؤلفاته لدى ابن النديم ص ١٣٢ - ١٣٤ .

- تم تناول الذيل على هذا الكتاب وجاء في السلسلة :
- أبو الحسن بن المظفر النيسابوري (المتوفى سنة ٤٤٣) فكتب (الذيل على تتمة الببيمة) .
 - الباخري أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (المقتول سنة ٤٦٧ / ١٠٧٤) فكتب عجلدين بعنوان دمية القصر (مطبوع ومخطوط) .
 - وتلاه بعد قرن البهيمي ابن فندق ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (المتوفى سنة ٥٦٥ / ١١٦٩) فألف : وشاح الدمية (وبعده مخطوط موجود) .
 - وكتب في الوقت نفسه أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الخطيري الأنصارى دلال الكتب (المتوفى سنة ٥٦٨ / ١١٧٢) كتاب : زينة الدهر في ذكر شعراء أهل العصر ، وهو ضائع حتى الآن ، وألطف شعراء العصر ، وللح الملحق (وهو مخطوط في الأسكندرية) .
 - وللن ذيل أسمة بن منقد الأمير (المتوفى سنة ٥٨٤) ذيلاً ضائعاً على ببيمة الدهر فقد كتب :
 - العماد الأصفهاني محمد بن محمد (المتوفى سنة ٥٩٧ / ١٢٠١) كتاب : خريدة القصر وجريدة العصر في عشر مجلدات (موجودة طبع معظمها) .
 - وخلال ذلك كان كتاب آخرون يؤرخون خارج هذه السلسلة للتاريخ الأدبي ومنهم :
 - ابن بديع أبو النجم هبة الله بن محمد الأصفهاني (القتيل سنة ٥٠٢ / ١١٠٨) الأديب الوزير بدمشق وحلب ، وقد كتب : صناعة الشعراء وبضاعة الأدباء . في شعراء عصره .
 - وألف ابن بشرون عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق الأزدي المهدوي (المتوفى بعد سنة ٥٦١ / ١١٦٦) كتاب المختار في النظم والثر لآفاضل أهل العصر . ألفه تلك السنة وقد ضاع .

- وألف القاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي بن الزبير (المتوفى سنة ٥٦٢) كتاب جنان الجخان وحدائق الأذهان في شعراء الزمان . وكان عدّ مجلدات ضاعت .

- والشيباني أبو غالب جمال الدين عبد الواحد بن مسعود بن الحسين الكاتب (المتوفى سنة ٥٩٧) والذي ذيل على الطبرى كتب في الوقت نفسه كتاباً في ترجم الشعرا على حروف المعجم .

- وكتب ابن حمدان تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن البغدادي (المتوفى سنة ٦٠٨ / ١٢١١) كتاب (أخبار الشعراء) الضائع بجانب كتاب آخر بعنوان أخبار العلماء .

- وابن أبي طي يحيى بن حامد بن ظافر الفاسني (المتوفى بحلب سنة ٦٣٠) وهو النساخ المؤرخ الشيعي الذي ضاعت كتبه التاريخية العديدة : ألف كتاب ترجم رجال الأدب والشعر .

- وظهر في الوقت نفسه تقريراً كتاب أبي الفتوح عبد السلام بن يوسف ابن محمد الدمشقي المسماى : أنموذج الشعراء والأعيان . وقد صاع .

أما الكتاب الضخم الذي ظهر مع هذين الكتابين الآخرين وكان قمة التاريخ الأدبي الموسوعي لعدة قرون فهو كتاب :

- ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩) وهو : ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب وقد عرف باسم معجم الأدباء (طبع في عشرين جزءاً مرة وفي سبعة أجزاء مرة أخرى) .

ولم تقطع السلسلة من بعده لأن الشعراء والأدباء لم ينقطعوا وهكذا بدأ العصر المملوكي التالي بكتاب ابن أنجوب الساعي حول شعراء زمانه في خمس مجلدات ثم كتاب ابن القوطي حول شعراء المائة السابعة وهكذا ...

وأما في تاريخ الفرق الدينية فمدة أيضاً سلسلة ليست أقل طولاً لكنها تبدأ متأخرة عن غيرها . منذ أواسط القرن الرابع ويرد فيها :

- خص بن أشيم من الخوارج (من رجال القرن الثالث فيما نظن) وله كتاب الفرق والرد عليهم^(١).
- أبو القاسم سعد بن عبد اللطيف الأشعري (المتوفى سنة ٣٠٠ / ٩١٢) صاحب كتاب : المقالات والفرق (مطبوع في طهران).
- أبو بشر أحمد بن إبراهيم بن أحمد القمي (المتوفى بعد سنة ٣٥٠) الفقيه الشيعي وله بين كتبه التاريخية الكثيرة كتاب الفرق الذي يقول الطوسي إنه «كتاب حسن غريب»^(٢).
- المرزباني (المتوفى سنة ٣٧٨) وله : أخبار المتكلمين.
- أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩ / ١٠٣٣) وقد كتب : «الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية» .
- البيروني أبو الريحان (المتوفى سنة ٤٤٠) وله كتاب : أخبار المبيضة والقرامطة^(١) ترجم فيه بعض الأخبار عن الفارسية وثورة المقنع .
- عبد الرحمن بن محمد الغوراني (المتوفى سنة ٤٦١ / ١٠٦٨) وله : كتاب الفرق الإسلامية.
- أبو المظفر شاهطور بن طاهر بن محمد الأسفرايني (المتوفى سنة ٤٧١ / ١٠٧٨) وله كتاب : (التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق المالكين) ، (وهو مطبوع) .
- أبو المعالي محمد بن علي الحسيني البغدادي (المتوفى ما بين سنة ٤٦٥ - ٤٨٥) وقد كتب بالفارسية كتاب : بيان الأديان (مطبوع) .
- فخر الدين أبو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسين العراقي (المتوفى سنة ٥٠٠ / ١١٠٦) وقد كتب الفرق المفترقة بين الزيني والزنادقة (مطبوع) .

(١) ابن النديم - الفهرست من ١٨٢ .

(٢) الطوسي - الفهرس من ٥٤ .

(٣) انظر البيروني - الآثار الباقية من ٢١١ .

- الشهري أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد القاضي (المتوفى سنة ٥٤٨ / ١١٥٣) وله أشهر كتاب تقريراً في هذا الموضوع (كتاب الملل والنحل) المطبوع .

- أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي التيسابوري (المتوفى سنة ٥٣٥ أو ٥٦٠) الفقيه الشيعي الذي ألف : تبصرة الأنام في الملل والنحل) .

- الرازى فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري (المتوفى سنة ٦٠٦ / ١٢١٠) الفيلسوف المعروف وقد كتب أيضاً : كتاب الملل والنحل (مطبوع) .

- ابن أبي الدم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي (المتوفى سنة ٦٤٢ / ١٢٤٥) وله كتاب الفرق الاسلامية (صائع) .

- الرسعى عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الحنبلي (المتوفى سنة ٦٦١ / ١٢٦٣) وله كتاب : مختصر الفرق بين الفرق (مطبوع) .

- ابن طاووس رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى الحسني الحسبي الحلبي (المتوفى سنة ٦٦٤ / ١٢٦٦) وقد كتب بدوره كتاب التعريف بمذاهب الطوائف (المخطوط) .

ولم تنقطع بالطبع هذه السلسلة من بعد ... ولقد نستطيع على النهج نفسه أن نجد سلسلة أخري من الكتب التاريخية من مثل كتب المناقب وهي تملأ الصفحات وكتب الطبقات وليس أقل منها بل لعلها أكثر منها بكثير عدداً، وكتب الأنساب ، وكتب الأسماء والكنى وكتب المتفق والمتفرق ، والمختلف والمختلف ، وكتب الصعفاء والمتروكين ، وتواريخ القراء ومعاجم البلدان ... وهي إنما تبرهن كلها على الحقيقة التي أردنا من أن تاريخ العلوم قد جاء التاريخ

بُرُوة طائلة من المعلومات زادت في سعة أفقته من جهة وامتداد آفاقه من جهة أخرى .

رابعاً : والتطور الرابع الذي طرأ على التدوين التاريخي إنما كان في أسلوب الكتابة :

أوائل الكتابات التاريخية لم تكن تأبه كثيراً بطريقة التعبير والأسلوب الأدبي بقدر ما كانت تأبه بالخبر أي القصص وإبراد الشعر المناسب له إن وجد الشعر ، تلجم هي طريقة الأخباريين التي ظلت سائدة حتى أوائل القرن الثالث . ونجد نماذجها الكاملة في ما ألف الطبرى وابن قتيبة والبلاذرى ... غير أن دخول « الكتاب » ميدان التاريخ أدخل على الصياغة بعض التأق . وأدخل عليها الشكل الأدبي المنمق . على أنه بالرغم من محاولات الكثير من الكتاب جعل التاريخ أحد فنون الأدب فإن الصفة الاخبارية فيه كانت تجره بعيداً عن الصناعة الأدبية باستمرار وهذا فيينما نجد بعض مؤلفاته يسير إلى ما يشبه الكلام الدارج ويرتكب المؤلفون فيه العديد من الأخطاء التحوية واللغوية (مثل ابن الأزرق الفارق في تاريخ ميافارقين مثلاً) نجد بالمقابل أن الكتاب الأدباء ظلوا يسرون مع هوايتم الأدبية لدرجة تسخير التاريخ لبلاغتهم الأسلوبية .

وهكذا لم يتبع أسلوب خاص للكتابة التاريخية وإنما جرى التدوين ضمن أسلوبين :

– الأسلوب المرسل الذي كتب به معظم المؤرخين كتبهم منذ الطبرى إلى المسعودى إلى الهمذانى وابن الجوزى والخطيب البغدادى وأبى نعيم وابن الأثير وسبط ابن الجوزى ، وقد يختلط الكتابة الاستشهاد بأية قرآنية أو حديث أو مثل شائع ، وقد يهبط هذا الأسلوب ليصبح مجرد حديث عادى مكتوب .

– الأسلوب الأدبي المتألق وقد بدأ هذا الأسلوب في بعض الكتابات

المشرقة على أيدي مسكونيه والتنوخي ولكنه سرعان ما غرته أعمال الصنعة البدعية على يد ابراهيم الصابيء في كتاب الناج والعنبي في كتاب اليعيني فصار سجعاً بدا أول الأمر نوعاً من البراعة في الجمع بين الأدب والتاريخ ثم ما لبث أن أشرف في الصنعة ونقلت عليه القصور اللغوية حتى لتغيم الفكرة التاريخية أحياناً وراء الكلمات الطنانة المرصورة رصناً .
ذلكم كان الأسلوب الذي انتهى إليه العmad الأصفهاني في مجلداته التاريخية التي تصل إلى الثلاثين مجلداً .

الفصل العاشر

تطور المنهج التارحي - ٢

في تنظيم المادة

إذا كانت نشأة علم التاريخ الإسلامي حتى القرن الثالث قد حددت بعض
الطرائق لتنظيم مادته فقد تبلورت واستقرت مناهج وطرق تنظيم هذه المادة
العلمية ، فيما بعد القرن الثالث . وإذا كان الندوين التارحي في القرن الرابع
وما بعده قد تابع الطرق والتنظيمات التي عرفها المؤرخون الأولون من قبل فإنه
قد أضاف إليها في الواقع طرائق وتنظيمات إضافية جديدة تبعاً للحاجات التي
كانت تظهر في إطار التاريخ الإسلامي النامي باستمرار والمتمدد التوسي
باستمرار . ولعلنا نستطيع أن نرصد هذه التطورات التنظيمية في النقاط التالية :

«أ» في التاريخ العام . انتهى القرن الثالث وبين يدي الناس ثلاثة نماذج
من التاريخ العام العالمي سجل بها التاريخ العربي الإسلامي تكامله العلمي :

– الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (سنة ٢٨٢) وهو

رغم اسمه ، أصغر تلك النماذج حجماً ، ولكن عدم التوازن في أجزاء الكتاب ينبع عن نقص في الفكر التاريخي لدى أبي حنيفة فقد خصص الباب الأول للأحداث التاريخية منذ آدم إلى العرب البائدة إلى ملوك الحبس والفرس واليمن وبني إسرائيل . وجعل الباب الثاني لتاريخ الفرس وعرض في الباب الثالث وهو ثلاثة أرباع الكتاب تقريباً حروب العرب مع العجم والفتح الإسلامية وتاريخ الخلفاء حتى المعتصم . وقد سقطت هذه المحاولة لعدم كمالها وانصرافها لوجهة النظر الفارسية ، ولعل عندها أنها من المشاريع الأولى في هذا السبيل .

- تاريخ يعقوبي أحمد بن اسحق (سنة ٢٩٢) ، وهو أوسع من الأول وأكثر توازناً ودقة جعله صاحبه في قسمين الأول لتاريخ ما قبل الإسلام مبتدئاً بقصة الخلق ثم الأنبياء والملوك في العاقب الزمني . وقد اعتمد التوراة والإنجيل في مواضعهما من التاريخ واعتمد المصادر الأصلية فيما عدا ذلك . وكان إذا أعزوه الخبر السياسي سد الثغرة بالأخبار الثقافية وهكذا تحولت أخبار الإغريق والهنود إلى ذكر الفلسفه والأفكار الدينية ، وكذلك فعل في الأخبار الجاهلية . أما في القسم الثاني الإسلامي فإنه في الوقت الذي لم يتخلى فيه عن اهتمامه الفكري بالحكمة والمعرفة أضاف الاهتمام بالروايات الشيعية وأخبار الأئمة وحكمهم المأثورة ، وبعد ذكر السيرة النبوية انصرف يعرض تاريخ الإسلام خليفة خليفة في تكتيف وتلخيص دقيقين مع ختام كل عهد بصفات الخليفة وذكر ولاته وكبار رجاله والفقهاء في عهده وأمراء الحج وحملات الحرب التي كانت في عهده ... وقد مزج تاريخه بالنجوم ، ففي مطلع عهد كل خليفة طالمه عند تولي الخليفة .

- وتاريخ الطبرى وهو أضخم النماذج الثلاثة وآخرها ظهوراً ، اعتبر التاريخ البشري سلسلة من الرسل والأنبياء ، آخذًا عن الإسرائيлик

وبعض توارييخ الروم والتاريخ الفارسي في ما قبل الإسلام ، ثم انصرف إلى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بتخيير الأحداث الهامة عند أهم الرواية في نظره فغيرها بتدقيق المحدث وبصيرة الفقيه العملي السياسي وعقلية أهل الكلام وطول نفسمهم حولاً بعد حول . غير أنه اختصر الحديث عن عصره واقتصر فيه على وجهة النظر البغدادية الرسمية . ويبدو أن ذلك لم يكن عن رياه ومسايرة ولكن لعدم وجود مؤلفات يأخذ عنها أحداث العصر لعدم اهتمامه بجمع الأخبار المختلفة عنها لما على يديه من أعمال الفقه والحديث والرواية والتدريس .

غير أن القرن الرابع جاء في التاريخ العام العالمي بخمسة نماذج أخرى تجلت فيها روح العصر وثقافته المتعددة باطراد :

أوها : سلسلة التوارييخ الخصبة التي كتبها المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (المتوفى سنة ٩٥٧ / ٣٤٦) ، ويأتي في مطلعها تاريخه الأكبر :

أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة في حوالي ثلاثين مجلداً ، ثم الكتاب الأوسط الذي تلاه ثم كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ مجلدات ضخمة) الذي اختصر أخبار الزمان ثم كتاب التنبيه والاشراف الذي اختصر المروج في مجلد واحد .

والمسعودي بجانب هذه السلسلة سلسلة أخرى ذكرها أيضاً على الشكل التالي :

فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف . وهو صنف أخبار الزمان .
ذخائر العلوم وما جرى في سالف الدهور . ويعدل الكتاب الأوسط أو المروج .

نظم الجواهر في تدبير الملك والعساكر . ويبدو أنه في تعليم السياسة .

وأخيراً كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار – وعليه بني التنبية^(١)

ولو تركنا جانبًا بقية الكتب الحسنة والثلاثين التي ألفها المسعودي والتي تكشف عنوانيتها عن عقلية جبارة في التهام المعرفة والفلسفة في التأليف ومنها ما هو في أصول البيانات والمذاهب والتحل ولمنها ما هو في الفلسفة والحكمة والسياسة ومنها ما هو في الأخبار والطرائف (مزاهر الأخبار وطرائف الآثار) ... لو تركنا جانبًا هذه المجموعات الفكرية التي لا شك في أن ضياعها خسارة للتراث العربي الإسلامي فإن المسعودي في السلسلتين اللتين كتبهما للتاريخ العالمي يبدو نموذجاً فريداً في التاريخ الإسلامي كله . ليس ثمة في المؤرخين المسلمين من أصدر سلسلتين معاً ولا من جعل لتأريخه الأكبر مختصرآ أولآ ثم مختصرآ ثانآ ثم موجزاً أخيراً صغيراً ...

هذا الإصرار إنما هو تعبير في الواقع عن إدراك روح العالمية في التاريخ وترتبط الأفكار والأديان رغم تنوعها وتوحد الإنسانية أحدهاً ومصائر رغم تعدد الشعوب واختلاف الأزمان والملوک . وقد مثل المسعودي بذلك أوج ما وصلته الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (وفي كل القرون) من إدراك لتلك الروح .

لقد بلغ من شدة النهم للمعرفة أنه لم يكتف بالاطلاع الواسع على ما كتب

(١) يبدو من خلال كلام المسعودي في مقدمة التنبية والاشراف (ص ٤) أنه يسقط كتاب نظم الجواهر في تدبير الملك والمساکر من هذه المجموعة ويعتبر الكتاب « السبعة » الباقية سلسلة واحدة متكاملة . ولكن يعود في نهاية التنبية (ص ٣٤٧) فيضع كتاب نظم الجواهر ضمن المجموعة . علمًا بأنه كتب التنبية والاشراف في نسخة أول ثم عاد فكتب كثرة أخرى في زيادات وتنقيح .

وألف ولكنه أراد أن يقرن ذلك بالمعاينة المباشرة . وهكذا ساق قدمه في كل أفق فكان كما قال « تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعدين بداعي الأمم بالمشاهدة ، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة كقطعتنا بلاد السندي والزنج والصنف والصين والزابيج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائله أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وطوراً بالعراق وطوراً بالشام ، نسري في الآفاق سرى الشمس بالإشراق ... »^(١) .

وإذا اخذنا كتاب مروج الذهب نجد جـأ لفـكر المـسعـودـي وجـدـناـه يـخـصـرـ نـصـفـ الـكتـابـ تـقـرـيـباـ لـتـارـيـخـ ماـ قـبـلـ الإـسـلامـ منـ الأـمـمـ . بـادـئـاـ منـ قـصـةـ خـلـقـ العـالـمـ مـارـأـ عـبـرـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ إـلـىـ ذـكـرـ أـهـلـ الـفـتـرـةـ (ـمـنـ الـمـوـحـدـينـ)ـ مـنـ كـانـ بـيـنـ الـمـسـيـحـ وـمـحـمـدـ ﷺـ . وـبـعـدـ أـنـ يـذـكـرـ جـمـلاـ مـنـ أـخـبـارـ الـهـنـدـ الـثـقـافـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ يـعـطـفـ إـلـىـ وـصـفـ طـبـيـعـةـ الـأـرـضـ وـظـوـاهـرـهـ الـجـنـافـيـةـ مـنـ بـحـارـ وـأـنـهـارـ كـيـاـرـ وـجـيـاـلـ ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ ذـكـرـ مـلـوـكـ الـصـينـ وـالـتـرـكـ وـأـخـبـارـ الـأـمـمـ مـنـ الـلـاـنـ وـالـسـرـيرـ وـالـخـزـرـ وـجـبـلـ الـقـبـيـخـ وـالـبـرـغـ (ـالـقـوـقـازـ وـالـبـلـغـارـ)ـ ثـمـ مـلـوـكـ السـرـيـانـ وـالـأـشـورـيـنـ وـمـلـوـكـ بـاـبـلـ الـكـلـدـانـيـنـ وـمـلـوـكـ الـفـرـسـ الـأـوـلـيـ ثـمـ الطـوـائـفـ الـثـانـيـةـ ثـمـ السـاسـانـيـةـ ثـمـ الـيـونـانـ فـالـرـوـمـ ثـمـ الـرـوـمـ الـمـتـنـصـرـ ثـمـ يـتـنـقـلـ إـلـىـ مـصـرـ فـيـذـكـرـ أـخـبـارـ نـيـلـهـ وـمـلـوـكـهـاـ وـالـأـسـكـنـدـرـيـةـ ثـمـ يـذـكـرـ السـوـدـانـ وـأـجـنـاسـهـ وـمـلـوـكـهـمـ ثـمـ الصـقـالـبـ ثـمـ الـفـرـجـةـ وـالـبـلـلـافـةـ وـمـلـوـكـهـمـ وـالـنـوـكـبـرـ وـمـلـوـكـهـاـ لـيـعـطـفـ فـيـ النـهـاـيـهـ إـلـىـ أـخـبـارـ عـادـ وـثـمـودـ وـجـرـهـمـ فـيـ مـكـةـ وـمـلـوـكـ الـيـمـنـ وـالـحـيـرـةـ وـغـسـانـ وـتـارـيـخـ الـعـربـ الـثـقـافـيـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ . وـيـقـفـ وـقـفـةـ بـوـاسـعـةـ عـنـ أـسـسـ التـارـيـخـ وـالتـقـوـيـمـ عـنـ الـأـمـمـ الـمـخـلـفـةـ وـعـنـ الـبـيـوتـ الـمـعـظـمـةـ لـدـبـيـاـ قـبـلـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ الـبـعـثـةـ الـنـبـوـيـةـ فـيـ جـزـرـ السـيـرـةـ لـيـتـنـقـلـ إـلـىـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـيـنـ فـالـعـبـاسـيـنـ خـلـيـفةـ خـلـيـفةـ حـتـىـ سـنـةـ ٣٣٥ـ سـنـةـ تـأـلـيـفـ الـكـتـابـ . يـسـتـوـفـيـ الـمـسـعـودـيـ فـيـ تـارـيـخـهـ الـعـالـيـ ذـكـرـ مـخـتـلـفـ الـأـمـمـ وـيـعـنـحـهـاـ فـيـ نـوـعـ مـنـ الـتـواـزـنـ نـصـفـ الـكـتـابـ وـيـؤـكـدـ عـلـىـ الـعـنـاصـرـ الـخـصـارـيـةـ فـيـ تـوـارـيـخـهـ وـالـعـنـاصـرـ الـفـكـرـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ . وـرـغـمـ

(١) المـسـعـودـيـ - مـروـجـ الـذـهـبـ (ـمـ.ـ بـلـاـ)ـ جـ ١ـ صـ ١٠ـ .

صدق إيمانه بدينه فهو لا يتردد في ذكر أخبار الأديان الأخرى ومقالاتها بقلم العالم الموضوعي المحايد . وإذا أورد بعض المعلومات الكلامية وال fasihah في ثنایا التاريخ فقد أورد في الوقت نفسه بعض أخبار الموارق والمعاجائب وأحياناً بعض الأساطير ... وعلى أي حال فإن مفهومه للتاريخ العالمي هو أوسع المفاهيم حتى عهده كما أن زاوية نظره حضارية لا سياسية ، وفكورية لا مادية وشعوره « بالإنساني » وتطور « الإنسانية » وتوازن الأفكار والعقائد والأمم شعور واضح .

ثانيها : تاريخ صغير ولكن له أهميته كنظرة عالمية من خلال الزمن هو :

تاريخ سفي ملوك الأرض والآسماء . الذي ألفه أبو عبد الله حمزة بن حسن الأصفهاني (المتوفى قبل سنة ٣٩٠ / ٩٧١) وجعله في عشرة أبواب سرد فيها سفي ملوك الفرس والروم واليونان والقبط والإسرائيليين ثم ساق توارييخ لهم وغسان وحمير وملوك كندة ثم « توارييخ قريش ملوك عرب الإسلام » جاعلاً الكتاب مقدمة مختصرة في توزع الأمم في الأرض في تقسيميها المتعددة . وختاماً الكتاب بفصل سرد فيها توارييخ التبروز بعد الهجرة ، وبعض الأحداث الطريفة المتعلقة بالنجوم والآثار والكوكاير الطبيعية ثم اضطراب أمر الخلافة قبل وصول البوهيميين للحكم (بين سنة ٣٠٨ وسنة ٣٢٠) وأخيراً بذكر ولادة خراسان منذ أبي مسلم حتى الحسن بن بويه وسنة ٣٢٩ ...

وأهمية الكتاب ليست في معلوماته المحدودة ولكن في إدراكه مفهوم الزمن التاريخي وأبعاده وتطبيق ذلك على التاريخ . هذا المفهوم يغوص جداً لدى الطبرى ليصبح مجرد رقم من السنين وهو يزداد سعة لدى المسعودي بما يفتح عليه من الأمم ومن الامتداد الجغرافي ، ولكنه لا يمتد عمقاً في الماضي كما يمتد لدى الأصفهاني . ولعل السبب أن الرجل اعتمد حسابات المنجمين والأزياج الفلكية ونظمها في نسق متصل ليضع الأمم على أبعاد الزمن وهكذا كان في الواقع هدفة . وقد وضعته في العنوان فهو لم يكتب تاريخاً ولكن تاريخ « سفي »

ملوك الأرض والأنبياء ... فتاريحه عميق زمي ، كما أنه بسبب ثقافته العلمية الواسعة أغار التواحي الثقافية مكاناً طيباً فهو « مصدر ثمين جداً للأخبار الثقافية»:

ولكن الأصفهاني ضيق النظرة في الشعب والأرض يختصر الأمم على ست ، ثم انه بنصر إنصرافاً واضحاً لتاريخ الفرس وتاريخ خراسان وطبرستان حتى ليخصص ربع الكتاب الأخير لأمور وأحداث إيرانية فهو في هذه الناحية : النسخة المطورة لأبي حنيفة الدينوري ولكتابه الأخبار الطوال .

ثالثها - تاريخ المقدسي : المظفر بن طاهر (من القرن الرابع) والمسمى البدء والتاريخ . وقد ألفه صاحبه سنة ٣٥٥ وينطلق المقدسي في فهم التاريخ العالمي من خلال النظرة المثالية في الفلسفة . إنه يختص ربع الكتاب الأول (مجلد ونصف المجلد من ستة) لبحث نظري فلسفياً في العقل والمعارف والله والملائكة والسماء والأرض والتاريخ والزمن ليصل بذلك إلى الخلقة . ثم يختص الرابع الثاني للذكر الفتن والكوارئ حتى قيام الساعة والأنبياء والأديان ثم أنواع الأرض الجغرافية حيث حشر ذكر الأمم من هند وترك وروم وبربر وحبش وغيرها ليصل إلى أنساب العرب وأقسامها ثم يدخل في النصف الثاني من الكتاب في تاريخ الرسالة المحمدية وما تلاها ... ونجد به عكس التواريخ الأخرى يزداد اختصاراً مع التقدم في الكتاب نحو عصره ويختصر أخبار خلفاءبني العباس الآخرين كل الاختصار حتى عهده ...

وإذا عبر المقدسي في تاريحه عن فهم أوسع لمكان الإنسان كله من الكون والوجود في إطار الإلهيات التي عرف فإنه لم يحتفظ بالنظرة الواسعة نفسها في التاريخ الذي جاء غير متوازن الأبعاد الزمانية : ولا الاهتمام . وإذا كانت قيمة في أن تاريحه كان « محاولة لاختصار التاريخ للفلسفة ومن الناحية الظاهرية على الأقل ... » - كما قال روزنثال^(١) أو محاولة لإقامة جسر اتصال بينهما فإن هذه

(١) روزنثال - علم التاريخ ص ١٠١ (في الترجمة العربية ص ١٦١) .

القيمة يجب أن تعطى لمجرد المحاولة التي كانت جريئة ومبتكرة دون شك ، أما من ناحية التطبيق فإن التاريخ لم يفلسف ولا الحياة والكون وإنما اقتصر الأمر على الصاق بعض أبحاث الإلهيات بأبحاث من التاريخ ، وجزء معروفة .

رابعها - كتاب تجارب الأمم لمسكويه أبي علي أحمد بن محمد (سنة ٤٢١ / ١٠٢٩) وهو بدوره تاريخ عام^(١) بدأ صاحبه بما بعد الطوفان وانتهى به إلى سنة ٣٦٩^(٢) ، ويمكن من بعض زوايا النظر أن يعتبر ثالوث السلسلة التي بدأها الديبوري ولحقها الأصفهاني . ذلك أنه بحث التاريخ الفارسي خاصةً لاختقاده أن أقدم وأهم تاريخ مسجل هو تاريخ ملوك الفرس الذين تابعهم حتى سقوط الإمبراطورية الفارسية ذاكراً بعض الإشارات العابرة ، خلال ذلك ، إلى البابليين والإغريق والمصاري وأنروم وعرب الباهالية وكأنها لإيضاح التاريخ الفارسي نفسه وقد احتل كل أولئك على أي حال عشر الكتاب أو أقل من ذلك (نصف المجلد الأول) بينما تناول في باقي المجلدات تجارب السياسة خاصة في التاريخ الإسلامي فبحث الباحب السياسي من سيرة الرسول والمشاكل السياسية التي نشأت في العصر الراشد وما بعده مقتضراً في ذلك على الطبرى كمصدر يعتمد بعد حذف الأسانيد واللجوء إلى الاختصار ... ولكنه لا يسير على التنظيم الحولي إلا في القسم العامي والأخير من الكتاب . أما قبل ذلك وفي

(١) من المؤسف أن الكتاب على شأنه لم يأخذ حقه من النشر الكامل . نشر المشرق دي غوبه الجزء الأول منه تصريحاً (ليدن ١٩٠٩ - منشورات جب) و كان دى جوبه نشر جزءاً منه من قبل سنة ١٨٧١ وطبعه كمرة أخرى سنة ١٩١٢ ونشر آمدو ز سنة ١٩١٤ في القاهرة الجزئين الخامس والسادس . وذكر المعني في كتاب المشرقون أن مرغليوث أصدر طبعة كاملة من تجارب الأمم متأخراً وترجمة في سبعة مجلدات (بمدونة آمدو ز في الخامس والسادس) طبع أكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١ لكنني لم استطع التحقق من صدور هذه الطبعة بعد . وآمله من خطوط الكتاب الأصلي نسخة كاملة في استانبول كان اكتشفها هروفيفيش ١٩٠٦ (أنها صوفيا رقم ٣١١٦ - ٣١٢١) .

(٢) القسم الأخير المطبع من الكتاب ينتهي به عند سنة ٣٦٩ وأما القسطى فيذكر (في أخبار المحكماء ص ٣٢١) أنه يصل سنة ٣٧٢ .

تاريخ صدر الإسلام فهو يتبع أساس الماضي في التدوين ...

ومنطلقات مسكونية في تاريخه إنما تلخصها العنوان نفسه : تجارب الأمم .

ولهذا فإنه لم يكلف نفسه لا المنطلق الموسعي ولا الفلسفى ولكن المنطلق البراغماتي أو السياسي العملي . وهكذا أخرج من الكتاب تاريخ الأنبياء بل والتاريخ الديني للرسول . وقال في الصفحة الثانية من كتابه : « ... وأنا مبتدئ، بذكر الله وحده بما نقل من الأخبار بعد الطوفان نقلته الثقة بما كان قبله ولأن ما نقل لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمناه في صدر الكتاب (وهو ذكر التجارب التي تؤخذ عبراً) وهذا السبب بعينه لم نعرض لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تم لهم من السياسات لأن أهل زماننا لا يستفيدين منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم إلا ما كان تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز ... »

وهكذا جاء الكتاب مشتملاً - في رأي مؤلفه - « ... على كل ما ورد في التاريخ مما أوجبه التجربة وتغريط من فرط وحزم من استعمال المزرم ». فكان مسكونيه إنما أراد أن يقدم تاريخاً عاماً منظوراً إليه من زاوية التجربة السياسية العملية لا ليكون درساً في الأخلاق - وإن حرص مسكونيه عليها - ولا نظرية في الفلسفة ولا عموماً للأخبار والطرائف والأفكار ولكن دراسة في تدبير أمور الحكم والدول وقصص الدهاء والغلبة والفشل . إن مسكونيه ينطلق إذن من وجهة نظر متشائمة لا تبحث عن الحق ولا الخلق والدين ولا الفكر . ولكن عن تطور الأحداث التاريخية وتحليل أسبابها وهو يورد قبل كل حدث قوله : « وأما أسباب ذلك ... » وما التاريخ بالنسبة إليه سوى قصة التجارب والأمثلة على الحزم ومهنة التغريط وأبعاد المكائد . ومسكونيه يمثل في هذا زاوية هامة من الفكر التاريخي السياسي ربما كانت متأثرة التأثير القليل أو الكبير ببعض الأفكار الشيعية الباطنية كالمبادئ الإسماعيلية التعليمية ولكنها على أي حال تعكس في الوقت نفسه الموقف الريги الواقعى الذي وصل إليه الفكر السياسي الإسلامي في القرن الرابع (العاشر الميلادي) أمام الاضطراب الدائم والقلق المتواتر للأحوال السياسية .

خامسها - كتاب غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار الملوك وسيرهم لأبي منصور حسين بن محمد المرغني^(١) الشعالي (من رجال أواخر القرن الرابع والعقود الأولى من الخامس) وقد قال في مطلع كتابه : « ... لقد أودعت هذا الكتاب تاريخ ملوك ایران من كيورث إلى الملك يزدجرد بن شهريار ثم تاريخ الأنباء وفراعنة مصر وملوك حمير والعرب والروم والهنود والترك والصين وبعد ذلك تاريخبني المسلمين والخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين وأبي مسلم والبرامكة وآل طاهر السجزية (بريد الصفاريين) والسامانيين وآل حمدان وآل بویه وبعد ذلك ذكر تاريخ هؤلاء ... بني سبكتكين ... (الغزنویین) ... » وقد جاء ذلك في أربع مجلدات ضخمة رباعها لتأريخ الفرس ورباعها تقريباً لتأريخ الأمم الأخرى قبل الإسلام والباقي للتاريخ الإسلامي . ويميل الرجل مع فارسيته فهو حين يصل التاريخ العباسي يقف خاصة عند أبي مسلم والبراسكة ويرکز انتباھه في تاريخ ایران وحده لولا ما يذكره من تاريخ بني حمدان ... والكتاب من خلال القطعة الباقية منه^(٢) كتب بروح أدبية طيبة ودرائية حسنة بالتاريخ وثقافه واضحة التأثر ولكنھ يکاد فيما عدا ذلك يصبح تاریخاً عادیاً . ولو لا أنه حفظ في أوله بعض المقطففات من بعض كتب التاريخ الفارسي وبعض المعلومات الهامة عن الدول المقطففة في ایران لما كان فيه جديد في القسم الإسلامي الذي يعتمد أساساً على الطبری . ولكنه لا يعتمد طريقة التنظيم المخولی ، ولكن تابع الخلفاء - كتاب تاريخ ملوك الفرس عنده - وإن كان يضيف في حکم كل خليفة فقرات يختصها للوزراء وكبار رجال البلاط ... ویتم بالأمور الثقافية وخاصة في تاريخ ما قبل الإسلام حيث تعوز الأخبار السياسية .

(١) نشر المستشرق زوتبرغ قسم الفرس من هذا الكتاب (باريس ١٩٠٠) مع الترجمة الفرنسية ، ونسبة إلى أبي منصور الشعالي المشهور عبد الملك بن محمد صاحب بيضة الدرر . وقد أعيد طبعه في طهران سنة ١٩٦٣ وذكر مقدم الطبعة بختيبي مبنوي أنه لم يبرغوني وليس عبد الملك .

(٢) ثمة غير القسم المطبع قسم اسلامي مخطوط في مكتبة البوڈیانی - اکسفورد :

وتقطع سلسلة التوارييخ العامة هذه بعد مسکویه والتعالی قرابة القرنين إلا من (كتاب الدول) الصائغ والذي كتبه في ثلاثين عجلأً أو تزيد المجاشعي أبو الحسن (وسوف يأتي ذكره) ...

وعلى أي حال فإن ذلك الازدهار في النظارات التاریخية العامة والعالمية التي نسبت في ذلك الجلو الثقافي المُصَبِّب من القرن الرابع لم يكن لها غد . وتلك المحاولات المبتكرة التي حاول فيها المسعودي رسم الخطوط الموسوعي في التاريخ أو المقدس ربط التاريخ بالحياة والكون عن طريق الفلسفة أو حاول فيها مسکویه تحويل التاريخ إلى دروس في السياسة العملية . كل أولئك فشل ولم يجد بعد هؤلاء من يتابع المحاولة خطوة أخرى .

منهج عام واحد في التوارييخ العام العالمي هو الذي بقى وانتشر هو منهجه الطبری منهجه الخبر الحولي ولكن بعد حذف الاستناد ... في نصف القرن الأخير من هذه الفترة التي ندرس أي ما بين أو اخر القرن السادس وأواسط السابع تظهر هبة أخرى من التوارييخ العامة تطبع الفترة كلها بطابع الاهتمام التاریخي الواسع على أن أهم ميزاتها أنها مع اتباعها مدرسة الطبری الحولية وسعة نظر البغوری والمسعودی في الشمول الأعمی وأسلوب مسکویه في السرد السياسي دون السنن دون الاهتمام بالجلو الحضاري قد ضيقت أحياناً مفهوم التوارييخ العام كما أضافت منهجهين جديدين إليه :

أولاً : فأما ضيق المفهوم فتجلى في اقصارها التاریيخ على تاريخ المسلمين العام وتقسيمها الزمن التاریخني على مدى التاريخ الاسلامي فقط دون السابق له ، ولعل السبب هو توسيع هذا التاريخ وترابيد مادته من جهة واعتبار بعض المؤرخين - سواء عن نقى أو عن اقتناع - أن تاريخ الاسلام هو الذي بهم الناس وهو الجدير بالتدوين والمعرفة وما عداه مما سلف لا يبعده أن يكون زيادة لا قيمة لها ولا أثر ... ولذلك كثيراً ما نجد كتب التاریيخ العامة إنما تبدأ بعصر الرسالة . وسوف

نرى خلال البحث الأمثلة العديدة على ذلك .

ثانياً : أضافت أهم كتب التاريخ العام إلى مادتها في الحوادث مادة جديدة أخذتها من كتب الترجم . وقد جاءت هذه الإضافة ذيلاً وتنمية للقسم الإسلامي منها .

ثالثاً : فتحت باباً يأني في نهاية حوادث كل سنة هو باب الوفيات . لقد دمج المؤرخون منذ أواخر القرن السادس تاريخ الرجال مع الأحداث في كتاب واحد . مفهوم التاريخ العام التقى فيه عندهم لا الأمم المختلفة في المناطق المختلفة فقط ولكن التقى فيه أيضاً فرعاً التاريخ الداخليان: الأحداث والترجم .

ولا نستطيع أن نحكم في هذه الناحية على مؤلفات التاريخ العامة التي فساعت إلا في التخيين والخدس والأرجح أنها توارييخ حوادث فقط ومنها :

- تاريخ محمود الوراق الذي انتهى به إلى سنة ٤٠٩ / ١٠١٨ ذكره أبو الفضل البهيمي في تاريخ بيهق قائلاً : « شرح هذه الأحداث (عن الأسرة الصفارية) الأستاذ محمود الوراق في تاريخه الذي ألفه سنة ٤٥٠ فإنه ذكر الحوادث منذ آلاف السنين حتى سنة ٤٠٩ ... ومحمود هذا ثقة مقبول القول ... وقد رأيت من مؤلفاته النادرة العشرة والخمسة عشر كتاباً في شتى الموضوعات ... »^(١) وهو يدخل في إطار المدرسة الفارسية لأنه كتب على الغالب بها .

- تاريخ المجاشعي أبي الحسن بن فضال القيراني المتوفى سنة ٤٧٩ / ١٠٨٦ وهو كتاب الدول ويزيد على ثلاثين مجلداً قرأ فيها ياقوت في الوقف السلوجوقي ببغداد^(٢) .

(١) انظر البهيمي - تاريخ بيهق (الترجمة العربية) ص ٢٨٧ .

(٢) انظر ياقوت - معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٨٩ (ج ١٤ ص ٩١) .

– ياقوت الحموي (سنة ٦٢٦) فإن له عدداً معجميه المشهورين : كتاب الدول وكتاب المبدأ والمال^(١) ويبدو أن الأول تاريخ عام منظم على أساس الدول ولعلها الإسلامية فقط وأما الثاني فقد وصف بأنه تاريخ عام .

- تاريخ ابن نظيف أبي الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الفساني الكاتب الحموي (بعد سنة ٦٣١ / ١٢٣٤) وقد سماه الكشف والنبيان في حوادث الزمان . كان في عدة مجلدات .

- تاريخ القسطنطيني جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القاضي الوزير (سنة ٦٤٦) وله بين مؤلفاته التاريخية التي تزيد على ١٦ مؤلفاً كتاب التاريخ على السنين الذي تلخصه ابن مكتوم بعد قرن^(٢).

— ابن أبي أصيبيعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي —
 (سنة ٦٦٨) وله عدا طبقات الأطباء المشهور كتابان عامان في التاريخ
 هما : المختار من عيون التاريخ^(٢) ، وكتاب معالم الأمم وأخبار ذوي
 الحكم^(٤) ولعل الأول في الحوادث والثاني في التراثم .

وقد تلا هذه التواریخ حتى نهاية القرن السابع تاریخان ضخمان :

أوهما : تاريخ أبي طالب تاج الدين علي بن الحسين بن عثمان ابن أئب المعروف بابن الساعي (سنة ٦٧٤) المؤرخ المشهور واسم كتابه : (الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير) وكان في مجلدان حتى نهاية الدولة العباسية ، وقد ذيل عليه ابن الفوطي في مجلدة ٨٠

^{١٤}) انظر هدية المارقين ج ٢ ص ٥١٤ .

(٢) انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٠١ وقد توفي ابن مكتوم أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّٰهِ التَّعَادِرِ سنة ٧٤٩.

(٢) انظر ابن اثرات - تاريخ ، مخطوط (فينا رقم ١١٩) ج ٢ ورقات ١٥٤ ظاهر وجه

(٤) هديه المارفين ج ١ ص ٩٩ .

آخر . ولابن الساعي كتاب آخر بعنوان سير الملوك ولعله كتاب التاريخ نفسه .

ثانيهما : تاريخ الكازروني ظهير الدين علي بن محمد بن محمود (سنة ٦٩٧) وهو تاريخ عام في ٢٧ مجلداً يحمل اسم روضة الأدب . اختصره الكازروني نفسه في مجلد (مطبوع) .

أما التواريخ العامة التي بقيت لنا فثلاثة من أمهاهات كتب التاريخ والثلاثة جمعت ما بين الحوادث والترجم :

– المتظم لابن الجوزي (سنة ٥٩٧) والرجل تحت تأثير الثقافة الحدبية يعطي الترجم حجماً أوسع من الأحداث . ولكنه في هذه وتلك ورغم الزعم بكتابه التاريخ العام لا يكاد يجاوز بغداد وأحداث ورجال العصر الباقي .

– الكامل لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزرى (سنة ٦٣٠) ويعتبر في توازنه وتركيزه وقلة فضوله واستيفاء أبحاثه وشموله أكمل كتب التاريخ الإسلامي العامة .

– مرآة الزمان لسيط ابن الجوزي (سنة ٦٥٤) ويقع في أربعين مجلداً في بعض نسخه المخطوطة ، وفي عشرين في بعضها الأخرى ومن المؤسف أنه لم يربح المطبعة منه بعد سوى جزء أخير يتناول ما بين سنتي ٤٩٥ ونهاية الكتاب ، وفي نسخة مختصرة منه .

الثالث : التنظيم الأبيجدي وهو ابتكار ظهر في نهاية القرنة أي في النصف الثاني من القرن السابع . ومع أنه نقل عن كتب الترجم إلا أنه يعبر عن فكر موسوعي بما حتى أدخل أحداث التاريخ في إطاره . فان اثنين على الأقل من كبار المؤرخين نظموا حوادث التاريخ على الأساس الأبيجدي ، ولستا ندرى أيهما كان السابق في هذا لأنهما متعاصران :

– ابن أبي طي يحيى بن حامد بن ظافر النجاشي الفاسي (سنة ٦٣٠) وهو المؤرخ الشيعي الحنفية الذي لم يبق لنا من مؤلفاته الأربعة عشر شيء . وقد كتب : حوادث الزمان على الأحرف الأبجدية في خمس مجلدات . – ابن أبي الدم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي (سنة ٦٤٢) وقد كتب بدوره عدة كتب تاريخية من بينها التاريخ المظفرى وهو أبجدي بدوره . كما أنه اسلامي فقط وظاهرة التنظيم الأبجدى فيه وصفها لنا السخاوى على الشكل التالي : قال : « ابتدأء بسيرة نبوة ثم بالخلفاء ثم بالفقهاء ثم بالتكلمين ثم بالمحدثين ثم بالزهاد ثم بالتحفة واللغويين والمفسرين والوزراء والمقدمين ثم الشعراء . كل هؤلاء من المحدثين ، ثم سرد الكاتب على الحروف مبتدئاً بالصحابة ثم بالخلفاء على الترتيب المذكور وختم بالنساء في كل حرف وسماء التاريخ المففي » ^(١) ... وهو مخطوط بالمكتبة الآحفية بميدر آباد (رقم ١٥١) في ٤٧٣ صفحة .

غير أن هذا المنح الأجمدي لم يلق الصدى في الناس فلم يتابعه أحد . بل ضاعت أو كادت تضيع هذه النماذج الأولى منه .

«ب» مقابل تلك التوارييخ العامة الواسعة التي تصل مجلداتها إلى الثلاثين والأربعين : ومن أجمل الحفاظ على القصد والاعتلال بل الموزخون إلى منهجين أولاً : كتابة التوارييخ البلدانية والإقليمية (وقد رأينا وسوف نرى الأمثلة الكثيرة عليها) وبها يشعرون تلك الرغبة الملحة للتتوسيع والتلذيع التفصيلي والدقائق دون الإلزام للتوارييخ العامة من جهة أو التعرض من جهة أخرى للإملال أو لسوء التأليف أو عدم التوازن في المعلومات بين قسم وقسم من المؤلفات وأما الثاني فهو كتابة :

(١) السخاري - الاعلان (ط. روزنال) من ٦٧٤ وهي نسخة الكتاب تصحيف لمله من النسخ
والأسم أنه التاريخ المظفر ، انظر تعليق روزنال في الصفحة ذاتها .

المختصرات للتاريخ العامة : وهو باب طرقه المؤرخون لمن ي يريد المعلومات السريعة المكثفة . بعض المؤلفين سمي مؤلفه « بلغة المستعجل » أو « بلغة الظرفاء » اشارة إلى هذا المعنى . وبعضهم سماه « مجلل التاريخ » أو « جمل تاريخ الإسلام ». ذلك أن حاجة النساء والعلماء إلى معلومات سريعة يضيق وقتهن عن أوسع منها وتقل حاجتهم إلى أكثر منها ، ثم ظهرت المختصرات في العلوم الأخرى ، ثم داعي المرب وابتخلص من نسخ المجلدات الواسعة والصغيرة العملية في اقتناه وفي نقل المجلدات الضخمة التي هي في الوقت نفسه غالبية الثمن وقلما يهم بها إلا المتخصصون الموارة . كل ذلك أوجد المختصرات في التاريخ العامة أو للتاريخ الإسلامي . وبعض الكتاب كان يختصر بنفسه تاريخه المطول . ذلك ما فعله ابن الجوزي حين تلخص (المنتظم) في كتاب شذور العقود وفعله من قبله المسعودي بشكل ثلاثي كما فعله من بعده ابن نظيف وأبن أبي الدم وأبن أبي أصبيحة . ونجد في هذا المجال من الأمثلة الكثير فهناك : مثلاً ما كنا ذكرناه من كتب في أخبار الخلفاء وفي الدول .

وهناك كذلك من كتب التاريخ الجامعات المختصرات^(١) .

- **يعقوب بن سفيان القسوى الحافظ** (سنة ٢٧٧) ، وله كتاب المعرفة

(١) تم هنا في القرن الرابع خاصة وفي غيره مجموعة طويلة من الأسماء تعزو المصادر إليها كتاباً باسم « التاريخ » أو كتاب تاريخ أو تقول تاريخ فلان ولسان ندي على الفسيط هل هو كتاب تراجم . على طريقة المحدثين – وهو الأرجح أم أنه تاريخ عام أو تاريخ إسلامي فقط . ومن هؤلاء مثلاً :

بن الأوزير جعفر بن أبي محمد الأذجبي (سنة ٢٧٩) له كتاب التاريخ وهو من جياد الكتب (ابن الديم – فهرس ص ١١٣) .
– ابن يزداد أبو صالح عبد الله بن محمد (ابن الديم ص ١٢٤) .
– المصري صاحب كتاب زهر العيون وجلاء القلوب من مصادر المسعودي (مروج ١ ص ١٦) .
آخر جانبي السدي عبد الرحمن بن عبد الرزاق ، من مصادر المسعودي (مروج ١ ص ١٦) .

والتاريخ بقيت منه أجزاء من نسخة مخطوطة في استانبول (في مكتبة رفان كوشك رقم ١٥٥٤ الأجزاء ١٧-١٠ وفي مكتبة أسعد أفندي رقم ٢٣٩١ الأجزاء ١٨-١٧) وفي الأجزاء الأولى تاريخ عام فقد منه ما قبل سنة ١٢٩ هـ ويستوي الجزء ١٧ بسنة ٢٤١ هـ. وفي الأجزاء الباقيه معلومات عن الصحابة ، وجميع أجزائه يصلح مجلدين). وقد طبع الكتاب اخيراً في بغداد (بتحقيق أكرم ضياء العمري) .

- داود بن الجراح جد الوزير علي بن عيسى وله التاريخ الجامع لكتير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم كما قال المسعودي^(١) .
- الباهلي أبو الحسن محمد بن محمد (سنة ٩٣٣/٣٢١) وله تاريخ كبير باسم تاريخ الباهلي^(٢) .

- نقطويه ابراهيم بن محمد بن عرفه الواسطي النحوي (سنة ٩٣٥ / ٣٢٣) وله تاريخ قال المسعودي فيه إنه «محشو من ملاحمات كتب الخاصة ملوه من فوارق السادة . وكان مصنفه أحسن أهل ذهره بالتقى وأملحهم تصنيفاً ... »^(٣) ويقع كتابه في ٢٨ جزءاً أي حوالي ٣ مجلدات .

- أبو عيسى بن المنجم وله « التاريخ ... على ما أثبت به التوراة وغير ذلك من تاريخ الأنبياء والملوك »^(٤) .

- الطحاوي الحنفي أبو جعفر أحمد بن محمد (سنة ٣٢٠) (انظر كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٨) .

- السليل بن أحمد بن عيسى وله تاريخ اختصره الشثاطي ونقل عنه ابن العجم (بنية الطلب) مخطوط أحمد الثالث ج ١ ورقة ١١٩ وج ٧ ورقة ٧ وج ٦ وج ٥ وج ٤ وج ٣ وج ٢ وج ١ وج ٠ .
- الشجري أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف (سنة ٣٥٠) من أتباع الطبرى وكان قاضى الكوفة (انظر ابن النديم ص ٣٢) .

(١) المسعودي - مروج ١ ص ١٤ .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٦ .

(٣) المسعودي - مروج ١ ص ١٥ ، وانظر فهرس ابن خير ص ٣٩٨ .

(٤) المسعودي - مروج ١ ص ١٤ .

– قدامة بن جعفر أبو الفرج (سنة ٣٣٧) وله كتاب زهر الريبع في الأخبار والتاريخ يقول فيه المسعودي انه « حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجز الألفاظ ، مقرب للمعاني »^(١) .
– المسعودي (٤٤٦) وكتابه التنبية والإشراف معروف .

– الخطبي أبو محمد اسماعيل بن علي بن اسماعيل بن يحيى بن بنان البغدادي (المولود سنة ٢٦٩ والمتوفى سنة ٣٥٠) أستاذ الدارقطني وابن رزقونه . وكان ثقة اخبارياً عالماً بالأدب عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء يتحرى الصدق وله تاريخ جامع كبير على ترتيب السنين^(٢) . ذكره ابن الجوزي والصفدي .

– ابن قانع ولعله الحافظ أبو الحسن عبد الباقى بن قانع بن مرزوق البغدادي (سنة ٣٥١) وله تاريخ جامع مرتب على السنين^(٣) .

– ابن سوار أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن أخت عيسى ابن فرخان شاه . وله كتاب الجامع لفنون الأخبار والكتوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده بلغ في تصنيفه إلى سنة عشرين وثلاثمائة^(٤) .

وتحتفى هذه التواريخ العامة ما يزيد على القرن (ما بين الرابع والخامس) لا نكاد نجد خلالة منها إلا الترر اليسير اليسير ومن ذلك :

– كتاب في التاريخ لأبي الفتاح أحمد بن مطرف الكتани (المتوفى غالباً سنة ٤١٣) قال في تقاديمه : « انه اقتبس من تصانيفه كتاباً مجرداً في التواريخ المعينة على الطرق الميبة مما ينبغي لأهل العلم أن يعلمه

(١) المصدر نفسه ص ١٦ .

(٢) الصفدي – الوافي ١ ص ٥٠ وابن الجوزي – المستنجم ٧ ص ٣ – ٤ .

(٣) المصدر نفسه ، وانظر كشف الظنون ٢ ص ١٧٣٥ .

(٤) المسعودي – مروج ١ ص ١٤ .

ويستيقنه ولا يجهله ومتى يحتاج إليه أهل العلم بالأديان والسير وأهل المعرفة بالأيام والغير^(١)

- كتاب زيج التواريخ لأبي نصر يحيى بن جرير التكريتي الطبيب الحلبي (بعد سنة ٤٧٣) ويسمى كتابه أحياناً الكتاب الجامع للتاريخ . وقد استخدمه ابن المديم وابن شداد^(٢) وذكر كلاماً أنه يتضمن : ... مبدأ الدول ومنشأ المالك ومواليد الأنبياء وأوقات بناء المدن وذكر الحوادث المشهورة

- وكتب الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (سنة ٤٨٨) كتاب مجلل التاريخ أو (جمل تاريخ الإسلام) .^(٣)

- وكتب مجاهول في أواخر القرن الخامس كتاب : مجلل التاريخ على شكل حلقات باختصار على طريقة حمزة الأصفهاني وأضاف إليها في النهاية بعض المعلومات الجغرافية عن الأماكن المقدسة وخططها وقد طبع الكتاب في طهران سنة ١٩٣٦ .

- السناني أبو القاسم علي بن محمد (سنة ٤٩٩) وله : الاستظهار في معرفة الدول والأنباء .

غير أن هذا النوع من المختصرات التاريخية يتكرر في القرن السادس وما بعده ومن ذلك ما كتبه :

- المتقني أبو الحسن علي بن مرشد بن علي الكتани (سنة ٥٤٥) وله : البداية والنهاية ، انتهى إلى ما بعد سنة ٥٣٤ .

(١) انظر السخاوي - الإعلان (ط . روزنفال) ص ٤٤١ ، وانظر باتورت - الأدباء ج ٥ ص ٦٣ (ج ٢ ص ١١٥) .

(٢) انظر مثلاً ابن المديم - زينة المطلب ج ١ ص ١٥ ، وانظر ابن شداد الأعلاق الخطيرية (قسم حلب) ص ١٢ .

(٣) انظر الصافي - الرواقي ج ١ ص ٥٠ .

- السهوردي وجيه الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه الصفوبي (سنة ٥٣٢) وله : التاريخ المجاهدي ألفه لمجاحد الدين بهروز حاكم العراق للسلاجقة في تلك الفترة وجعله على حوادث السينين من ابتداء الدنيا إلى سنة ٥٢٤^(١).

الكرخي أبو طاهر أحمد بن الحسن (توفي بعد سنة ٥٣٢) وله تاريخ نقل عنه ابن الفوطي^(٢).

- ابن حمدون (المتشي)، محمد بن الحسن بن محمد البغدادي (سنة ٥٤٥) وله تاريخ الحوادث^(٣).

- ابن حمدون (الكاتب شقيق السابق) أبو المعالي محمد (سنة ٥٦٢) وقد جعل الجزء الثاني عشر من تذكرته تاريخاً عاماً على الحوادث تارة وعلى السينين أخرى حتى سنة ٥٢٦ . وهذا الجزء مخطوط (أحمد الثالث رقم ٢٩٨١).

- العظيمي محمد بن علي بن محمد التنوخي (بعد سنة ٥٥٨) وقد كتب تاريخين أحدهما مطول والثاني مختصر باسم تاريخ حلب ولكن النظر في الثاني (المختصر) يكشف أنه تاريخ عام وهو مخطوط في استانبول (مكتبة قرة مصطفى ٣٩٨) نشر الجزء الأخير منه كلود كاهن .

- الأسفرياني المدیني أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني (سنة ٥٨١) وله : الأخبار الطوال .

- الأصبهاني عماد الدين محمد (القاضي لا الكاتب) وقد توفي بعد سنة

(١) انظر السندي - طبقات الصوفية من ١٨٠ .

(٢) ابن الفوطي - تلخيص معجم الألقاب ج ٤ - قسم ١ ص ٥٩٩ (نشر مصطفى جرارد - دمشق ١٩٦٢) .

(٣) الصفدي - الولي - ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٥٩٣) وله كتاب البستان الجامع لتواريخ الزمان . وهو مخطوط في استانبول (أحمد الثالث رقم ٢٩٥٩) .

- ابن الجوزي عبد الرحمن الإمام الواعظ (سنة ٥٩٧) وله بين مؤلفاته بالثنتين : كتاب الذهب المسبوك في سيرة الملوك (مخطوط في استانبول) أسعد أفندي رقم ٢٠٦٥ وقد طبع) وكتاب شذور العقود وهو تاريخ عام موجز اهم تلخيص معلومات في الفلكلور والجغرافيا وتاريخ بني إسرائيل إلى زمن السيد المسيح ثم يتلو ذلك فصل قصير في ملوك الفرس وموجزات مقتضبة عن الأمم الأخرى قبل أن ينصرف إلى تلخيص التاريخ الإسلامي كله .

- ابن عين أبو المحاسن محمد بن نصر الله الدمشقي الوزير الشاعر (سنة ٦٣٠) وقد كتب للملك العزيز الأبوبي : التاريخ العزيزي .

- ابن نظيف أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الحموي الكاتب (بعد سنة ٦٣١) وله تاريخ عام واسع لأوجزه في كتاب صغير اسمه التاريخ المنصوري (طبع في موسكو) كما أن له موجزاً آخر باسم مختصر سير الأوائل والملوك (وهو مخطوط) .

- ابن سعادة شمس الدين أبو العباس أحمد بن خليل البدوي الخوبي الدمشقي القاضي (سنة ٦٤٧) وله : الروض الباسم في أخبار من مضى من العالم .

- ابن أبي الدم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي (سنة ٦٤٢) وله موجز لتاريخه الكبير المففي (أو المظفرى) ، يدعى في المخطوطات أيضاً باسم التاريخ المظفرى ولعل اسمه الشماريخ في التاريخ وهو في تاريخ الإسلام وعلى السنين ومنه مخطوطات في الهند (مكتبة خدايجش - بتنه رقم ٢٨٦٨ ورقم ٢٨٦٩) ومتضمن في بلدية الاسكندرية (رقم ١٢٩٢ ب) .

- ابن أبي أصيبيعة أبو العباس أحمد بن القاسم الكحال (سنة ٦٦٨) صاحب طبقات الأطباء وله : كتابان لعلهما تاريخ واسع وموجزه : المختار من عيون التاريخ ، ومعالم الأمم وأخبار ذوي الحكم .

- الكازروني علي بن محمد بن محمود (سنة ٦٩٧) وله : مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ومنه خطوط في استانبول (جار الله رقم ١٩٢٥) بخط المؤلف . كتبه سنة ٦٦٣ وقد اختصر فيه تاريخاً عاماً له كان في ٢٧ مجلداً . وقد طبع المختصر في بغداد .

على أن هذه المختصرات بقيت على أي حال تأخذ شكل التواريخ ، لكن بعض المؤلفين وصلوا في إنجاز كتب التاريخ العامة في القرن السادس والسابع إلى الاقتصار على القوائم المجردة وطريقة الجداول ، ومن ذلك :

- التاريخ المجلول وقد كتبه أبو القاسم محمد بن علي العمادي^(١) (من رجال أوائل القرن السادس / الثاني عشر الميلادي) .

- وتاريخ ابن الراهن الذي لا نجد فيه إلا الجداول المتالية لأسماء ملوك الروم وبزنسة والخلفاء والبطاركة (وهو مطبوع) .

(ج) ومن جهة أخرى فإن المنهج الحولي في التسجيل هو الذي سطر تقريرياً ولكنه بدوره تطور في اتجاهين :

الأول : تطور أحياناً في اتجاه الدقيق الشديد والتقييد بالشهر لا بالحول وأحياناً بالأيام ، ومن الأمثلة على ذلك :

- كتاب الاستظهار في معرفة الدول والأخبار لأبي القاسم علي ابن محمد السمناني وهو في التاريخ على الشهور .

(١) ذكره بارتولد في (تركستان حتى النزد المنول - بالإنجليزية - سلسلة جب التلدارية رقم ٥ - لندن ١٩٢٨) ص ٢٤ .

- وقد ذيل عليه بدليل الاستظهار أبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل القيلوي القاضي (سنة ٦٣٣).

- كما نظم القاضي الفاضل يومياته على شكل تاريخ يومي سمي بـ «الملاحم» ومع أن هذا الإتجاه لم ينتشر بسبب قسوته وعدم توافر المعلومات دوماً فيه إلا أنه مع ذلك سوف يستمر في العهد المعلوكي الثاني ويسجل عدداً من المؤلفات التي تجد في بعض أخبارها ذكراً ل الساعة التي جرى فيها الحادث.

الثاني : الإتجاه المعاكس وهو التحرر من قيد الزمن كله وترك الأخبار حرّة مرسلة لا يربط بينها الزمن ولكن الموضوع وأحياناً تداعي الأفكار وحده . وفي هذا المجال كانت الكتب «الحضارية» وكتب الفصوص التاريخي والحكايات عن : الأذكياء مثلاً ، وعقلاء المجانين ، والطنبوريين والبخلاء والجواري والتراين والظراف والتماجنين ، والشجعان ... الخ . كما كانت كتب الحكايات والملح والملع والتوادر ... وقد مرّ معنا من هذا وذلك الأمثلة العديدة الواسعة .

ـ وعلى سبيل التطور ذاتياً تطور النهج في كتب تراجم الرجال . لقد كانت هذه الكتب في أول نشأتها تحمل اسم الطبقات وقد توسيطت في القرن الثالث حتى انتجت الطبقات الكبرى لابن سعد ، غير أنها لم تكن واحدة النهج أي لم تكن تتبع نهجاً في التنظيم ثابت الأسس يمكن لأي مؤلف أن يسير عليه وإنما تتبع التنظيم الذي يختاره المؤلف من خلال منطلقاته الفكرية والدينية والأوليات أو المبادئ التي يضعها لنفسه ، ولكن هذه الكتب اتجهت منذ القرن الرابع نحو توطيد تنظيمها ضمن عدد من الأسس النهجية العامة . وهكذا في الوقت التي استمرت فيه كتب الطبقات وتتنوعت ، ظهرت بجانبها كتب أخرى على مناهج عدّة .

ولعله من المام أن نشير ، قبل الانطلاق في ذكر النماذج والأمثلة في

تنظيم الترجم إلى الكثرة الهائلة فيها مما يضطرنا اضطراراً للاختيار والنقلة من فترة إلى أخرى دون استيفاء الأسماء أو إحصاء المؤلفين الدقيق . لقد عرف هذه المهمة الصعبة من قبل المؤلفين القدامى ومن بينهم الصفدي الذي كتب في مقدمته الواقي : « وأما كتب المحدثين في معرفة الصحابة وكتب البرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدثين ومشيخات الحفاظ والرواية فإنها شيء لا يحصره حد ولا يقصره عد ولا يستقصيه خبط ولا يستدنه ربط لأنها كاثرت الأمواج أمواجاً وكابت الدرجات ... »^(١) وهكذا فسوف نكتفي بالصورة العامة للتغيرات وللنماذج :

بعض كتب الترجم الخطة الاعتماد على سني الوفيات في تتابع الترجمة وهي الخطة الأشهر والأقدم والمجموعة الأولى التي فتحت الطريق اقتصرت في المؤلفات التي كتبتها على ذكر « وفيات الشيوخ » الذين أخذت عنهم ومن ذلك :

- البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن المرزبان (سنة ٣١٠) وله تاريخ وفاة شيخ البغوي (منه نسخة مخطوطه في دار الكتب الظاهرية بدمشق . انظر فهرس المكتبة - قسم التاريخ ليوسف العش ص ٢٢٥).
- ابن عقدة أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد (سنة ٣٣٢) نقل عنه ابن نقطة^(٢).

- ابن الفرات أبو الحسن محمد بن العباس (سنة ٣٨٤) وله وفيات الشيوخ نقل عنه ابن التجار حب الدين البغدادي المؤرخ^(٣).

(١) الصفدي - الواقي ج ١ ص ٥٥ .

(٢) انظر ابن نقطة - إكمال الإكمال ، مخطوط الظاهرية بدمشق (رقم ٤٢٩ حدیث) الورقة ٧٨ وجه . في الحديث عن وفاة يعقوب بن يوسف بن ثواب .

(٣) انظر ابن التجار - التاريخ المجدد لمدينة السلام - مخطوط الظاهرية بدمشق (رقم ٤٢ تاريخ) الورقة ١٤٥ وجه ، وقد ذكر ذلك الكتاب في ترجمة ابن حسنة .

– الطحان أبو القاسم عبد الباقى بن محمد البغدادي (سنة ٤٣٢) وقد ذكر له الأدفوى كتاباً في الوفيات^(١).

– ابن خiron أبو الفضل أحمد بن الحسن البغدادي (سنة ٤٨٨) ألف « وفيات الشيوخ » من أول السنة التي ولد فيها وهي سنة ٤٠٦ حتى آخر زمانه . وذكر موالدهم^(٢) ونقل عنه ابن نقطة في كتاب التقىد^(٣) . وابن مكتوم في تلخيص أنباء الرواية^(٤) .

– الأنباري أبو المعلم مبارك بن أحمد (سنة ٥٤٩) وقد ذكر حاجي خليفة مؤلفه في وفيات الشيوخ .

– القرشى أبو أحمد معمر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشى الأصبهانى (سنة ٥٦٤) وقد ذكر ابن نقطة كتابه^(٥) .

– الحاجى أبو مسعود عبد الرحيم بن علي بن أحمد الأصبهانى (سنة ٥٦٦) وقد نشر كتابه في وفيات الشيوخ في بغداد سنة ١٩٦٦ عن نسخة الظاهرية المخطوطة بدمشق .

وفي الوقت الذى استمر فيه هذا النوع من الكتب في وفيات الشيوخ فقد توسع مؤلفون آخرون في مفهوم الوفيات فعمموه في التراجم وكان من ذلك ؛ خاصة سلسلة من المؤلفين توالي بعضهم وراء بعض يكملون العمل وفي هذه السلسلة من المؤلفين :

(١) انظر الأدفوى – الطالع السيد من ٣٦٣ ، ٣٨٢ .

(٢) الصنفى – الوائى بالوفيات – ج ١٠ (المخطوط المصور في الظاهرية بدمشق) الورقة ١٤٦ ظهر .

(٣) ابن نقطة – التقىد لمعرفة رواة الأسانيد – مخطوط مكتبة الأزهر (رقم ١٣٧) – مصطلح الحديث) الورقة ٧٦ وجه .

(٤) وابن مكتوم – تلخيص أنباء النحوين واللغويين – مخطوط دار الكتب بالقاهرة (رقم ٢٠٦٩ تاريخ ، تيمور) الورقة ١١٤ ظهر .

(٥) ابن نقطة – إكمال الإكمال – مخطوط الظاهرية الورقة ٨٢ وجه .

– ابن قانع أبو الحسين عبد الباقى الحافظ (سنة ٣٥١) وقد بدأ من المجرة ثم وصل في الوفيات إلى سنة ٣٤٦ / ٩٥٧ .

– ابن زبر أبو محمد عبد الله بن أحمد الربيعى (٩٤٠ / ٣٢٩) البغدادي الدمشقى قاضى مصر ابتدأ كتابه فى الوفيات من تاريخ المجرة وانتهى به إلى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة / ٩٤٩ .

ثم جاء على كتاب ابن زبر هذا سلسلة من الذيول استمرت أكثر من أربعة قرون كان فيها :

– الكتانى أبو محمد عبد العزير بن محمد الحافظ الدمشقى الصوفى (٤٦٦) وقد تابع تسجيل الوفيات حتى قريب من وفاته .

– وقد عاصر الكتانى مؤلف آخر على الطريقة ذاتها هو ابن الحبال ابراهيم ابن سعيد النعمانى المصرى (سنة ٤٨٢) وكتابه فى الوفيات ابتدأه من سنة ٣٧٥ وانتهى به إلى سنة ٤٥٦ وقد نشره صلاح الدين المنجد فى مجله معهد المخطوطات^(١) .

– كما عاصره مؤلف آخر هو ابن مندة أبو القاسم عبد الرحمن (سنة ٤٧٠) وله كتاب فى الوفيات يبدو أنه كان واسعاً إلى درجة جعلت الذهبي يعتقد بقوله : « لم أر أكثر استيعاباً منه »^(٢) .

– ابن الأكفانى أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الدمشقى (سنة ٥٢٤) وهو تلميد الكتانى وقد تابع كتاب أستاذه بذيل امتد عشرين سنة ووصل به إلى سنة ٤٨٥ وسماه جامع الوفيات .

– وذيل على ابن الأكفانى أبو الحسن علي بن المفضل المقدسى الاسكندرانى

(١) انظر مجله معهد المخطوطات العربية الجزء الثاني من المجلد الثانى من المجلد الثانى من ٢٨٦ - ٣٣٧ .

(٢) الذهبي - البرج ٣ ص ٢٧٤ .

الحافظ (سنة ٦١١) وصل بذيله حتى سنة ٥٨١ وسمّاه وفيات النقلة .

ـ ثم أكل المندري أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (سنة ٦٥٦) العمل
بكتابه : التكملة لوفيات النقلة وقد طبع نصفه بتحقيق بشار عواد
المعروف في أربع مجلدات (بغداد ١٩٦٨ - ١٩٧١) .

ـ ثم تابع أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني الحلبي (سنة ٦٩٥)
تأليف كتاب صلة التكملة لوفيات النقلة ...

وإذا استمرت السلسلة بعد ذلك بأعمال الدمياطي (سنة ٧٤٩) ثم العراقي
(سنة ٨٠٦) ثم أبي زرعة (سنة ٨٢٦) فإن كُلّاً آخر في الوفيات ظهرت كل تلك
في القرن السابع معازية لعمل المندري منها : وفيات ابن دحية أبي الخطاب عمر
الكلي المتوفى سنة ٦٣٣ .

وبعض كتب الترجم اعتمد النظام المعجمي والأبجدي أو كما كانوا
يقولون « على الأحرف » وكان هذا قفزة هامة نحو الموسوعية والتنظيم بدأ
بدورها بكتب أولية وضعها بعض المؤلفين في ترجم شيوخهم بعنوان : معجم
الشيوخ ، ثم ما لبثت « المعجمية » أن أصبحت النهج التنظيمي الأول والأكثر
ابداعاً في التأليف منذ مطلع القرن الخامس .

فمن مؤلفي معاجم الشيوخ الأولى مثلاً وهم جماعة واسعة كبيرة :

ـ أبو يوسف يعقوب الفسوسي (سنة ٢٧٧) ولكنه رتبهم على البلدان التي
دخلها .

ـ المقري أبو بكر محمد بن إبراهيم (سنة ٢٨١ / ٨٩٤ أو بعد ذلك) وله
معجم لشيوخ .

ـ الموصلاني أبو يعلٰى أحمد بن علي بن المتفى (سنة ٣٠٧ / ٩١٩) وقد ذكره
السخاوي^(١) .

(١) السخاوي - الإعلان (ط. روزنال) ص ٦٠٧ .

– الأصبهاني أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن حمزة (سنة ٣٥٣ / ٩٦٤) . وقد ذكره أبو نعيم الأصبهاني^(١) .

– الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (سنة ٣٦٠ / ٩٧١) وكان رحالة حافظاً . جمع شيوخه و كانوا ألف شيخ في معجمين : أوسط و صغير^(٢) .

– الإسماعيلي أبو بكر أحمد بن ابراهيم (سنة ٣٧١ / ٩٨١) .

– ابن جمیع أبو الحسن محمد بن أحمد (سنة ٤٠٢ / ١٠١١) وقد ذكره السمعانی^(٣) .

– أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الحافظ (سنة ٤٣٠ / ١٠٣٨) وله معجم شيوخ بجانب تاريخ أصبهان .

– ابن شاظان أبو علي الحسن بن أحمد (سنة ٤٢٦) ذكره ابن الجوزي^(٤) .

– المروي أبو ذر عبد الله بن أحمد (سنة ٤٣٤ / ١٠٤٣) ذكره الخطيب البغدادي^(٥) .

– أبو الحسين محمد بن المهدى بالله على العباس (توفي بعد سنة ٤٦٥) ذكره الخطيب البغدادي بين مصادره والسمعانی وابن الجوزي^(٦) .

ويضيق المكان عن متابعة هذه المؤلفات التي تزيد زيادة كبيرة بعد

(١) أبو نعيم – تاريخ أصبهان (ط. ريدرنغ – ليدن ١٩٥١ – ١٩٥٤) ج ١ ص ١٩٩ . والسعانی انصر السابق .

(٢) السمعانی – الأنساب (المخطوط المصور – مرغليوث) الورقة ٣٦٦ وجه وانظر تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٤٤٠ .

(٣) المصدر السابق الورقة ٣١٥ ظهر والورقة ٥٢١ وجه .

(٤) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٤١ . وانظر السعانی – الاعلان ص ٦٠٨ .

(٥) ابن الجوزي – المستنظم ج ٨ ص ٨٦ – ٨٧ .

(٦) الخطيب – تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الجوزي – المستنظم ج ٨ ص ٢٨٢ . والسعانی – الأنساب الورقة ٣٥١ ظهر .

القرن الخامس حتى تصبح بضاعة كل مؤلف ويرد بينها معاجم شيوخ كل من الشيرازي (سنة ٤٨٦) والحميدي (سنة ٤٨٨) والسعاني (الحادي عشر ٤٨٩) والأب سنة ٥١٠) والأنصاري (أواخر القرن الخامس) والقطبي (سنة ٥٠٩) والترسي (سنة ٥١٠) والتنوخي (سنة ٥١٢) وعبد الله بن البناء (سنة ٥١٦) وابن الدقاد (سنة ٥١٦) وأبي غالب أحمد بن البناء (سنة ٥٢٧) واليونارني (سنة ٥٢٧) والخفاف (سنة ٥٤٣) وابن كاهويه (سنة ٥٥٠) ... الخ . وبعد ذلك حتى أواسط القرن السابع ما يزيد على أربعين مؤلفاً آخر ، من أبرزهم ابن عساكر ولوه عدد من المعاجم والسعاني والسلفي صاحب معجم السفر ، وابن العديم ... الخ .

والتنظيم المعجمي للترجم منهج قديم لدى المؤرخين المسلمين ، وقد بدأ منذ القرن الثالث على أيدي بعض المحدثين من أمثال ابن ياسين (سنة ٢٣٤) في تاريخ هراة والبخاري (سنة ٢٥٦) في تاريخه لرجال الحديث ، غير أنه اتبع خاصة من قبل مؤلفي التواريخ البلدانية ، ومن هؤلاء المعداني (سنة ٣٧٥) في تاريخ مرو ، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصفهان . وإذا التقى هذه الطريقة فعممتها على (تاريخ علماء الأندلس) أبو الوليد الفرضي الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٣ ، فإن الخطيب هو الذي منحها الانتشار الأكبر بكتابه : تاريخ بغداد فصارت النسخة المتبعة في التواريخ البلدانية .

ولعل أول من نقل الطريقة المعجمية إلى الترجم العامة هو :

ـ المقذسي تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد الدمشقي (سنة ٦٠٠) ، فقد كتب في أربع مجلدات ضخمة (كتاب الكمال في معرفة الرجال) ومنه أجزاء مخطوطة في الظاهرية بدمشق والجامعة الأمريكية في بيروت ، وكان هذا الكتاب نهاية لخط طويل من تطور « علم الرجال » في التاريخ الإسلامي .

وقد لحقه من بعده أربعة كتب من أهم الكتب في جمع الترجم أيجدياً :

- كتاب التقىيد لمعرفة رواة السنن والأسانيد ، لأبي بكر محمد ابن عبد الغني المعروف بابن نقطة الخنبلي (سنة ٦٢٩) ولكنه كان يختص برواية الحديث .

- كتاب الكمال في معرفة الرجال لمحب الدين محمد بن محمود بن النجار المؤرخ البغدادي المعروف (سنة ٦٤٣) وهو بدوره خاص برواة الرجال الحديث .

- كتاب في سبع مجلدات كتبه مجھول في أواسط القرن السابع وقد ضاع كله فلم يبق منه سوى فهرسه في مجلد مخطوط يحمل عنوان : (مفتاح تراجم الإسلاميين من بدء الإسلام إلى سنة ستة وخمسين) وهو عبارة عن جداول لفهرس مرتب على حروف المعجم يحوي أعلام الإسلام على سنة الوفاة وترتيب الطبقة ذاكراً رقم المجلد والصفحة والرقم المسلسل ... والمخطوط موجود في الهند بالمكتبة الأصفية بميدان آباد (رقم ١٥١ تراجم) .

- كتاب وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلkan أبي العباس أحمد ابن محمد بن أبي بكر التمشقي (سنة ٦٨١) وهو في ست مجلدات تعتبر ، حتى عهدها ، أولى وأوجز معجم بيغرافي . وهو ما يزال الأشهر فيها .

(٥) على أن فروعاً عديدة جداً لهذه المعاجم البيهقية قد ظهرت في التأليف . وكلها وإن كانت على الحروف الأبجدية إلا أن مبدأ الاختيار فيها هو الذي كان يختلف ، ويختلف معه بالتالي نوع التأليف . ونستطيع أن نجد على الأقل عشرة أنواع من هذه المعاجم يتفرع من بعضها بدورها فروع أخرى ...

١ - فهناك أولاً "كتب معاجم الصحابة" (بعد الطبقات الكبرى) .

- تاريخ الإمام البخاري أول من صنف فيها فيما عُلم « على حد قول ابن حجر العسقلاني وقد جعله على حروف المعجم . وابتداه

بالمحمددين تيمناً باسم الرسول .

وهناك بجانبه تاريخ الترمذى ، وكتاب ابن أبي ذؤاد . وتاريخ مسلم (رواية الاعتبار) وتاريخ النسائي (التمييز) ثم هناك كتب :

- عبدان بن محمد المرزوقي (سنة ٢٩٣) واسمها تاريخ الصحابة .
- أبي عبد الله بن منهء الأصفهاني (سنة ٣٠١) وكتاب : معرفة الصحابة عليهم السلام .
- الدغولي محمد بن عبد الرحمن بن عباس (سنة ٣٢٥ / ٩٣٦) وله : تاريخ الصحابة .
- ابن السكن سعيد بن عثمان بن سعيد (سنة ٣٥٣) وهو على الحروف .
- عاصره ابن حيان محمد بن أحمد (سنة ٣٥٤) وله معرفة الصحابة .
- وهناك الطبراني أبو القاسم اسماعيل (سنة ٣٦٠) وكتابه المعجم الكبير في أسماء الصحابة .
- وكتاب أبي حفص بن شاهين (سنة ٣٨٥ / ٩٩٥) في تاريخ الصحابة .
- وكتاب أبي نعيم الأصفهاني (سنة ٤٣٠) .
- وكتاب أبي يعلى الخليل بن عبد الله (سنة ٤٦٦) واسمها معرفة الصحابة .
- وكتاب ابن عبد البر القرطبي (وهو أندلسي توفي سنة ٤٦٣) ولكنه انتشر في المشرق : الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
- وكتاب أبي موسى السفرايني المديني الأصبهاني (سنة ٥٨١) وقد ذيله على كتاب ابن منهء .
- ثم كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة للمؤرخ ابن الأثير (سنة ٦٣٠) في ست مجلدات كبار كانت أولى المؤلفات .

ونفرع عن معاجم الصحابة فروع تناولت من نزل منهم في بعض المدن كمحصن والكوفة ... أو من حضر بدرأ أو المعارك الأخرى ، أو من كان من قبائل محددة ، أو من روى حديثاً أو من شهد كلها وكذا من المشاهد... الخ.

٢ - وهناك ثانياً كتب الأنساب . ومنذ تراجع النسب القبلي القائم على أساس دموي وبرزت بدلاً منه النسبة إلى الأمكانية أو الحرفة أو الشهرة أو المذهب أو الولاء أو الصفات الجسمانية والخلقية ... الخ ، ظهرت الحاجة إلى هذا النوع من كتب الأنساب التي كان أبرزها من الكتب الجامعة :

- كتاب الأنساب للسعاني أبي سعد عبد الكرم بن أبي بكر (سنة ٥٦٢) وهو كتاب ضخم طبعه تصويراً عن أجزاء مخطوطاته المستشرق مرغليوث كما طبع نصفه في حيدر آباد في الهند .

- كتاب الباب في تهذيب الأنساب ، وقد اختصر فيه ابن الأثير المؤرخ فصول كتاب السعاني وأضاف إليه توافقه ...

غير أن كتب الأنساب الجامعة هذه لم تستو بين أيدي الناس إلا بعد أن ظهر قبلها بكثير كتب كثيرة أخرى تشبه أن تكون الفروع لها مع أنها هي الأصل في ظهور الكتب الجامعة فلا تشابه الأسماء أدى منذ مطالع القرن الرابع إلى ما سمي بكتب «المتشبه» من الأسماء وبعض المؤلفين جعل همه ابضاع الاشتباه في الأسماء أو الكني أو الألقاب المتقاربة . وقد أخذ هذا النوع العلمي شأنه ومكانه بسرعة بل وأخذ اسمه الخاص أيضاً من ذلك فيه أولئك المؤلفين وأعطوه اسم : «المؤتلف والمختلف» أو «المتفق والمفارق» .

وهكذا نجد مثلاً في المؤلفين الأوائل فيه :

- أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي التحوي (سنة ٢٤٥هـ) وقد كتب كتاب المختلف والمختلف في أسماء القبائل الذي طبعه وستفليد سنة ١٨٥٠م.

- أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (سنة ٣٨٥) وقد وضع كتاباً حافلاً في (المختلف والمختلف في أسماء الرجال) ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة (تيمورية ٥٤٦ تاريخ) .

- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (سنة ٣٨٢) ، وله كتاب مشتبه النسبة .

- وقد عاصرهما أبو القاسم الحسن بن بشر الامدي الأديب المعروف (سنة ٣٧٠) وقد كتب أيضاً كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكتاهم وألقابهم وأنسابهم (وهو مطبوع) .

- وهناك الأزدي عبد الغني بن سعيد الحافظ (سنة ٤٠٩) وقد سمي كتابه مشتبه النسبة . ثم زاد عليه وسماه المؤتلف في تكمة المختلف . ومنه نسخة مخطوطة في برلين . أما مشتبه النسبة فطبع في الله آباد بالمند سنة ١٣٢٧ ، بعنابة محمد محبي الدين الجعفري الزيني .

- وهناك أبو سعد أحمد بن محمد الماليسي (المتوفى سنة ٤١٢) وقد كتب كتاب المؤتلف والمختلف .

وصنف في الموضوع بالعنوان نفسه :

- أبو القاسم يحيى بن علي الخضرمي المعروف بابن الطحان (المتوفى سنة ٤١٦) .

- وأبو العباس جعفر بن محمد المستغري (المتوفى سنة ٤٣٢) .

- والخطيب البغدادي المؤرخ المعروف (سنة ٤٦٣) وله بين تأليفه كتاب : المتفق والمتفرق . وهو كتاب كبير الحجم في ٧٠٠ صفحة منه نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة . وقد ذكر ياقوت للخطيب البغدادي كتاباً باسم : تلخيص المشابه^(١) .

- ثم جاء ابن ماكولا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله (سنة ٤٨٧) فزاد على علی الجميع في كتاب حافل واسع على حروف المعجم سماء الإكمال

(١) انظر ياقوت - مجمع الأدباء ج ١ ص ٢٨١ (ترجمة ابراهيم بن مقبل) .

في معرفة الرجال (أو في دفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب) وهو في مجلدات عديدة طبع بعضها في الهند . وقد استدرك صاحبه على المؤلفين الآخرين بكتاب آخر سماه : تهذيب مستمر للأوهام على ذوي التمني والأحلام وهو مخطوط .

- وعاصر ابن ماكولا وألف في الفن نفسه مؤلف أندلسي هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الفساني الحياني (سنة ٤٦٨) وقد طبع كتابه في تركيا وهو بعنوان: تقيد المحصل وتمييز المشكل ويعنى بضبط أسماء رجال الصحيحين .

- ثم جاء المقدسي القيسري أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي (سنة ٥٠٧) فكتب كتاب الأنساب المتقة في الخلط المتuelle في النقط والقبط ، وهو مطبوع (ويسمى أحياناً المختلف والمؤلف في الأنساب) طبعه دي يونغ في هولندا سنة ١٨٦٥ .

- وكتب الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد الشاعر الأموي (سنة ٥٠٧) كتاب ما اختلف واتلف من أنساب العرب .

- وأنى أبو حامد ابن نقطة محمد بن عبد الغني (سنة ٦٢٩) فكتب ذيلاً على ابن ماكولا سماه الإكمال .

- ثم جاء ابن باطیش أبو المجد اسماعيل بن هبة الله الموصلي (سنة ٦٤٠) فكتب كتاب مشتبه النسبة^(١) .

- ثم لحقه ابن الصابوني أبو حامد محمد بن علي (سنة ٦٨٠) فذيل على ابن نقطة بكتاب (تکملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب) وقد طبع (في بغداد بتحقيق مصطفى جواد سنة ١٩٥٧) .

(١) ذكره له ابن العديم في ترجمته في بقية الطلب . انظر الجزء المخطوط في دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٢١٣٨ الورقة ١٣٢ وجده .

- ولحق الجميع بعد ذلك ابن القوطي المؤرخ (سنة ٧٢٣) فكتب تلقيح الأفهام في المؤتلف والمخالف .

٣ - وهناك ثالثاً المعاجم البيوغرافية على أساس البلدان وهي التي تحولت إلى تواريخ بلداًنية . غير أن عدوى التنظيم المعجمي أصابت الحغرافيا التاريخية فتحولت كتبها إلى شكل المعاجم ومنها مثلاً : معجم البلدان لياقوت وسوف نعرض هذه الناحية فيما بعد .

٤ - وهناك رابعاً المعاجم على أساس العلوم ، تنظم فيها التراجم لرجال كل علم على الأبجدية أيضاً وقد مر معنا في تاريخ العلوم المختلفة سلاسل بعد سلاسل من هذه المعاجم . غير أنها ندر أن تجد معاجم قد نظمت على أساس المهن والأعمال (للقضاة مثلاً أو للوزراء والولاة والمحجوب والكتاب) ولعل السبب في ذلك يعود إلى قلة عدد هؤلاء وتفضيل المؤرخين إثبات أسمائهم وتراجمهم حسب توالي العصور ...

٥ - وهناك خامساً المعاجم على أساس المذهب . وإذا كان الأحناف والشافع والحنابلة والمالكية قد فضلاوا في الغالب طريقة الطبقات فإن الشيعة اتبعوا في الرجال غالباً طريقة المعاجم الأبجدية . والمؤلفات التالية التي نذكرها لم على سبيل الأمثلة ليست كلها على الأحرف أو لسنا والثرين بسبب ضياع معظمها من أنها كانت على الأحرف . ومن مؤلفي الشيعة في الرجال :

- كتاب الكثاني أبي محمد عبد الله بن جبلة بن حيان (سنة ٢١٩) وقد وضع كتاب الرجال وهو فيما يذكرون أول من صنف في الرجال قبل ابن سعد والواقدي^(١) .

- التبّي الحسن بن علي بن فضال الكوفي (سنة ٢٢٤) وله مؤلف في تاريخ الشيعة ذكره ابن حجر^(٢) .

(١) ينفي آغا بزرگ الطهراني ذلك ويعطي الأولية لمبدع ابن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين على (انظر مصنف المقال ص ٢٠٠) .

(٢) ابن حجر - لسان الميزان ج ٢ ص ٢٢٥ .

- البرقي أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد الكوفي (سنة ٢٨٠) وله حسب رواية النجاشي كتاب الرجال أو المعرفة بالرجال بجانب كتاب آخر في الطبقات^(١).
- الشيخ الرشيد سفر بن عبد الله القمي (٢٩٩ / ٩١١) وله كتاب في تاريخ الشيعة.
- الدهقان أبو القاسم حميد بن زياد الكوفي (٣١٠) صنف كتاب الرجال أيضاً.
- الكليني أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق (سنة ٣٢٩ أو ٣٢٨) صاحب الكافي ، أجل كتاب الأصول عند الشيعة وقد ذكر له النجاشي كتاب الرجال .
- ابن عقدة أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المذهباني الزبيدي الحاراوي (سنة ٣٣٣) وقد ذكروا له كتاب التاريخ في ذكر من روى الحديث من الناس كلهم العامة والشيعة وأخبارهم ويسمونه أحياناً كتاب تاريخ الرجال .
- الشيخ الصدوق ابن بابويه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (٣٨١) وهو «أوسط المحدثين الثلاثة المصنفين للكتب الأربع التي عليها المدار » لدى الشيعة . وله كتاب المصايح في من روى عن الرسول والأئمة .
- الجوهري أحمد بن محمد بن عبيد الله البغدادي (سنة ٤٠١) وله كتاب الاشتغال في معرفة الرجال فيه ذكر من روى عن إمام إمام .
- الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الشهير بابن المعلم الحارثي (٤١٣) وله كتاب الارشاد في الجرح والتعديل .

(١) ذكر ابن النديم لوالده محمد بن خالد البرقي أيضاً كتاب الرجال (النهرس ص ٢٢١) .

- الكثي أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (من أواخر القرن الرابع) وله كتاب في الرجال عنوانه : معرفة الناقلين جمع فيه العامة والخاصة . وقد حرره شيخ الطائفة في كتاب سماه اختيار الرجال (مطبوع) .
- الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى العلوى (سنة ٤٣٦) وله مؤلف في تاريخ الشيعة ^(١) .
- النجاشي أبو العباس أحمد بن علي الأهوازي الريدي ثم الإمامي وهو صاحب كتاب الرجال الذي يعتبر في نظر أهل المذهب مرجع الأوائل والأواخر وأفضل ما خط في موضوعه ومن أعظم أركان الجرح والتعديل .
- الطوسي شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (سنة ٤٦٠) وتصانيفه في الرجال كتصانيفه في الحديث من أصول الشيعة . له من الأصول الحديبية اثنان من أربعة (الاست بصار والتهذيب) ومن الأربعية الرجالية ثلاثة (الفهرست والرجال والاختيار) . ويهمنا هنا كتاب الرجال المرتب على الطبقات .
- ابن بطريق يحيى بن الحسين بن الحسين الحلبي الأستدي (سنة ٩٠٠) وهو صاحب العمدة المعروفة بعمدة ابن بطريق وله رجال الشيعة الذي نقل عنه ابن حجر السيوطي .
- ابن أبي طي يحيى بن حميدة بن ظافر الفاسي الحلبي (سنة ٦٣٠) وله كتاب رجال الشيعة الإمامية ، بين كتبه التاريخية الصالحة . ويسمى أحجاناً طبقات الإمامية ولعله على الطبقات .
- الحلبي أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد الطاوس (سنة ٦٧٣) وله

(١) السخاوي - الاعلان من ٨٠ .

بين كتبه الكثيرة كتاب : حل الإشكال في معرفة الرجال .

٦ - وهناك سادساً : المعاجم على أساس نوعية الرواية من ثقة وضعف وهو باب هام من أبواب علم الحديث لما يتصل به من تصحیح الأحادیث وتضعیفها حتى لقد أخذ اسماً خاصاً به ، هو علم الجرح والتعديل وانحصر به جماعة من علماء الرجال . فمن المؤلفین في الصعفاء مثلاً :

- أبو أحمد عبد الله بن عدی الجرجاني الحافظ المتوفی سنة ٣٦٥ بجرجان وقد أفرأ سنة ٣٦٤ كتاباً للناس في ذلك وعنوانه : الكامل في معرفة الرجال . قال السخاوي : هو أکل الكتب المصنفة قبله وأجلتها .

- وقد ذیل عليه أبو الفضل محمد بن طاهر القیسراوی (سنة ٥٠٧) بكتاب تکملة الكامل .

ومن المؤلفین في الصعفاء والمترؤکین هناك أبو عبد الله البخاری ، وأبو عبد الرحمن النسائی ، وأبو الحسن الدارقطنی صاحب كتاب الصعفاء والمترؤکین من المحدثین ، وأبو جعفر محمد بن عمرو بن موسی العقیلی (سنة ٣٢٢) صاحب كتاب تاريخ الصعفاء في عشرين جزءاً (مجلدين) وأبو يحيی زکریا بن يحيی الساحلي الفقيه البصري وكتابه : الصعفاء والمترؤکین والمنسوبيین إلى البدعة من المحدثین . وأبو الفتاح محمد بن الحسین الأزدي الموصلي وأبو علي سعید بن عثمان ابن السکن (سنة ٣٥٣) وابن الجوزی ... الخ .

واماً في الثقات فهو كذلك :

- كتاب أحمـد بن عبد الله العجـلـي (سنة ٢٦١/٨٧٤) .

و هناك أبو حاتم بن حيان وله أحفل الكتب في ذلك وقد جعله على الطبقات ثم جاء محمد بن أبي بكر المیشی (سنة ٧٥٧) فتحوله على الحروف .

و هناك كتاب ابن شاهین ، وأبی العرب التیمی .

٧ - وهناك سابعاً : معاجم صفت حسب بعض ميزات الرواية : بطول العمر أو بقصره أو كثرة الشيوخ أو من كان من النساء أو من يحمل اسمها أو من كان في قرن معين ... الخ .

وهكذا وجدت فروع معجمية بعضها معاجم للمعمرين أو للشبان (ولابن عساكر مؤلف فيهم) وبعض النساء وهناك عدة كتب حوشم وبعض لم يحمل اسماً خاصاً فهناك كتاب للطبراني فيمن اسمه عطاء وآخر للمحمددين من الشعراء كما فعل القسطي وهناك كتاب الأفراد لسلم بن الحجاج القشيري ذكر فيه جماعة من الصحابة والتابعين ليس لهم إلا راو واحد ...

٨ - وهناك ثامناً : معاجم كتبت في رواة بعض مشاهير الكتب الحديثية : فرواة موطاً مالك كانوا موضوعاً لأعداد من المؤلفات ، ورجال البخاري موضوعاً لكتب أخرى . ورجال الصحيحين أفت بهم المؤلفات .

فمن المؤلفين في رجال الموطأ : ابن الحذا محمد بن يحيى (سنة ٤١٦) ، والأكفاني هبة الله بن أحمد (تسمية من روى الموطأ عن مالك) .

ومن المؤلفين في رجال البخاري أبو نصر الكلبافي أحمد بن محمد (سنة ٣٩٨ / ١٠٠٧) وسماه الإرشاد .

ومن المؤلفين في صحيح مسلم أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه (سنة ٤٢٨ / ١٠٣٦) .

ومن المؤلفين في رجال الصحيحين معاً هبة الله بن الحسن الالكوني (سنة ٤١٨) وأبو الفضل بن طاهر المقدسي .

ومن ألف في رجال أبي داود أبو علي الجبائي ، وفي رجال الترمذى وفي رجال النسائي آخرون . كما ألف في رجال الكتب الستة عبد الغنى المقدسي (سنة ٦٠٠) في كتابه الكمال . وابن عساكر (سنة ٥٧٢) وسماه الشيوخ البيل ... الخ .

٩ - وهناك تاسعاً : معاجم جمعت في الأسماء والكنى والألقاب وهي
عديدة كثيرة جداً وممتن صنف في هذا الباب :

- علي بن المديني (سنة ٢٣٤) كتاب الكنى .

- أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١) كتاب الأسماء والكنى .

- وأفرد محمد بن اسماعيل البخاري (سنة ٢٥٦) جزءاً من التاريخ الكبير
الذي كتبه باسم كتاب الكنى ومعظمها في من عرف بكتينه ولم يعرف
باسمها . وقد رتبوا على حروف المعجم . وقد طبع كتاب الكنى على
حدة في حيدر آباد سنة ١٣٦٠ .

- مسلم بن الحجاج القشيري النسابوري (سنة ٣٦١) صاحب الصحيح
وله كتاب الكنى والأسماء ومعظمها في من عرفت كينته واسمها .
وبعضهم كأبي أحمد الحكم النسابوري يرى أنه منقول عن البخاري .
والكتاب في أربعة أجزاء ومنه مخطوط في دار الكتب المصرية (٢٢١)
طليعة) وآخر في دار الكتب الظاهرية بدمشق (٢٥٨٢) ونسخة ثالثة في
استانبول (شهيد علي ١٩٣١) ورابعة هناك أيضاً (أحمد الثالث
٢٩٦٩ - ٣) .

- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدمي (المتوفى سنة ٣٠١) له كتاب
أسماء المحدثين وكتاهم ذكره ابن حجر^(١) .

- أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣)
وكتابه (الكنى) من توثيق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج
القاضي وهو من أطول كتب الكنى وأجلتها فيما يروي الذهبي^(٢) .

- أبو محمد عبد الله بن علي ابن البارود النسابوري الحافظ (المتوفى سنة

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٥٨ .

(٢) انظر كشف الظنون ج ٤ ص ١٤٥٣ .

. ٣٠٧) وله كتاب الكنى في ١٦ جزأ .

- أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفى سنة ٣٤٢) وقد ذكر له ابن النديم كتاب الأسماء والكنى والألقاب^(١) بين عشرات الكتب التي ألف .

- وأبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدوابي (المتوفى سنة ٣٢٠) كتاب الكنى والأسماء .

وهو على حروف المعجم . وقد فصل فيه الصحابة عن التابعين والكتاب مطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٢٢ في مجلدين .

- وعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (النصف الأول من القرن الرابع) وهو النسابة الأخباري الرواية للشعر . وقد كتب كتاب الألقاب بجانب كتاب الأخرى عن المدينة وأخبارها وعن الشعراء .

- محمد بن حيان البستي (المتوفى سنة ٣٥٤) وله في هذا الباب كتابان متكملاً : (أسامي من يعرف بالكنى ، وكنى من يعرف بالأسماء) .

- أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي (المتوفى سنة ٣٦٧) وله كتاب تسمية من وافق اسمه اسم أبيه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المحدثين . ومنه خطوط في ليدن (رقم ١٠٨٧) .

- الحكم النيسابوري أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد الكرايسي الحافظ (المتوفى سنة ٣٧٨ عن ٩٣ سنة) وهو أحد أئمة الحديث . ولـه قصاء الشاش ثم طوس . وقد أكثر الترحال جداً وأكثر التأليف جداً وله بين كتبه العديدة كتاب الأسماء والكنى المجردة . ويعتبره بعض المؤلفين أحسن كتب الكنى ترتيباً . ومنه قطعة حسنة خطوظة في مكتبة الجامع الأزهر تشمل ما بين الجزء الثاني والثامن عشر . وقد كان الذي

(١) ابن النديم - الفهرس ص ١٣٨ .

اختصره في كتاب سماه المقتني في سرد الكنى وقال : « وقد جمع الحفاظ (كتباً) في الكنى ومن أجلتها وأطلاها كتاب النسائي ثم جاء أبو أحمد الحكم فزاد وأفاد وعمل ذلك في ١٤ سفراً لكنه يتعب الكشف منه لعدم مراعاته ترتيب الكنى على حروف المعجم فربته واختصره وزدته ... ». ^(١)

- أبو عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن منده الأصبهاني (المتوفى سنة ٣٩٦) وله كتاب الأسماء والكنى ^(٢).

- أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الحافظ (المتوفى سنة ٤٠٣) صاحب تاريخ الأندلس . وهو أندلسي ولكننا نذكره هنا ليبيان مسابقته في عنوان كتابه الذي سيظهر في المشرق مثله وهو : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب .

- أبو عبد الله الحكم النيسابوري محمد بن عبد اللهالمعروف بابن البيع (المتوفى سنة ٤٠٥) وله كتاب الكنى والألقاب . من مؤلفاته التي تزيد على ٢٠٠ مجلداً .

- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي (المتوفى سنة ٤٠٧) وله كتاب (الألقاب الرواية) وقد وصلنا نسختان مخطوطتان من مختصر له صسعه ابن الأنماطي واحدة في الظاهرية بدمشق وأخرى في مكتبة كوبيريل باستانبول.

- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المعروف بالفارسي الجوال (المتوفى سنة ٤١١) وله كتاب ألقاب الرجال .

- أبو الفضل علي بن الحسين الفلكي (المتوفى سنة ٤٢٧) وله كتاب متهى الكمال في معرفة ألقاب الرجال وقد أخذ عنه السمعاني أكثر من مرة في الأنساب .

(١) انظر كشف الظنون ج ٤ ص ١٤٥٢ .

(٢) انظر الكافي - الرسالة المطرفة ص ١٢١ .

- ونشر هنا مرة أخرى إلى مؤلف مغربي صقلبي لإتمام الصورة هو ابن عبد البر القرطبي (المتوفى سنة ٤٦٣) وله كتاب الاستغاثة في معرفة الكني وكتاب (من عرف من الصحابة بالكنية ولم يوقف له على اسم) وكتاب : أسماء المعروفيين بالكنية من التابعين ومن بعدهم مع (كتاب من لم يوقف له منهم على اسم ولا عرف بغير كنية) ومن الكتب الثلاثة نسخ خطوطها في مكتبة جامع الفروين بفاس (رقم ٢٨٧ و ١٤٣) ضمن مجموع .

- أبو القاسم عبد الرحمن بن منه (المتوفى سنة ٤٧٠) وله كتاب فتح الباب في إنكلي والألقاب منه مخطوط في برلين برقم ٩٩١٧ .

وانكسرت موجة التأليف في الكني بعد القرن الخامس واختلطت مع فنون المؤلف والمختلف من جهة كما حل محلها كتب الألقاب بسبب انتشار الألقاب المتعددة في الناس وخاصة في المشرق مما يضاف إلى كلمة الدولة أولاً (في القرنين الرابع والخامس) وما يضاف إلى الإسلام (في القرن الخامس) وما يضاف إلى الدين في القرون التالية ... وقد عني بذلك بعض المؤلفين ، أما الذي أوفي على الجميع في التأليف بالألقاب في معجم ضخم فهو مؤرخ جاء في مطالع العصر المملوكي هو :

- ابن القوطي أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (سنة ٧٢٣) فقد كتب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب في خمس مجلدات بقى الرابع والخامس منها فقط . وقد طبع الرابع وحده في أربع مجلدات بلمشق (تحقيق مصطفى جواد) وطبع الخامس في الهند .

١٠ - وهناك عاشرًا : المعاجم لبعض الجماعات الخاصة من ذوي النسب الواحد كالأشراف والطلابيين والقرشيين والمهالبة ... أو من ذوى الميزات الجسمية الواحدة : كالعور والععيان . أو من ذوى الشمائل الخلقية كالعشاق والشجعان والبخلاه والأذكياء ، أو من ذوى المذاهب الخاصة في الحياة كالزهد والرهبان والتصوفة ... وقد مرت بنا الأمثلة العديدة على مثل هذه الكتب ...

(و) وأخيراً يأتي في باب تطور التدوين التاريخي في هذه الفترة العباسية أن المؤلفين أخذوا يعمدون بطريقة أو بأخرى لقصیر جبل المؤلفات وتضييق رقعتها زمنياً أو مكانياً . بسبب كثرة المادة وصعوبة الحصول على المعلومات البعيدة في الزمان أو المكان أو الاحاطة بها على الوجه الأكمل ، وهكذا اتبعت في تضييق رقعة التدوين سبل شتى لن نضرب عليها الأمثلة ففي الذي قات بيان وكفاية حولها وفي الذي سوف يأتي ونكتفي بتحديد معالمها :

- فبعضهم وجد في الكتب الأمهات قمة التأليف فربط نفسه بها في ذيل قد يأتي من بعده ذيل ثم ذيل لتصبح السلسلة متقدمة إلى عدة مؤلفين عبر عدة قرون .. والأمثلة على هذه التدوين في كتاب التاريخ أو الوفيات أو الأدباء عديدة جداً .

- وبعضهم اقتصر في تاريخ الأحداث على تاريخ الخلفاء أو تاريخ العباسيين أو تاريخ بعض الدول أو بعض الأحداث ...

- وبعضهم اقتصر في الترجم على بعض الطبقات مما عاصره أو بعض الشيوخ الذين عرف أو ترجم المعاصرین له . أو الذين توفوا منذ يوم مولده حتى آخر حياته .

- وبعضهم حدد نفسه في إطار بعض السير : لبعض الخلفاء أو الحكام أو الأسر أو الأحداث .

- وبعضهم اكتفى بكتابه مذكراته الشخصية أو مراسلاته التي كتب للدولة أو مشاهداته وما سمع في الناس لمهذه مقدماً بذلك نفسه كشاهد للعصر ...

وعلى أي حال فإن هذه الطرق على اختلافها سمحت للمؤرخين أن يكمل بعضهم بعضًا وأن يكونوا أغنى خصباً في العطاء وأكثر دقة وتفصيلاً وأبعد حرية فيتناول المواضيع التي يكتبون عن معرفة دقيقة مباشرة ، مما زاد في تطور التدوين التاريخي من جهة وفي توسيع الفكر التاريخي من جهة أخرى .

الفصل الحادي عشر

في تطور الخطأ الفكري

بعد هذه الجولة التفصيلية الواسعة في رحاب التاريخ والمؤرخين ما بين القرن الرابع والقرن السابع نحسب أننا في حاجة إلى بعض النظارات الشاملة المختامية وفي هذا المجال قد نستطيع أن نسجل بعض الملاحظات حول الميزات الفكرية العامة للتاريخ في هذا العصر وهي ميزات قد تتطبق أحياناً كثيرة على مسيرة علم التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره .

أولاً - أضحت علم التاريخ جزءاً أساسياً من الثقافة الإسلامية : يتبين ذلك واضحاً لا من أعداد المؤرخين بالمئات الكثيرة ولا من المؤلفات التاريخية بأضعاف المئات ولكن من عدد من الظواهر الأخرى :

فقد أضحت التاريخ لا في جانب التراجم منه فقط ولكن في جانب الحوادث منه أيضاً ركناً أساسياً في «علم» المحدثين ورجال الفقه والدين . بعضهم كان يطالعه ويدرسه وأكثرهم كان يؤلف بشكل أو بآخر فيه . وقد كان التدوين التاريخي في هذه الفترة من مهامات ومشاغل أهل العلوم الدينية أنفسهم .

وبجانب هذا فإن جماعة الحياة السياسية من خلفاء وحكام وزراء وكتاب

وحجاب ورجال بلاط عملوا بدورهم في الدارة التاريخية . وبعضهم حتى من الخلفاء كتب التاريخ ، وإذا تميز الكتاب خاصة بكتابه المؤلفات التاريخية فلأنهم كانوا يضعون أيدبهم عملياً على « مناجم » التاريخ الأساسية في دواوين الدولة من وثائق ورسائل وغيرها فكان التاريخ أقرب مجالات العلم لعلمائهم بعد الأدب . هذا بجانب أننا نلاحظ في كتب « التذكريات » والتعليم السياسي وكتب الخراج أن المادة التاريخية قد أصبحت مادة أساسية في ثقافة الجهاز الوظيفي كله من القمة إلى القاعدة . لقد خصص ابن حمدون مجلداً من اثنى عشر مجلداً تألف منها تذكيرته للتاريخ وحده . وثلث كتاب الخراج لقدامة معلومات تاريخية ...

ولم يكن أصحاب علوم الأولئ - على اهتمامهم العلمي والفلكي ورياضي والفلسفي - بالبعيدين عن الاهتمام التاريخي وثمة الكثير من الفلاسفة والأطباء والفلسفيين الذين ألفوا في ميدان التاريخ أيضاً كالرازي وأبن جرير التكريبي وأبن المارستانية وأبن أبي أصيبيع وغيرهم .

وقد تنزل الاهتمام التاريخي حتى أصبح من اهتمامات الناس العامة ووجد آناس كثيرون جداً يعملون في الرواية التاريخية وإن لم يدونوها . أو يروون بعض ما شهدوا لمن يورخون كما وجدت في الناس اهتمامات بقصص التاريخ عبرت عن نفسها في فيض من القصص شبه التاريخي بعضه للترفيه والتسلية وبعضه للوعظ والإرشاد وبعض لاشباع رغبة النفوس إلى الغريب والخيال ... وفي كل الأحوال كان الفكر التاريخي هو الرابع سعة من جهة . وعمقاً في الجذور من جهة أخرى .

ولعل من النتائج الهامة لرسوخ « التزعة » التاريخية في الثقافة الإسلامية وتحولها إلى جزء أساسي في كيانها أمران :

الأول : أن البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط والتي كانت لها تواريختها الخاصة ، سواء في مصر أو في سوريا والعراق ، هذا إذا

لم نذكر اليمن أيضاً ، قد أعادت صياغة تواريختها على الأساس الإسلامي « أبدلت الروايات التاريخية القديمة التي نعرفها بغيرها – كما قال جب – أو صاغتها من جديد وفقاً للروح الإسلامية »^(١) وهكذا لم تكن الصور التاريخية السابقة للإسلام هي نفسها التي عرفها المسلمون من تواريخت تلك الأمم وخاصة ما اتصل منها باليهودية وال المسيحية ولكنها كانت الصور المسلمة ، من خلال معطيات القرآن خاصة ، لتاريخ مصر الفرعوني وتاريخ أنياء اليهود والنظرة الإسلامية للمسيح .

الثاني : إن استقرار الإسلام في الأقطار الشرقية (إيران خاصة) التي لم يكن لها من تاريخ مكتوب (ومثلها في ذلك أفريقيا البربرية أيضاً) أو كانت نزعتها التاريخية محدودة ولا تتعذر بعض الكتب الملوحة بالحكم والقucus المفردة الوااعظة الموجهة ، ذلك الاستقرار أدخل معه التزعع التاريخية إليها . وأوجد التدوين التاريخي لدى شعوب لم تكن تعرف التاريخ من قبل . وتحولت إيران خاصة (ومثلها أفريقيا على الطرف الآخر) إلى مصنع واسع لكتب التاريخ . وقد لا نكون مبالغين إن قدرنا مبلغ مساهمة الشعوب الإيرانية في المؤلفات التاريخية الإسلامية بأكثـر من نصف تلك المؤلفات ، في هذه الفترة . كان اندفاعها في هذا الاتجاه نتيجة الرغبة في معرفة هذا الأفق الإسلامي العربي الذي أطل عليها من مكة فحلّ محل ملوكيها ودينها ولغتها وتقاليدها وأعطهاها اتجاهـاً جديداً . وبعد أن كانت مطمئنة إلى نظامها الإقليسي المتكمـل ديناً ولـغـة وملوـكاً خلال عشرات القرون كان عليها أن تفسـر هذا الفزو الغـريب من خلال معرفته . وكان عليها أن تبرهن عن انسجامها معـه من خلال

(١) انظر جب – التاريخ (الموسوعة الإسلامية – الترجمة العربية) ج ٤ ص ٤٩١ .

تبنيّها لكل أنسه ونأكيد لها تلك الأسس . أليس هذا ما يفسر ظهور سيبويه في النحو والطبرى في التفسير والتاريخ والبخاري والترمذى والسجستاني في الحديث وأبى حنيفة فى الفقه ؟ وظهور الآلاف بعد الآلاف من المحدثين من إيران ؟

ثانياً - وضعت في هذه الفترة واستقرت معالم الفكر التاريخي الإسلامي : فلسفة "وغایة" وتدويناً .

١ - فقد استقرت لا من حيث الدين ولكن من حيث الصياغة التاريخية صورة العصر الإسلامي الأول (النبي - الراشد) بوصفه العصر الذهبي والعصر المثالي للإسلام وللمجتمع الإسلامي . وبالرغم من ذلك الخلاف السياسي المحدود بين النظرة السنّية والناظرة الشيعية إلى طريقة تسلسل الخلفاء الأوائل فإن الطرفين كانوا متتفقين على استلهام ذلك العصر في الأحكام ونصبه نموذجاً و مجال قياس للعصور التالية . وهذا ما جعل السيرة النبوية خاصة أشبه بقطب الدائرة بالنسبة للتاريخ كله . فما قبلها تاريخ ولكنه تاريخ كفار وجموعة من أساطير الأولين . على مسافة واحدة من الخطأ والصواب ، وسلسلة أنبياء كانت محاولاً لهم هي التمهيد والمقدمة للرسالة المحمدية . تاريخ ما قبل الرسالة ليس غير أنواع من الباحاهية . وأمّا ما بعد الرسالة فتاريخ يحاول الوصول إلى مستواها الأكمل ، وإلى مستوى ما دعت إليه . ولأن عهد الرسالة هو أساس القيم فقد كان من لواجب أن يعاد بناؤه التاريخي كاملاً وترمم كل الثغرات فيه بشكل نهائي ، أن تكتمل المعرفة لأدق الدقائق منه وهو ما كان بالفعل . فجاء البناء التاريخي لذلك العهد مترازاً تمازناً تمازناً التوازن كمحصر عظمة واتصال بأمر الله وعدل وحرية وتقى وتوجيه ، أناسه هم النماذج البشرية الأولى وعلاقاته هي القوانين للأجيال التالية . وإذا ألقى الخلاف الستي الشيعي بعض الظلال على بعض الخلفاء الأولين فإن الصورة العامة ظلت على حالها من التمودجية الكاملة .

ونكاد نشعر أحياناً كثيرة لدى العديد من المؤرخين ولا سيما في العصور

المتأخرة بمحاولات المطابقة المستمرة التي يحاولون دوماً اقامتها بين عهد النبوة وعهود وأعمال الجماعات التالية من أسر حاكمة أو خل طائفية أو مذاهب فكرية . إن المقياس الذي ارتفع به عهد كعبه عمر بن عبد العزيز أو نور الدين ابن زنكي إنما هو بمقدار ما اقترب من صورة الخليفة العادل « عمر بن الخطاب » ونصال الطوائف العلمية المضطهدة كان يجد الأسوة الحسنة والعزاء في نصال النبي ضد قريش الكافرة الظالمة والنموذج الأكمل لرجل الدين هو الذين يجسد كرهاً أخرى في ذاته سيرة بعض الصحابة الأوائل ... إن سيرة عصر الرسالة التي أخذت شكلها النهائي منذ مطالع القرن الرابع لم تصبح الصورة الوحيدة المكرورة في كافة التاريخ باطارها وعთادها ولكنها أصبحت أيضاً نموذج المقياس والقيم والحكم .

ويختلف الأمر تماماً بالنسبة للعصر الأموي الذي إنما كتب تاريخه كله في ظل الرقابة العباسية وبأيديها كتابيخ مهزومين . ولما كان كل من العباسين والعلويين - على خلافهما الدائم - مختلفين على كرهه بني أمية واعتبارهم الكفرا الفاسدين فإن طول العهد العباسى وانسحابه على مدى خمسة قرون قد سمح للمؤرخين العباسين - مع الموافقة الكلية من قبل الجانب العلوى - بأن يكتبوا تاريخ بني أمية على هواهم : تشبيعاً وتشويهاً . محاولات بعض الأمويين في دفع ذلك الظلم لم تفلح إلا في ترك بعض الأصداء الخافتة . والدفاع الذي كتبوه في مؤلفات عديدة غرق في زوابيا الإهتمال مع استقرار العرش العباسى الطويل ودخوله في وهم الناس على أنه جزء من نظام الكون ... وإذا كان قيام العرش الفاطمي العلوى قد فتح الباب لادخال شيء من التوازن على التاريخ العباسى نفسه وجرح ظاهره المزوق وأبرز النصال العلوى من خلاله فإن سقوط الفاطميين قبل قرن كامل من سقوط بغداد وتولي المؤرخين السنين بعد ذلك كتابة التاريخ الفاطمي نفسه من خلال النظرة العباسية ، عدة قرون متالية ، قد ترك بعض الجروح أيضاً في التاريخ الفاطمي محتفظاً على الموارم للصورة العباسية يمكنها المحترم مضيئاً في الوقت نفسه حتى المؤلفات التاريخية الفاطمية نفسها والشيعية . أو ليس هذا هو

الذي يفسر على الأقل ضياع آثار مؤرخين من أعظم المؤرخين في الإسلام : كالمسبحي وابن أبي طي ؟ إن لم نذكر القرطبي وابن مسيلة وابن الطوير ؟

٢ - تحددت الاهتمامات التاريخية ، في هذه الفترة ، أيضاً بعدد من أقطاب الاهتمام كان التاريخ هو الجواب عليها أو مصدر الجواب الوحيد .

فإن انتشار الإسلام وصيرورته منذ مطلع القرن الثالث دين الأكثري في الدولة الإسلامية قد دفع الكثيرين إلى التساؤل عن الأسس الأولى التي تقوم عليها الحياة الإسلامية وإلى محاولة التعرف على التجارب الأولى وعلى مصادر القيم والأحكام ونماذج التقليد . كانت الفترة الإسلامية الأولى بالنسبة للأعداد الواسعة من المسلمين الجدد « ميداناً » مجهولاً تماماً بالليل في الوقت الذي يجدون في أنفسهم كل التوق لمعرفته لأنهم بدخول الإسلام قد بنوا التنبي الكامل .

وفي الوقت نفسه فإن امتداد العهد الإسلامي قرناً بعد قرن واغتناء الجماعة الإسلامية يوماً بعد يوم بالتجارب والخبرات والأحداث جعل من هذه التجارب جزءاً حيماً من حياة ومصير كل فرد في تلك الجماعة . وبالرغم من أن معظم رعایا الدولة الإسلامية في العهد الأموي ومطلع العباسي لم يكونوا يعتبرون التراث العلوي مع هؤلاء ولا قصص صفين والجمل ولا أخبار المختار ووقة الحرة والحجاج أكثر من أخبار « الآخرين » الذين جعلتهم القوة العسكرية حكاماً إلا أنهم حين دخلوا في الأمة الإسلامية من بعد أصبحت تجارب هذه الأمة وخبراتها وأحداثها قطعة من تاريخنهم الخاص أيضاً متتصفة بهم أشد الالتصاق باعتبارهم جزءاً منها .

ولم يكن مؤرخ كالطبرى أو هلالى الصابى أو مسکوبى أو المرزبانى ، ليكتب التاريخ الذي كتب لولا إيمانه المسبق بوحدة تجارب الأمة من جهة وبوحدتها معها من جهة أخرى وبقيمتها المصيرية بالنسبة إليه ، في النهاية من جهة ثالثة .

ولقد شعر الجميع لا بقيمة التجارب فقط ولكن بدورها في صيانة وحدة الأمة الإسلامية وبضرورة صيانة هذه الوحدة من خلالها ومن هنا فقد حملوا مؤلفاتهم رأي ما يسمى « بأهل السنة والجماعة » بصورة خاصة لا رأي بعض الفرق منها . اتجهوا بجعل تواريχهم تاريخ « المجموعة الأوسع من المسلمين لا تاريخ طائفية محددة أو مذهب معين وهكذا أسهموا في نشر الأيديولوجية السنّية خاصة ، من خلال الإلحاد على تاريخ الجماعة ، أو على الأصح من خلال إقرار وتبرير الواقع الذي ظفر وتحقق وامتد من فشل أو انهزام وحجب الأضواء عنه . وبالرغم من أن الجماعات الصغيرة . من فرق وطوائف قد كانت لها محاولاً لها وقد كتبت دون شك تاريχها وسجلت وجهات نظرها إلا أنها لا تجد في التواريχ الكبرى ولا التواريχ الأخرى المتداولة إلا أخف الفلال منها وأحياناً لا تجد إلا الباحث الأسود من قصتها : وليس يعني ذلك أن المؤرخين أغوا الجماعات واستبعدوها . إنهم بالعكس بدلاً من أن يلغوها جمعوا كل الأفكار في ميدان واحد وفي كتاب واحد وكتبوا من خلال وجهات نظر الجماعة تاريخ جميع الفرق والأحداث والأسر والملوك مماً بعد أن وضعوها على صعيد واحد ، وكتبوا في النهاية مصيرها ... وبقاء الجماعة . وإذا صان المؤرخون بهذا الشكل « وحدة ، الأمة » فإنهم دون شك قد أفقروا إلى حد ما مجموعة الألوان الحقيقة التي تلوّن بها حياة الجماعة الإسلامية في الواقع الذي كان .

وعلى أي حال فإن التاريخ الذي نظر إليه مؤرخو السنة على أنه استمرار للنظام الإلهي الذي اختاره الله (أي النظام العباسى) فإن الشيعة لم يرفضوا منه إلا القمة نفسها (أي الخلافة العباسية) وذيلها السياسية . ونصبوا من خلال التاريخ الخاص لهم قمة أخرى إلهية الاختيار بدورها تتسلّل فيها القيادة والزعامة هي الأئمة . والفرق الشيعية على اختلاف ما بينها في درجة تصعّيد العلاقة ما بين هؤلاء الأئمة وبين العزة الإلهية لا يختلفون في زاوية النظر التاريخية إلا من خلال تقييم النظم والرجال بالنسبة لنظرتهم وموقفهم من آل البيت .

ولم تظلم من زاوية الحقيقة التاريخية في الحالين إلا الفرق المنطرفة التي غطى السواد الكثيف والكتمان معظم نشاطاتها وأعمالها السرية ، رغم خطورها في التاريخ .

وأخيراً فقد أنصب اهتمام المؤرخين على الطبقات العليا في الجماعة : سواء منها الحاكمة سياسياً أو المبرزه دينياً . « العامة » . « الأوباش » . « العيارون » . « النبط » . « العراة » . « الزواقيل » . « الطرارون » . « باعة الطرق » ... الخ . كل من كانت تعبير عنهم هذه الأسماء من الطبقات الدنيا المحرومة ، مضافاً إليهم طبقات العبيد بأجناسهم وأعمالهم لم يكن لهم من مكان على سطور التاريخ . كانوا الماشي بعيد منه . لا تلقى عليهم الأضواء إلا إن دخلوا السبب أو الآخر في الدارة الضوئية لبعض الأحداث المتصلة بالطبقات العليا .

وهذه الطبقات العليا كانت بمجموعتين احدهما يدها الحكم والسيف والسياسة والمال ... وتحمل اسم « الخاصة » مقابل العامة . ويدخل فيها عدا الخلفاء والسلطين والأمراء ، جماعة البلاط من موظفين كبار وقواد ورجال دولة وعمال على المال ... كما يدخل فيها التجار والملاك والمتمولون ... وأما المجموعة الثانية فطبقات العلماء الذين كانوا يستمدون أعظم التقدير مما يحملون من علم هو الدين كله ، مصدر القيم . واقتصر التاريخ الإسلامي على الاهتمام بهاتين المجموعتين : ترجمة وعلاقات وحررواً وتقدير فكر وحفظ . حتى الجواري حين يتحدث عنهن التاريخ أو الزنج أو الغلمان أو المغنوون ، فإنما كان التاريخ يذكرهم بقدر ما لهم من علاقة مع الطبقات العليا ومن خلال نظرية تلك الطبقات إليهم . التاريخ الإسلامي هو ، من هذه الزاوية تاريخي ولكن هل كان له ، في عهده ، أن يكون غير ذلك ؟

٣ - تحرر التاريخ إلى حدٍ كبير ، في هذه الفترة ، من الوصاية الدينية عليه . طبقة الكتاب التي غرت ميدان التأليف أوجدت فيه ، بجانب اللون الديني ، اللون الآخر الدنبوبي . وانتقال تدوين التاريخ السياسي ، في الغالب ،

إلى أيدٍ الكتاب ورجال البلاط والعمال ترك أثره العميق في التاريخ سواء في مادته أو في أسلوبه أو في أهدافه . أخذت الأحداث السياسية ، كأحداث ، قيمتها الخاصة بصرف النظر عن قربها أو بعدها من المفهوم الديني أو عن اتصالها أو عدم الاتصال بالأمور الدينية . لم يعد الحديث السياسي كما كان في عهد النبي والراشدين تشعياً ، ولكن مجرد حدث سياسي في أسبابه ونتائجها وقيمة . وسقط السند لعدم الحاجة إليه ليبرز بدلاً منه الشهادة الشخصية والوثائق والرواية والاستنتاج . ومع تعدد المراكز السياسية في البلاد الإسلامية تعددت وتكاثرت الأحداث ودخل ميدان التاريخ فيض هائل من الأخبار التي تستحق التسجيل ، من كل مكان . وكانت إعادة تكوين الأحداث الجارية وتسجيلها من الأمور اليسيرة على الكتاب ، ومن الأمور الملائمة لعملهم وطبعهم كما كانت المصادر التي يستقون منها المعلومات جاهزة تحت أيديهم سواء في الوثائق الرسمية أو في أحاديث البلاط والدواوين ، أو تصرفات الأمير وما يروى عنه ...

ثالثاً – وهكذا اصطبغ التاريخ بالصبغة المدنية ، متحرراً في الطريقة والأسلوب والمدل من القضية الدينية التي غدت لها كتبها الخاصة . وكان لهذا التحول آثاره الخطيرة في علم التاريخ . وإذا تركنا جانبًا أثره في الأسلوب وفي سقوط الإسناد ، وفي ضعف التدقيق المتشدد فإن التاريخ قد تأثر أيضاً في أهدافه وفي مادته :

(أ) حل الهدف التعليمي السياسي أو التربوي الخلقي محل الهدف الديني في التاريخ . نزل هذا العلم في أهدافه إلى الأرض . وأضحى الغرض منه في معظم الأحيان ، إما تعلم السياسة والحكم بالأمثلة السابقة لأهل السياسة والحكم وإما كشف القيم الأخلاقية للأفعال وبسط الأمثال النافعة في تربية الأجيال المقبلة . أضحى التاريخ لدى بعض المؤرخين فرعاً من فروع علم السياسة كما أضحى لدى بعضهم الآخر فرعاً من فروع علم الأخلاق دون أن يلغوا ، في الحالتين كونه مجال عبرة إلهية وحكمة عظمى . ولعل من أوضاع النصوص في هذا المعنى ما كتبه مسكوكية في مقدمة تجذب الأمم وقد يكون من المناسب قراءته قال : «إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت أخبار البلدان وكتب التواريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر منها .

ويتظر حدوث شبهها وشكلها كذلك مبادئ الدول وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه إلى أن عاد إلى أحسن حال وإغفال من أغفله فالأمر إلى الأضمحلال والزوال . وذكر ما يتصل بذلك من السياسات في عمارة البلدان وجمع كلمة الرعية وحيل الخروب وذكر الأسباب التي تقدم بها قوم عند السلطان والأحوال التي تأخر لها آخرؤون . وذكر لسياسات الوزراء وأصحاب الجيوش . ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها مناسبة صار جميع ما يخفيه الإنسان من أحداث التاريخ كأنه تجرب له وكأنه قد عاش الزمان كلهم . فبعد لكل شيء عدته ... ووجدت هذا النمط من الأخبار مغموراً بالأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخرافات التي لا فائدة منها غير استجلاب النوم بها ... فلذلك جمعت هذا الكتاب وسيطيه تجرب الأمم . وأكثر الناس اتفاقاً به أو فرهم قسطاً من الدنيا ، كالوزراء وأصحاب الجيوش وسوسان المدن و مدبرى أمر الخاصة والعامة ثم سائر طبقات الناس . وأقل الناس حظاً لا يخلو أن يتنفع به في سياسة المنزل وعشرة الصديق ومداخلة الغريب . وأننا مبتدئ بذكر الله ومنتها بما نقل إلينا من الأخبار عن الطوفان لقلة الثقة بما كان قبله ولأن ما نقل أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمناه في صدر الكتاب ... وهذا السبب بعينه لم نعرض لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تم لهم من السياسات بها لأن أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم ، اللهم إلا ما كان منها تدبراً بشرياً لا يقترب بالإعجاز

وإذا صادفت هذه الدعوة قبولاً لدى طبقات الكتاب لأنها حررتهم إلا من الهدف السياسي فقد صادفت مثل ذلك لدى رجال السياسة لأنها أعطتهم الأمثلة والمبررات لما يقومون به من الأعمال والأحداث كما صادفت القبول لدى علماء الأخلاق ورجال الأدب الذين أخذوا يكيفون أمثلة التاريخ بما يلائم أغراضهم ويملاون مؤلفاتهم بما يستحسنون من التوادر والطرف المتفرقة كما صادفت القبول لدى الواقع الذين كانوا في سبيل هدفهم الوعظي ، أكثر الناس تشويهاً لأحداث التاريخ ..

(ب) اتضحت في التاريخ أساسات جديد من أسس التحليل والتفسير هو العقل . أحد المؤرخون أو بعضهم على الأقل يعتمدون التحليل والمناقشة المنطقية في سطوره وأحداته بجانب التسليم الإيماني بأن الأقدار بيد الله . وبالرغم من أن هذا الأساس لم يتطور بشكل واسع ليصبح « مدرسة » فكرية في التاريخ إلا إنما لا نعد الأمثلة الكثيرة عليه . وأكثر ما ظهر ذلك لدى الكتاب والمورخين ذوى الثقة الفلسفية لا الحديثة .

(ج) تحرر التاريخ ، نتيجة لهذا وذلك ، من المترافقات والأسمار . استقل عنها ليكون له ميدانه الخاص به . وبالرغم من أن مادته ، بما تحمل من الطريف والمثير ، كانت تتغري على الدوام طلاب المتعة والسرور أو الوعاظ ، أو أصحاب الأخيلة ، بخلع أحداته من قيود الزمن ، وانتراعها من إطار الواقع وإطلاقها حررة المصير في موكب القصص والأسطورة والوعظ التهذيب أو السلية فإن حداً واضحاً قد وضع بين التاريخ وبين القصص ، بين معرفة الواقع كما كان وبين استخدامه ألمية أو حلية أو سوط عذاب أو مصباح هداية ... تحدد ميدان التاريخ في رواية الواقع . ففتح طريقه الخاص كرآة حيادية للزمان والأحداث . شق مكانه الوسط بين الاهتمامات الدينية التي ودعاها وبين الميول القصصية التي رفضها ...

(د) انقسم التاريخ ، في شكله التسجيلي ، إلى فرعين : فرع للأحداث وفرع للتراجم . وإذا تنحى الفقيه والمحدث لعمال الدواوين عن مكانهما في تدوين التاريخ السياسي فلهمما ظلا على الاستئثار بتاريخ الرجال . وإذا صار التاريخ السياسي « مدنياً » وكان الحفاظ والفهماء راضين عن تركه وإهماله لما فيه مما لا يرضي الله فإن تمسكهم بعلم الرجال كان جزءاً من علومهم الخاصة برواية الحديث ونقله وقد مارسوا في تسجيله أصولهم وقواعدهم الحديثة بما في ذلك ذكر السنن والشيوخ والتلاميذ ..

على أن ميدان التراجم والرجال لم يبق ، مع ذلك ، ميداناً خاصاً بأهل

الحديث ورجاله . ذلك أن الصفة « الدينوية » ما لبست بدورها أن لحقت التراجم التي دخلها بالتدريج أعيان الرجال وكبار القادة وأهل الدولة . و « تحديد » التاريخ الذي نجح أولاً في ميدان الأحداث السياسية عاد فنجح كرة أخرى في ميدان التراجم وكتب الرجال . أدخل الجماعات غير الدينية في دنيا التراجم التي تحفظ وتروى . بل أدخل أحياناً بعض البارزين من غير المسلمين ولا سيما في مجالات التخصص الفكري كالطب والفلسفة أو في العمل السياسي في الوزارة والكتابية والدواءين . ومع أن هذا الاتجاه مشى أول الأمر على الصعف والتردد في اعطاء الاعتبار لمختلف البارزين في المجتمع بالتوازي مع البارزين في العلم الديني إلا أنها لا تلبث أن ترى هذا التوازي يتصر في مثل تاريخ بغداد (أواسط القرن الخامس) الذي دخله حتى بعض المغنين والتجار والمالك ، والبحارى ، والقواد والخدم ... فإذا جاء القرن السابع لم يكن كتاب (وفيات الأعيان) حكراً على طبقة دون أخرى من الأعيان كافة .

٤ - ظل التاريخ بصورة عامة ومن حيث الشكل في النطاق الوصفي ، التقريري ولم يصل إلا عند قبضة محدودة من المؤرخين إلى اعتبار التحليل والتعميل من أساليبه المقررة . لم يصبح ممارسة فكرية مستقلة . محاولات أمثال المسعودي ومسكويه والبيهقي لم تكرر وبالتالي لم تأخذ أبعادها في التطور نحو تكوين منهجية تاريخية خاصة . المنهجية الكبرى التي تفتررت هي تلك التي التي تناولت حملة الأخبار لا الأخبار نفسها والسندا رويا لا الحادث التاريخي نفسه . وهذا العجز المنهجي أدى إلى الضمور في استقلالية هذا العلم ، وإلى تحديد دوره الفكري . لم يأخذ في بروزه كعلم خاص ، الأبعاد التي يقتضيها استقلاله . وهكذا ظل وسيلة لا هدفاً وظل في نطاق الخدمة للعلوم الأخرى أكثر مما كان عاملاً في تطوير الفكر الإسلامي نفسه ، بما يحمل من الإمكانيات والمعطيات . يقول فون غرونباوم : « لم يكن علم التاريخ (الإسلامي) وفن كتابته يرغبان في الحكم والتفسير بل كانوا فقط يقدمان المادة ... »^(١) .

(١) فون غرونباوم - اسلام العصر الوسيط (الترجمة الفرنسية) باريس - مايو ١٩٦٢ ص ٣٥٥ .

ويقول و. سبيث « لقد عمل التدوين التاريخي العربي (المستريوغرافيا) بمثابة دفاع أكثر مما عمل بمثابة بحث حقيقي ... »^(١) والحكمان ينتهيان إلى نقطة واحدة هي ذهاب التسجيل التاريخي الإسلامي سطحاً مع الأحداث والتراجم لا عمقاً . ووصفه للأحداث من الخارج لا تفاعله الفكري معها . على أن هذه السطحية والوصفية هما لحد ما سمات ظاهرية و يجب أن لا نخدعانا عن الواقع الذي يجب أن تقرر معه أن المؤرخ الإسلامي ، كان يختفي وراءهما ، جهداً كبيراً من الانتقاء للروايات ومقارنتها ونفي ما لا يقبله منها أو دمج بعضها في بعض . إن التدوين التاريخي الإسلامي ، في الحقيقة ، إنما يتضمن في شكله الوصفي المعطى تلك العمليات الفكرية من استقراء ومناقشة وتفضيل رواية على أخرى ولكن دون الإعلان أو التسجيل لكافة تلك المراحل التحضيرية السابقة للكتابة والتي قلما يكشف عنها المؤلف ، وندر جداً من المؤرخين من كان كتابه مجرد سرد ساذج لا يحمل ضمن السطور تأويله الخاص وتفسيره الذاتي . ومع ذلك فإن الموضوعية التي انصبته للديهم على الاحترام الزائد « للشهادة » و « النص » قد أبعدتهم عن المناقشة المباشرة والكامنة للمحتوى الذي تحمله الرواية التاريخية وهي التي حالت دون تطور المنهجية التاريخية نحو العلمية الكاملة .

هـ - ومن جهة أخرى فإن التاريخ الإسلامي لم يكن كما قد توحي صورته الظاهرية مجرد أشتات من المعارف وأكداد من المعلومات . لقد قدم ، وخاصة في عصوره الذهبية (ما بين القرن الثالث وأواخر الرابع) قصة تلك المحاولات السياسية والفكرية والاجتماعية والدينية والاقتصادية لإقامة النظام الإسلامي بشكل عملي . قدم القصة كاملة بما لها وما عليها ؛ لم يهمل حتى أفراد الرجال ودقائق الحياة . وإذا كان الجلو السياسي هو الطاغي على مؤلفات التاريخ فإن صورة الجلو الفكري الثقافي ليست أقل وضوحاً ودقة و شأنها . وحين نحدث التاريخ عن

(١) سبيث - الاسلام في العالم الحديث (باريس ١٩٦٢) ص ١٥٩ .

الإمامية والتعليم السياسي والقروضية والديارات والملل والنحل وعن الأغاني واللحواري والتوادر والأذكياء والوزراء والمجانين ... الخ فإنما كان يقوم بتقديم حصيلة الصور الواقعية للتاريخ الإسلامي ولنظامه ، بل وحصيلة الأشكال الفكرية الممكنة من خلال الإسلام .

بعض المؤرخين كانوا إنما يصفون ما كان تقريراً لواقع ، وتسجيلاً لتجربة حضارية متنامية ممتلئة بمختلف الأفكار وباللوان الحياة وعواصف السياسة وخصيب النشاط الفكري والاجتماعي . كانوا يرون أنها جديرة بالتسجيل لذاتها ، لأنها حضارة الدنيا الأولى في تلك الفترة . على أن بعض المؤرخين الآخرين كانوا يضعون هذه الصورة التاريخية مقابل تلك الصورة المثلث لعصر الرسالة والصحابة . الاهتمام خاصة ب الرجال الحديث وأخبار الزهاد والصوفية والنظم العادلة والفقه إنما هو اهتمام « بحملة » الإسلام واهتمام باستمرارية التاريخ الأول كصورة مثالية تقابل التاريخ الواقع المتدهور . وإذا كان المؤرخون الأول هم شهدو العصر فهو لاء كانوا بدورهم الشهد السليبين . كانت أعمالهم شهادة على مبلغ بُعد الواقع التاريخي الإسلامي عن مستوى عصر الرسالة . كان التاريخ الذي سجلوه تعبيرأً وتسجيلاً لحركة اجتماعية – سياسية فكرية ما تنقل تباين مع الصورة المثلث . ومن هؤلاء وهؤلاء على السواء نشأ تقليدان في التاريخ يمكن أن يُعتبرا مدرستين فيه : دينية ودنيوية . وإن كان الطرفان شهدو عصورهما ...

٦ - واعترفت الأمة الإسلامية ، في هذه الفترة ، عن طريق التاريخ ، بالأمم الأخرى التي تعاشها . وفي القرون الثلاثة الأولى التي نشأ فيها التاريخ الإسلامي كانت الجهود والعيون والأنوار منصبة كلها على تبيين ملامح المعجزة الإسلامية الكبرى : رسالة ونجاحاً وفتحاً ودولة ونظاماً دولياً ... لم يكن لل المسلمين لا الوقت للنظر في تجارب الأمم الأخرى ولا الرغبة في الاعتراف بوجودها مع عظمة الواقع الإسلامي العربي .

على أن هذا التجاهل ما افقلت ينفرق شيئاً فشيئاً سواء من قبل المسلمين الجدد الذين أرادوا أن يثبتوا وجودهم التاريخي السابق تجاه العرب المسلمين أو من قبل العرب أنفسهم الذين أدركوا سعة الشعوب الأخرى في المكان والزمان والمدد والفكر والحضارة . ومنذ أصبح المسلمون هم الأكثريّة في الدولة الإسلامية ؛ في القرن الثالث ، وانجهت الحضارة الإسلامية نحو التمازن بالثقافات الأخرى وانتصرت سياسة العباسين في تعامل العناصر المتعددة وتعيش الأديان وقبول الثقافات كلها على مستوى واحد ؛ منذ ذلك الوقت أخذت الشعوب السابقة للإسلام أو المعاصرة له مكانها من الوجود « والتحيز » بالنسبة للمسلمين ، وقبلت في السجل التاريخي . كان التسجيل بمثابة الاعتراف المتأخر بها وبمثابة اعطائهما حقها من « المفاخر » والمجد السابق . شمول الإسلام وتكتالور معتقداته من كافة الأمم وصيروحة الأكثريّة العددية والفكريّة إليه في الدولة الإسلامية سمح للتأليف التاريخي بصورة آلية وبالتاليية العفوية بأن يشمل في سجلاته كافة الأمم ، وهكذا وضعت منذ أوائل القرن الثالث التواريخت العالمي التي قد تكشف بالكمية العددية المحدودة من الصفحات وبالنسبة التي خصصتها منها للأمم الأخرى مقابل ما كرسه للتاريخ العربي الإسلامي ، مدى ذلك الاعتراف المحدود على أي حال . كان الحاضر الإسلامي والماضي الإسلامي بالنسبة للمؤرخ المسلم من التائق ومن الشأن الديني ومن القرب الزمني ومن الالتصاق الحياني بالناس بحيث كانت تواريخت الأمم السابقة أو الأمم الأخرى المعاصرة لا تشغل معه إلا أبسط الاهتمام .

٧ - على أن هذا التفسير الأحادي الجانبي قد لا يكون كافياً لفهم السبب في ظهور تلك التواريخت العالمية الموسوعية في فتراتها . إن لها مجالاً آخر للتفسير قد لا تفهم بدونه . إنها على أي حال لا تفهم حين ينظر إليها كركام من المعلومات المجموعة بين دفتين ، ولكن كنظام فكري كامل ، من تصور وتكوين أولئك المؤرخين الكبار ، مرتبط الارتباط المباشر بنسيج عصورهم السياسي والفكري وباحتقاره الكبير .

ولعل مما يلفت النظر أن تظهر التوارييخ العالمية الكبرى في الإسلام في أعقاب الكوارث الكبرى وفي العصور التي تهياً لحركة جديدة من النهضة . إن رابطة عميقة من الصلة تربط دون شك ما بين تحطم الخلافة العباسية تحت ضربات الخدم الأتراءك منذ مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ حتى نهاية القرن ، ثم ظهور البوهين في بغداد سنة ٣٣٤ ، وما بين ظهور التوارييخ العالمية لليعقوبي والطبرى والمسعودى والمظھر المقدسى ومسکویه ... كانت العيون كلها والنفوس تبحث في كل الآفاق ، وفي « تجارب الأمم » عن أمثلة تفسر هذا الذي يتزل بالخلافاء العباسيين ، رؤوس الدولة دینیاً وسياسیاً ، من نکال وإذلال . فجاءت التوارييخ العالمية من كل أفق تخبر عن « الملوك » و « الدول » و « الأنبياء » و « البدء والتأريخ » ... كأنما ت يريد أن تحمل العزاء والتفسير وأن تقول أنه لا جديد تحت الشمس ... أو تفتح الطريق الفكري للتطور السياسي الجديد .

وإذا كان كتاب الدول للمجاشعي هو التاريیخ العالمي الوحید الذي أثاره دخول السلاجقة إلى المسرح السياسي الإسلامي في أواسط القرن الخامس لأن أحداً لم يعتبر هذا الدخول خطراً ولكن رافق دعم وعون للخلافة ، فإن دخول الفرنجة إلى الشام بذلك الشكل المأسوي الساحق وآلام البلاد العربية الإسلامية وهي ترمم جبهتها الداخلية أكثر من سبعين سنة حتى استقامت جبهة واحدة في وجه الفرنجة هي التي تفسر ظهور كتاب المنتظم لابن الجوزي (وإن يكن اهتمامه الرئيسي ببغداد إنما يعكس واقع انصراف بغداد عن الاهتمام بتلك المحنة الكبرى إلى شؤونها الخاصة) ثم حين ازدوجت الكارثة على العالم الإسلامي بظهور المغول الساحق من الشرق مع ضغط الفرنجة عليه من الغرب (في مطلع القرن السابع / ١٣م) وتضخمته في القصائر لحظات الشعور بالخطر المدمر المردوج ظهرت كنوع من الدفاع الذاتي سبعة توارييخ عالمية على مدى نصف قرن كتبها (ابن الأثير وسبط ابن الجوزي وابن نظيف وابن أبي الدم وباقوت والقططي وابن أبي أصيبيعة ...) وإن لم يبق منها سوى الاثنين الأولين .

على أن ثمة فرقاً ما بين « عالمية » مؤرخي القرن الرابع ومؤرخي القرن السابع . فالأوائل كانت عاليتهم اعتراضاً بالأمم الأخرى التي دخلت الإسلام ومحاولة للاحتجاج على التخريب الداخلي الذي حاولت فيه بعض العناصر من هذه الأمم تهدم النظام الإسلامي القائم من الداخل وتذكير المسلمين بالعهود الناصعة الأولى وبأمثلة الأمم الأخرى التي بادت بسبب العدوان على النظام العام . ومن هنا كانت تلك « الموسوعية » في المعلومات وتلك العالمية لافتراق الحاضر المليء بالتشاؤم والسوء في ماضٍ رائع يعاد بناؤه للناس كتلة واحدة متكاملة . إنها عملية دفاع داخلي يراد بها صيانة استمرارية الأمة . أما عالمية مؤرخي القرن السابع فمختلفة . إنها محاولة لإعادة ثقة الأمة بذاتها والهرب إلى تاريخ سابق رائع من واقع ميّء تحقق الناس منه . إنها استمساك بالعمود الفقري للجماعة الإسلامية المهددة كي لا تنهار أمام الخطر الخارجي وتذكير لها بكافة الأبعاد السابقة التي انتصرت فيها على كافة الأمم الأخرى وورثتها . سبعة تواريخ عالمية كانت سبعة تأكيدات للأمة الإسلامية بأنها هي الوارثة الوحيدة للنظام العالمي وبأن كل الأخطار حتى لو اجتمعت (من فرنجة و Mongols معاً) فانه خير حافظاً ... وهو الغالب على أمره .

٨ - توطدت خطوط التاريخ في ثلاثة مسارب : تاريخ الأحداث أو التاريخ السياسي ، وتاريخ الرجال أو الترجم ، وتاريخ الأفكار والعلوم والآداب والمجتمع والنظم أو التاريخ الحضاري . وإذا كان مفهوم التاريخ قد انصب أول الأمر على الترجم وأخبار الرجال وقد حمل المعنى الديني بسبب اختصاصه أيضاً بمهمة الحديث فإنه سرعان ما توسع عن هذا المفهوم منذ أوائل القرن الثالث ليحمل دون أن يتركه ، معنى الأخبار السياسية . ثم فرضت كتب التاريخ الحضاري نفسها تارة بوصفها ترجم لرجال العلوم المختلفة والآداب وتارة بوصفها أخباراً عن نواح طريفة أو هامة من الحياة العامة ، ولكن دون أن تحمل إلا في النادر عنوان التاريخ .

وخطوط المسيرة التاريخية بعد ذلك لم تحد عن هذه المسارب الثلاثة وإن زاوجت أحياناً فيما بينها جامعه "الترجمـ" مع الأحداث ، منذ القرن السادس أو نائرة " الأخبار الحضارية في ثنایا التواریخ " كما فعل المسعودي والفارقي ، والبيهقي وغرس النعمـة وابن منقـد ، ومؤرخـو المدن في مطالع المؤلفات الخاصة .

رابعاً - وأخيراً عرف التاريخ أوسـع الازدهار في مطلع هذه الفترة التي درستـا وفي نهايتها على السـواء .

كان القرن الرابع (العاشر الميلادي) هو القرن الذهبي للتاريخ الإسلامي : سواء في أعداد من عملوا على التاريخ أو في أعداد المؤلفات التاريخية وأنواعها . ولم يقاربهـ في ذلك إلاـ القرن السابع الأخير الذي شهد بدوره فـضاً هائلاً من المؤرخـين والمؤلفـات والاهتمامـ التاريخـي الواسـع .

وإذا تحددتـ في القرن الرابع خاصـة معلمـ علمـ التاريخـ الإسلامي فـلم يدخلـ عليهاـ بعدهـ الاـ أبسطـ التعديلـ سواءـ فيـ المادةـ أوـ الأسلوبـ أوـ المنهجـ أوـ الفروعـ التاريخـيةـ فقدـ تجدـ هذهـ الظاهرـةـ تفسـيرـهاـ فيـ رغبةـ الفكرـ الإسلاميـ ،ـ فيـ ذلكـ القرنـ ،ـ فيـ تسـجـيلـ ملامـحـ وأـحـدـاثـ حـضـارـةـ كـبـرىـ بلـغـتـ إـذـ ذـاكـ أـوـجـهاـ وـبـلـغـ

شـعـورـهاـ بـتـمـيزـهاـ وـتـقـدـمـهاـ أـوـجـهـ وـبـدـأـتـ فيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ دورـ المـحـافـظـةـ أـيـ

دورـ الـأـفـولـ وـالـتـرـاجـعـ كـأـنـاـ أـحـسـ "ـ المؤـرـخـونـ بـضـرـورـةـ تسـجـيلـ كـلـ شـيـءـ مـنـ

تـلـكـ الـحـضـارـةـ لـأـنـ لـكـسـلـ شـيـءـ قـيمـتـهـ حـتـىـ المـذـكـرـاتـ الشـخـصـيـةـ وـحـتـىـ أـخـبـارـ

المـجـانـينـ فـهـمـ يـمـكـنـ بـجـمـيعـ الـخـطـوطـ وـالـصـورـ قـبـلـ الـاضـمـحـالـ وـالـصـبـاعـ .ـ كـانـتـ

تـلـكـ الـحـضـارـةـ مـدـرـكـةـ لـتـمـيزـهاـ عـنـ غـيرـهاـ وـمـعـجـبـةـ بـذـلـكـ التـمـيزـ للـدـرـجـةـ الـتـيـ

وـجـدـتـ مـنـ الضـرـورـيـ مـعـهاـ تسـجـيلـ جـمـيعـ صـورـهاـ فيـ كـلـ الـأـحـوالـ .ـ كـتـبـ

التـارـيخـ بـالـمـعـنـىـ الـكـامـلـ وـالـأـوـفـىـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ إـنـمـاـ هيـ مـؤـلـفـاتـ الـقـرنـ الـرـابـعـ ...ـ

وـلـاـ شـكـ أـنـ اـنـطـلـاقـ الـأـفـكـارـ ،ـ مـنـ خـلـالـ نـمـاذـجـ الـقـنـافـاتـ الـمـخـلـفةـ ،ـ فيـ كـلـ

الـآـفـاقـ وـشـيـوخـ الـفـلـسـفـةـ وـالـعـلـمـ الـشـيـوخـ الـوـاسـعـ ،ـ وـاـنـتـشـارـ الـمـعـارـفـ عـنـ مـخـلـفـ

الـأـمـمـ وـاجـتمـاعـ أـبـنـائـهاـ مـنـ كـلـ الـفـجـاجـ فيـ بـغـدادـ ،ـ وـاشـتـاكـ الـعـلـاـقـاتـ الـتـجـارـيـةـ

وـطـرـقـ الـقـوـافـلـ وـالـاـقـتـصـادـ فيـ هـذـاـ الـبـلـدـ الـذـيـ أـصـحـيـ عـاصـمـةـ الـدـنـيـاـ وـتـصـادـمـ

التقاليد الاجتماعية لمختلف الأمم في قصوره والأسواق كل ذلك قد خلق نوعاً من « الجموع » العام للمعرفة . والمعرفة لذاتها . وليس من علم يمكن أن تتجلى فيه الرغبة في المعرفة للمعرفة كالتاريخ الذي لم يكن يطعم خبزاً ولا يؤهل لمقام كبير وليس له حلقاته التدريسية في الجموم ولا يعتبر العالم به « عالماً » ما لم يقرنه بأي علم آخر من حديث أو فقه أو أدب وشعر أو فلسفة أو طب أو رياضة ... تلك الغورة من الجموع الثقافية في القرن الرابع ترجمت عن نفسها من خلال التاريخ .

أما القرنان الخامس والسادس فقد اتجهت الأقلام إلى تسجيل استمرار المؤسسات الإسلامية على حالها واستمرار العلوم السابقة على خططها وعلماء الحديث والفقه على سنة السلف وذلك من خلال تسجيل استمرار الخلافة ، وعقيدة أهل السنة والجماعة من خلالها ومن خلال الأسرة السلاجوقية التي جاءت فبدعمتها ثم الزنكية والأيوبيية ومن خلال تراجم الرجال والتأكيد على أنهم في كل بلد (وذلك عن طريق التواريخ البلدانية) ما يزيدون على النهج القويم التقليدي نفسه برد دون الاستناد عن الشيوخ السابقين ويررون الأحاديث ذاتها في المساجد .. ولقد دعم السلاجقة هذه « التقليدية الاستمرارية » بتلك الشبكة من المدارس التي أنشأوها ما بين أقصى إيران وأدنى الشام لتعليم ونشر ودعم الأيديولوجية السنوية ..

وفي مثل هذه الأحوال تراجع الأحداث السياسية في القيمة لتحول عملها تراجع الرجال الحفظة للتقاليد . وإذا استثنينا أخبار المزارات السياسية الثلاث التي أصابت المشرق الإسلامي في ما بين القرنين الخامس والسابع (هجمة السلاجقة ، عدوان الفرنجية والمقاومة له . والهجوم المغولي المدمر) فانا لا نكاد نجد إلا أخبار العادية عن المؤسسات الإسلامية التقليدية منذ قمتها والخلفاء حتى أبسط الوظائف بما في ذلك القضاة والكتاب والجيش والخارج ... مما كان في الزمن الأول . على أننا نجد أن تراجم الرجال بال مقابل هي التي تختل السطور الأولى دوماً

كتنوع من التأكيد على استمرارية المؤسسات الأولى ضمن الخط الإسلامي . وهكذا فالتواریخ الكبیری كانت منذ أواسط القرن الخامس للتراجم : تاریخ بغداد للخطیب . الأنساب للسمعاني . تاریخ دمشق لابن عساکر . حتى المتنظم لابن الجوزی إنما أفرد الباحث الأوسع منه للترجم كأنما أراد المؤرخون أن يؤكدوا أن النظام الاسلامي كله سياسة وعلمًا وتکوريناً ما يزال قائماً كما كان ، مستمر الوجود على عهده الذي سبق . لقد اتصل بهذه العقلية الاستمرارية دون شك ظهور بدعة «الذیول» وتكلمة اللاحق للسابق ، وسلسل المؤلفات المتتابعة التي تکاثرت بوضوح في القرنين الخامس وال السادس ، وكتب معاجم الشیوخ التي أضحت من المؤلفات التقليدية لکبار العلماء يسجلون بها روابطهم مع أجيال الشیوخ السابقین ...

ولقد اتصل بذلك عصر المحافظة والحمدود وغياب الابداع فساد « نوع ٥ التدوین التاریخي وجفت مصادره ومعالمه . أضھی تقليدياً . حولياته أضحت من الإملال بحيث استطاع الكثیرون اختصارها في أسطر . وانتهى الانفتاح الموسوعي على الأفكار والحياة . ولم نعد نجد من جديد في كتب التاریخ سوى المحلي اليومي ، أمّا النظرات الآفاقية والاتصال بالحياة العادیة وبألوان المزاج الاجتماعي مما عرفناه في القرن الرابع ، فقد خاب تمام الغیاب . لم يعد في حیاة الناس ما يستحق التسجیل ... هم أنفسهم آمنوا بذلك فسکتوا ...

وجاء القرن السابع بنھضة تاریخیة واسعة نستطيع معها أن نعد ما يزيد على ٣٢٥ مؤرخاً في مدى قرن (فيما بين أواسط القرن السادس وأواسط السابع) كتبوا ما يزيد على ٦٠٠ كتاب في التاریخ ... وظهر في هذه الفترة ابن الجوزی وابن الأثير وياقوت وابن النجاشي وابن أبي طی . وسبط ابن الجوزی والعماد الأصفهانی . والقطنی . والسمعانی . وابن أبي أصیبعة . وابن الدینی . والمنذري . وابن عساکر . وابن فندق . وابن العدیم . والشیانی . وابن حمدون . وأبو شامة . او الطبرسی . والقادسی . وابن ظافر . وابن قدامة . وابن اللباد . وابن اسفندیار .

وابن نظيف . وابن أبي الدم . والبنداري وغيرهم كثير . ذلك الفيض إنما كان نوعاً من الردة ونوعاً من إثبات الوجود ومن اليقظة الجواهيرية على تحدي الأخطار التي كادت في تلك الفترة تسحق من أقصى الشرق ، بستانبك المغول ، ومن أقصى الغرب ، بسيوف الفرنجة ، منطقة الشرق الإسلامي كلها . وبالرغم من أن هذه المنطقة أُنقذت في اللحظات الأخيرة من هذه الأخطار وتلك ، إلا أن النظام الذي كان كل ذلك التاريخ وكل تلك الجهود التاريخية السابقة تدافع عنه وتدعمه وتطوف من حوله كان قد انهار مع انهيار بغداد سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ ...



الفهرس

الصفحة

٥	بين يدي الكتاب مقدمة في الأبحاث والدراسات التي سبقت إلى دراسة التاريخ الإسلامي
١١	١ - في التراث
١٩	٢ - الأبحاث والمزارات الحديثة باللغة العربية
٢٩	٣ - الأبحاث باللغات الأجنبية
٤١	٤ - الأبحاث المساعدة والتانوية الأخرى
٤٩	القسم الأول : نشأة وتكون علم التاريخ في الإسلام
٥٩	الفصل الأول :
٥٩	١ - الوعي التاريخي والتاريخ عند العرب قبل الإسلام المبر والتاريخ
٥٢	التاريخ العربي قبل الإسلام
٥٧	٢ - العوامل الأولى لظهور التاريخ في الإسلام
٥٧	أولاً : « تاریخة الإسلام » ...

٦٠	ثانية : الحاجات الفكرية (الروحية - الثقافية)
٦٢	ثالثاً : الحاجات العملية الحياتية
٦٤	رابعاً : العوامل المساعدة
الفصل الثاني :	
٧٤	أ - بدء التدوين التاريخي الأول (مشكلة التدوين والرواية الشفهية)
٨٣	ب - ميزات التدوين التاريخي الأول
٩٢	ج - مراحل التدوين
١٠١	د - مادة التدوين التاريخي الأول ومواقيت التدوين لكل مادة
الفصل الثالث	
١١٣	المدارس الأولى (في الشام واليمن)
المدارس الصغرى	
١١٩	مدرسة الشام
١٢٥	مدرسة اليمن
١٣٩	مدرسة فارس
الفصل الرابع	
١٤٩	المدارس الكبرى - مدرسة المدينة
الفصل الخامس	
١٦٩	مدرسة العراق
الفصل السادس	
ظهور المؤرخين الكبار	
٢٠٢	١ - الميزات العامة وجمهرة الماءدين
٢٢٤	٢ - المؤرخون الكبار

القسم الثاني : التاريخ الإسلامي في المشرق العباسي ما بين أوائل القرن الرابع وأواسط السابع الهجري

الفصل السابع

- ٢٦٧ الملامع العامة لرجال التاريخ في المشرق العباسي
التاريخ فيما بين أوائل القرن الرابع الهجري
وأواسط السابع - الملامع والميزات العامة
- ٢٦٨ رجال التاريخ
- ٢٧١ ١ - في عدد المؤرخين وتوزعهم الزماني والمكانى
- ٢٧٢ ٢ - في الوظيفة الاجتماعية
- ٢٧٥ ٣ - في التكوين العلمي والاهتمامات الفكرية والمذهبية
- ٢٨٢ ٤ - في أفاليم المؤرخين (المدارس الاقليمية)
- ٢٨٦

الفصل الثامن

- ٢٩٣ تطور المادة التاريخية
- ٢٩٣ ١ - تكاثر المادة في الكمية
- ٢٩٦ ٢ - تنوع المادة مع الازدهار الحضاري
- ٣١٣ ٣ - أثر الحاجة السياسية والإدارية
- ٣٢٦ ٤ - التأثر بعادة العلوم الأخرى ونوعها
- ٣٤٨ ٥ - أثر التزق السياسي
- ٣٥٥ ٦ - ظهور التوارييخ المحلية والخاصة
- ٣٦٥ ٧ - ظهور السير الفردية والذاتية والمذكرات والقصص التاريخي

الفصل التاسع

- تطور المنهج التاريخي - ١
- في تدوين المادة التاريخية

٣٧٨

الفصل العاشر

- تطور المنهج التاريخي - ٢

- في تنظيم المادة

٤٠١

الفصل الحادي عشر :

في تطور الخلط الفكري

٤٤٥